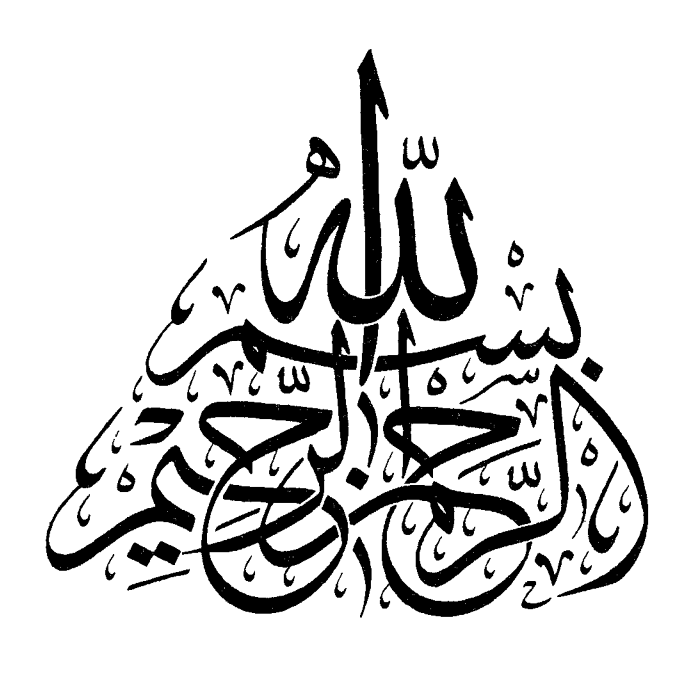
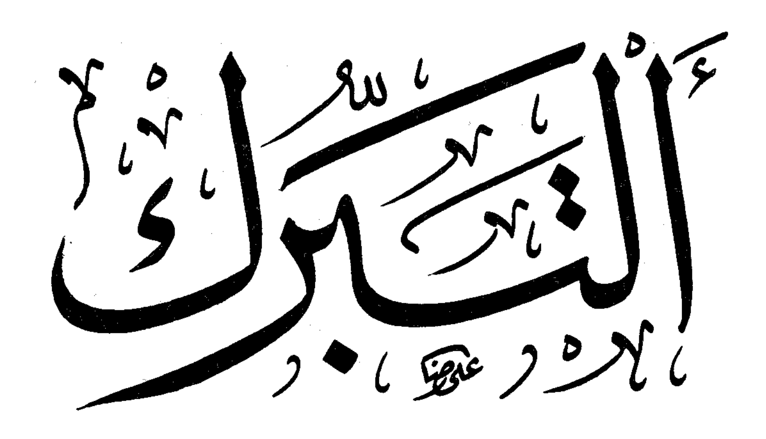

التبرك
تأليف
العلامة علي الأحمدي الميانجي
دار مشعر
التبرك


بسم الله الرحمن الرحيم


التبرك


تأليف
العلامة علي الأحمدي الميانجي

نبذة من حياة المؤلّف

نحن أمام عبد صالح وعالم جليل وفقيه زاهد تقي وأستاذ أخلاق جدير، ترك بصماته علىٰ طلابه ومؤلّفاته.. ومبلّغ صادق وداعية مخلص دؤوب في تربية نفسه وهداية الآخرين، ملئت حياته إيماناً وعلماً وعطاءً، فسيرته عطرة، ومناقبه رفيعة، ومواقفه جريئة، وآراؤه شجاعة بلا تعسّف ولا عناد بل بعلم وحجّة وسداد...

وسيرته هذه ليست غريبة عن سيرة علمائنا وفقهائنا الصالحين، بل هي حلقة من حلقات هذه السلسلة المعطاء والباهرة بما تحلّوا به وبما اتّصفوا به من صفات عالية وبما حشدوه من جهود قيّمة دفاعاً عن الحقّ ودرءاً للباطل.. فما أن يروا شبهة إلّا وتصدّوا لها غير تاركيها ولا متغافلين عنها وحتّىٰ يغوصوا في استقصاء أدلّة ردّها وبراهين دحضها بحجّة وسلطان مبين.. وتاريخهم ـ مواقف ومؤلّفات ـ أمامنا حافل بطريقتهم المثلىٰ هذه وفي كلّ النواحي العقائديّة والفقهيّة والتاريخيّة..

فقدموا لنا تراثاً جليلاً وعلماً نافعاً وحججاً غنيّة، لا يمكننا الاستغناء عنها في نقاشنا وحوارنا مع الآخر فأحسنوا بذلك صنعاً.

وكتاب **(التبرّك)** هذا واحد من تلك الأنشطة والجهود العلميّة القيّمة، يقف بقوّة ليدحض كلّ ما جاء حول هذه المسألة من شبهات وإشكالات، قد أُثير بعضها بدوافع صادقة، وبعضها الآخر أثير بدوافع ونوايا أقل ما يقال فيها أنّها غير منصفة إن لم نصفها بأنّها

خبيثة كان لليد المعادية الحاقدة دور خطير في إذكائها لتعميق الفجوة بين أبناء الدين الواحد والملّة الواحدة.

وشيخنا في كتابه هذا كان حريصاً علىٰ هداية الآخر وإنارة الطريق أمامه، بكلّ ما يستطيع من جهد وفكر، وصبر عجيب على استقصاء الروايات والأدلّة من مصادر القوم ومنابعهم العلميّة وأقوال أئمّتهم وعلمائهم ورواتهم..

***

في الرابع من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٥ هجري قمري الموافق لسنة ١٣٠٥هـ.ش.، وفي قرية (پورسخلو) من قرىٰ آذربيجان الشرقيّة، البعيدة عن بلدة ميانة بأربعة فراسخ. ولد سماحة الشيخ علي الأحمدي الميانجي لأمٍّ علويّة، وأبٍ مزارع، عرف بالعلم والعبادة والصلاح، وعدم الحرص على الدنيا وملاذها، لم تشغل الزراعة أباه، مع أنّها كانت مهنته الرئيسيّة، عن دراسته لأحكام الدين ومبادئه ومفاهيمه، فجعلت منه مبلغاً ناجحاً ومرشداً نافعاً وخطيباً من خطباء المنبر الحسيني الذي كان عاشقاً له ومشغوفاً به. وكانت له خصلة أخرىٰ يتمتّع بها وهي حبّه للنّاس من حوله ودفع الضير عنهم وقضاء حوائجهم..

وكان لهذا كلّه أثره البالغ في تربية ولده عليٍّ ونشأته الدينيّة والعلميّة.. فراح الأب رحمه الله يدرّس ابنه مقدّمات علوم الحوزة وكتباً أخرىٰ تخدمه في توجّهه الحوزوي.

وبعد أن أنهىٰ سماحة شيخنا الأحمدي دراسته هذه صوّب نظره إلىٰ بلدة ميانة حيث حوزتها العلميّة، ليبدأ مشواره العلمي بها عام ١٣٥٨هـ.ق. فمكث فيها يدرس النحو والمنطق ومعالم الأصول وشرح اللمعة والقوانين، عند سماحة حجّة الإسلام الشيخ أبومحمّد حجّتي؛ لينتقل بعدها إلىٰ مدينة تبريز عاصمة آذربيجان الشرقيّة، مواصلاً دراسته في حوزتها العلميّة، قبل أن يخطو خطوته الأخرىٰ ألا وهي هجرته إلىٰ مدينة العلم والجهاد قم؛ ليكمل دراسته للسطوح العالية وهي مرحلة متقدّمة من مراحل الدراسات الحوزويّة بين أيدي أساتذة كبار منهم آيةالله السيد حسين القاضي وآيةالله العلّامة الطباطبائي رحمهما الله.

وبعد إكمال سماحته لمرحلة السطوح العالية توجّه لدروس البحث الخارج وهي مرحلة متقدّمة جدّاً في الحوزة العلميّة، فحضر دروس وأبحاث كلٍّ من:

سماحة آيةالله العظمى السيد حسين البروجردي، سماحة آيةالله العظمى المحقّق الداماد، سماحة آيةالله العظمى السيد الگلپايگاني.

فكان حقاً أذناً واعيةً وطالباً فذّاً ثمّ عالماً جيّداً وأستاذاً نافعاً خاصّةً في دروس الأخلاق. فقد كان مؤثراً في طلابه ومستمعيه الذين حضروا دروسه بشغف وحبّ لما أحسّوا فيها من منافع وثمار.. وطالما كان ـ رحمه الله ـ يوصيهم بفعل الواجبات وعدم ترك المستحبّات والنوافل.. فكان بحقٍّ مثالاً وأسوةً حسنةً في سلوكه وسيرته حيث اتّصف بالزهد والخلق العالي وعبادته وتهجده.

ولسماحته نشاط كبير كان محبّاً له ودؤوباً عليه وهو التحقيق والتأليف ممّا جعله يترك مؤلّفات قيّمة عديدة وهي:

١ ـ مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله، ٤ مجلّدات.

٢ ـ مواقف الشيعة، ٣ مجلّدات.

٣ ـ الملكيّة الفردية، مجلّدان.

٤ ـ السجود على الأرض.

٥ ـ الأسير في الإسلام.

٦ ـ مكاتيب الأئمّة عليهم السلام.

٧ ـ التبرّك.

وهو الذي بين أيدي القرّآء الأعزّاء، بعد أن جدّد طبعته مركز أبحاث الحجّ بقم، التابع لمثّلية الوليّ الفقيه لشؤون الحجّ والزيارة، تلبيّةً لرغبة الشيخ نفسه، وكان يأمل رؤيته منقّحاً مصحّحاً إلّا أنّ القدر لم يمهله حتّىٰ يراه في حلّته الجديدة هذه، فقد وافاه الأجل المحتوم. فنسأله تعالىٰ أن يمنّ عليه بالرحمة والرضوان وأن يسكنه الفسيح من جنّاته.

من وصيّته رحمه الله تعالىٰ:

ترك سماحته وصيّةً قيّمةً تتضمن فوائد عديدة، نشير إلىٰ بعض فقراتها:

ـ ... إنّي لست ذا مالٍ حتّىٰ أوصي به، إلّا الدار التي أسكن فيها، ولزوجتي الحقّ في

الاستفادة منها ومن كلّ الآثاث الموجودة فيها، مادامت هي علىٰ قيد الحياة.

ـأوصي أولادي وجميع ورثتي وخصوصاً أهل العلم منهم، بالاستفادة من مكتبتي، ولا سمح الله إن لم يكن فيهم من يستفيد منها، فإنّي أهديها إلىٰ أي مكتبة من مكتبات الحوزة العلميّة كمكتبة الفيضيّة أو مكتبة آيةالله المرعشي النجفي، فلعلّها تكون لي من الباقيات الصالحات.

ـأُحبُّ أن يوجد في أهلي واحد أو أكثر من أهل العلم؛ ليشتغل في تحصيل العلوم الدينيّة، وطالما رجوتُ الله تعالىٰ وتوسّلتُ إليه أن يُيسر ذلك في ذريّتي وأن لا يحرمهم منه إنّه قريب مجيب.

ـ ترسل جميع كتبي غير المطبوعة إلى المؤسسات لمراجعتها ونشرها، كما أرجو أن يجمع كلّ ما كتبته وهو حصيلة عمري؛ ليكون في متناول أيدي القرّاء وطلبة العلوم الدينيّة.

ـأوصي أهلي بأن يتجنّبوا المبالغة في إقامة جلسات الفواتح والإسراف فيها وتزيينها للمباهات، فهو أمر ينفع الأحياء ولا ينفع الأموات، وأن يتركوا التقاليد والأوهام.

ـأرجو أن لا ينساني الجميع من الدعاء وأن يستغفروا لي ربّي...

* * *

وأخيراً يقدم هذا المركز شكره وتقديره لكلّ من:

١ ـالشيخ محمّد علي المقدادي.

٢ ـالأستاذ محسن الأسدي.

علىٰ جهودهما في مراجعة وتصحيح هذا الكتاب في طبعته الثالثة، ونسأله تعالىٰ أن يوفّقهما لمزيد من الجهود العلميّة النافعة.

معاونيّة شؤون التعليم والبحوث الإسلاميّة
التابعة لممثليّة الولّي الفقيه
لشؤون الحجّ والزيارة

تقديم:

الوحدة الإسلامية: أُسسها ومنطلقاتها

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الأوّلين والآخرين، إلى قيام يوم الدين.

بداية:

قال الله سبحانه في كتابه المجيد: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(١)، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾(٢).

ومن البديهي: إنّ الله سبحانه يريد للإسلام أن يحكم العالم، ويُهَيمِن علىٰ كلّ سلوك ومواقف البشريّة جمعاء بهديهِ وتعاليمه المُعمّقة للإيمان، والمثمرة للعمل الصالح. ولا يختصّ ذلك بأمّة دون أمّة، ولا يقتصر علىٰ جيل دون جيل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾(٣).

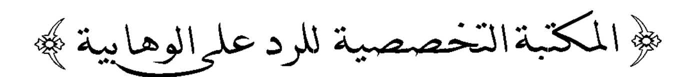
فالإسلام يريد وحدة الأمّة، ووحدة الهدف، ووحدة المصير، وعلىٰ أساس

---

(١) الأنبياء: ٩٢.

(٢) المؤمنون: ٥٢.

(٣) سبأ: ٢٨.



ذلك تقوم وحدة الرسالة والدعوة.

ولكن ما هو ذلك الرابط الذي يشدّ الأمّة بعضها ببعض، ثمّ يربطها بما سبق وبما يأتي... وعلىٰ أيّ أساس يقوم ذلك الربط بنظر الإسلام؟

نعم، لابدّ من طرح هذا السؤال أوّلاً، ثمّ الإجابة عنه بوعي وموضوعيّة وعمق، إذ إنّ الإجابة عنه هي التي تحدّد اتّجاه العمل، وبها تنضبط كلّ المواقف والحركات الهادفة، من خلال الإحساس بالمسؤولية الشرعيّة والإنسانيّة والوجدانيّة، حيث تتوجّه الطاقات كلّها نحو تركيز تلك الأسس، وتحقيق هاتيك المنطلقات، التي لابدّ وأن تقوم عليها عمليّة الربط الضرورية التي تحدّثنا عنها.

وفي مجال المساهمة في التعرّف علىٰ ما ذكر، فإنّنا نشير إلىٰ ما يمكن أن نعتبره يمثل رأي الإسلام في هذا المجال، بقدر ما تسمح لنا به الفرصة في عجالة كهذه... فنقول:

الأخوّة المسؤولة:

إنّنا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم، ثمّ إلىٰ سنّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فلسوف نجد أنّ الإسلام يعتبر الأمّة المؤمنة المسلمة بمثابة أسرة واحدة، لها قيّم ومربّ واحد، يشرف علىٰ شؤونها، ويدبّر أمورها، وهو النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله ثمّ وصيّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد روي عنه صلى الله عليه وآله قوله: «**أنا وأنتَ يا عليّ أبوا هذه الأمّة**». وبهذا المعنىٰ أيضاً روايات كثيرة فلتراجع في مظانّها[1].

(١) راجع علىٰ سبيل المثال تفسير البرهان ١: ٣٦٩، عن ابن شهر آشوب، وعن الفائق للزمخشري، وتفسير الميزان ٤: ٣٥٧، عنه وعن العيّاشي، ومعاني الأخبار: ٥٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٨٥، وعلل الشرائع: ١٢٧، والبحار ١٦: ٩٥ و٤٠: ٤٥.

أمّا ما يشدّ هذه الأسرة بعضها ببعض، فهو روح الأخوة النبيلة، التي ليس فقط يغمرها العطف والمحبّة والحنان، وإنّما هي أُخوّة مسؤولة، تتحمّل مسؤوليّاتها بوعي وحيويّة وعمق، تؤثّر آثارها الإيجابيّة على الصعيد العملي، والواقع الخارجي، كما قال سبحانه: ﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾، ثمّ فرّع علىٰ ذلك قوله: ﴿فأصلِحُوا بَيْنَ أخَوَيْكُمْ﴾[١].

وفي موضع آخر نجده تعالىٰ بعد أنّ قرّر القاعدة الأساسية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، نجده قد فرّع علىٰ ذلك قوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ﴾[٢].

وعن الصادق عليه السلام: «**إنّما المؤمنون إخوة، بنو أبٍ وأمّ، وإذا ضرب علىٰ رجل منهم عرق لسهر له الآخرون**»[٣].

وعنه عليه السلام: «**المؤمن أخو المؤمن؛ عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشّه ولا يعده فيخلفه**»[٤].

وعنه عليه السلام: «**المؤمن أخو المؤمن، كالجسد الواحد، إذا اشتكىٰ شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده**»[٥].

وعنه صلى الله عليه وآله: «**مَن أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم**»[٦] وبمعناه غيره، والروايات التي تدخل في هذا المجال كثيرة، لا مجال لتتبّعها وحصرها.

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) الكافي ٢: ١٣٢، ط١٣٨٨هـ.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق، وراجع: صحيح مسلم ٨: ٢٠، ومسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٧٠.

(٦) المصدر السابق: ١٣١.

مرتكزات الأخوّة المسؤولة:

وبعد كلّ ما تقدّم... وبعد أن تأكّد لدينا عالميّة الإسلام، وأنّه يسعىٰ لإيجاد وحدة حقيقيّة، تقوم علىٰ أساس الأخوّة المسؤولة والواعية... فإنّنا إذا راجعنا التاريخ الإسلامي، فلسوف نجد أنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله حينما آخىٰ بين المسلمين في المدينة قد جعل تلك الأخوّة مرتكزة علىٰ أمرين اثنين:

الأوّل: الحقّ.

الثاني: المواساة.

فعن طريق الحقّ يحصل التّفاهم، ثمّ الرّضا، ثمّ الثّقة المتبادلة، ثمّ يكون هو الفيصل في كلّ مقام تختلف فيه الأهواء والمصالح...

فالحقّ هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقات، وتبنى عليه المعاملات والمواقف، وليس هو المصالح الشخصيّة، ولا الأهواء والميول، ولا الانفعالات العاطفيّة، ولا هو المصالح القبليّة، أو الإقليميّة أو الفئويّة أو غيرها...

وإذا جاء الحقّ عن طريق الإحساس بالمسؤولية الشرعيّة والإنسانيّة، وعن طريق الأخوّة والمحبّة والحنان، فإنّ ذلك أضمن لبقائه واستمراره؛ فإنّ الإنسان بطبيعته يخضع للحقّ إذا جاء عن هذا الطريق، بخلاف ما لو جاء عن طريق القهر والتحدّي والقوّة، والتلويح بالعصا، فإنّ علينا أن ننتظر غياب الحقّ بمجرّد غياب تلك العصا وهاتيك القوّة.

وعن طريق المواساة، التي هي في الحقيقة درجة أعلىٰ من العدل؛ لأنّها تعني في أحيان كثيرة البذل والتضحية في سبيل الآخرين، والتخلّي عن كثير ممّا اكتسبه لشخصه عن طريق العدل، الذي يرجع في الحقيقة إلى الحقّ...

نعم ـ عن طريق المواساة ـ تستطيع الأمّة المؤمنة مواجهة الظروف الطارئة، والتقليل من آثارها السلبيّة عليها. وكذلك مواجهة جميع أشكال الضغوط الّتي

يمكن أن يمارسها أعداؤها؛ أعداء الله والإنسانيّة للقضاء عليها، أو على الطّاقة الإيمانيّة فيها مِن سياسيّة واقتصاديّة، وعسكريّة، وغيرها...

بين الوحدة والاتّحاد:

وإذا كانت الوحدة الحقيقيّة التي يريدها الإسلام، هي تلك التي تقوم علىٰ أساس الأخوّة، التي ترتكز على الحقّ والمواساة. وهما عنصران واقعيّان يضمنان بقاءها واستمرارها، رغم كلّ ما يمكن أن يعترض مسيرة التكامل الإنساني فيها من مشاكل ومن عقبات.

وإذا كانت هذه الوحدة تحتاج إلىٰ بذل الكثير من الجهد للوصول بالأمّة إلىٰ درجة من النضج الفكريّ والإنسانيّ، ربّما لا يكون متوفّراً في أحيان كثيرة، حتّىٰ إنّ عدم وجود هذه الوحدة يكون دليلاً علىٰ عدم النضج في الوعي وفي الالتزام لدى الأمّة المسلمة.

إذا كان كذلك، فتمس الحاجة ـ مرحلياً ـ إلىٰ تعامل وحدويّ من أجل دفع الأخطار التي يمكن أن تتعرّض لها الأمّة في مسيرتها سواءٌ كانت أخطاراً طبيعيّة، أو من قبل أعدائها أعداء الله والإنسانيّة.

وذلك لأنّ خطراً كهذا لا يتخيّر طائفة دون طائفة، ولا يختصّ بفريق دون فريق. وهذا يعني أنّ مسؤولية التصدّي له لا تختصّ كذلك بفريق دون آخر، ولا بطائفة دون أخرىٰ.

فإنّ وحدة المصير تحتّم وحدة النضال والتصدّي، وإذا استندت وحدة النضال والتصدّي إلىٰ وحدة المنطلقات والأهداف، فإنّها تكون أعظم فعّالية، وأبعد أثراً... وإلّا فإنّها لا تعدو عن أن تكون عملاً مرحليّاً، يسير معه جنباً إلىٰ جنب العمل علىٰ توحيد المنطلقات والأهداف على الأسس الصحيحة والواقعيّة، التي

لابدّ وأن يتمّ التعرّف عليها من مصادرها الحقيقيّة، ثمّ العمل في سبيل تحقيقها والحصول عليها بوعي وجدّية ومثابرة.

فهذا الاتّحاد أو فقل هذا التعامل الوحدويّ، مطلوب إسلاميّاً، ومحبوب بمختلف أبعاده ودرجاته وعلىٰ جميع المستويات. ولكنّه ليس هو كلّ المطلوب، وإنّما هو بديل اضطراري موقّت، لابدّ من القبول والرضا به بانتظار تحقيق الوحدة الحقيقيّة علىٰ اُسسها الإسلاميّة والإنسانيّة الواقعيّة.

نعم، لابدّ من القبول بهذا البدل الاضطراري، الذي هو مطلوب ومحبوب إسلاميّاً أيضاً، إذ لا يمكن ترك الخطر يجتاح الأمّة الإسلامية ويلتهم كلّ مقدّراتها، ويستأصل شأفة الإسلام والمسلمين، بانتظار تحقيق الوحدة الحقيقيّة، بل لابدّ من التحرّك في المجالين معاً؛ لأنّ أحدهما ضرورة مرحليّة فعليّة، فرضتها الأخطار الجسام التي يتعرّض لها الإسلام والمسلمون، بالفعل، والآخر ضرورة إنسانيّة مصيريّة، ربّما تحتاج إلىٰ كثير من الوقت والجهد، والبحث والتمحيص للحقائق العلميّة، ثمّ إلىٰ تربية نفسيّة لخلق درجة من الاستعداد النفسي والسموّ الإنساني لتحقيقها.

الحقّ والنّاس:

وبديهي أنّ الحقّ واحد، وواحد فقط لا يمكن أن يتغيّر، أو يتبدّل إلّا إذا تغيّرت الظروف والأحوال، التي لابدّ وأن تبرّر وجود حقّ آخر ينسجم مع واقع المتغيّرات والظروف الموضوعيّة الطارئة. أمّا الباطل، فليس إلّا تعبيراً آخر عن العدم والفساد، والنقص في تجلّي الحقّ وحضوره، ولا أثر له إلّا ذلك في الواقع على المدى القريب والبعيد علىٰ حدٍّ سواء.

وإذا كان كذلك، فإنّه لابدّ من السعي لإحقاق الحقّ؛ لأنّه خير وسعادة

وحياة ، وإبطال الباطل ؛ لأنّه شرّ وفساد ومات . ولا يختصّ إدراك هذه الحقيقة بأحدٍ دون أحد ، ولا بفريق دون آخر . وإن كان النّاس ، ربّما يختلفون في تعيين ما هو حقّ وما هو باطل ، وذلك تبعاً لاختلافهم في النظرة إلى الكون وإلى الحياة ، الذي ينشأ عنه اختلاف في المقاييس والمعايير التي لابدّ من الاستفادة منها في مجال التعرّف علىٰ كلّ منهما ، وليتّخذ بالتالي موقف الرفض أو القبول علىٰ هذا الأساس . . .

بل إنّنا يجب أن لا نستغرب كثيراً إذا رأينا؛ أنّه حتّى أولئك الذين يملكون نظرة واحدة ، للكون وللحياة ، ويتّفقون في تفسيرهم لأحواله ، ولظواهره ـ حتّىٰ هؤلاء ـ نجدهم يختلفون في كثير من آرائهم وأفكارهم ومعتقداتهم؛ وذلك تبعاً لاختلاف درجة انكشاف واقع الظروف والأحوال المحيطة بهم لديهم . . . الأمر الذي يُؤثر ـ بشكل أو آخر ـ في ذلك الفكر ، أو في ذلك المفهوم ، وكذلك تبعاً للتفاوت الحاصل فيما بينهم في قوّة الإدراك ، وفي التصرّف في المدركات التي يمكنهم الحصول عليها ، وتمحيصها . هذا كلّه . . . عدا أنّ أُسلوب العرض ربّما يكون غير قادر علىٰ توفير الحدّ الأدنىٰ من الإقناع؛ لأنّ منطلقات الإقناع فيه لم تكن تعتمد علىٰ قواسم مشتركة ، كان لابدّ من تمحيصها ، وحسم الأمر فيها مسبقاً . . . إلىٰ غير ذلك من أسباب يمكن أن تؤثّر في ذلك بصورة أو بأخرىٰ .

بل؛ وليس غريباً أيضاً : أن نجد البعض ينكشف له خطؤه في رأيه ، أو في موقفه ـ ثمّ يصرّ عليه ، ولا يتراجع عنه . ولا يخضع للحقّ الأبلج . وقد نتلمس له بعض العذر في ذلك ، إذا وجدناه يخضع في ذلك لتأثيرات عاطفيّة ، أو واقع اجتماعيّ خاصّ ، أو حتّىٰ بسبب النقص في أُسلوب إظهار الحقّ له ، وعرضه عليه .

أمّا أن نجد البعض يقيم الدنيا ويقعدها ، ويرمي هؤلاء وأولئك ممّن لا يتّفقون معه في الرأي بشتّىٰ أنواع التّهم والافتراءات ، وحتّىٰ بالزندقة والالحاد والشرك؛

فذلك أمر غير طبيعي، وغير مقبول على الإطلاق.

وأعظم من ذلك، أن نجده يفعل ذلك، وهو يعلم أنّه هو المخطئ، وهم، هم المحقّون؛ فذلك هو الأمر الغريب والعجيب حقّاً.

نقول: هذا، علىٰ سبيل ضرب القاعدة، وإعطاء الضابطة فقط. وليس إلّا... ولا نريد التعريض بأحد، ولا المسّ بعواطف أيّ كان.

الاستعمار... الحكم:

هذا، ومن المضحك المبكي أن نجد المستعمر الكافر ينصب نفسه حكماً في المسائل الإسلامية؛ الاعتقاديّة منها والفقهيّة، فيؤيّد وجهة نظر فريق (وهو الذي يتعامل معه) ضدّ الفريق الآخر، حرصاً منه على زرع الفتنة في الأمّة الإسلامية، ومن أجل الحفاظ علىٰ تلك القواعد والمنطلقات الفكريّة، التي سرّبها الأعداء بصورة أو بأخرىٰ إلىٰ أذهان بعض المسلمين؛ لأنّها تخدم مصالحهم، وتمكّن لهم من الحفاظ على الامتيازات التي جعلوها لأنفسهم، وتساعدهم علىٰ تنفيذ خططهم الرامية إلى الاستمرار في تأزيم العلاقات فيما بين المسلمين أنفسهم، حتّىٰ لا يمكنهم التفكير بأي مظهر من مظاهر الوحدة، بل الاتّحاد أيضاً. بل هم يعملون علىٰ تجنيد الفريق الذي يتعامل معهم لمحاربة أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتّحاد في جميع أنحاء العالم، والعمل علىٰ أن لا يمرّ ذلك بخيال أيّ إنسان على الإطلاق.

لو يعلم أولئك المخدوعون:

هذا، وإنّ ممّا يؤلم حقّاً أن نجد بعض الذين يحكمون المسلمين باسم الإسلام يوادّون من حادّ الله، ويسيرون في ركاب المستعمر الكافر وهم في نفس الوقت ينصبون العداء لإخوانهم المسلمين، ويحاربونهم بكلّ ما أوتوا من قوّة وحول،

متذرّعين بحجج واهية وأقاويل خاوية أبرزها : أنّ إخوانهم المسلمين لا يـقبلون بوجهة نظرهم في بعض المسائل الفرعيّة ، أو في بعض التفصيلات العلميّة في بعض المسائل الاعتقاديّة غير مكلّفين أنفسهـم عناء البحث في الحـجج التي يسـتندون إليها ، ولا ملتمسين لهم أيّ عذر في ذلك على الإطلاق . مع أنّهم يملكون من الحجج القويّة علىٰ ما يذهبون إليه الشيء الكثير . ومع أنّ مسألة الموادّة للمستعمر الكافر تفوق في خطرها على الإسلام وعلى المسلمين كلّ خلاف مذهبي ، حتّىٰ في كثير من الاعتقاديّات فضلاً عن خلاف في مسألة فرعيّة ، لا خطر لها إطلاقاً بالقياس إلىٰ ذلك الخطر الداهم .

حيث إنّها لا تعدو عن أن تكون خلافاً بين المجتهدين في فهم الإسلام ، وهم لا يتحرّون إلّا الحقّ والواقع ، ورضا الله سبحانه ، ما وجـدوا إلىٰ ذلك سـبيلاً؛ فـإن أخطأوا فلهم أجر ، وإن أصابوا فلهم أجران .

فلماذا لا يكون التعامل بهذه الروحيّة ، وعلىٰ أساس من أخلاقيّات الإسلام السامية بعيداً عن نزوات الأهواء ، وفي منأىٰ من تأثيرات العواطف غير المـتّزنة ولا المسؤولة ، والتي يكون المستفيد الوحيد منها هو العدو المشترك ، المتمثّل بقوى الكفر والاستكبار العالمي ؟

مبادرات لابدّ من استمرارها:

ولقد بذل المخلصون من العلماء والمفكّرين علىٰ مرّ العصور ، محاولات كـثيرة للتقريب بين المسلمين ، وتفاهمهم ، وتقريب وجهات النظر فيما بينهم . ونستطيع أن نذكر كمثال علىٰ ذلك في خصوص الآونة الأخيرة مبادرة المرحوم آيةالله العظمى السيّد حسين البروجردي ـ قدّس الله نفسه الزكيّة ـ إلىٰ تأسيس دارالتـقريب ، ثمّ كذلك فتوى الشيخ شلتوت بصحّة التعبّد بالمذهب الجعفري . ولابدّ من التخصيص

بالذكر هنا جهود آية الله العلّامة الكبير السيّد عبدالحسين شرف الدين الذي ألّف كتابه الهامّ «المراجعات»، وكذلك كتابه القيّم: «الفصول المهمّة في تأليف الأمّـة»، وقد ذكر فيه الكثير الكثير ممّا يساعد على التقريب والتفاهم بين المسلمين، فضلاً عن نبذة هامّة جدّاً من أقوال أشهر أئمّة المذاهب الاعتقادية والفقهية، وجلّة العلماء فيما يتعلّق بالشيعة.

أما.. وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، فقد كانت الوحدة الإسلامية هي الشغل الشاغل لكلّ المسؤولين فيها. ولعلّ أعظم النّاس إصراراً علىٰ هذا الأمر وتأكيداً عليه هو إمام الأمّة، وقائد المستضعفين، آية الله العظمى السيّد الخميني العظيم رضوان الله عليه. وقد بذلت العديد من المحاولات في هذا السبيل. وأعطت نتائج إيجابيّة وطيّبة، رغم المحاولات المستميتة من قبل أعداء الإسلام وأذنابهم في سبيل ضرب كلّ تحرّك في هذا الاتّجاه. وعلى الصعيد الفكري، فإنّ المحاولات كانت كثيرة أيضاً ومتنوّعة، ومنها إقامة العديد من المؤتمرات، وكتابة البحوث الكثيرة وغير ذلك، ولا بأس بالتنويه هنا بعمل جيّد وهامّ بادر إليه بعض الإخوة، حيث قام بجمع الروايات المشتركة لدىٰ أهل السنّة والشيعة علىٰ حدّ سواء، ونظّمها وبوّبها وذكر مصادرها، وينشر ذلك علىٰ شكل مقالات في مجلّة «التوحيد» التي تصدر عن مؤسسة الإعلام الإسلامي في إيران. وهذه المبادرة تظهر بما لا يدع مجالاً للشكّ: أنّ أكثر من تسعين بالمئة من الروايات التي عند السنّة والشيعة تشترك فيما بينها، إمّا لفظاً، ومعنىً، أو معنًى على الأقلّ.

وما أروعها ـ لو أنّ العلماء بادروا إلىٰ تشكيل لجان مشتركة لدراسة الموضوعات المتّفق عليها أوّلاً، وتمييزها، ثمّ دراسة المسائل الخلافيّة، بروح علميّة نبيلة، تهدف إلىٰ رضا الله سبحانه، وخدمة الإنسان والإنسانيّة! فعسىٰ، ولعلّ، وما ذلك على الله بعزيز.

ولعلّ أهمّ ما يحتاج إليه أمر كهذا، هو الثقة المتبادلة، والروح العلميّة والرياضيّة المرنة، والإحساس بالمسؤولية الشرعيّة والوجدانيّة، والعواطف الإنسانيّة النبيلة.

هذا الكتاب والوحدة الإسلامية:

وبعد كلّ ما تقدّم، فإنّ بيان الحقائق وتمحيصها، وتهيئة المبرّرات الموضوعيّة لخلق القناعات الكافية، وتوحيد النظرة والفكر والاعتقاد يعتبر من أعظم المساهمات في تحقيق الوحدة؛ لأنّ ذلك من شأنه أن يساهم في إرساء قواعد الحقّ، الذي هو أحد أهمّ عنصرين تقوم عليهما الأخوّة، التي أرادها الله منطلقاً للوحدة الحقيقيّة، وضماناً لاستمراريتها.

وهذا الكتاب «التبرّك، تبرّك الصحابة والتابعين، بآثار الأنبياء والصالحين» فريد في بابه، فذّ في موضوعه، ويستطيع أن يساهم بشكل قويّ في قضيّة الوحدة الإسلامية؛ لأنّه يتكفّل ببيان الحقّ في مسألة طالما دار الجدل حولها. وهو يعتمد البحث العلمي الموضوعي والنزيه أساساً ومنطلقاً في تقييمه للنصوص التي تدخل في إطار البحث الذي هو بصدده. حيث أخذ علىٰ عاتقه معالجة موضوع التبرّك بآثار الأنبياء والصالحين بموضوعيّة وتجرّد وهدوء بعيداً عن أيّ تأثّر أو انفعال.

وإنّ حجم ما يقدّمه هذا الكتاب من موادّ ومصادر لهذا البحث ـ وهو ضخم وهائل جدّاً ـ وإن كان ليس هو كلّ ما يمكن تقديمه في هذا المجال، ليعبّر عن مدىٰ ما تحمّله المؤلّف من مشاقّ، وما عاناه من جهد، وما تحلّىٰ به من صبر وأناة في هذا السبيل. فجزاهُ الله أحسن جزاء العاملين العاملين. ونفع الله المسلمين بما كتبه ويكتبه من بحوث وما يقدّمه من خدمات جُلّى للحقّ والخير، وللعلم والفضيلة.

وإنّ هذا الكتاب إن دلّ علىٰ شيء فإنّما يدلّ علىٰ إصرار هذه الثلّة من العلماء

المخلصين علىٰ تحقيق الوحدة الإسلاميّة الحقيقيّة، وإقامتها علىٰ أسسها الموضوعيّة الصحيحة والقويّة.

كما أنّ هذه الكمّية الهائلة من الشواهد والدلائل التي حشدها المؤلّف في هذا الكتاب؛ لتدلّ دلالةً واضحةً علىٰ أنّ مسألة التبرّك بآثار الأنبياء والأولياء والصالحين، تكاد تكون من ضروريّات الإسلام الأوّلية، التي لا مجال لأيّ شك أو شبهة فيها. ولأجل ذلك نجد أنّ معظم المسلمين، يمارس هذا الأمر، ويتبرّك بآثار الأنبياء والصالحين، غير أنّ جماعة صغيرة شذّوا عن هذا الأمر ومنعوا من ذلك. وذلك بفعل الشعارات البرّاقة التي أطلقها بعض علمائهم[١] ومنعتهم من التركيز في البحث، ومن الدقّة في مواقفهم وفي ردود فعلهم تجاه الآخرين.

ونحن لا نريد أن نتّهم أحداً ولا أن نسيئ الظنّ بأحد في كونه يريد التقليل من أهمّية وقدسيّة شخصيّة الرسول الأعظم ﷺ كما كانت سياسة الأمويّين من قبل، فإن جلّ هؤلاء، إن لم يكن الكلّ ينساق وراء تلك الشعارات بدافع إيمانيّ صادق، ومن منطلق الغيرة على الدين وأحكامه.

وقد أظهر عمر بن الخطاب للملإ أنّ هذا بالذات كان هو المنطلق له حينما قطع الشجرة التي بايع المسلمون النبيّ عندها وكانوا يتبرّكون بها، فلقد قال: إنّه خشي أن تصير تلك الشجرة معبوداً يعبد من دون الله سبحانه.

وواضح أنّ ذلك لا يدلّ علىٰ أنّه يذهب إلىٰ حرمة التبرّك، ولاسيّما أنّه هو نفسه يتبرّك بتقبيل الحجر الأسود، ويتبرّك بإحضار الإمام الحسن وعبدالله بن عبّاس في الشورىٰ[٢]، ويتبرّك أيضاً بتقبيل رجل النبيّ وتقبيل رجل أبي عبيدة، وغير ذلك كثير عنه، مذكور في ثنايا هذا الكتاب عن جملة كبيرة من المصادر.

---

(١) هو ابن تيميّة.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٢٤ و ٢٥.

وحتىٰ لو فرض أنّه يدّعي ذلك ـ يعني حرمة التبرّك ـ فإنّ رأيه هذا لا يمكن أن يقدّم علىٰ سنّة النبيﷺ والتي فعلها وجرىٰ عليها العشرات بل المئات من الصحابة والتابعين .

تمنّيات مخلصة:

وبعد ، فإنّنا نأمل من هؤلاء ومن كلّ من يختلفون مع غيرهم في الرأي : أن يعطوا الفرصة للآخرين؛ ليقولوا كلمتهم ، وأن يسمحوا لأنفسهم بالنظر في تلك الكلمة ، وتعقّلها ، ومحاكمتها علىٰ أسس علميّة صحيحة ، فإن وجدوا فيها ما يجدي وما يقنع أفسحوا لها المجال ، وإلّا فما عليهم إلّا أن يردّوها بالأسلوب العلمي الهادئ والنزيه .

ونأمل كذلك أن لا يتبعوا أُسلوب فرض الرأي بالقوّة والقهر ، فإن من أبسط نتائج ذلك هو أن يؤدّي إلى التشبّث الأعمىٰ فيما يراد الردع عنه ، ولا يبقىٰ مجال للمناقشة والحوار ، فضلاً عن أنّ ذلك يوجب ردود فعل عنيفة وغير مسؤولة وعن تشنّجات عاطفيّة لا مبرّر لإثارتها .

مع أنّ اللازم ، علىٰ أولئك الذين ينصبون أنفسهم حكّاماً علىٰ آراء الآخرين ومعتقداتهم هو أن يفسحوا المجال لمحاكمة آرائهم ومعتقداتهم أنفسهم ، وتقييمها علىٰ أسس علميّة موضوعيّة وسليمة .

ويتأكّد ذلك إذا كانت تلك الآراء والأفكار والمعتقدات موضوعة في قفص الاتّهام منذ نشأتها ، ويُشكّ كثيراً في صحّتها وسلامتها .

وأمّا أن يتبعوا أسلوب العربدة والتهويش ، ثمّ الترديد للشعارات نفسها ، مع عدم أخذ الردود العلميّة القويّة الكثيرة بنظر الاعتبار ، فذلك يكون أوّل دليل علىٰ عجزهم وإفلاسهم على الصعيد العلمي ، وعدم قدرتهم علىٰ مواجهة المنطق

بالمنطق، والحجّة بالحجّة والبرهان بالبرهان.

فإنّه إذا كانت تلك الردود العلميّة صحيحة، فلماذا العود لتكرار كلام ثبت عدم صحّته منذ مئات السنين؟! وإن كانت باطلة، فلماذا لا يبيّن بطلانها للملإ بالأسلوب العلمي المقنع والهادئ والرصين، لا بأساليب الشتم والسباب، والاتّهام الباطل والزائف؟!

وإنّنا لعلىٰ يقين من أنّه إذا استطاع الأسلوب العلمي أن يفرض نفسه ويهيمن علىٰ جميع المواقف، وما ينشأ عنها من ردود فعل. فلسوف يكون من أبسط نتائجه هو أن لا يسمع من هؤلاء نفس الكلام ونفس الشعارات التي لا يزالون يردّدونها منذ مئات السنين، والتي أقام العلماء البراهين العلميّة الكثيرة علىٰ زيفها وعدم صحّتها، وعدم انسجامها مع الإسلام والقرآن، وعلىٰ منافرتها لأحكام العقل والوجدان.

وفّقنا الله سبحانه للسير علىٰ هدى الإسلام والقرآن، وأعاننا علىٰ أنفسنا، وهدانا إلىٰ صراطه القويم، إنّه وليّ قدير، وبالإجابة حريّ وجدير.

٢٣ / جمادى الأولىٰ / ١٤٠٤هـ. ق.

جعفر مرتضى العاملي ـ نزيل قم المقدّسة

مقدّمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

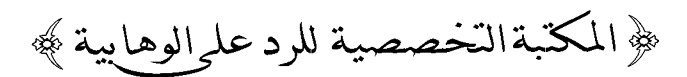
الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين وآله الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً؛ ولا سيّما وليّ الله الأعظم وبقيّة الله في الأرض صاحب الزمان، عجّل الله تعالىٰ فرجه وسهّل مخرجه وجعلنا من شيعته وأعوانه.

واللّعن علىٰ أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخرين إلىٰ قيام يوم الدين.

وبعد: فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب «التبرّك» تبرّك الصحابة والتابعين بآثار النبي صلى الله عليه وآله والصالحين، نقدّمها إلى القرّاء الكرام بعد أن نفدت نسخ الطبعة الأولىٰ أو كادت.

وإنّنا إذ نسأل الله تعالىٰ أن ينفع به المسلمين ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، نتمنّىٰ من القرّاء الكرام والعلماء الأعلام والمحقّقين الباحثين أن يتحفونا بملاحظاتهم وآرائهم حول هذا الكتاب نصيحةً للمؤمن وحرصاً علىٰ إحياء الحقّ.

كما أنّنا نودّ أن نشير هنا إلىٰ أنّنا وإن كنّا قد ذكرنا في هذا الكتاب مقداراً هائلاً



من النصوص الدالّة علىٰ هذا الموضوع، إلّا أنّنا نلاحظ أنّ ما لم نذكره من النصوص والمصادر التي تدلّ علىٰ ذلك، أو ترتبط به وتشير إليه... هو أيضاً مقدار كثير وهائل جدّاً... حتّىٰ لقد استقرّ في أنفسنا أنّ الإحاطة بكلّ ما يرتبط بذلك، لأمر تضيق عنه القدرة، بل وتعجز عنه العصبة أولو القوّة من المحقّقين والباحثين.

بل ويمكن القول بملاحظة ذلك: إنّ التبرّك بآثار الأنبياء والصالحين ليعتبر من الأمور التي ربّى الإسلام به أمّته وبنى الإسلام عليه بنيانه، حتّىٰ أصبحت جزءاً من واقعهم وأصلاً من أُصول حياتهم، وأصبح لديهم في عداد الضروريّات التي لا مجال للشكّ ولا يمكن الترديد فيها.

ولأجل ذلك... فإنّنا إذ نطلب من أولئك الذين يمانعون في ممارسة هذا الأمر ويعتبرونه شركاً وكفراً أن يكفّوا عن إهانة المسلمين، وعن محاولاتهم وإجبارهم علىٰ أمر يرونه خلاف الشرع والدين، وأن يخضعوا لما ثبت في السنّة من عمل النبيّ ﷺ والصحابة ﴿وإن أسلموا فقد اهتدوا﴾.

إنّنا إذ نطلب منهم ذلك، فإنّنا نطالبهم بأن يعيدوا النظر في هذا الأمر، ويقوموا بدارسته من جديد بعقليّة منفتحة وبوجدان حيّ، بعيداً عن مزالق الهوىٰ ودواهي التعصّب البغيض المقيت، وبعيداً أيضاً عن الجوّ الانفعالي الذي تساهم في إيجاده بعض الشعارات البرّاقة التي لم تمحص ولم تدرس، أو لم يمكنهم فهمها فهماً علميّاً صحيحاً.

ويكفي أن نذكّر هؤلاء هنا أنّنا لم نستطع أن نجد التفسير الصحيح والواضح لظاهر مقاومتهم الشديدة لهذا الأمر، وحرصهم الظاهر علىٰ منع المسلمين من التبرّك بآثار الأنبياء والصالحين، وهو الأمر الذي يدعمه هذا القدر الهائل من النصوص التي يتعذّر جمعها والإحاطة بها على الثلّة من العلماء والباحثين في زمان طويل.

مع أنّنا نجدهم في نفس الوقت يتشبّثون بالطحلب[١] لعقائدهم الخطيرة الّتي تخالف العقل والقرآن والإسلام، كعقيدة التجسّم لله سبحانه، وعقيدة الموالاة للحاكم الجابر، بل والولاية للمستعمر الكافر أيضاً، وغير ذلك.

ومن الطريف في الأمر هنا، أنّنا نجدهم يعتبرون التبرّك بآثار الأنبياء والصالحين أمراً منافراً للتوحيد ومبايناً له، وأنّه كفر وشرك وعبادة لغير الله، مع أنّهم نسوا أو تناسوا أو لم يفهموا معنى التوحيد علىٰ حقيقته؛ فإنّ المراد منه هو أن يكون كلّ شيء لله ومن أجله وفي سبيله. فإذا كان التبرّك برسول الله ﷺ ووليّه لأجله وعلىٰ طريق الوصول إليه، فإنّه ليس فقط لا ينافي التوحيد، وإنّما يؤكّده ويزيده عمقاً وأصالةً وكمالاً.

وقد سمعنا من بعض الفضلاء في بحثه مع بعض هؤلاء قد استدلّ علىٰ جواز التبرّك وردّ قول الخصم بأنّ قبر النبيّ ﷺ لا يضرّ ولا ينفع، استدلّ عليه بقوله تعالىٰ بالنسبة لقميص يوسف: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾[٢]، وقال له: قميص يوسف يضرّ وينفع وقبر النبيّ ﷺ لا يضرّ ولا ينفع؟!! فلم يحر جواباً.

وعلىٰ كلّ حال، فإنّنا نعود ونكرّر القول والدعوة لهؤلاء: أن يراجعوا أنفسهم وكتبهم، وأن يكفّوا عن مضايقتهم للمسلمين وإهانتهم لهم ومخالفتهم لله ولرسوله وللصحابة الكرام وجميع علماء الإسلام إلّا شرذمة قليلة، وأن ينتهوا عن متابعتهم لمروان ومن يحذو حذوه من الأمويّين؛ فإنّ في ذلك الخير لهم والسلامة في الدنيا وفي الآخرة؛ وذلك لأنّ خلاف النصوص القطعيّة وإجماع الصحابة وعلماء الإسلام لا يخفىٰ غيّه، ولأنّ حرمة المؤمن عند الله عظيمة بل ولا أعظم منها.

---

(١) الطحلب كقنفذ وجندب وزبرج: خضرة تعلو الماء المزمن. أقرب الموارد.

(٢) يوسف: ٩٦.

هذا كلّه، عدا أنّ ذلك سوف يساهم ـ ولا شكّ ـ في وحدة المسلمين وتآلفهم أو تقريب قلوبهم وجعلهم يداً واحدة علىٰ من سواهم من أعدائهم الذين يتربّصون بهم الدوائر ويبغون لهم الغوائل كما قال الله تعالىٰ: ﴿...لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ...﴾[1].

وفّقنا الله للسير علىٰ هدى القرآن والإسلام، والله وليّنا وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل.

١٣ محرّم الحرام ١٤٠٥

علي الأحمدي الميانجي

---

(١) آل عمران: ١١٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الأولىٰ

الحمد لله علىٰ ما أنعم، وله الشكر علىٰ ما ألهم، والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه وأشرف بريّته سيّد المرسلين وخاتم النبيّين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين واللّعن علىٰ أعدائهم أجمعين إلىٰ يوم الدين.

وبعد: فقد ابتلي المسلمون، منذ فقدوا نبيّهم محمّداً ﷺ، بافتراق وخلاف، وتحزّب وتشتّت، خلافاً لما أكّده الكتاب والسنّة من الاعتصام بحبل الدين، وحفظ وحدة الإسلام وكيان المسلمين. إذ به عزّهم وشوكتهم وقوّتهم وصولتهم.

فاختلفوا وكان ذلك سبب ذلّهم وذهاب عزّهم وانهدام مجدهم. فصاروا عبيداً لأعدائهم، وخربوا بأيديهم وبأيدي أعدائهم دورهم وديارهم.

ومن المؤسف أنّه كلّما مرّ عليهم الزمان وقرعتهم سياط العذاب والحدثان وأحاط بهم البلاء وشملهم الذّل والعناء، وفقدوا كلّ نعمة من عزّ ومنعة وهيبة وقدرة، يزداد ابتعادهم عن بعضهم البعض بدل التعاون والتعاطف، ويتفاقم تشتّتهم بدل الوحدة والتعاضد، ويقع بأسهم بينهم رغم اجتهاد المصلحين ونصيحة أولي الألباب المنذرين، وهذا والله البوار والسقوط، وهذا هو ضرب الذلّ عليهم من الله المنتقم جزاءً لأعمالهم القبيحة وعصيانهم وطغيانهم.

ومن المؤسف بل وممّا يزيد ألماً وأسفاً أيضاً أنّهم يجعلون الخلاف في المسائل الفرعيّة في مستوى الخلاف في المسائل الأصوليّة، فيكفّرون من أجلها بعضهم بعضاً وتلعن أمّة أختها، ويتبرّأ جيل من جيل، والأمر كذلك يجري ما جرى الليل والنهار ما دام الحكم للأهواء والاتّباع للعصبيّة العمياء من دون أيّ خضوع للحقّ وتسليم النفس، والأمر لله سبحانه.

وممّا يوجب الهمّ والأسىٰ أنّ الخلاف قد يقع في أمور لا أصل لها بل كلّها بهتان وفرية واختلاق وكذب، فيبهت بعضهم بعضاً، ويفتري بعض علىٰ بعض، فمن أجل هذه الكذبة وتلك الفرية، يلعنون ويكفّرون دون أن يحملوا فعل أخيهم على الصحة أو يتثبّتوا ويتفحّصوا حتّىٰ يتبيّنوا وينجلي لهم الحقّ ويتّضح لهم الواقع.

وذلك هو ما نقرؤه في الكتب المؤلّفة والمقالات والمنشورات والمجلّات الدينيّة من الفرق المختلفة، فنجد فيها كلّ فرية وبهتان والعزو الباطل والاختلاق المحض يرمي بها بعضهم بعضاً إطفاءً لنار هواه وتشفّياً لغيظه وحنقه وبغضه، وذلك بدلاً عن الالتزام بقوله تعالىٰ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

ومن غريب ما شاهدناه في الحرمين الشريفين ـ مكّة المكرّمة والمدينة الطيّبة ـ أنّ كلّ فرقة تنظر إلى الأخرىٰ بعين تحقير وتذليل وشزر وتضليل ولا سيّما إلى الشيعة الإماميّة الاثني عشرية أتباع أهل البيت عليهم السلام فإنّهم لا يسلمون من الأذىٰ والتحقير والشتم والبهت والتكفير.

ومن المسائل الفرعيّة التي كانت مثاراً للحوار والجدل والخصام مسألة التبرّك بآثار الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله مثل منبره وقبره ومشاهده، وكذا التبرّك بمشاهد الصلحاء، والصلاة والدعاء فيها، وتقبيل القبور والأعتاب، ولمس الضرائح والأبواب، حيث إنّ فرقة قليلة شذّت عن المسلمين، وشرذمة ضلّت عن نهج

(١) الفتح: ٢٩.

الدين ، فأضلّت الكثيرين من المسلمين ، وتبعهم جمع من الكتّاب والمؤلّفين ، فكفّروا المسلمين ، وضلّلوهم ، وقذفوهم بالشنايع ، ورموهم بالقبائح ، وبهّتوهم إلىٰ ما لا حدّ له .

وخصّوا من بين المسلمين الشيعة الإماميّة ، فقذفوهم بكلّ بهتان ، وافتروا عليهم قبائح وخرافات لا أصل لها ، حتّىٰ صار الآن شعاراً سياسيّاً لهم ، بعيداً عن أيّ رأي دينيّ أو مذهبيّ ، مع أنّ علماء الإسلام المحقّقين كتبوا في ذلك كتباً كثيرة وأوضحوا جوازه وبرهنوا عليه بالكتاب والسنّة المتواترة ، وأتعبوا أنفسهم في بيان الحقّ وإيضاح المطلب ، إن كان هناك آذان تسمع ، أو قلوب تعقل وتخضع .

وقد رأيت كتاباً ألّفه بعض علماء الحرم الشريف (مكّة المشرّفة زادها الله شرفاً) وأسماه «تبرّك الصحابة بآثار الرسول» ﷺ فنهج فيه نهجاً بديعاً حيث أورد فيه عمل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وعمل الرسول ﷺ أو تقريره لهم ، وأوضح كون التبرّك أمراً مسلّماً عندهم لا شكّ فيه ولا ريب ، فجرىٰ ذكر الكتاب مع بعض الأصدقاء المحقّقين والفضلاء المدقّقين حفظه الله تعالىٰ للإسلام والمسلمين ، فرغّبني وشوّقني وحثّني علىٰ تأليف كتاب يشتمل علىٰ تبرّك الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ بآثار الرسول ﷺ ، في حياته ، وبعد موته ، والاستشفاء والاستشفاع به وبآثاره ﷺ ، بل بآله وذويه ، وسائر الصلحاء والعلماء من المسلمين ، وجامع لأوامر النبيّ ﷺ وتقريراته وحثّه وترغيبه في ذلك .

وغرضه هو جمع أخبار وأحاديث تزيد علىٰ ما جمعه هذا المؤلّف مع تحقيق وتتبّع أدقّ وأكثر .

فامتثلت أمره وأجبت سؤله ، فسبرت كتب الحديث والتاريخ والتراجم ، فاجتمع عندي بحمد الله سبحانه وتعالىٰ من الأحاديث والأخبار والمصادر والآثار الشيء الكثير ، فجاءت بهذه الصورة وأهديها إلى القرّاء الكرام وطلّاب الحقيقة

أداءً لواجب الخدمة والنصيحة للإسلام والمسلمين، وإرشاداً إلى الحقّ المبين، وهدايةً إلى الصراط المستقيم.

وأرجو من الله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ونافعاً حافظاً لوحدة المسلمين ولو في فرع من فروع الدين، وهو من نعم الله سبحانه عليّ، وكم من نعماء له عليّ لا أحصيها، وآلاء لا أقدر على شكرها!

وقد اتّضح لي بعد جمع هذه الأحاديث كون جواز التبرّك بآثار الرسول ﷺ عند الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من أوضح الواضحات، وأبده البديهيّات، وأنّ كثيراً منه قد وقع بأمر النبيّ ﷺ، وتضافر ذلك وتواتره يمنع من ردّ وإنكار، ولا مساغ لأيّ مسلم إلّا قبوله والتعبّد به.

وأسأل الله سبحانه أن ينفع به إخواني المسلمين، ويفتح قلوبهم لعرفان الحقّ وقبول الصدق، ويجمع به كلمتهم ويشدّ به عضدهم.

ويتبع الكتاب ما جمعناه من الأحاديث في التوسّل والاستشفاع والاستشفاء بالنبيّ ﷺ، وكذا تقبيل الضرائح والأعتاب، وإن كنّا تعرّضنا لأبحاث التوسّل والاستشفاع والاستشفاء في هذه الوجيزة بمقدار يكفي للمتدبّر المنصف إن شاء الله تعالىٰ.

وفي الختام أهدي شكري المتواصل، وثنائي العاطر إلىٰ صديقي العالم الفاضل العلّامة المتتبّع الحجّة السيّد جعفر مرتضى العاملي اللبناني علىٰ ما عاناه في سبيل تأليف هذا الكتاب من ترغيب وتشويق وتصحيح وتنظيم وتهيئة مصادر ومطالب. فجزاه الله سبحانه عن الإسلام وأهله خير الجزاء ومتّع الله المسلمين ببقائه إن شاء الله تعالىٰ.

مساء ١٤ شعبان المعظّم ١٣٩٨هـ.

علي الأحمدي

تبرّك الصحابة والتابعين بآثار النبيّ صلّى الله عليه وآله والصالحين، هل هو شرك في الدين أو دليل إيمان ويقين؟...

الفصل الأوّل

تبرّك الصحابة بآثار الرسول صلى الله عليه وآله

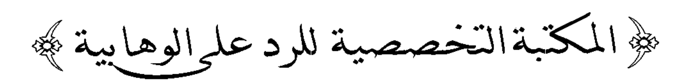
- تحنيك الأطفال
- مَن حنّكهم الرسول صلى الله عليه وآله أو تفل في أفواههم أو مسح رؤوسهم
  - نظرة في الأحاديث

التبرّك بمسّه ومسحه صلى الله عليه وآله

  - نظرة في الأحاديث

التبرّك بدمه صلى الله عليه وآله

  - نظرات في الأحاديث



تبرّك الصحابة بآثار الرسول صلى الله عليه وآله

تبرّكهم في تحنيك الأطفال

التأمّل التامّ في عمل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يمثّل لنا عقيدتهم في النبي صلى الله عليه وآله وفي آثاره، كما أنّ كتب التاريخ والسيرة والحديث تمثّل لنا كيف كانوا يعاشرون الرسول صلى الله عليه وآله ويقدّسونه ويتبركون به في كلّ شؤونه، إذ من المسلّم المقطوع به من أفعال الصحابة الكاشفة عن عقيدتهم في الرسول؛ أنّ كلّ مولود يولد لهم ـ منذ قدومه صلى الله عليه وآله المدينة الطيّبة ـ كانوا يأتون به إليه فيحنّكه ويمسح رأسه ويتفل في فيه ويبرّك عليه، يرون أنّه بذلك قد أصبح مباركاً، وكانوا يتباهون بذلك ويفتخرون به.

هذا ابن حجر في الإصابة ١ : ٥، يحكم بأنّ كلّ مولود ولد في حياته صلى الله عليه وآله رآه؛ وذلك لتوفر دواعي إحضار الأنصار أولادهم عند النبيّ صلى الله عليه وآله للتحنيك والتبرّك، ونقل ذلك جمّ غفير من أعلام السنّة والحديث والتاريخ، بل قيل: إنّه لما افتتح مكّة جعل أهل مكّة يأتون إليه (يأتونه ـ الاستيعاب والإصابة) بصبيانهم يمسح على رؤوسهم ويدعو لهم بالبركة[1].

---

(١) السيرة الحلبيّة ٢ : ٢٩٩، والاستيعاب هامش الإصابة ٣ : ٦٣١، والإصابة ٣ : ٦٣٨، وأسد الغابة ٥ : ٩٠، ومسند أحمد ٤ : ٣٢.

وقال العلّامة المحقّق محمّد طاهر بن عبدالقادر:

«ولا شكّ أنّ آثار رسول الله ﷺ صفوة خلق الله وأفضل النبيّين، أثبت وجوداً وأشهر ذكراً وأظهر بركةً فهي أولىٰ بذلك ـ يعني التبرك ـ وأحرىٰ، وقد شهدها الجمّ الغفير من أصحابه وأجمعوا على التبرّك بها، والاهتمام بجمعها، وهم الهداة المهديون والقدوة الصالحون، فتبرّكوا بشعراته وبفضل وضوئه وبعرقه وبثيابه وآنيته وبمسّ جسده الشريف، وبغير ذلك ممّا عرف من آثاره الشريفة التي صحّت به الأخبار عن الأخيار.

فلا جرم كان التبرّك بها سنّة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ واقتفىٰ آثارهم في ذلك من نهج نهجهم من التابعين والصالحين.

وقد وقع التبرك ببعض آثاره ﷺ في عهده وأقرّه ولم ينكر عليه، فدلّ ذلك دلالة قاطعة علىٰ مشروعيته، ولو لم يكن مشروعاً لنهىٰ عنه وحذّر منه.

وكما تدلّ الأخبار الصحيحة وإجماع الصحابة علىٰ مشروعيته تدل علىٰ قوّة إيمان الصحابة وشدّة محبّتهم وموالاتهم ومتابعتهم للرسول الأعظم ﷺ علىٰ حدّ قول الشاعر:

أمرّ على الدّيار ديار ليلى　　أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي　　ولكن حبّ من سكن الديارا[1]»

ولنعم ما قال هذا العالم المحقّق. ولكن التبرّك وقع بجميع آثاره ـ كما يأتي ـ لا بعضها، وأقرّهم ﷺ علىٰ ذلك بل أمرهم ورغّبهم به وحثّهم عليه، واستمرّ عمل الصحابة عليه علىٰ وفق ما يعتقدون ويرون.

وما ورد في تحنيك أولادهم ـ كما أشار إليه ابن حجر ـ أكبر شاهد علىٰ عمل

(١) تبرّك الصحابة: ٥.

الصحابة وعمله ﷺ وإقراره إيّاهم عليه.

فهاك نصوص العلماء وألفاظ الأحاديث:

١ ـ قال ابن حجر في ترجمة عتيك بن بلال الأنصاري: «فله علىٰ أقل الأحوال رؤية لتوفّر دواعي الأنصار علىٰ إحضار أولادهم حين يولدون إلى النبيّ ﷺ فيحنّكهم ويدعو لهم»(١).

٢ ـ وقال: فيمن ذكر في الصحابة من الأطفال الذين ولدوا في عهد النبي ﷺ لبعض الصحابة من النساء والرجال ممّن مات ﷺ وهو في دون سنّ التمييز، إذ ذكر أولئك في الصحابة إنّما هو علىٰ سبيل الإلحاق لغلبة الظنّ علىٰ أنّه ﷺ رآهم لتوفّر دواعي أصحابه علىٰ إحضارهم أولادهم عنده عند ولادتهم؛ ليحنّكهم ويسمّيهم ويبرّك عليهم، والأخبار بذلك كثيرة شهيرة(٢).

٣ ـ عن عائشة: أنّ النبي ﷺ كان يؤتىٰ بالصبيان فيبرّك عليهم(٣).

٤ ـ وعن عبدالرحمن بن عوف قال: ما كان يولد لأحد مولود إلّا أتىٰ به النبيّ ﷺ فدعا له. الحديث(٤).

٥ ـ وعن محمّد بن عبدالرحمن مولىٰ أبي طلحة عن ظئر محمّد بن طلحة قال: لما ولد محمّد بن طلحة أتيت به النبي ﷺ ليحنّكه ويدعو له، وكذلك كان يفعل بالصبيان(٥).

٦ ـ عن عائشة: أنّ النبي ﷺ أتي بصبي ليحنّكه فأجلسه في حجره فبال

---

(١) الإصابة ٢: ٤٥٧، في ترجمة عتيك بن بلال و٣: ٥٨، في ترجمة عبدالله بن أبي أمامة و٤: ٢٤٦ في ترجمة أسماء بنت يزيد.

(٢) الإصابة ١: ٥، وأشار إليه أبوعمر في مقدّمة الاستيعاب هامش الإصابة ١: ١٣.

(٣) الإصابة ١: ٥ عن مسلم.

(٤) الإصابة ١: ٥، عن المستدرك للحاكم، والغدير ٨: ٢٦٠، عن المستدرك ٤: ٤٧٩.

(٥) الإصابة ١: ٥.

عليه. الحديث[١].

٧ ـ وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ يؤتىٰ بالصبيان فيحنّكهم ويبرّك عليهم. الحديث[٢].

٨ ـ وعنها: أنّ رسول الله ﷺ كان يؤتىٰ بالصبيان فيبرّك عليهم ويحنّكهم[٣].

٩ ـ وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ يؤتىٰ بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ـ زاد يوسف ـ ويحنّكهم ولم يذكر بالبركة[٤].

١٠ ـ كان رسول الله ﷺ يدعو يوم عاشوراء بالرضعاء فيتفل في أفواههم ويقول للأمّهات: لا ترضعهنّ إلى الليل[٥].

١١ ـ كان ﷺ يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه إلى الليل[٦].

١٢ ـ عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يؤتىٰ بالصبيان فيدعو لهم[٧].

١٣ ـ وعن هشام بن عروة: أتي النبي ﷺ بصبيّ يحنكه ـ وفي قصّته ـ أنّه بال علىٰ ثوبه[٨].

١٤ ـ في رواية أم قيس «أنّها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلىٰ رسول الله ﷺ فأجلسه في حجره: فبال علىٰ ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله[٩].

---

(١) مسند أحمد ٦: ٥٢، والبخاري ٨: ١٠ و ٧: ١٠٨.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢١٢.

(٣) صحيح مسلم ٣: ١٦٩١، و ١: ٢٣٧ وكنز العمال ٧: ٩٤، الرقم ٨٠٥ وزاد: ويدعو لهم.

(٤) سنن أبي داود ٤: ٣٢٨، المرقّم ٥١٠٦.

(٥) السيرة الحلبية ٢: ١٤٢ عن دلائل النبوّة للبيهقي، والمغازي للواقدي ٢: ٥٦٨، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٥.

(٦) سيرة دحلان ٢: ٢٢٥.

(٧) البخاري ٨: ٩٥.

(٨) فتح الباري ١: ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٩) البخاري ١: ٦٦، وفتح الباري ١: ٢٨٠، و ٩: ٥٠٧ ـ ٥٠٨، وأبو داود ١: ١٠٢، والنسائي ١: ١٥٧، والترمذي ١: ١٠٤، وابن ماجه ١: ١٧٤.

قال ابن حجر في شرحه: وفي هذا الحديث من الفوائد: الندب إلىٰ حسن المعاشرة والتواضع والرفق بالصغار، وتحنيك المولود، والتبرك بأهل الفضل وحمل الأطفال إليهم حال الولادة وبعدها.

وروي في هذا الباب مثلها عن عائشة أمّ المؤمنين.

هذه النصوص المتضافرة تدلّ علىٰ سيرة الصحابة المستمرّة منذ نزول النبيّﷺ بالمدينة المشرفة في تحنيك أولادهم بإتيانهم بالمولود إلى النبيّﷺ ليحنكه ويبرّك عليه ويدعو له.

والظاهر أنّ ذلك كان في الأنصار أكثر، واعتقادهم به أعمق وأعرق كما صرّح به ابن حجر، وإن أطلق الكلام في رواية عائشة وعبدالرحمن بن عوف وغيرهما، وإنّ ذلك كان في المدينة غالباً واقتفىٰ أثرهم أهل مكّة بعد الفتح، فكانوا يأتون بأطفالهم إليهﷺ فيمسح رؤوسهم ويبرّك عليهم.

ويستفاد منها أيضاً: أنّهﷺ كان يتفل في أفواه الصبيان الرّضع في يوم عاشوراء أو مطلقاً وذلك أيضاً نحو آخر من التبرّك.

هذا عمل الصحابة. وأمّا رسول اللهﷺ فكان يقرهم عليه ولا ينكر عليهم ذلك ويعمل به، فلو كان التبرّك شركاً لما جرت عليه سيرة الصحابة الذين هم دعاة الدين ورعاته، ولما أقرّهم عليه الرسول العظيمﷺ وبعد هذا فلا يبقىٰ ريب لأيّ متدبّر منصف في ذلك، بل يدرك المتأمّل أنّ ذلك كان من شؤون الإيمان وعلائمه ومظاهر اليقين ومناهجه.

فلنذكر هنا أسماء جمع من الذين حنّكهم النبيّﷺ في ضمن النصوص الّتي ذكرها علماء الرجال والتاريخ والسيرة والحديث، تتميماً للفائدة وتحصيلاً لليقين الكامل.

مَن حنّكهم النبيّ عليه‌السلام أو تفل في أفواههم أو مسح رؤوسهم:

١ ـ منهم عبدالله بن الزبير وهو كما يقولون أوّل مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة، فجاءت به أمّه أسماء بنت أبي بكر إلى النبيّ عليه‌السلام أو جاءت به عائشة أمّ المؤمنين فوضعته في حجره، ثمّ دعا بتمرة فمضغها فتفل في فيه فكان أوّل ما دخل في جوفه ريق رسول الله عليه‌السلام قالت: ثمّ حنكه بتمرة ثمّ دعا له وبرّك عليه[1].

٢ ـ ومنهم عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري، فإنّه لمّا ولد حنكه رسول الله عليه‌السلام بالتمر، روي عن أنس بن مالك قال: ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري حين ولد ورسول الله عليه‌السلام في عباءة يهنأ بعيراً له فقال: «هل معكم تمر؟» فقلت: نعم فناولته تمرات فألقاهنّ في فيه فلاكهنّ، ثمّ فغر فاهَ الصبيّ فمجّه في فيه فجعل الصبيّ يتلمّظه فقال رسول الله عليه‌السلام: «حبّ الأنصار التمر» وسمّاه عبدالله[2].

٣ ـ ومنهم إبراهيم بن أبي موسى الأشعري، لما ولد أتا به أبوه إلىٰ رسول الله عليه‌السلام فسمّاه إبراهيم وحنّكه بتمرة، وكان أكبر ولده[3].

٤ ـ ومنهم المنذر بن أبي أسيد الساعدي ـ أسيد بالتصغير اسمه مالك بن ربيعة ـ فعن سهل بن سعد قال: أتي بالمنذر بن أبي أسيد إلىٰ رسول الله عليه‌السلام حين

---

(١) راجع أسد الغابة ٣: ١٦١، والإصابة ٢: ٣٠٩، والاستيعاب ٢، هامش الإصابة: ٣٠١ـ٣٠٢، وصحيح مسلم ٣: ١٦٩٠، بأسانيد متعدّدة والسيرة الحلبيّة ١: ٢٠٧ ـ ٢١١، و٢: ٨٥ ومسند أحمد ٦: ٩٣ـ٣٤٧، ونزهة المجالس ٢: ١٣٦، والبخاري ٧: ١٠٨، و٥: ٧٩، وفتح الباري ٩: ٥٠٧ـ٥٠٨، وكنز العمال ١٦: ٨٦ـ٨٧ـ٨٨ـ٨٩ـ ٩٠، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢١١، كلّها بألفاظ وأسانيد مختلفة.

(٢) أسد الغابة ٣: ١٨٩، والإصابة ٣: ٦٠، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨: ٣١٥ـ٣١٦ـ٣١٧، بأسانيد متعدّدة و٥: ٥٤، والاستيعاب هامش الإصابة ٢: ٣١٣، والبخاري ٢: ١٠٩ ـ ١٦٠، و٧: ١٩١ـ١٩٢، وصحيح مسلم ٣: ١٦٧٢ـ ١٦٨٩، بسندين و١٦٨٩ ـ ١٦٩٠، و٤: ١٩١٠، ومسند أحمد ٣: ١٦٠ـ ١٧١ـ ١٧٥ـ ١٨٨ـ ١٩٦ـ ٢١٢ـ ٢١٣ـ ٢٨٨، كلّها منقولة بألفاظ متقاربة المعنىٰ.

(٣) البخاري ٧: ١٠٨ ـ ١٢٦، و٨: ٥٤ وصحيح مسلم ٣: ١٦٩٠، والإصابة ١: ٩٦، والطبقات ٤: ٧٩، ق١، ومسند أحمد ٤: ٣٩٩، وأسد الغابة ١: ٤٢، وكنز العمال ١٥: ٢٣٩.

ولد، فوضعه النبيّ ﷺ علىٰ فخذه وأبو أسيد جالس، فلهى النبيّ ﷺ بشيء بين يديه، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتمل من علىٰ فخذ الرسول ﷺ فأقلبوه فاستفاق رسول الله ﷺ فقال: أين الصبيّ؟ فقال أبو أسيد: أقلبناه يا رسول الله، فقال: ما اسمه؟ قال: فلان يا رسول الله، قال: لا ولكن اسمه المنذر فسمّاه يومئذ المنذر(١).

٥ ـ ومنهم عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، وُلد والنبيّ ﷺ وأهل بيته بالشعب من مكّة، فأتي به النبيّ ﷺ فحنّكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين(٢).

وفي الإصابة ٢: ٣٣٠ ـ ٣٣١، عن ابن عمر أنّه كان يقرّب ابن عبّاس ويقول: إنّي رأيت رسول الله ﷺ دعاك فمسح رأسك وتفل في فيك. الحديث (نقله عن البغوي) وعن ابن عبّاس: دعا لي رسول الله ﷺ فمسح علىٰ ناصيتي وقال: اللّهمّ علّمه الحكمة. الحديث.

وعن عكرمة قال: ـ في حديث ـ فدعاه (يعني رسول الله ﷺ دعا ابن عبّاس) فأجلسه في حجره ومسح رأسه ودعا له بالعلم.

ويحتمل أن يكون كلّ ذلك وقع في مقامات مختلفة، وليست قصّة واحدة حتّىٰ يتراءىٰ فيه الخلاف والتنافي(٣).

٦ ـ ومنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه:

فعن الزمخشري أنّ النبيّ ﷺ تولّىٰ تسميته بعليّ، وتغذيته أيّاماً من ريقه المبارك بمصّه لسانه. فعن فاطمة بنت أسد أم عليّ رضي الله عنها أنّها قالت: لما ولدته سمّاه

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٦٩٣، وأسد الغابة ٤: ٤١٧، والإصابة ٣: ٤٨٠، وإنّما ذكرناه هنا مع أنّه لم يُحنّك لدلالته علىٰ عمل الأنصار واستمراره.

(٢) أسد الغابة ٣: ١٩٣، وذخائر العقبىٰ: ٢٢٧ ـ ٢٣٦، وفي السيرة الحلبيّة ١: ٢٢٦، نقله عن ابن عبّاس عن أمّه أم الفضل بنحو آخر أبسط وكنز العمال ١٦: ٧٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٥.

(٣) راجع الإصابة والاستيعاب وأسد الغابة في ترجمة عبدالله، والطبقات ٢، ق٢: ١١٩، وذخائر العقبىٰ: ٢٢٧، ومسند أحمد ١: ٣١٤.

عليّاً وبصق في فيه، ثمّ إنّه ألقمه لسانه فما زال يمصّه حتّىٰ نام، فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد، فدعونا له محمّداً ﷺ فألقمه لسانه فنام. الحديث(١).

٧ ـ ومنهم عبدالله بن طلحة ذكره في الصارم المنكى: ١٣٩ ولكن الظاهر اتّحاده مع عبدالله بن أبي طلحة لكن سقط منه كلمة: «أبي».

٨ ـ ومنهم محمّد بن طلحة بن عبيدالله، أخرج ابن شاهين في كتاب الصحابة في ترجمة محمّد بن طلحة عن ظئر محمّد قال: لما ولد محمّد بن طلحة أتيت به النبيّ ﷺ ليحنكه ويدعو له، وكذلك كان يفعل بالصبيان(٢).

٩ ـ ومنهم أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري أبي أمامة، ولد قبل وفاة النبيّ ﷺ بعامين وأتي به النبيّ ﷺ فحنّكه وسمّاه باسم جدّه لأمّه(٣).

وعن أبي داود كما في أسد الغابة أنّه صحب النبيّ ﷺ وبايعه وحنكه وبارك عليه وبيعته له وهو طفل، كما نقل في ترجمة بعض الصحابة أيضاً تكريم وتبرّك آخر.

١٠ ـ ومنهم عبدالله بن عامر بن كريز القرشي ابن خال عثمان، ولد على عهد رسول الله ﷺ فاتي به رسول الله ﷺ وهو صغير، وجعل يتفل عليه ويعوذه، فجعل عبدالله يتسوّغ ريق رسول الله ﷺ(٤).

١١ ـ ومنهم حشرج غير منسوب، أخذه رسول الله ﷺ ووضعه في حجره

---

(١) السيرة الحلبيّة ١: ٣٠٣، وينابيع المودّة: ٧٣.

(٢) الإصابة ١: ٥، و٣: ٣٧٦، وفي أسد الغابة ٤: ٣٢٢، قال: حمله أبوه إلىٰ رسول الله ﷺ فمسح رأسه وسمّاه محمّداً. والاستيعاب ٣: ٣٥٠، نقل القصّة ولم يذكر التحنيك وقال: فمسح رأسه وسمّاه محمّداً، وكنز العمال ١٦: ٢٠١.

(٣) الإصابة ١: ٩٧، وأسد الغابة ١: ٣٢٢، وفي الاستيعاب هامش الإصابة ١: ٩٨، ذكر القصّة ولم يذكر التحنيك.

(٤) الاستيعاب هامش الإصابة: ٢: ٣٥٩، والإصابة ٣: ٦١، وأسد الغابة ٣: ١٩٠، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٥: ٣١، والبحار ١٨: ٤٢.

ومسح رأسه ودعا له[١].

١٢ ـ ومنهم سنان بن سلمة الهذلي، حنّكه رسول اللهﷺ وتفل في فيه ودعا له وسمّاه[٢].

١٣ ـ ومنهم سعد بن أبي الغادية المزني، فقد النبيﷺ أباالغادية في الصلاة فأقبل فقال: ما خلفك؟ فقال: وُلد لي مولود، قال: هل سمّيته؟ قال: لا، قال: فجئني به، فمسح رأسه بيده وسمّاه سعداً[٣].

١٤ ـ ومنهم عبدالله بن ثعلبة بن صيعر ـ ويقال له ابن أبي صيعر ـ العذري، قيل: إنّه وُلد بعد الهجرة بأربع سنين، وقيل: إنّ رسول اللهﷺ توفّي وهو ابن أربع سنين، وقيل: وُلد سنة سبع، وإنّه أُتي به رسول اللهﷺ فمسح علىٰ وجهه ورأسه زمن الفتح[٤].

١٥ ـ ومنهم عبدالله بن الحارث بن عمرو العدوي، ولد علىٰ عهد رسول اللهﷺ وحنّكه[٥].

١٦ ـ ومنهم عبدالله بن الحارث بن نوفل الهاشمي، وُلد قبل وفاة النبيّﷺ بسنتين، وأُتي به رسول اللهﷺ فحنّكه ودعا له[٦].

١٧ ـ ومنهم عبدالرحمن بن زيد بن الخطّاب العدوي وهو ابن أخي عمر بن

(١) الاستيعاب هامش الإصابة: ١: ٣٩٥، وأسد الغابة ٢: ٢٣، والإصابة ١: ٣٣٥، وكنز العمال ١٥: ٣٢٣.

(٢) الاستيعاب هامش الإصابة ٢: ٨٢، والإصابة ٢: ١٠٧، وليس فيه التحنيك بل ذكر التسمية فقط كما في أسد الغابة ٢: ٣٥٧.

(٣) الإصابة ٢: ١٠٥، وكنز العمال ١٦: ٢٢٩، وفي الإصابة بالفاء.

(٤) الاستيعاب ٢: ٢٧١، والإصابة ٢: ٢٨٥، وأسد الغابة ٣: ١٢٨، لكنّه أسقط «ورأسه»، وزاد: وبرك عليه والبخاري ٥: ١٩١، و٨: ٩٥، إلّا أنّه قال: «وكان رسول اللهﷺ قد مسح عنه» وفي نسخة في هامش فتح الباري ١١: ١٢٧. «قد مسح عينيه». وفسّره ابن حجر فراجع.

(٥) الاستيعاب ٢: ٢٨١، وأسد الغابة ٣: ١٣٩، والإصابة ٣: ٥٨.

(٦) أسد الغابة ٣: ١٣٩، والاستيعاب، هامش الإصابة ٢: ٢٨١، والإصابة ٣: ٥٨.

الخطاب، أتى به أبولبابة إلى النبيّ ﷺ، فقال له: ما هذا منك يا أبا لبابة؟ قال: ابن بنتي يا رسول الله ﷺ، قال: ما رأيتُ مولوداً أصغر منه، فحنّكه رسول الله ﷺ ومسح رأسه ودعا له بالبركة... فلمّا توفّي رسول الله ﷺ كان عمره ستّ سنين[١].

١٨ ـ ومنهم محمّد بن ثابت بن قيس، وُلد علىٰ عهد الرسول ﷺ فأتي به إلى النبيّ ﷺ فسمّاه محمّداً وحنّكه بتمرة، وقتل يوم الحرّة[٢].

١٩ ـ ومنهم محمّد بن أنس بن فضالة الظفري الأنصاري، قال: قَدم النبيّ ﷺ المدينة وأنا ابن اسبوعين فأتىٰ أبي(بي) إلى النبيّ ﷺ فمسح علىٰ رأسي... قال يونس: فلقد عمّر أبي حتّىٰ شاب شعره كلّه، وما شاب موضع يد رسول الله ﷺ[٣].

٢٠ ـ ومنهم محمّد بن نبيط بن جابر، ذكره ابن شاهين في الصحابة عن أبي داود عن ابن القدّاح وقال: حنّكه النبيّ ﷺ وسمّاه محمّداً[٤].

٢١ ـ ومنهم يحيىٰ بن خلاد الزرقي، روَى عن عليّ بن يحيىٰ بن خلاد عن أبيه عن جدّه أنّه كان أُتِيَ به النبيّ ﷺ يوم وُلد فحنكه بتمرة[٥].

٢٢ ـ ومنهم النعمان بن بشير، أمّه عمرة بنت رواحة أخت عبدالله بن رواحة، لما ولدت النعمان بن بشير حملته إلىٰ رسول الله ﷺ فدعا بتمرة فمضغها ثمّ ألقاها في فيه فحنّكه بها. الحديث[٦].

٢٣ ـ ومنهم الإمام السبط الأكبر الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام روي عن

---

(١) أسد الغابة ٣: ٢٩٥، والإصابة ٣: ٦٩، والاستيعاب، هامش الإصابة ٢: ٤٢٥، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٧.

(٢) أسد الغابة ٤: ٣١٣، والاستيعاب ٣: ٣٤١، والإصابة ٣: ٤٧٣.

(٣) الاستيعاب هامش الإصابة ٣: ٣٤٥، والإصابة ٣: ٣٧٠، وأسد الغابة ٤: ٣١٢، وتاريخ البخاري ١: ق١، ١٦، وكنز العمال ١٦: ٢٠٥.

(٤) الإصابة ٣: ٤٧٧، وأسد الغابة ٤: ٣٣١.

(٥) الإصابة ٣: ٦٧١، والاستيعاب ٣: ٦٧٢، وأسد الغابة ٥: ١٠٠ والطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٥: ٥٢.

(٦) الاستيعاب، هامش الإصابة ٤: ٣٦٧.

سوادة، قالت: كنت فيمن شهد فاطمة حين ضربها المخاض... قالت: فوضعت ابناً فسررته ووضعته في خرقة صفراء، فقال: إيتيني به فلففته في خرقة بيضاء، فتفل في فيه وسقاه من ريقه...[1].

٢٤ ـ ومنهم الإمام السّبط الأصغر الحسين بن علي بن أبي طالبعليهما السلام حنّكه رسول اللهﷺ بريقه، وأذّن في أذنه، وتفل في فمه[2].

نظرة في الأحاديث

يستفاد من الروايات المتقدّمة مضافاً إلىٰ أنّ التبرّك كان سيرة مستمرّة منذ البعثة في مكّة ثمّ في المدينة؛ أنّ الصحابة كانوا يفتخرون بذلك، وينقلونه مباهين به، كما أنّ العلماء قد أدرجوه في كتبهم علىٰ أنّه من مناقب هؤلاء وفضائلهم، وإيذاناً بأنّ أبويه كانا بهذه المكانة من الإيمان واليقين، وأنّ النبيّ كان بهم رؤوفاً عطوفاً، فكان يبرّك عليهم ويحنّكهم، وأنّ هؤلاء تشرّفوا بذلك وتبرّكوا به وصاروا مبارَكين.

ويستفاد أيضاً: أنّ التبرّك كان تارةً يتحقّق بتحنيكه فقط، بجعلهﷺ التمر في فم الصبي، أو به وبلوك النبيّﷺ له في فمه المبارك، وخلطه مع ريقه المبارك، ثمّ حنّكه،

(١) الإصابة ٤: ٣٣٨، والاستيعاب، هامش الإصابة ٤: ٣٢٤، وأسد الغابة ٥: ٤٨٣ ـ ٤٨٤، وملحقات إحقاق الحقّ ١١: ٤، وما بعدها عن المعجم الكبير للطبراني: ١٢٩، نسخة جامعة طهران، ولسان العرب في كلمة: «لبى» ومجمع بحار الأنوار ٣: ٢٤١، وتاج العروس وكنز العمّال ١٦: ٢٦١، ومنتخبه بهامش المسند ٥: ١٠٤، والبداية والنهاية ٨: ٣٣، ولفظه: فحنكه رسول الله بريقه وسمّاه حسناً، وفضائل الخمسة ٣: ١٧٢، عن كنز العمال ٨: ١٠٥، عن ابن مندة وأبي نعيم وابن عساكر، ومجمع الزوائد للهيثمي وقال: رواه الطبراني بسندين، والوسائل ١٥: ١٣٨ ـ ١٤٠، وفيه: «وأدخل لسانه في فمه» والبحار ٤٣: ٢٤٠، عن معاني الأخبار، والعلل: ٢٥٤، عن النهاية في «لبى».

(٢) ملحقات إحقاق الحقّ ١١: ٢٥٨، والوسائل ١٥: ١٣٨ ـ ١٤٠، وفيه: «وأدخل لسانه في فمه» والبحار ٤٣: ٢٤١، عن معاني الأخبار والعلل: ٢٤٣، عن أمالي الصدوق: ٢٥٤ عن المناقب.

أو بتحنيكه بريقه المبارك من دون تمر، أو بمسحه ﷺ رأس الصبي ووجهه وناصيته أو ببصاقه ﷺ في فمه، أو بمصّ الصبيّ لسانه المبارك بتلقيمه ﷺ لسانه له، أو بتفله في فيه أو بدعائه ﷺ له وتسميته، أو بالتأذين في أذنه، وكلّ ذلك تبريك وتشريف.

وإذا كنّا نرىٰ أنّ بعض من برّك عليهم الرسول ﷺ لا أثر لهذا التبريك فيه، بل نعرف منه ما يخالفه جدّاً فلا مناص إلّا أن يقال: إنّ القصّة ليست بصحيحة، أو أنّ التبريك قد أثّر بمقدار ما في الطفل من الاستعداد، كالمطر في الأرض القابلة والسبخة، أو أنّه لو لم يكن هذا التبريك لكان هذا الشخص أشقىٰ وأسوأ حالاً من الحال التي صار إليها بعد التبريك، أو أنّ التبرّك من أبوي الطفل لم يكن حقيقيّاً، بل كان تظاهراً ورياءً فقط أو . . . .

وعلىٰ كلّ حال، فقد كان رسول الله ﷺ مباركاً أينما كان وكيف كان، جعله الحقّ سبحانه آية ورحمة للعالمين بكلّ وجوده في حياته وبعد موته.

التبرّك بمسّه ومسحه ﷺ

أسماء الذين مسح رسول الله ﷺ رؤوسهم وبرّك عليهم:

ولعمري فإنّ فيما ذكرنا كفاية لمن تأمّل وأنصف وتدبّر ولم يتعسف، ولكن إن شئت الوقوف علىٰ أزيد من ذلك، فعليك بالتدبّر فيما يُتلىٰ عليك من الذين مسح رسول الله ﷺ رؤوسهم بعد دوران التحنيك أو حينه ممّا حفظه الأعلام الحفّاظ من موارد تبرّك الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بمسحه ومسّه ﷺ رؤوسهم ووجوههم، ونقلوه علىٰ سبيل المباهاة والافتخار، وقد صرّحوا بالتبريك والتبرّك تارة وأوعزوا إليه تارةً أخرىٰ.

وإليك بعض تلك النصوص:

١ ـ منهم أمّ جميل بنت أوس المرئية ـ بضمّ الميم وكسر الهمزة ـ قالت: أتيتُ النبيّ ﷺ مع أبي وعليَّ ذوائب وقزعة، فقال النبيّ ﷺ: أحلق عنها زي الجاهليّة وأتني بها، فذهب بي أبي، فحلقه عنّي وردّني، فدعا لي، وبارك عليّ، ومسح علىٰ رأسي بيده(١).

٢ ـ ومنهم بشر بن معاوية بن ثور من بني البكاء، وفدوا علىٰ رسول الله ﷺ وسيّدهم معاوية بن ثور... فلمّا حضر شخوصهم ودَّعوا رسول الله ﷺ فقال له معاوية: إنّي أتبرّك بمسّك وقد كبرت وابني بشْر يربى فامسح وجهه، قال: فمسحه وأعطاه أعنزاً عفراً ودعا له بالبركة(٢).

٣ ـ ومنهم زياد بن عبدالله: وَفَد على النبيّ ﷺ فدخل علىٰ ميمونة زوج النبيّ ﷺ فدخل رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابن اختي، ثمّ خرج حتّىٰ أتى المسجد ومعه زياد فصلّى الظهر، ثمّ أدنىٰ زياداً فدعا له ووضع يده علىٰ رأسه ثمّ حدرها علىٰ طرف أنفه فكانت بنو هلال تقول: ما زلنا نتعرّف البركة في وجه زياد، وقال الشاعر لعليّ بن زياد:

يا ابن الذي مسح النبيّ ﷺ برأسه ... ودعا له بالخير عند المسجد
أعني زياداً لا أريد سواءَه ... من غائر أو متهم أو منجد
ما زال ذاك النور في عرنينه ... حتّىٰ تبؤ بيته في المنجد(٣)

---

(١) الإصابة ١: ٨٨ وأسد الغابة ١: ١٥٠.

(٢) الإصابة ١: ٥٣، المرقم ٢١٢: ١٥٥ ـ ١٥٦، المرقّم ٦٧٩، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١، ق٢: ٤٧، وأسد الغابة ١: ١٩٠، والاستيعاب ٣: هامش الإصابة: ٤٠٨، على اختلاف ألفاظه، ونقله كنزالعمّال ١٥: ٢٦٧، مفصّلاً وفيه: «فمسح رسول الله ﷺ علىٰ رأسي ودعا لي بالبركة، وكانت في وجهه مسحة النبي ﷺ كأنّها غرة فكان لا يمسح شيئاً إلّا برء».

(٣) الطبقات ١، ق٢: ٥١، والإصابة ١: ٥٥٨.

٤ ـ ومنهم خزيمة بن سواد، مسح رسول الله ﷺ وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرّة بيضاء[١].

٥ ـ ومنهم السائب بن يزيد: ذهبت به خالته إلى النبيّ ﷺ فقالت: يا رسول الله إنّ ابن أختي وَجِعٌ فمسح رأسه ودعا له بالبركة، وتوضّأ فشرب من وضوئه[٢].

٦ ـ ومنهم حسان بن شدّاد التميميّ الطهوي ـ بضمّ أوّله وفتح ثانيه ـ وفدت أمّه به إلى النبيّ ﷺ فقالت: يا رسول الله ﷺ، إنّي وفدت إليك بابني هذا؛ لتدعو له أن يجعل الله فيه البركة، قال: فتوضأ وفضل من وضوئه فمسح وجهه، وقال: اللّـهمّ بارك لها فيه[٣].

طلبت أمّ حسان منه ﷺ الدعاء بالبركة، ولكنّه ﷺ علىٰ ما نـقله في الإصـابة برّكه بفضل وضوئه قبل أن يدعو له. وفي أسد الغابة ذكر المسح مـن دون ذكـر الوضوء.

٧ ـ ومنهم السائب بن الأقرع الثقفي، دخلت أمّه تبيع العطر مـن النـبيّ ﷺ، فقال: يا مليكة ألكِ حاجة؟ قالت: نعم، قال: فكلّميني فيها أقضِها لكِ، فقالت: لا والله إلّا أن تدعو لابني، وهو معها وهو غلام، فأتاه فمسح برأسه ودعا له[٤].

٨ ـ ومنهم يعلى بن مرّة ومن معه قال: كان النبيّ ﷺ يمسح وجوهنا في الصلاة ويبارك علينا، قال: فجاء ذات يوم فمسح وجوه الذين عن يميني وعـن يسـاري

(١) الطبقات ١، ق٢: ٤٣، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٦.

(٢) أسد الغابة ٢: ٢٥٨، و٥: ٦٣٤، عن أبي نعيم وأبي موسىٰ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٣٠٢، وتبرك الصحابة: ٧، عن البخاري والطبقات ١، ق٢: ١٥٠، والبخاري ١: ٥٩، و٧: ١٥٦، و٨: ٩٤، و٤: ٢٢٧، وصحيح مسلم ٤: ١٨٢٣، والبداية والنهاية ٦: ٢٦، وفتح الباري ١: ٢٥٧، والترمذي ٥: ٦٠٣، والإصابة ٢: ١٢، والاستيعاب هامش الإصابة ٢: ١٠٦، وكنز العمال ١٦: ٥٢.

(٣) الإصابة ١: ٣٢٧، وأسد الغابة ٢: ٨، وكنز العمّال ١٥: ٣١٨.

(٤) أسد الغابة ٥: ٥٤٩، والإصابة ٢: ٨، والاستيعاب هامش الإصابة ٢: ١٠٤.

وتركني(١).

يفيد الحديث أنّ هذا كان عملاً مستمرّاً له ﷺ حينما يخرج إلى الصلاة.

٩ ـ ومنهم جابر بن سمرة ومن معه من الصبيان ـ أو الغلمان ـ قال جابر: صلّيت مع رسول الله ﷺ صلاة الأُولىٰ، ثمّ خرج إلىٰ أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدّي أحدهم واحداً واحداً قال: وأمّا أنا فمسح خدّي، قال: فوجدت ليده برداً وريحاً كأنّما خرج من جونة عطّار(٢).

هذا الحديث أيضاً يفيد كسابقه أنّ الولدان كانوا يصطفّون علىٰ يمين الطريق ويساره وهو ﷺ يمسح خدودهم يبرك عليهم وهم يتبرّكون بذلك، وكأنّه كان عملاً مستمراً منهم ومنه ﷺ.

١٠ ـ ومنهم أبو جحيفة السوائي والنّاس الذين كانوا معه، قال: وقام النّاس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها علىٰ وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب من رائحة المسك(٣).

هذا الحديث يفيد تبرّك الصحابة بأجمعهم في أنفسهم أيضاً لا الولدان فقط ولا الصحابة في أولادهم.

١١ ـ ومنهم جابر بن يزيد بن الأسود السوائي عن أبيه: أنّه صلّىٰ مع رسول الله ﷺ الصبح ـ إلىٰ أن قال ـ ثار النّاس يأخذون بيده يمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فمسحت بها وجهي، فوجدتها أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك(٤).

---

(١) مسند أحمد ٤: ١٧١، بسندين وص٣٠٩، والبداية والنهاية ٦: ٢٤، بأسانيد متعدّدة.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨١٤، والبداية والنهاية ٦: ٢٤، بأسانيد متعدّدة، وكنز العمال ١٥: ٢٨٠.

(٣) تبرّك الصحابة: ٧، والبداية والنهاية ٦: ٢٤، بأسانيد متعدّدة، وصفة الصفوة ١: ١٨٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٣٠١، والبخاري ٤: ٢٢٩، وفتح الباري ٦: ٤١٧، ومسند أحمد ٤: ١٦١.

(٤) مسند أحمد ٤: ١٦١ ودلائل النبوّه ١: ١٩٠، والاستيعاب، هامش الإصابة ٣: ٦٥٥، مع اختلاف ألفاظها.

١٢ ـ ومنهم حليس ـ بالتصغير ـ ابن زيد الضبّي: وفد إلى النبيّ ﷺ بعد وفاة أخيه الحارث، فمسح وجهه ودعا له بالبركة[١].

١٣ ـ ومنهم رديح وسمرة ورخ وزبيبا[٢]، قالت عائشة: إنّي أريد أن أعتق من ولد إسماعيل قصداً[٣] فقال النبيّ ﷺ لعائشة: انتظري حتّىٰ يجيء سبي العنبر غداً، فجاء فقال لها: خذي أربعة ـ قال عطاء ـ فأخذت جدي رديحاً وابن عمّي سمرة وابن عمّي رخا وخالي زبيبا، فمسح النبيّ ﷺ علىٰ رؤوسهم وبرّك عليهم[٤].

١٤ ـ ومنهم سالم بن حرملة وفد إلى النبيّ ﷺ فيمن وفد إليه، وهو حدث له ذؤابة وقد كاد أن يبلغ، فتطهّر من فضل وضوء رسول الله فشمت[٥] عليه رسول الله ﷺ ودعا له[٦].

١٥ ـ ومنهم سلمة بن عرادة: نازع عيينة بن حصن فضل وضوء رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: دع الغلام يتوضّأ، فتوضّأ ثمّ شرب البقية، فمسح رسول الله ﷺ وجهه بيده[٧].

هذا الحديث يفيد تبرّك الصحابة بماء وضوئه يتوضّأون به وبمسحه ﷺ وجوههم.

١٦ ـ ومنهم سالم العدوي، وفد على النبيّ ﷺ وهو غلام حدث عليه ذؤابة فشمت عليه ودعا له، وتطهّر سالم بفضل وضوء رسول الله ﷺ[٨].

---

(١) الإصابة ١: ٣٥١، وأسد الغابة ٢: ٤٤.

(٢) رديح بالمهملات مصغراً، وسمرة بن عمرو العنبري بفتح السين وضمّ الميم وفتح الراء، ورخي مصغراً بالراء المهملة أو بالراء المعجمة بعدها الخاء المعجمة، وزبيب بموحدتين مصغراً ابن ثعلبة.

(٣) القصد: ما كان من دون إفراط وتفريط.

(٤) الإصابة ١: ٤٩٠ المرقّم ٢٤٩٠.

(٥) شمّت العاطس، دعا له بقول: يرحمك الله.

(٦) الإصابة ٢: ٤، وأسد الغابة ٢: ٢٤٧.

(٧) الإصابة ٢: ٦٦، وأسد الغابة ٢: ٣٢٩.

(٨) الاستيعاب ٢: ٧٢.

١٧ ـ ومنهم سمعان بن خالد الكلابي من بني قريظة، دعا له النبيّ ﷺ بالبركة ومسح ناصيته... في حديث طويل[١].

١٨ ـ ومنهم سهل بن صخر الليثي، قال: دخلت مع أبي على النبيّ ﷺ، فقال: ما اسمك يا غلام؟ قلت: سهل، قال: اُدن، فمسح علىٰ رأسي[٢].

١٩ ـ ومنهم عبدالله بن جعفر وأخوه: مسح رسول الله ﷺ رأسهما ودعا لهما[٣].

٢٠ ـ ومنهم منقذ بن حبان، وفد فيمن وفد من عبدالقيس إلىٰ رسول الله ﷺ فمسح النبيّ ﷺ وجهه[٤].

٢١ ـ ومنهم عامر بن لقيط العامري: لما وفد إلى النبيّ ﷺ، قال له: «أنت الوافد الميمون، بارك الله فيك» فصافحه ومسح ناصيته[٥].

٢٢ ـ ومنهم سعد بن تميم السكوني، قد أدرك النبيّ ﷺ ويقال: إنّه مسح رأسه ودعا له[٦].

٢٣ ـ ومنهم عبادة بن سعد بن عثمان الأنصاري، لحق برسول الله ﷺ بأمر أبيه فمسح رأسه ودعا له[٧].

٢٤ ـ ومنهم سعد بن حبتة...، نظر النبيّ ﷺ إليه يوم الخندق يقاتل قتالاً شديداً وهو حديث السنّ، فدعاه فقال له: من أنت يا فتىٰ؟ قال: سعد بن حبتة،

---

(١) أسد الغابة ٢: ٣٥٦، والإصابة ٢: ٨٠.

(٢) الإصابة ٢: ٨٨.

(٣) ذخائر العقبىٰ: ٢٢٧، والإصابة ٢: ٢٨٩، ومسند أحمد ١: ٢٠٥، وكنز العمال ١٦: ٦٦.

(٤) الإصابة ٢: ١٧٨، والطبقات ١، ق٢: ٥٤.

(٥) الإصابة ٢: ٢٥٧، وأسد الغابة ٣: ٩٢.

(٦) الإصابة ٢: ٢٢، وكنز العمال ١٦: ٥٠.

(٧) الإصابة ٢: ٣١.

فقال النبيّ ﷺ: أسعد الله جدّك، اقترب منّي، فاقترب منه فمسح علىٰ رأسه[١].

٢٥ ـ ومنهم عائذ بن سعيد....، قال: وفدنا على النبيّ ﷺ فتقدّم عائذ فقال: يا رسول الله، امسح وجهي وادعُ لي بالبركة، قال: ففعل فكان وجهه يزهو[٢].

٢٦ ـ ومنهم عبدالله بن مسعود الصحابي المعروف: مسح رسول الله ﷺ رأسه في قصّة طويلة ذكرها أبوعمر[٣].

٢٧ ـ ومنهم عبدالله بن عبدهلال الأنصاري، قال: ما أنسىٰ حين ذهب بي أبي إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ادعُ له وبارك عليه، قال: فما أنسىٰ برد يد رسول الله ﷺ علىٰ يافوخي[٤].

٢٨ ـ ومنهم عبدالله بن عتبة بن مسعود، قال: إنّ رسول الله ﷺ وضع يده علىٰ رأسي وأجلسني في حجره ومسح علىٰ وجهي ودعا لي بالبركة[٥].

٢٩ ـ ومنهم عبدالله بن هشام القرشي التيمي، ولد سنة أربع وذهبت به أمّه زينب بنت حميد إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، بايعه، فقال: هو صغير فمسح رأسه ودعا له[٦].

٣٠ ـ ومنهم عبدالرحمن بن أبي قراد ـ بضمّ القاف وتخفيف الرّاء ـ الأنصاري... قال: إنّ رسول الله ﷺ توضّأ يوماً فجعل النّاس يتمسحون

(١) الاستيعاب، هامش الإصابة ٢: ٥١ وأسد الغابة ٢: ٢٧١.

(٢) الإصابة ٢: ٢٦٢، وأسد الغابة ٣: ٩٧.

(٣) الاستيعاب، هامش الإصابة ٢: ٣١٧، والسيرة الحلبية ١: ٣١٤، ومسند أحمد ١: ٣٧٩.

(٤) السيرة الحلبية ١: ٣١٤، والإصابة ٢: ٣٣٩، وأسد الغابة ٣: ٢٠١، والاستيعاب ٢: ٣٣٧.

(٥) الاستيعاب ٢، هامش الإصابة: ٣٦٦ـ٣٦٧، وأسد الغابة ٣: ٢٠٣.

(٦) أسد الغابة ٣: ٢٧١، والإصابة ٢: ٣٧٧ و٤: ٣١٥، والاستيعاب ٢، هامش الإصابة: ٣٩٠، والبخاري ٣: ١٧٤، و٩: ٩٨، ومسند أحمد ٤: ٢٣٣.

بعرقوبه[١]، فقال: ما يحملكم علىٰ ذلك؟ قالوا: حبّ الله ورسوله، فقال: من سرّه أن يحبه الله ورسوله فليصدق حديثه. الحديث[٢].

٣١ ـ ومنهم عبدالرحمن بن أبي مالك الهمداني ـ اسم أبي مالك هاني ـ قدم علىٰ رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم ومسح علىٰ رأسه ودعا له بالبركة[٣].

٣٢ ـ ومنهم عتبان ـ بكسر العين ـ ابن عبيد العبدي من عبدالقيس، أتىٰ إلى النبي ﷺ وعنده يهودي يخاطبه قال: فدرت خلف ظهره فنظرت إلى الخاتم، فوضع يده فوق جبهتي ومسح رأسي[٤].

٣٣ ـ ومنهم أبوبكر بن أبي قحافة: مسح رسول الله ﷺ صدره[٥].

٣٤ ـ ومنهم عمرو بن حريث القرشي المخزومي رأىٰ رسول الله ﷺ وسمع منه ومسح رأسه ودعا له بالبركة[٦].

٣٥ ـ ومنهم عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصاري، غزا مع رسول الله ﷺ ثلاث عشرة غزوة، ومسح رأسه وقال: اللّهمّ جمّله[٧].

وزاد في المسند ٥: ٧٧ ـ ٣٤١ قال: فلقد بلغ بضعاً ومئة سنة، وما في رأسه ولحيته بياض إلّا نبذ يسير، ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتّىٰ مات.

٣٦ ـ ومنهم عمرو بن ثعلبة الجهني: أنّه حين أسلم مسح رسول الله وجهه

---

(١) العرقوب بالضمّ، العصب الغليظ الموتر فوق العقب من الإنسان.

(٢) الإصابة ٢: ٤١٩، وأسد الغابة ٣: ٣٢٠.

(٣) الإصابة ٢: ٤٢١.

(٤) الإصابة ٢: ٤٥٢.

(٥) الإصابة ٢: ٤٦١، وأسد الغابة ٣: ٣٧٤.

(٦) الاستيعاب، هامش الإصابة ٢: ٥١٥، وأسد الغابة ٤: ٩٧، و٥: ٦٠٦ والترمذي ٥: ٥٩٤، وكنز العمال ١٦: ١١٢.

(٧) الاستيعاب ٢، هامش الإصابة: ٥٢٤، والإصابة ٢: ٥٢٢، و٤: ٧٨، والترمذي ٥: ٥٩٤، ومسند أحمد ٥: ٧٧، أخرجه بسندين و٣٤٠ ـ ٣٤١، بأسانيد متعددة وألفاظ مختلفة.

ودعا له بالبركة[١].

٣٧ ـ ومنهم رافع بن عمرو المزني كان يفتخر بمسه أخمص رسول الله ﷺ حيث قال : إنّي لفي حجّة الوداع خماسي أو سداسي ، فأخذ بيدي أبي حتّى انتهينا إلى النبيّ ﷺ بمنىٰ يوم النحر ، فرأيته يخطب علىٰ بغلة شهباء فقلت لأبي : من هذا؟ قال : هذا رسول الله ﷺ فدنوت منه حتّىٰ أخذت بساقه ثمّ مسحتها حتّىٰ أدخلت كفّي بين أخمص قدمه والنعل[٢].

٣٨ ـ ومنهم عياذ ـ بفتح أوّله وتشديد ثانيه وآخره معجمة ـ ابن عمرو الأزدي أو السلمي كان يخدم النبيّ ﷺ ... فجلس بين يديه فوضع رسول الله ﷺ يده علىٰ رأسه فأمرّها علىٰ وجهه وصدره ـ وفي رواية ـ فوضع يده علىٰ جبهتي ومسح بيده حتّىٰ بلغ حجزة الأزار[٣].

٣٩ ـ ومنهم عبدالرحمن بن عبد و عبدالله بن عبد ، أتيا إلى النبيّ ﷺ فبرّك عليهما ومسح رؤوسهما ، فكانا إذا حلقا رؤوسهما نبت موضع يد رسول الله ﷺ قبل الباقي[٤].

٤٠ ـ ومنهم عطاء بن يعقوب مولى ابن سباع : كان النبيّ ﷺ مسح رأسه[٥].

٤١ ـ ومنهم فرقد العجلي ، ويقال التميمي العنبري : ذهبت به أمّه إلى النبيّ ﷺ قال : فمسح يده عليّ وبارك عليّ[٦].

٤٢ ـ ومنهم قتادة بن ملحان القيسي : مسح النبيّ ﷺ وجهه ثمّ كبر فبليَ منه كلّ

(١) الاستيعاب ٢ : ٥٣٣ ، وسيرة دحلان ٢ : ٢٦٦ ، وأسد الغابة ٤ : ٩١ ، والإصابة ٢ : ٥٢٧ .

(٢) الاصابة ٣ : ٨ ، وأسد الغابة ٢ : ١٥٥ .

(٣) الإصابة ٣ : ٤٦ .

(٤) الإصابة ٣ : ٦٢ ـ ٧١ .

(٥) الإصابة ٣ : ٧٩ ، وأسد الغابة ٣ : ٤١١ .

(٦) الإصابة ٣ : ٢٠٣ ، وأسد الغابة ٤ : ١١٧ ، والاستيعاب ٣ ، هامش الإصابة : ٢٠٤ .

شيء غير وجهه[١].

٤٣ ـ ومنهم قيس بن زيد بن جبار الجذامي، قال: أجلسني النبيﷺ بين يديه ومسح علىٰ رأسي ودعا لي وقال: بارك الله فيك يا قيس[٢].

٤٤ ـ ومنهم قيس بن عاصم النميري: وفد على النبيّﷺ ومسح وجهه[٣].

٤٥ ـ قرط ـ قريط ـ بن أبي رمثة، قال: وفد أبو رمثة (بكسر أوّله وسكون الميم ثمّ مثلثة) حيان ومعه ابنه قرط ـ قريط ـ فلمّا دخلوا على النبيﷺ، قال: لأبي رمثة ابنك هذا؟... ودعا بقرط فأجلسه في حجره ودعا له بالبركة ومسح علىٰ رأسه وعممه بعمامة سوداء[٤].

٤٦ ـ ومنهم محمّد بن حاطب نقل عن أمّه أم جميل، قالت: خرجت بك من أرض الحبشة، حتّىٰ إذا كنت من المدينة علىٰ ليلة أو ليلتين طبخت لك طعاماً فتناولت القدر فانكفأت علىٰ ذراعك، فقدمت المدينة وأتيت بك النبيّﷺ، فقلت: يا رسول اللهﷺ هذا محمّد بن حاطب وهو أوّل من سمّي بك، فمسح علىٰ رأسك ودعا بالبركة ثمّ تفل في فيك وجعل يتفل علىٰ يديك ويقول: «أذهب البأس ربّ الناس». فما قمت بك من عنده حتّىٰ برئت يدك[٥].

٤٧ ـ ومنهم مالك بن عمير السلمي، قال: قلت: يا رسول الله، فامسح عنّي الخطيئة، قال: فمسح يده علىٰ رأسي، ثمّ أمرّها علىٰ كبدي، ثم علىٰ بطني، حتّىٰ إنّي

---

(١) الإصابة ٣: ٢٢٥، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٦، ومسند أحمد ٥: ٢٨ ـ ٨١، وأسد الغابة ٤: ١٩٥.

(٢) الإصابة ٣: ٢٤٧، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٦.

(٣) الإصابة ٣: ٢٥٢، وأسد الغابة ٤: ٢١٩.

(٤) الإصابة ٣: ٢٦٦ و٤: ٧٠.

(٥) الاستيعاب، هامش الاصابة ٣: ٣٣٩ ـ ٣٤٠، وتاريخ البخاري ١، ق١: ١٧، بسندين ومسند أحمد٣: ٤١٨، بسندين و٤: ٢٥٩، بسندين، والإصابة ٣: ٣٧٢ ـ ٤٣٨، وأسد الغابة ٤: ٣١٤، وأشار إليه ٥: ٥٧٠، ومنحة المعبود ٢: ٣٤٦، وكنز العمال ١٠: ٥٨ ـ ٥٩، بسندين وبلفظين و١٦: ٢١١.

لأحتشم من مبلغ يد رسول الله ﷺ، قال: فلقد كبر مالك حتىٰ شاب رأسه ولحيته، ثم لم يشبّ موضع يد رسول الله ﷺ(١).

٤٨ ـ ومنهم أبوسفيان مدلوك الفزاري مولاهم، قال: ذهب بي مولاي (مولاتي ذر) إلى النبيّ ﷺ فأسلمت، فدعا لي بالبركة ومسح رأسي بيده، فكان مقدّم رأس أبي سفيان أسود ما مسّه النبيّ ﷺ وسائره أبيض(٢).

٤٩ ـ ومنهم مرداس بن مالك الغنوي: قدم وافداً علىٰ رسول الله ﷺ فمسح رسول الله ﷺ علىٰ وجهه ودعا له بخير(٣).

٥٠ ـ ومنهم نعيم بن قعنب، وفد إلىٰ رسول الله ﷺ بصدقته وصدقة أهل بيته، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ ومسح وجهه(٤).

٥١ ـ ومنهم هاني بن مالك الهمداني: وفد على النبيّ ﷺ من اليمن فدعاه إلى الإسلام فأسلم، فمسح رأسه ودعا له بالبركة(٥).

٥٢ ـ ومنهم هلب بن يزيد بن عدي بن قناقة (كما في الاستيعاب أو قتادة كما في الإصابة أو قنافة كما في أسد الغابة) يقال: إنّ اسمه يزيد، وفد على النبيّ ﷺ وهو أقرع فمسح علىٰ رأسه فنبت شعره(٦).

٥٣ ـ ومنهم مسرع بن ياسر، قال: إنّ أباه ياسراً حدّثه أنّ رسول الله ﷺ بعثه

---

(١) الاصابة ٣: ٣٥١.

(٢) الإصابة ٣: ٣٩٥، والاستيعاب ٤: ٨٩، والطبقات الكبرىٰ ٧: ١٤٩، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٦، وأسد الغابة ٤: ٣٤٢، وكنز العمال ١٦: ٢٠٧ بسندين.

(٣) الإصابة ٣: ٤٠٠، وأسد الغابة ٤: ٢٤٧.

(٤) الإصابة ٣: ٥٦٨، وأسد الغابة ٥: ٣٣.

(٥) الإصابة ٣: ٥٦٩، والطبقات ٧: ١٥٥، وأسد الغابة ٥: ٥١، عنونه «هاني أبومالك الكندي» وكنز العمال ١٦: ٢١٦.

(٦) الاستيعاب هامش الإصابة ٣: ٦١٥، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٧، ولكن فيها «المهلب» بزيادة الميم، وأسد الغابة ٥: ٦٩، والطبقات الكبرىٰ ٦: ٢٠، نقله لهلب بن يزيد.

في سرية ، فجاءت به أمّه إلىٰ رسول الله ﷺ فأمرّ يده عليه وقال : اللّهمّ أكثر رجالهم[١] الحديث .

٥٤ ـ ومنهم يزيد بن عباية الباهلي ، قال : أتيت رسول الله ﷺ بصدقتي فصدقني ومسح رأسي[٢] .

٥٥ ـ ومنهم يسار بن أزيهر الجهني ، نقل عن بنته عمرة عن أبيها قال : مسح رسول الله ﷺ علىٰ رأسي وكساني بردين وأعطاني سيفاً . قالت : فما شاب رأس أبي حتّىٰ لقي الله عزّوجلّ[٣] .

٥٦ ـ ومنهم واثلة بن الأسقع ، حيث يتبرّك يزيد بن الأسود بيده لموضع كفّه من يد رسول الله ﷺ ، قال حبان بن النضر ، قال لي واثلة بن الأسقع : قدمني إلىٰ يزيد بن الأسود ، فدخل عليه وهو مقبل فنادوه أن هذا واثلة أخوك فمدّ يده فجعل يمسّ بها فجعلت كفّه في كفّي ، فجعل يمرّها علىٰ صدره مرّة وعلىٰ وجهه لموضع كفّ واثلة من يد رسول الله ﷺ[٤] .

٥٧ ـ ومنهم أبو أسماء الشامي ، قال : وفدت علىٰ رسول الله ﷺ فبايعته وصافحني ، فآليت علىٰ نفسي أن لا أصافح أحداً بعده فكان لا يصافح أحداً[٥] .

٥٨ ـ ومنهم أبو بهيسة ـ بالتصغير ـ الفزاري ، استأذن النبيّ ﷺ فأدخل يده في قميصه فمسّ الخاتم[٦] .

---

(١) الإصابة ٣ : ٦٤٨ ، وأسد الغابة ٤ : ٣٥٤ ولفظه أصرح .

(٢) الاستيعاب ٣ : ٦٥٧ ، والإصابة ٣ : ٦٦٠ ، وأسد الغابة ٥ : ١١٦ .

(٣) الإصابة ٣ : ٦٦٥ ، وأسد الغابة ٥ : ١٢٣ .

(٤) الإصابة ٣ : ٦٧٣ .

(٥) الإصابة ٤ : ٧ ، وأسد الغابة ٥ : ١٣٦ .

(٦) الإصابة ٤ : ٢٣ ، وأسد الغابة ٥ : ١٥١ .

٥٩ ـ ومنهم أبو زيد بن أخطب الأنصاري الخزرجي: قال: مسح النبيّ ﷺ يده علىٰ وجهي ودعا لي (وفي رواية) قال لي النبيّ ﷺ: أدن منّي امسح ظهري، فمسحت ظهره فوضعت أصابعي على الخاتم(١).

٦٠ ـ ومنهم أبو سنان العبدي: كان في الوفد فمسح رسول الله ﷺ وجهه بيده فعمّر حتّىٰ بلغ تسعين سنة وهو مؤذّن مسجد بني صباح، وكان وجهه يتلألأ لمسح رسول الله ﷺ، وكان شريفاً وجيهاً(٢).

٦١ ـ ومنهم أبو غزوان. قال عبدالله بن عمرو بن العاص: إنّه أخذ رسول الله ﷺ رجلاً فقال: ما اسمك؟ قال: أبو غزوان، فقال له النبيّ ﷺ: هل لك أن تسلم؟ قال: نعم، فأسلم فمسح النبيّ ﷺ صدره(٣).

٦٢ ـ ومنهم أبو هاني، مسح رسول الله ﷺ رأس أبي هاني ودعا له بالبركة(٤).

٦٣ ـ ومنهم جمرة بنت عبدالله التميمية اليربوعية: قالت: ذهب بي أبي إلى النبيّ ﷺ فقال: اُدع الله لبنتي هذه بالبركة، قالت: فأجلسني في حجره، ثمّ وضع يده علىٰ رأسي، فدعا لي بالبركة(٥).

٦٤ ـ ومنهم عميرة بنت سهل بن رافع الأنصارية، قالت: خرج بها أبوها إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنّ لي إليك حاجة، فقال: وما هي؟ قال: ابنتي هذه تدعو الله لي ولها وتمسح رأسها فإنّه ليس لي ولد غيرها، قالت عميرة: فوضع

(١) الإصابة ٤: ٧٨، والترمذي ٥: ٥٩٤، ومسند أحمد ٥: ٧٧، أخرجه بسندين مرّ سابقاً المرقّم ٣٥ بعنوان «عمرو بن أخطب».

(٢) الإصابة ٤: ٩٦.

(٣) الإصابة ٤: ١٥٢.

(٤) الإصابة ٤: ٢٠١، والاستيعاب هامش الإصابة ٤: ٢١٤، وأسد الغابة ٤: ٣١٥.

(٥) الإصابة ٤: ٢٦٠، وأسد الغابة ٥: ٤١٦، والاستيعاب ٤: ٢٦٥، هامش الإصابة.

رسول الله ﷺ كفّه عليّ، قالت: فأقسم بالله لكان برد كفّ رسول الله ﷺ علىٰ كبدي بعد[(١)].

٦٥ ـ ومنهم أم أزهر العائشية: حدّثت أنّ أباها ذهب بها إلى النبيّ ﷺ فمسح يده عليها وبرك عليها فكانت امرأة صالحة[(٢)].

٦٦ ـ ومنهم قيس بن مالك بن سعد الأرحبي، وفد إلى النبيّ ﷺ فقال النبيّ ﷺ: نعم وافد القوم قيس، وقال: وفيت وفى الله بك ومسح بناصيته[(٣)].

٦٧ ـ ومنهم وائل بن حجر الحضرمي، وفد على النبيّ ﷺ فمسح وجهه ودعا له ورفّله علىٰ قومه[(٤)].

٦٨ ـ ومنهم قرّة بن أياس بن هلال المزني (وهو جدّ إياس بن معاوية بن قرة ابن إياس بن هلال قاضي البصرة) نقل عن معاوية بن قرة قال: جاء أبي إلىٰ رسول الله ﷺ وهو غلام صغير فمسح علىٰ رأسه.

وفي نقل آخر عن معاوية عن قرة، قال: أتيت رسول الله ﷺ في رهط من مزينة فبايعته، وإن قميصه لمطلق، ثمّ أدخلت يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم[(٥)].

ونقله ابن الأثير بلفظ آخر فراجع.

٦٩ ـ ومنهم يوسف بن عبدالله بن سلام: أدرك النبيّ ﷺ وهو صغير أجلسه النبيّ ﷺ في حجره ومسح علىٰ رأسه وسمّاه يوسف[(٦)].

---

(١) الاستيعاب ٤: ٣٦٣، والإصابة ٤: ٣٦٩، وأسد الغابة ٥: ٥١٢.

(٢) الإصابة ٤: ٤٣٠، وأسد الغابة ٥: ٥٦٥.

(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١، ق٢: ٧٣.

(٤) الطبقات ١، ق٢: ٨٠، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٧.

(٥) الطبقات ١، ق٢: ١٣٢ ـ ١٥٤، ومسند أحمد ٣: ٤٣٤، و٤: ١٩، و٥: ٣٥، وأسد الغابة ٤: ٢٠٢، في ترجمة قرة، وكذا في الإصابة ٣: ٢٣٢.

(٦) الاستيعاب هامش الإصابة ٣: ٦٨٠ ـ ٦٨١، ومسند أحمد ٤: ٣٥، بأسانيد متعدّدة وكذا ٦: ٦، وأسد الغابة ٥: ١٣٢، والإصابة ٣: ٦٧١.

٧٠ ـ ومنهم أبو محذورة: قال ابن محيريز: رأيت أبا محذورة صاحب رسول الله ﷺ وله شعر، فقلت: يا عمّ ألا تأخذ من شعرك؟ قال: ما كنت لآخذ شعراً مسح رسول الله ﷺ عليه ودعا فيه بالبركة.

وفي لفظ أحمد: كان أبو محذورة لا يجزّ ناصيته ولا يفرّقها؛ لأنّ رسول الله ﷺ مسح عليها[١].

وفي لفظ: «ثمّ دعاني حين قضيت التأذين، فأعطاني صرّة فيها شيء من فضّة ثمّ وضع يده علىٰ ناصية أبي محذورة، ثمّ أمرّها علىٰ وجهه وثدييه، ثمّ علىٰ كبده.

٧١ ـ ومنهم حنظلة بن حذيم الحنفي ـ حذيم بالحاء المهملة ثمّ الذال المعجمة علىٰ وزن درهم ـ أو التميمي أو الأسدي، وضع رسول الله ﷺ يده علىٰ رأس حنظلة ودعا له بالبركة.

فكان يؤتىٰ بالرجل قد ورم وجهه، والشاة قد ورم ضرعها، فيضع محلّ الورم من الوجه والضرع على الموضع الذي مسّه كفّ النبيّ ﷺ فيذهب الورم الذي كان أصابه. وفي الكنز «فيتفل في كفّه ثمّ يضعها علىٰ صلعته ثم يقول: بسم الله علىٰ أثر يد رسول الله ﷺ ثمّ يمسح الورم فيذهب».

وفي رواية: قال حنظلة: فدنا بي ـ يعني أباه دنىٰ به ـ إلى النبيّ ﷺ فقال: إنّ لي بنين ذوي لحىٰ ودون ذلك وإنّ ذا أصغرهم، فادع الله له. فمسح رأسه وقال: بارك الله فيك[٢].

٧٢ ـ ومسح النبيّ ﷺ عرق وجه علي عليه السلام فمسح به وجهه[٣]. أوردنا هذا

(١) الاستيعاب، بهامش الإصابة ١: ٨١، والشفا للقاضي عياض ٢: ٥٤، وسنن ابن ماجة ١: ٢٣٤، في رواية طويلة، ومسند أحمد ٣: ٤٠٨ ـ ٤٠٩، وكنز العمال ٨: ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) سيرة دحلان ٢٦ ٢٢٦، ومسند أحمد ٥: ٦٨، والإصابة ١: ٣٥٩، وأسد الغابة ١: ٥٧ ـ ٥٨، وكنز العمال ١٥: ٣٢٧.

(٣) المناقب للخوارزمي: ٤٢، وراجع البحار ٣٨: ١٢٨ ـ ١٣٤.

الحديث هنا استطراداً، حيث إنّه كان خارجاً عن مورد البحث، ومفاده تبرّك الرسول العظيمﷺ بعرق وجه وصيّه والولي بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ولابدع في أن يتبرك رسول اللهﷺ بأمر الله تعالىٰ بوليّ من أولياء الله تعالىٰ، وهو الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلّا وحي يوحىٰ، كما يأتي أنّهﷺ قبّل يد سعد بن معاذ، وقبّل وجه عثمان بن مظعون بعد موته، ولعلّ هذا العمل منهﷺ كان تعليماً للناس ليتبرّكوا بأمير المؤمنينعليه السلام، كما حثّهم علىٰ ذلك في خطابه المشهور «لولا أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارىٰ في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بأحدٍ من المسلمين إلّا أخذوا التراب من أثر قدميك يطلبون به البركة»[1]، كما كان يتبرّك عمر بن الخطاب بالعبّاس عمّ النبيّﷺ، ويتبرّك العبّاس بعلي والحسن والحسينعليهم السلام، وسيأتي تتمّة للبحث فانتظر.

٧٣ ـ ومنهم عمير بن سعد: قال في الشفا: إنّهﷺ مسح علىٰ رأس عمير بن سعد ـ وضبطه بعض عمر بن سعد ـ ودعا له بالبركة في عمره وصحبته فمات وهو ابن ثمانين سنة، فما شاب (أي) ببركة مسّ يده الشريفة لم يشبّ رأسه وشعره ولم يهرم[2].

٧٤ ـ ومنهم طلحة بن أمّ سليم: مسح رسول اللهﷺ ناصية طلحة بن أمّ سليم فكانت له غرّة، ومازال علىٰ وجهه نور من آثار أنواره[3].

٧٥ ـ ومنهم عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب: مسح رسول اللهﷺ علىٰ رأسه وهو صغير وكان دميماً أي حقيراً، ودعا له بالبركة في خلقته وسائر أموره ففرع

(١) ستأتيك مصادره.

(٢) سيرة دحلان ٢: ٢٢٦.

(٣) سيرة دحلان ٢: ٢٢٦.

الناس طولاً وتماماً، أي زاد عليهم في الطول وتمام سائر الأعضاء[١].

٧٦ ـ ومنهم أمير المؤمنينعليه السلام، روي عن عليعليه السلام أنّه قال: ما رمدت ولا صرعت منذ مسح رسول الله صلى الله عليه وآله وجهي وتفل في عيني يوم خيبر[٢].

٧٧ ـ ومنهم النبيّ صلى الله عليه وآله، يتبرّك بنفسه الشريفة. روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان ينفث علىٰ نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلمّا ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها[٣].

وعن عائشة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه وقرأ بالمعوذات ومسح بهما جسده[٤].

٧٨ ـ ومنهم النعمان الأنصاري، قال عبدالرحمن بن النعمان: حدّثني أبي عن جدّي: قد أتىٰ به النبيّ صلى الله عليه وآله فمسح علىٰ رأسه[٥].

٧٩ ـ ومنهم سعد بن أبي وقاص، قال: اشتكيت شكوىٰ لي بمكة، فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله يعودني، قال: فوضع يده علىٰ جبهته فمسح وجهي وصدري وبطني وقال: اللّهمّ اشف سعداً وأتم له هجرته. فما زلت يخيّل إليّ بأنّي أجد برد يده علىٰ كبدي حتّى الساعة[٦].

٨٠ ـ ومنهم امرأة تبركت بمسحه صلى الله عليه وآله صدر ولدها. قال ابن عبّاس: إنّ امرأة

(١) سيرة دحلان ٢: ٢٢٧، وأسد الغابة ٣: ٢٩٥، وقد تقدّم في تحنيك الأطفال فراجع.

(٢) ينابيع المودّة: ٢٨٦، ومسند أحمد ١: ٧٨ ـ ٩٩ ـ ١٨٥، و٤: ٥٨، وفضائل الإمام أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ١: ١٥٥٦، وما بعدها، وكنز العمال ١٥: ١٠٨ ـ ١٤٤، و١٤: ٦٧، والبحار ٣٩: ٧ وما بعدها.

(٣) البخاري ٦: ١٣ ـ ٢٣٣، و٧: ١٧٠، وفتح الباري ١٠: ١٦٨، وصحيح مسلم ٤: ١٧٣٣، بسندين وسنن أبي داود ٤: ١٥، وسنن ابن ماجة ٢: ١١٦٦، ومسند أحمد ٦: ٤٥ ـ ١٠٤ ـ ١٢٠ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٣١ ـ ٢٥٦ ـ ٢٦٣، وكنز العمال ٧: ١٩١، و١٠: ٦١، و٢٠: ٦٥.

(٤) البخاري ٨: ٧٨، ومسلم ٤: ١٧٣٣ بسندين.

(٥) سنن الدارمي ٢: ١٥.

(٦) مسند أحمد ١: ١٧١.

جاءت بولدها إلىٰ رسول اللهﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنّ به لمما وإنّه يأخذ عند طعامنا فيفسد طعامنا. قال: فمسح رسول اللهﷺ صدره ودعا له فتع تعة فخرج من فيه مثل الجرو الأسود فشفي(١).

٨١ ـ ومنهم أبو أبي أياس، نقل أبو أياس عن أبيه: أنّه أتى النبيّﷺ فدعا له ومسح رأسه(٢).

والظاهر أنّه قرة بن أياس المتقدّم ذكره تحت رقم ٦٨ فإنّ أحمد قد نقل في المسند ٤: ١٩، عن معاوية أبي إياس عن أبيه ذلك فأبوأياس هو معاوية وأبوه قرّة فراجع وتدبّر.

٨٢ ـ ومنهم عامر المزني، روى هلال بن عامر المزني عن أبيه قال: رأيت رسول اللهﷺ يخطب الناس بمنىٰ علىٰ بغلة وعليه برد أحمر، قال: ورجل من أهل بدر بين يديه يعبر عنه قال: فجئت حتّىٰ أدخل يدي بين قدمه وشراكه(٣).

٨٣ ـ ومنهم البراء بن عازب وغيره، قال: كان رسول اللهﷺ يأتينا فيمسح عواتقنا وصدورنا ويقول: لا تختلف صفوفكم(٤)

٨٤ ـ ومنهم كردم بن سفيان الثقفي، قالت ميمونة بنت كردم: رأيت رسول اللهﷺ بمكّة وهو علىٰ ناقته وأنا مع أبي وبيد رسول اللهﷺ درة كدرة الكتاب... فدنا منه أبي فأخذ بقدمه فأقرّ له رسول اللهﷺ(٥).

٨٥ ـ ومنهم التلب بن زيد التميمي قال: قلت: يا رسول الله استغفر لي، فقال

(١) مسند أحمد ١: ٢٣٩ ـ ٢٥٤ ـ ٢٦٨، والسيرة الحلبيّة ٣: ٣٣٢، وسيرة دحلان، هامش الحلبيّة ٣: ١٨٤.

(٢) مسند أحمد ٣: ٤٣٥، و ٤: ١٩.

(٣) مسند أحمد ٣: ٤٧٧.

(٤) مسند أحمد ٤: ٢٩٧، ومنحة المعبود ١: ١٣٦.

(٥) مسند أحمد ٦: ٣٦٦، والإصابة ٤: ٤١٥، وأشار إليه أسد الغابة ٥: ٥٥٣، و ٤: ٣٣٤.

لي: إذا آذن لك أو حتّىٰ يؤذن لك فغبر ما قضىٰ له، ثمّ دعاه فمسح بيده علىٰ وجهه ثمّ قال: اللّهمّ اغفر لتلب(١).

٨٦ ـ عن غضيف بن الحارث قال: كنت صبيّاً أرعىٰ نخل الأنصار، فأتوا بي النبيّ ﷺ فمسح برأسي وقال: كُلْ ما يسقط ولا ترم نخلهم(٢).

٨٧ ـ عن علي عليه السلام قال: اشتكيت ـ إلىٰ أن قال ـ فمسحني ـ يعني رسول الله ﷺ ـ ثمّ قال: اللّهم اشفه أو قال: عافه، فما اشتكيت ذلك الوجع بعد(٣).

٨٨ ـ وكان إذا لقاه الرجل من أصحابه مسحه ودعا له(٤).

٨٩ ـ وكان يزور الأنصار ويسلم علىٰ صبيانهم ويمسح علىٰ رؤوسهم(٥).

٩٠ ـ ومنهم أبوهريرة الدوسي، قال: خرج النبيّ ﷺ يوماً إلى المسجد، فقال: أين الفتى الدوسي؟ فقيل: هو ذاك يا رسول الله، يوعك في آخر المسجد. فأتاني النبيّ ﷺ، فمسح علىٰ رأسي. الحديث(٦).

٩١ ـ عن ابن الطفيل: دخلت يوماً علىٰ رسول الله ﷺ وعندهم قدر تفور لحماً فأعجبني شحمه، فأخذتها فازدرتها فاشتكيت عليها سنة، ثمّ إنّي ذكرتها لرسول الله ﷺ فقال: إنّه كان فيها نفس سبعة أناس فمسح بطني فألقيتها خضراء فوالذي بعثه بالحقّ ما اشتكيت بطني حتّى الساعة(٧).

٩٢ ـ كان بوجهه ـ يعني أبيض بن حمال ـ حرارة يعني قوباً قد التقمت أنفه،

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٧، ق١: ٢٨، وكنز العمال ١٥: ٢٨٠، ولكنّه عنونه «تلب بن ثعلبة».
(٢) كنز العمال ٩: ١٦٨، عن (كر).
(٣) كنز العمال ٩: ١٢٤.
(٤) كنز العمال ٧: ٩٤.
(٥) كنز العمال ٧: ٩٤.
(٦) كنز العمال ٨: ٩٢.
(٧) كنز العمال ١٠: ٦٠.

فدعاه رسول الله ﷺ، فمسح وجهه فلم يمس (يحر) ذلك اليوم وفي وجهه أثر[١].

٩٣ ـ نقل عن ابن عباس (في قصّة طويلة) فأمر رسول الله ﷺ رجلاً يصرخ أن أسيد بن أبي إياس قد آمن، وقد أمّنه رسول الله ﷺ ومسح رسول الله ﷺ وجهه وألقىٰ يده علىٰ صدره، فيقال: إنّ أسيداً كان يدخل البيت المظلم فيضيء[٢].

٩٤ ـ عن أنس، قال: كانت لي ذؤابة فقالت لي أمّي: لا أجزها كان رسول الله ﷺ يمدّها ويأخذها[٣].

٩٥ ـ عن جحدم بن فضالة: أنّه أتى النبيّ ﷺ فمسح رأسه وقال: بارك الله في جحدم...[٤].

٩٦ ـ عن جرير بن عبدالله قال: كنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فضرب يده علىٰ صدري حتّىٰ رأيت أثر يده في صدري، فقال: اللّهمّ ثبّته واجعله هادياً مهدياً، فما سقطتُ عن فرسي بعد[٥].

٩٧ ـ عن حصين بن أوس النهشلي قال: قدمت المدينة بابل... ثمّ دعاه النبيّ ﷺ فمسح يده علىٰ وجهه ودعا له[٦].

٩٨ ـ عن عطا مولى السائب بن يزيد قال: كان وسط رأس السائب أسود وبقيّة رأسه ولحيته أبيض، فقلت له، قال: إنّي كنت مع الصبيان ألعب، فمرّ بي النبي ﷺ، فعرضت له، فسلّمت عليه، فقال: وعليك من أنت؟ قلت: أنا السائب ابن يزيد، ابن اخت النمر بن قاسط، فمسح رسول الله ﷺ رأسي وقال: بارك الله فيك

---

(١) كنز العمال ١٥: ٢٣٩.

(٢) كنز العمال ١٥: ٢٥٣.

(٣) كنز العمال ١٥: ٢٥٨.

(٤) كنز العمال ١٥: ٢٨١.

(٥) كنز العمال ١٥: ٢٩٩.

(٦) كنز العمال ١٥: ٣٢٣.

فهو لا يشيب أبداً[١].

٩٩ ـ عن عبدالله بن بسر أنّ النبيّ ﷺ وضع يده على رأسه وفي لفظ: قال: هاجر أبي وأمّي إلى النبيّ ﷺ وأنّ النبيّ ﷺ مسح بيده رأسي، وقال: ليعيش هذا الغلام قرناً...[٢].

١٠٠ ـ عن محمّد بن فضالة، قال: جاءت بي أمّي إلى رسول الله ﷺ فسألته أن يبرّك عليّ. ففعل، ووضع يده في قفاي ـ قال يونس ابنه ـ فشابت كلّ شعرة من جسده ورأسه إلّا ما مرّت عليه يد رسول الله ﷺ[٣].

١٠١ ـ عن أبي أسماء قال: ولدت على عهد رسول الله ﷺ، فبايعته وصافحني، فآليت على نفسي أن لا أصافح أحداً بعد رسول الله ﷺ[٤].

لعلّه هو أبو أسماء الشامي المتقدّم.

١٠٢ ـ عن خلف بن تميم قال: دخلنا على أبي هرمز نعوده، فقال: دخلنا على أنس بن مالك نعوده، فقال: صافحت بكفّي هذه كفّ رسول الله ﷺ، فما مسست خزّاً ولا حريراً ألين من كفّه ﷺ أنس قال أبو هرمز: قلنا لأنس بن مالك: صافِحنا بالكفّ التي صافحت بها رسول الله ﷺ، فصافَحنا. الحديث[٥].

ينبغي مراجعة الحديث وفيه تبرّك المحدثين كذلك.

نظرة في الأحاديث

لا يخفى على المتدبّر المنصف دلالة هذه الأحاديث على تبرّكهم به ﷺ، يتبركون

---

(١) كنز العمال ١٦: ٥٢ وقد مرّ بنحو آخر.

(٢) كنز العمال ١٦: ١٠٥ بسندين.

(٣) كنز العمال ١٦: ٢٠٥ ـ ٢٠٦، ويحتمل اتّحاده مع ما مرّ في الفصل السابق.

(٤) كنز العمال ١٦: ٢٣٢.

(٥) البحار ٧٦: ٢٢، عن كتاب المسلسلات.

بمسّه ومسحه ﷺ وقد صرّحوا بذلك في بعض الأحاديث كما في خبر معاوية بن ثور، حيث قال: «أتبرّك بمسّك» وفي رواية زياد بن عبدالله، قال بنو هلال: «نتعرّف البركة في وجه زياد» حتّىٰ قال شاعرهم في ذلك ما قال، وقد يستفاد ذلك من نقلهم ذلك مباهين ومفتخرين به ثمّ نقل العلماء الحفّاظ ذلك عنهم حفظاً لفضائلهم ومناقبهم ومفاخرهم، إذ لو كان ذلك عملاً طبيعياً لم يكن وجه لنقله وضبطه ولا المباهاة به، بل لو كان عملاً طبيعياً لم يكن وجه لصدوره عن رسول الله ﷺ بهذه الكثرة والخصوصيّة، ولا لأمره بذلك، كما في بعض الأحاديث.

ويعلم أيضاً من نقل الصحابة والرواة والعلماء ذلك مشفوعاً ببيان آثار مسّ يده الشريفة المباركة أنّهم كانوا متبركين بذلك، إذ ذكروا أنّ عبدالرحمن كان دميماً فطال وتمّ خلقه، وعَيْنُ أميرالمؤمنين عليه السلام صحّت وعوفيت، ولم يتبيّن الشيب في رأس عمير بن سعد، ويسار، ومالك بن عمير، ومدلوك، وعمرو بن أخطب، وزاد سرعة نبات شعر رأس عبدالرحمن وعبدالله ابني عبد وهلب بن يزيد وعياذ، وظهرت غرّة في وجه طلحة، وكذا بالنسبة لأبي سنان، وزياد بن عبدالله وخزيمة، وذهاب وجع السائب بن يزيد و. . . .

ويعلم ذلك أيضاً من طلب الناس مسّ خاتم النبوّة، أو أمر النبيّ ﷺ بذلك، كما في حديث عتبان، وأبي بهيسة، وأبي زيد، وقرّة بن إياس.

وعلىٰ كلّ حال، لا إشكال في دلالة الأحاديث علىٰ تبرّكهم رضي الله عنهم بآثار الرسول ﷺ.

ويستفاد أيضاً أنّهم قد كانوا يجتمعون على التبرّك بالمسح، كما في حديث يعلي ابن مرة، وجابر بن سمرة، وأبي جحيفة السوائي، بل قد يبلغ الأمر إلى النزاع في التبرّك كما في رواية نزاع سلمة مع عيينية.

ونجد أيضاً أنّه قد يدعوهم النبي ﷺ، ويمسح وجوههم، أو يأمرهم بمسح

الخاتم بل في روايتين أن مسحهم كان دأبه ﷺ في كلّ من لاقاه من الرجال والصبيان.

وقد يصرحون كما في خبر عبدالرحمن بن أبي قراد بنيتهم، قال: «فجعل النّاس يتمسحون بعرقوبه، فقال: ما يحملكم علىٰ ذلك؟ قالوا: حبّ الله ورسوله...».

ويستفاد من هذه الأحاديث أيضاً جواز التوسّل والاستشفاء كما في حديث امرأة تبرّكت بمسحه ﷺ في شفاء ولدها، وحديث سعد بن أبي وقّاص، وحديث حنظلة بن حذيم، واستشفاء النّاس بموضع كفّ رسول الله ﷺ، وحديث محمّد بن حاطب بل التبرّك توسّل واستشفاع واستشفاء في الحقيقة، لوضوح أنّ المتبرّك يطلب البركة والرحمة والشفاء بمسّه أو مسحه ﷺ، ولكنّه توسّل بشكل خاصّ لطيف.

ومن النكات البديعة أنّ المسلمين قد يطلبون منه الدعاء، ويصرّحون بذلك وهو ﷺ يمسح ويمسّ أو ينفث ويتفل مشفوعاً بالدعاء أو بدونه، لتنبيههم إلى التبرّك والتوسّل والاستشفاء، وأنّه هو الوسيلة إلى الله تعالىٰ بأيّ نحو يريد ولا تختصّ فيوضاته وبركات وجوده الشريف بالدعاء فقط، ولا تنحصر كما قد يزعمه الزاعمون الجاهلون بمقام النبوّة، وشرافة العبوديّة الحقيقيّة.

التبرّك بشرب دمه ﷺ[1]:

شرب جمع من الصحابة دمه ﷺ تبرّكاً، فعلم النبيّ ﷺ بذلك ولم ينكر عليهم، بل ظاهر الأحاديث أنّه أقرّهم على التبرّك، وحثّهم عليه، وإن أنكر عليهم شرب

---

(١) قال دحلان في السيرة (٢: ٢٥٦ ـ ٢٥٧): «وكان الصحابة يتبرّكون بدمه ﷺ».

الدم من حيث حرمته وممنوعيّته، فعليك بالتدبّر فيما سنورده من النصوص، تدبّر منصف متحر للحقائق، وإليك هذه النصوص:

١ ـ شرب مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي والد أبي سعيد الخدري دمهﷺ يوم أحد حين «مسح الدم عن وجهه ثمّ ازدرده، فقال رسول اللهﷺ: من أحبّ أن ينظر إلىٰ من خالط دمي دمه، فلينظر إلىٰ مالك بن سنان»[(١)].

٢ ـ شرب أبو طيبة ـ بالمهملة ـ مولىٰ بني حارثة من الأنصار دمهﷺ وتفصيل القصّة:

أنّ أبا طيبة الحجام ـ اسمه دينار أو نافع أو ميسرة ـ مولىٰ بني حارثة من الأنصار ثم مولىٰ محيّصة بن مسعود، قال: حجمت رسول اللهﷺ وأعطاني ديناراً وشربت دمه، فقال رسول اللهﷺ: أشربت؟ قلت: نعم، قال: وما حملك علىٰ ذلك؟ قلت: أتبرّك به، فقال: أخذت أماناً من الأوجاع والأسقام والفقر والفاقة، والله ما تمسك النار أبداً[(٢)].

٣ ـ عن عبدالله بن الزبير، قال: أتيت النبيَّﷺ وهو يحتجم، فلمّا فرغ قال: يا عبدالله اِذهب بهذا الدم فأهريقه حتّىٰ لا يراك أحد، قال: فشربته، فلمّا رجعت قال: يا عبدالله... لعلّك شربته، قلت: نعم: قال: ويلٌ للناس منك، وويلٌ لك من النّاس[(٣)].

---

(١) أسد الغابة ٤: ٢٨١، وعمدة الأخبار: ١٥٩، والسيرة الحلبيّة ٢: ٢٤٧، والإصابة ٣: ٣٤٦، وسيرة دحلان ٢: ٢٥٧، والمغازي للواقدي ١: ٢٤٧، والرصف: ٨٧ عن مسلم.

(٢) البحار ١٧: ٣٣، والسيرة الحلبية ٢: ٢٤٨.

(٣) السيرة الحلبية ٢: ٢٤٨، والإصابة في ترجمة عبدالله والسنن الكبرىٰ للبيهقي ٧: ٦٧، وسيرة دحلان ٢: ٢٥٦، ذكر أنّ غلاماً لبعض قريش شرب دمه. والفتح المبين هامش دحلان ٢: ٣١١، والرصف: ٧٧، عن الشفا للقاضي عياض عن الدارقطني وأبي نعيم في الحلية، وكنز العمال ١٩: ١٩٩، و١٦: ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨، والبحار ١٧: ٣٣.

٤ ـ نقل الحلبي في السيرة أنّ عليّاً عليه السلام شرب دم النبيّ صلى الله عليه وآله[١].

٥ ـ سالم ـ أو سالم بن أبي سالم وقال ابن حجر: سالم الحجام ـ شرب دمه صلى الله عليه وآله، فقال: أما علمت أنّ الدم حرام كلّه؟ ـ أو ـ ويحك يا سالم، أما علمتَ أنّ الدم كلّه حرام؟ لا تعد[٢].

نظرات في الأحاديث:

١ ـ ترىٰ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينكر علىٰ أيّ منهم فعله في تبرّكه، بل قرّرهم عليه ورغّبهم فيه، فقال لمالك: «من أحبّ أن ينظر إلىٰ من خالط دمه دمي، فلينظر إلىٰ مالك بن سنان» فأثنىٰ عليه لتبرّكه، وكذا قال لأبي طيبة: «أخذت أماناً من الأوجاع والأسقام والفقر والفاقة والله ما تمسّك النار»، فبشره بعافية الدنيا والآخرة بتبركه.

٢ ـ شرب الدم حرام، والظاهر أنّهم شربوه جهلاً بالحكم، وقد نقل في كنز العمال وكتاب تبرك الصحابة ص ١٥: أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال لسالم الحجّام: «أما علمت أنّ الدم كله حرام»، وعلىٰ أيّ حال لم يكن شربهم إلّا ناشئاً عن إيمانهم بالله ورسوله وتعظيمهم لمقام النبوّة وتبركهم به صلى الله عليه وآله، والأعمال بالنيات ولا يضرّ جهلهم بنيّتهم الخالصة، ومن هنا يتّضح أنّ ما نقله الحلبي من شرب عليّ عليه السلام لدمه صلى الله عليه وآله لا يصحّ لعدم إمكان صدور ذلك منه بعد علمه بحرمته، وهو باب علم النبي ووارثه حيث لا يحتمل في حقّه الجهل بالحكم مع أنّ الحلبي تفرّد بهذا النقل ولم يوافقه أحد في ذلك.

(١) السيرة الحلبيّة ٢: ٢٤٨.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٢٤٨، وتبرك الصحابة: ١٥، والإصابة ٢: ٦، والاستيعاب، هامش الإصابة ٢: ٧٢، وأسد الغابة ٢: ٣٤٧، والرصف: ١٤١، وكنز العمال ١٩: ١٩٩، و٢٠: ١٠، كلّها بألفاظ متقاربة.

٣ـ الذي يحصل للمتدبّر هو وجود التبرّك بآثار النبيﷺ عند الصحابة، وكونه مركوزاً في أذهانهم، ولم يكن يعد ذلك وقتئذ شركاً وكفراً، ولم يردعهم النبيﷺ ولم ينبّهم إلّا إلىٰ أنّ شرب الدم حرام، بقولهﷺ: «أما علمت أنّ الدم كله حرام؟» بل صدّق فعلهم في تبرّكهم ورغّبهم وحثّهم عليه، بل هؤلاء الناقلون للأحاديث من العلماء الكبار أيضاً لم يروه كفراً، ولم يتعرضوا للتنبيه علىٰ وجود أيّ إشكال فيه، بل رأوه مثالاً لعقيدة الصحابة بالنبيّﷺ، وإكرامهم وإكبارهم وإعظامهم لهﷺ.

بحث إجمالي

التبرك بفضل وضوئه وغسله ﷺ.

نظرة في الأحاديث.

تبرّك الصحابة بسؤره في شرابه وطعامه أو ماء مجَّ فيه وتفل.

نظرة في الأحاديث.

تبرّك الصحابة بماء أدخل فيه يده المباركة أو برّكه بشيء.

تذنيب وتتميم في نقل كلام السمهودي في الآبار المباركات.

تبرك الصحابة بفضل وضوئه وسؤره وبماء تفل أو مج فيه...

بحث إجمالي

يوجد في كتب التاريخ والحديث والسيرة قسم آخر من الأحاديث يمثّل لنا تبرّك الصحابة رضي الله عنهم بفضل ماء وضوئه، وكانوا يمسحون به، بل كادوا يقتتلون عليه، ويتنافسون فيه، بحيث عجب من فعلهم أبوسفيان بن حرب صباح فتح مكة، وعروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية، فقفل قائلاً لأهل مكّة: «وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه» وفي فتح مكة أيضاً انتزع العبّاس دلواً من ماء زمزم فشرب منه، وتوضّأ، فابتدر المسلمون يصبّون على وجوههم منه، ولا تسقط قطرة إلّا بيد إنسان إن كانت قدر ما يشرب شربها وإلّا مسح بها جلده.

كان هذا التبرّك من المسلمين بمرأى من المشركين الذين أسلموا، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، حتّى تنازع فيه سلمة بن عرادة مع عيينية بن حصن، فلو كان فيه شائبة الشرك أو كان يشبه الشرك لنهاهم رسول الله ﷺ؛ حفظاً للتوحيد ونهياً عن الشرك.

كما أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتبرّكون من البئار التي بصق فيها النبي ﷺ



أو مجَّ أو تفل فيها أو شرب منها كبئر زمزم والبئار العديدة التي في المدينة الطيبة المنوّرة.

كما أنّهم كانوا يتبرّكون من سؤره، وقد شربت أمّ هاني بنت أبي طالب رحمها الله تعالى وهي صائمة، فأفطرت[1] لكي تشرب من سؤره ﷺ، ونجد آخر يتأسف من تركه سؤره ﷺ للصوم، ولا يؤثر ابن عبّاس بسؤره أحداً، ولا ترضى المرأة البذيّة إلّا بلقمة من فِيه ﷺ، فلمّا أكلته ذهبت بذاءتها، والمقداد لا يبالي بمن أخطأه إذا أصاب فضل غذائه ﷺ.

كما أنّهم كانوا يتبرّكون بماء غمس فيه يده ﷺ، وكان خدم أهل المدينة يأتون إليه ﷺ بآنيتهم إذا صلّى صلاة الغداة فيدخل يده فيها في الغداة الباردة، كما أنّهم يستشفون بماءٍ مجَّ فيه رسول الله ﷺ.

بل هو ﷺ يبرّك على عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام بإفراغ ماء وضوئه عليهما أو إفراغ ماءٍ مجَّ فيه عليهما ويتمضمض ثمّ يمجّ في الدلو، ثمّ يأمر بصبّه في البئر في الحديبية، ويبصق في عجين امرأة جابر بن عبدالله الأنصاري في غزوة الخندق، ويأمر هو ﷺ امرأة طلبت منه شفاء ابنها أن تأتي بماء ثمّ يمجّ فيه ثمّ يقول: اسقيه واستشف الله، ويعطي إداوة من فضل طهوره ﷺ لبني حنيفة قائلاً: «اكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء» وأعطى لبني سحيم إداوة من ماء قد تفل أو مجّ فيه، وأمرهم بأن ينضحوا به مسجدهم، وأعطى للسدوسي إداوة فيها ماء قائلاً: «إذا أتيت بلادك رشّ به تلك البقعة واتخذها مسجداً» ويمضغ هو ﷺ قديدة ويناولها لبنات مسعود الأنصاريات. ويشرب من سويق لتحصل البركة ويعطيه لحنش بن عقيل. وينضح من ماء غسله على وجه زينب بنت أمّ سلمة. ويمجّ في ماء ويأمر بأن تصبّ

(١) الظاهر: أنّ صومها كان ندباً.

في عين فيغتسل منها رجل ذو أدرة.

وبالجملة، الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يتبرّكون بفضل وضوئهﷺ وبماء مجّ فيه أو تفل فيه وبسؤر شربه وبماء مسّ جلده الشريف وهوﷺ كان يقرّرهم ويحثّهم عليه، بل يأمرهم بذلك، وكفى بذلك دليلاً وبرهاناً وحجّةً بالغةً لمن تعقل وأنصف، بل أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام يشرب الماء المجتمع في جفونه من ماء غسله حين وفاته ويقول: إنّه علّة كثرة حفظه وفهمه، وهو وليّ الله ووصي رسوله وباب علمه ومقتدى أمّته وأحد الثقلين. وهل يبقى بعد ذلك ريب ومجال للشكّ في جواز التبرّك؟

ولاسيما إذا أضيف إليه ما ثبت في كتب السيرة والتاريخ والحديث، أن قسماً كبيراً من معجزاته وآيات نبوّتهﷺ كان من بركات سؤره وبصاقه ومسّ يده.

ألا ترى أنه نفث على ساق سلمة بن الأكوع، وعلى رأس زيد بن معاذ، ورجل آخر حين أصابهما السيف في قتل كعب بن الأشرف لعنه الله تعالى، ونفث على ساق علي بن الحكم في الخندق، وعلى يد معوذ بن عفراء يوم بدر، وتفل في فم محمد بن حاطب ويده ومسح على ذراعه حين انكفأت القدر على ذراعه، ونفث على عاتق خبيب يوم بدر، وعلى عين رجل ابيضت فأبصر، ونفث على يده الشريفة فدلك بها جسد عتبة بن فرقد ظهراً وبطناً، ونفث في أثر سهم في وجه أبي قتادة في غزوة ذي قرد، وبصق في عيني أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وهو أرمد في خيبر، وبصق في نحر كلثوم بن الحصين وقد رمي بسهم في يوم أحد، وتفل في شجة عبدالله بن أنيس، ومسح مكان الضرع من عناق في الدار فحلبها، وتفل في بئر قوم فانقلب ماؤهم المالح عذباً، ومسح على رأس صبي أقرع فاستوى شعره وذهب داؤه، ومسح على برص معاوية بن عفراء فأذهبه الله، وتفل في حثوة

من الأرض ثمّ أعطاها رسول ابن ملاعب الأسنة فأخـذها وأتـاه بهـا فـشربها فشفاه الله من الاستسقاء، ومسح على رجل عبدالله بن عـتيك وقـد انكـسرت، ومضمض في ماء وغسل يديه ثمّ أعطاه قوماً فسقوا بها صـبياً لا يـتكلّم فـبرئ وعقل، ومسح كف بعض الصحابة نبتت فيها سلعة فذهبت، ووضع يده على خدّ بعض الصحابة فذهب وجعه(١).

كم من ماء نبع من بين أصابعه! وكم من طعام كثر بمسّ يده المـباركة وسـبَّح الحصى في يده الكريمة(٢)!

وأضف إلى ذلك كلّه أنّه ﷺ نخس بعير جابر حين أعيا فقام وأسرع، ونخس فرس جعيل بن زياد الأشجعي فصار يمشي في أوّل النـاس، ومسـح ضرع شـاة

(١) كلّ ذلك يوجد في السيرة الحلبية ٣: ٣١٦ وما بعدها، وسيرة دحلان ٢: ١٨٦ وما بعدها، وفي نسخة في هامش الحلبية ٣: ١٣٦ وما بعدها، والبحار ١٧: ٢٢٥ وما بعدها و١٨: ٤ وما بعدها، وسنن أبي داود ٤: ١٢، وسنن الدارمي ١: ١٢ـ ١٥، وابن ماجة ١: ٤٣، ومسند أحمد ١: ٧٨ـ ٩٩ـ ١٨٥ و٣: ٢١٨ـ ٣٥٨ـ ٣٦٢ و٤: ص٥٢ ـ ٨٨ ـ ٣٥١ و٥: ٣٣٣، والإصابة ٢: ٥٠٨، والبخاري ٤: ٢٣٢ وما بـعدها، و٥: ٢٢ ـ ١٧٠ ـ ١٧١، وفتح الباري ٦: ٤٢٥ وما بعدها، وفضائل علي بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر ١: ١٥٦ وما بعدها، مع هوامش المحقّق المحمودي، وكنز العمّال ١٠: ٥٢ و١٦: ١٦٨ ـ ١٧٤ ـ ٢٣٠ و١٤: ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٣٠ ـ ٥١ ـ ٦٧ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ و١٠: ٢٥٤ ـ ٢٧٠ و٢: ١٨٤، والبحار ٣٩: ٧ وما بعدها، ومجمع الزوائد ٩: ١٢٢.

(٢) راجع السيرة الحلبية وسيرة دحلان في المواضع المتقدّمة فقد نقل ذلك بطرق كثيرة، والبحار ١٧: ٢٢٥ وما بعدها و١٨: ٤ وما بعدها، والبخاري ١: ٥٤ ـ ٦١ ـ ٩٤ و٧: ١٤٧ ـ ٨٩ و٤: ٢٣٢ ـ ٢٣٣ بأسانيد متعدّدة وص٢٣٤ ـ ٢٣٥ و٥: ١٥٧، وصحيح مسلم ٤: ١٧٨٣ بأسانيد متعدّدة وص٢٣٠٨ و٣: ١٣٥٤، وسنن الدارمي ١: ١٣، والنسائي ١: ٦٠ ـ ٦١، والترمذي ٥: ٥٩٦، ومسند أحمد ١: ٣٢٤ و٣: ١٣٢ ـ ١٣٩ ـ ١٤٧ ـ ١٦٥ ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧٥ ـ ٢١٥ ـ ٢١٦ ـ ٢٤٨ ـ ٢٨٩ ـ ٢٩٢ ـ ٣٢٩ ـ ٣٥٨ ـ ٣٦٥ و٤: ١٦٩ و٥: ٣٠٢ ـ ٢٩٨ وفتح الباري ١: ٤٢٥، ومنحة المعبود ٢: ١٢٣ ـ ١٢٤، وكنز العمال ١٦: ١٤ و١٤: ٧٩ و١٠: ٣٠٣ ـ ٣٦٤ وهذه المعجزات كثيرة جداً لا تخفى على من له أدنى إلمام بالكتب الإسلامية من الحديث والتاريخ والسيرة والمعاجم، وإنّما غرضنا الإيعاز إلى بعض المصادر وبعض المعجزات، فمن أراد المزيد فليراجع الكتب المعدّة لذلك.

أمّمعبد فدرّت فحلب ما يكفيه ورفاقه وصاحب البيت، ومسح ضرع شاة عبدالله ابن مسعود وهو يرعى غنم عقبة بن أبي معيط فحلبها، ومسح الدم عن وجه عائذ ابن عمرو يوم حنين، ومسح على رأس المهلب بن يزيد وهو أقرع فنبت شعره[1] إلى غير ذلك ممّا لا يحصى كثرة.

الأمر الذي كان يزيد في إيمان ويقين الصحابة الكرام بأنّه ﷺ مبارك أينما كان، وحيثما حلّ، ومبارك كلّ أثر منه، ومبارك ما مسّه ولمسه أو تفل أو مجّ فيه أو بصق أو نفث فيه، وكلّ ما برَّك عليه بأي نحو كان، فإنّه يكون مباركاً كثيراً خيره بعيداً شرّه وضرّه.

فإذا علم الصحابة رضي الله عنهم ذلك بعين اليقين، فكيف لا يتبرّك بما هو مبارك كلّه وجعله الله سبحانه مباركاً ورحمةً للعالمين؟! فالتبرّك إذن من علائم الايمان ومحض اليقين وخالص التوحيد، إذ يرى المتبرّك أنّه رسول الله ﷺ وهو الذي شرّفه وجعله مباركاً وفضّله وجعله منبع الخيرات، وكلّ ما يصدر منه أو يشاهد فيه فهو منه تعالى وهو عبده ورسوله، ففي الحقيقة التبرّك به تبرّك بالله سبحانه، وتوسل إليه واستمداد منه.

هذا إجمال وسيوافيك التفصيل في النصوص التالية ومصادرها.

تبرك الصحابة بفضل وضوئه وغسله ﷺ

١ ـ عن أبي جحيفة قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبّة حمراء من أدم، ورأيت بلالاً أخذ وضوء النبي ﷺ والناس يتبادرون الوضوء؛ فمن أصاب شيئاً تمسّح به ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه.

---

(١) سيرة دحلان ٢: ٢٢٤، والبحار ١٧: ٢٢٥ وما بعدها، و١٨: ٤ وما بعدها، والبخاري ٣: ١٥٧ و٤: ٧٣ ـ ٢٣١، ومسند أحمد ٣: ٢٩٣ ـ ٣١٤ ـ ٣٧٣ ـ ٣٧٦، وراجع المصادر المتقدّمة.

وفي لفظ «خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضّأ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه ويتمسّحون به»(١).

٢ ـ عن ابن شهاب قال: أخبرني محمود بن الربيع قال: وهو الذي مجَّ رسول الله ﷺ في وجهه، وهو غلام من بئرهم وقال عروة عن المسوّر وغيره يصدّق كلّ واحد منهما صاحبه: «وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه»(٢).

٣ ـ رأى أبوسفيان بن حرب ـ في فتح مكة ـ المسلمين يتلقون وضوء رسول الله ﷺ(٣).

٤ ـ في صلح الحديبية ـ عند مجيء عروة بن مسعود الثقفي لمّا رجع إلى قريش قال: لا يتوضّأ وضوءاً إلّا ابتدروه، ولا يبصق بصاقاً إلّا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه ـ وفي رواية ـ فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلّا وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه(٤).

---

(١) البخاري ١: ٥٩ ـ ١٠٥ و٧: ١٩٩، وفتح الباري ١: ٢٥٦ ـ ٤٠٨ و١٠: ٢٦٤، ومسند أحمد ٤: ٣٠٧ ـ ٣٠٨، والشفا للقاضي عياض ٢: ٢٧ وشرحه للقاري: ٦٧، والسنن الكبرى للبيهقي ٣: ١٥٧، وتبرّك الصحابة: ٧، ودلائل النبوّة للبيهقي ١: ١٨٣، وصحيح مسلم ١: ٣٦٠ ـ ٣٦١، والنسائي ١: ٨٧، وصفة الصفوة ١: ١٨٩، كلّهم نقلوها بمعنى واحد وإن كانت الألفاظ مختلفة، ومسند أحمد ٥: ٤٢٧ ـ ٤٢٩.

(٢) البخاري ١: ٥٩ والأسماء والصفات للبيهقي، وفتح الباري ١: ١٥٧ ـ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ قال: «وفعله النبي ﷺ مع محمود إمّا مداعبة أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة» ومسند أحمد ٥: ٤٢٧ ـ ٤٢٩ وابن ماجة ١: ٢١٦ ـ ٢٤٩.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٩١ ـ ٩٣ وتبرّك الصحابة: ٧، ودلائل النبوّة للبيهقي: ١٨٣، والبحار ٢٠: ١٢٩، والمغازي للواقدي ٢: ٨١٦.

(٤) مسند أحمد ٤: ٣٢٤ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣٠، والمصنف لعبد الرزاق ٥: ٣٣٦، والسنن الكبرى للبيهقي ٩: ٢١٩ والبحار ١٧: ٣٢ ـ ٣٣ و٢٠: ٣٣٢، والسيرة الحلبية ٣: ١٨، وسيرة ابن هشام ٣: ٣٢٨ وتبرّك الصحابة: ٦، وفضائل الخمسة ١: ٢٠، والمغازي للواقدي ٢: ٥٩٨، والبخاري ٣: ٢٥٤ ـ ٢٥٥، وتاريخ الخميس ٢: ١٩، وكنز العمال ١٠: ٣١١ ـ ٣١٥.

٥ ـ وفي فتح مكة انتزع له العبّاس ﷺ دلواً من زمزم فشرب منه وتوضّأ، فابتدر المسلمون يصبّون على وجوههم ـ وفي لفظ ـ لا تسقط قطرة إلّا في يد إنسان إن كانت قدر ما يشربها شربها وإلّا مسح بها جلده(١).

٦ ـ حنين (مصغراً) مولى لعبّاس بن عبد المطلب، كان غلاماً للنبي ﷺ فوهبه للعبّاس عمّه فأعتقه، وكان يخدم النبيّ ﷺ وكان إذا توضّأ خرج بوضوئه إلى أصحابه، فحبسه حنين، فشكوه إلى النبي ﷺ فقال: حبسته لأشربه، الحديث.

وزاد ابن الأثير في أسد الغابة بعد قوله: «أخرج وضوءه إلى أصحابه» فكانوا إمّا تمسّحوا به وإمّا شربوه قال: فحبس حنين الوضوء، فشكوه إلى النبي ﷺ فسأله فقال: حبسته عندي فجعلته في جرّة، فإذا عطشت شربت، فقال رسول الله ﷺ: هل رأيتم غلاماً أحصى ما أحصى هذا؟ ثمّ وهبه للعبّاس فأعتقه(٢).

٧ ـ وفد سالم بن حرملة إلى النبيّ ﷺ فيمن وفد إليه، وهو حدث، وله ذؤابة، وقد كاد أن يبلغ، فتطهّر من فضل وضوء رسول الله ﷺ فشمّت عليه ودعا له(٣).

٨ ـ نازع سلمة بن عرادة بن مالك الضبّي عيينية بن حصن فضل وضوء رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: دع الغلام يتوضّأ، فتوضّأ، ثمّ شرب البقية، فمسح رسول الله ﷺ رأسه ووجهه بيده(٤).

٩ ـ أفرغ النبي ﷺ ماء وضوئه على عليّ عليه السلام حين أولَم بمناسبة زواجه بفاطمة عليها السلام.

وفي رواية: مجّ في ماء فنضح على عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام ثمّ قال: اللهمّ بارك فيهما

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ١٠١، ومنحة المعبود ٢: ٢٠٣.

(٢) راجع الإصابة ١: ٣٦٢، وأسد الغابة ١: ٦٢.

(٣) الإصابة ٢: ٤، وأسد الغابة ٢: ٢٤ وعنونه: ٢٤٨ «سالم العدوي» ثمّ قال: هو سالم بن حرملة، وكذا الاستيعاب ٢: ٧٢.

(٤) الإصابة ٢: ٦٢، وأسد الغابة ٢: ٣٣٩.

وبارك عليها[١].

١٠ ـ وعن سعد قال: سمعت عدّة من أصحاب النبي ﷺ فيهم أبو أسيد وأبو حميد وأبو سهل بن سعد يقولون: أتى رسول الله ﷺ بئر بضاعة، فتوضّأ في الدلو وردّه في البئر، ومجّ في الدلو مرّة أخرى وبصق فيها وشرب من مائها، وكان إذا مرض المريض في عهده يقول: اغسلوه من ماء بضاعة فيغسل فكأنّما حلّ من عقال[٢].

١١ ـ نضح رسول الله ﷺ وجه زينب بنت أمّ سلمة رضي الله عنهما نضحة من ماء، فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال ما كان بها.

وفي لفظ: دخلت زينب رضي الله عنها على رسول الله ﷺ، وهو يغتسل فنضح في وجهها ماءً؛ فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتّى كبرت[٣].

١٢ ـ عتبة بن سالم بن حرملة وفد على رسول الله ﷺ فتطهّر من فضل وضوئه فشمّت عليه ودعا له[٤].

١٣ ـ أعطى النبي ﷺ لوفد بني حنيفة إداوة من ماء فيها فضل طهوره، فقال: إذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء، واتخذوا مكانها

---

(١) ذخائر العقبى: ٣٣ عن النسائي والدولابي والطبقات ٨: ١٣، وأسد الغابة ٥: ٥٢١، وينابيع المودّة: ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧، والسيرة الحلبية ٢: ٢١٩، والإصابة ٤: ٣٧٨، وتاريخ ابن عساكر (فضائل الإمام أمير المؤمنين ﷺ) ١: ٢٢٦ وما بعدها مع تحقيقات المحمودي في الهامش، وكنز العمّال ١٦: ٢٨٥، والبحار ٤٣: ٩٦ ـ ١١٦ ـ ١٢٢ ـ ١٣٧ ـ ١٤٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١: ق٢، ١٨٤ ـ ١٨٦، والأسماء والصفات للبيهقي: ١٠٠، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٥، والرصف: ١٧١.

(٣) سيرة دحلان ٢: ٢٢٧، والاستيعاب هامش الإصابة ٤: ٢٢٠، والإصابة ٤: ٣١٧، وأسد الغابة ٥: ٤٦٧، والسيرة الحلبية ٣: ٣٤٢.

(٤) الإصابة ٢: ٤٥٣ ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ولم يذكر هذه القصّة، والذي أظنّه هو أنّ القصّة لأبيه سالم كما تقدّم تحت رقم (٧) فقد صحّف باسم الابن.

مسجداً، الحديث[١].

١٤ ـ قدم وفد بني عامر بن صعصعة على النبيﷺ قال أبو جحيفة السوائي: فوجدناه بالأبطح في قبّة حمراء فسلّمنا عليه فقال: مَنْ أنتم؟ قلنا: بنو عامر بن صعصعة، قال: مرحباً بكم أنتم منّي وأنا منكم، وحضرت الصلاة، فقام بلال، فأذّن وجعل يستدير في أذانه، ثمّ أتى رسول اللهﷺ بإناء فيه ماء فتوضّأ، وفضلت فضلة من وضوئه، فجعلنا لا نألوا أن نتوضّأ ممّا بقي من وضوئه، الحديث[٢].

١٥ ـ عن طلق بن علي بن طلق السحيمي، قال: قدمنا على رسول اللهﷺ فبايعناه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة وقال لنا: إذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعتكم وابنوها مسجداً. فقدمنا بلادنا وكسرنا بيعتنا واتخذناها مسجداً ونضحناها بماء فضل طهور رسول اللهﷺ كان عندنا في إداوة تمضمض منها رسول اللهﷺ، ومجّ فيها، وأمرنا أن ننضح بها المسجد إذا بنيناها في البيعة ففعلنا ذلك.

وفي الطبقات بعد قوله «وأخبرناه أن بأرضنا بيعة»: واستوهبناه من فضل طهوره، فدعا بماء فتوضّأ وتمضمض، ثمّ صبّه لنا في إداوة، ثمّ قال: اذهبوا به فإذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها من هذا الماء واتخذوها مسجداً قال: فقلنا: يا رسول الله إنّ الحرّ شديد والبلد بعيد والماء ينشف، قال: فامدّوه من الماء فإنّه لا يزيده إلّا طيباً، الحديث[٣].

١٦ ـ عن أنس بن مالك أنّهﷺ سكب من فضل وضوئه في بئر قبا، فما

(١) الطبقات الكبرى ١: ق٢، ٥٦.

(٢) الطبقات الكبرى ١: ق٢، ٥٢ وقد مرّ عن أبي جحيفة تحت رقم (١) والظاهر اتحادهما، وإن كان اللفظ مختلفاً، وهذا الحديث طويل أحببنا إيراده هنا، لاحتمال عدم الاتحاد.

(٣) الاستيعاب هامش الإصابة ٢: ٢٤٠، والفتوحات الإسلامية لدحلان ٢: ٢٦٣، والطبقات ٥: ٤٠٢، وكنز العمّال ٤: ٢٣٥ و١: ٢٨٥، وأسد الغابة ٣: ٦٤، والنسائي ٢: ٣٨ ـ ٣٩، ومسند أحمد ٤: ٢٣.

نزفت بعد[١].

١٧ ـ قالوا في باب غسل النبي ﷺ: «كان الماء يستنقع في جفون النبي ﷺ فكان عليّ يحسوه».

وفي لفظ «كان الماء يجتمع في جفون النبي ﷺ وكان عليّ يشربه» وفي شواهد النبوّة «سُئل عليّ ﷺ عن سبب زيادة فهمه وحفظه قال: «لما غسلت النبي ﷺ اجتمع ماء في جفونه فرفعته بلساني وازدردته وأرى قوّة حفظي منه»[٢].

١٨ ـ عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما يقول: جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل، فتوضّأ وصبّ عليّ من وضوئه فعقلت[٣].

١٩ ـ عن عائذ بن عمرو قال: كان في الماء قلّة فتوضّأ رسول الله ﷺ في قدح أو جفنة فنضحنا به، والسعيد في أنفسنا من أصابه، ولا نراه إلّا وقد أصاب القوم كلّهم[٤].

٢٠ ـ عن عبد الجبّار بن وائل قال: حدّثني أهلي عن أبي قال: أتى النبي ﷺ بدلو من ماء فشرب من الدلو، ثمّ مجّ في الدلو، ثمّ صُبَّ في البئر أو قال: شرب من الدلو ثمّ مجّ في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك. الحديث[٥].

٢١ ـ جاء أنّ ابن عبدالله بن أُبي قال: يا رسول الله ذرني أسقي والدي من

---

(١) سيرة دحلان ٢: ٢٢٥.

(٢) تاريخ الخميس ٢: ١٧١، والسيرة الحلبية ٣: ٣٩٣.

(٣) البخاري ١: ٦٠ و٧: ١٥٠ ـ ١٥٧ و٨: ١٨٥ ـ ١٩٠ و٩: ١٢٤ و٦: ٥٤، وفتح الباري ٢: ٢٦١ عن أبي داود، والمصنف في الاعتصام ومسلم في الصحيح ٣: ١٢٣٥ بسندين، وسنن أبي داود ٣: ١١٩، والنسائي ١: ٨٧، ومنحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي ٢: ١٧.

(٤) مسند أحمد ٥: ٦٤.

(٥) دلائل النبوّة للبيهقي ١: ١٩٠، وسنن ابن ماجة ١: ٢١٦، والبداية والنهاية ٦: ٢٤، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٧، وفتح الباري ٦: ٤١٧، ومسند أحمد ٤: ٣١٥ ـ ٣١٦ ـ ٣١٨ بألفاظ قريبة المعنى.

وضوئك لعلّ قلبه أن يلين، فتوضّأﷺ وأعطاه، فذهب به إلى أبيه إلى آخر ما يأتي[١].

٢٢ ـ روي أنّ قوماً شكوا إليه ملوحة مائهم، فأشرف على بئرهم وتفل فيها، وكانت مع ملوحتها غائرة فانفجرت بالماء العذب، فهاهي يتوارثها أهلها ويعدّونها أعظم مكارمهم، وهذه البئر بظاهر مكّة تسمى الزاهر واسمها العسيلة[٢].

٢٣ ـ أتي النبيﷺ بدلو؛ فتوضّأ منه فمضمض، ثمّ مجّ في الدلو مسكاً، أو أطيب منه، واستنثر خارجاً منه[٣].

٢٤ ـ عن حذيفة بن اليمان (في حديث) فقام (يعني رسول اللهﷺ) يغتسل وسترته ففضلت منه فضلة في الإناء، فقال: إن شئت فارعه وإن شئت فصبّ عليه قلت: يا رسول الله هذه الفضلة أحبّ إليّ ممّا أصبّ عليه. الحديث[٤].

٢٥ ـ عن أمّ حكيم عن أمّ إسحاق قالت: هاجرت مع أخي إلى رسول اللهﷺ بالمدينة... فقدمت ودخلت على رسول اللهﷺ وهو يتوضّأ قلت: يا رسول اللهﷺ قتل إسحاق وأنا أبكي وهو ينظر إليّ، فإذا نظرت إليه نكس في الوضوء، فأخذ كفّاً من ماء فنضحه في وجهي.

قالت أمّ حكيم: ولقد كانت تصيبها العظيمة فترى الدموع في عينيها ولا تسيل على خدّها[٥].

٢٦ ـ عن جابر بن عبدالله، أنّ النبيّﷺ توضّأ في طست فأخذته فصببته في

---

(١) تأتي مصادره فانتظر.

(٢) البحار ١٨: ٢٨.

(٣) كنز العمّال ٩: ٢٦٨.

(٤) كنز العمّال ١٥: ٣١٤.

(٥) كنز العمّال ١٦: ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

بئر لنا[١].

٢٧ ـ عن رفاعة بن رافع قال: خرجت أنا وأخي خلاد إلى بدر على بعير لنا أعجف، حتى إذا كنّا بموضع البريد الذي خلف الروحاء برك بعيرنا.. إذ مـرّ بـنا رسول الله ﷺ قال: ما لكما؟ فأخبرناه أنّه برك علينا، فنزل رسول الله ﷺ فتوضّأ ثم بزق في وضوئه، ثمّ أمرنا ففتحنا له فم البعير فصبّ في جوف البكر من وضوئه، ثمّ صبّ على رأس البكر، ثمّ على عنقه ثمّ على حاركه ثمّ على سنامه ثمّ على عجزه ثمّ على ذنبه، ثمّ قال: اللهمّ احمل رافعاً وخلاداً، فمضى رسول الله ﷺ فـقمنا نـرتحل. الحديث[٢].

٢٨ ـ قال عمرو بن العاص وأبو الأعور السلمي لمعاوية: إنّ الحسن بن عليّ رجل عيّ، فقال معاوية: لا تقولا ذلك، فإنّ رسول الله ﷺ قد تفل في فيه، ومن تفل رسول الله ﷺ في فيه فليس بعيّ[٣].

نظرة في الأحاديث

لا مجـال للريب في هذه الأحاديث؛ بعد نقل الحـفّاظ الأعـلام لهـا في كـتبهم وإخراجها في أسفارهم، سيما الصحاح كالبخاري ومسلم والنسائي وأبي داود وابن ماجة وغيرهم، مع تظافرها أو تواترها لفظاً أو معنى.

كما أنّه لا مجال للشكّ في دلالتها؛ لوضوح كون أعمال الصحابة رضي الله عنهم التبركية، وتقرير النبي ﷺ لعملهم بل أمره لهم بذلك كما في حديث طلق بـن عـليّ وحديث وفد بني حنيفة وترغيبه ﷺ إيّاهم فيه كما في حـديث حـنين، أو جـري

(١) كنز العمّال ١٤: ٦٩.

(٢) كنز العمّال ١٠: ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٣) كنز العمّال ١٦: ٢٥٨.

عمله ﷺ على ذلك كما في حديث إفراغ ماء الوضوء على عليّ وفاطمة عليهما السلام كما أن شرب أمير المؤمنين عليه السلام ماء غسل النبي ﷺ من جفونه كعمل النبي ﷺ، وهو كلّ ذلك دليل قاطع على الجواز.

ويستفاد منها أيضاً جواز التوسل والاستشفاء، كما في حديث جابر، وحديث شرب عليّ عليه السلام ما اجتمع في جفونه ﷺ، وحديث سعد عن جمع من الصحابة، بل كلّ تبرّك توسل في الحقيقة، إذ المتبرّك يريد الوصول إلى البركة والرحمة والخير، بسبب المبارك الذي تبرّك به. هذا معنى لطيف في هذه الروايات المتظافرة بل المتواترة، فعليك بالتدقيق والتنقيب في هذا المعنى حتى تستفيد من الأحاديث الآتية أيضاً.

وأوجّه أنظار القرّاء الكرام إلى ما أشرنا إليه سابقاً، من أنّ المسلم كان يأتي ويطلب منه الدعاء، وهو ﷺ يلبّي حاجته بالمسح، والمسّ، وإعطاء سؤره، وفضل وضوئه، أو تفله، وبصاقه، أو بما مجّ فيه، أو تمضمض وتفل فيه مشفوعاً بالدعاء أو بدونه، وهذا من ألطف التنبيهات على عدم انحصار بركات وجوده الشريف بالدعاء فقط، بل هو رحمة كلّه ومنبع كلّ فيض ومنشأ كلّ خير.

التبرّك بسؤره في شرابه وطعامه أو ماء مجَّ أو تفل فيه

١ ـ قال سعيد بن المعلّى: كنت أطلب البئار التي كان رسول الله ﷺ يستعذب منها، والتي برّك فيها وبصق فيها، فكان يشرب من بئر بضاعة وبصق فيها وبرّك[١].

وكان يشرب من بئر مالك بن النضر بن ضمضم، وهي التي يقال لها بئر أبي أنس، وكان يشرب من بئر جنب قصر بني هديلة اليوم، وكان يشرب من جاسم بئر أبي الهيثم بن التيهان، وكان يشرب من بئر السقيا، وكان يشرب من بئر

---

(١) الطبقات ١: ق٢، ١٨٤.

غرس وبرّك فيها[١].

وكان يشرب من العبيرة، وقف على بئرها فبصق فيها وشرب منها وبرّك، وكان يشرب من بئر رومة بالعقيق.

وقال أنس بن مالك: جئنا مع رسول الله ﷺ قبا، فانتهى إلى بئر غرس وأنه ليستقي منها على حمار، ثمّ نقوم عامّة النهار ما نجد فيها ماء، فمضمض رسول الله ﷺ في الدلو وردّه فيها فجاشت الرواء.

وعن سعد قال: سمعت عدّة من أصحاب النبي ﷺ فيهم أبو أسيد وأبو حميد وأبو سهل بن سعد يقولون: أتى رسول الله ﷺ بئر بضاعة فتوضّأ في الدلو وردّه في البئر ومجّ في الدلو مرّة أخرى وبصق فيها وشرب من مائها، وكان إذا مرض المريض في عهده يقول: اغسلوه من ماء بضاعة، فيغسل فكأنّما حلّ من عقال.

وعن محمود بن الربيع أنه يعقل مجّة مجّها رسول الله ﷺ في الدلو في بئر أنس. عن ابن طوالة قال: سمعت أنس بن مالك يقول: شرب رسول الله ﷺ من بئرنا هذه[٢].

٢ ـ قال أبو موسى: دعا النبي ﷺ بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه، ثمّ قال لهما: اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما.

قال ابن حجر في الفتح: والغرض بذلك ـ يعني المجّ ـ إيجاد البركة فيه.

وفي رواية عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبي ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: أبشر،

---

(١) الطبقات ١: ق٢: ١٨٥.

(٢) الطبقات ١: ق٢: ١٨٤ ـ ١٨٦ نقلناه بطوله؛ لإفادته اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بآثار الرسول ﷺ وتبرّكهم بها. والأسماء والصفات للبيهقي: ١٠٠ وسيرة دحلان ٢: ٢٢٥، والرصف: ١٧١، وابن ماجة ١: ٢١٦ ـ ٢٤٩، ومسند أحمد ٥: ٤٢٧ ـ ٤٢٩.

فقال: قد أكثرت عليّ من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: رد البشرى فاقبلا أنتما، قالا: قبلنا ثمّ دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه ثمّ قال: إشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا، فأخذا القدح ففعلا فنادت أمّ سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمّكما فأفضلا لها منه طائفة(١).

٣ ـ عن عبد الجبّار بن وائل قال: حدّثني أهلي عن أبي قال: أتى النبيﷺ بدلو من ماء فشرب من الدلو ثمّ مجّ في الدلو ثمّ صبّ في البئر، أو قال: شرب من الدلو ثمّ مجّ في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك.

وفي رواية ابن ماجة: قال رأيت النبيﷺ أتى بدلو فمضمض منه فمجّ فيه مسكاً أو أطيب من المسك واستنثر خارجاً من الدلو(٢).

٤ ـ في الحديبية: عن أبي مروان عن رجل من أسلم من ناجية يقول: دعاني رسول اللهﷺ حين شكوا إليه قلّة الماء، فأخرج سهماً من كنانته ودفعه إليّ ودعاني بدلو من ماء البئر فجئته به فتوضّأ، فقال: مضمض فاه ثمّ مجّ في الدلو... فقال: إنزل بالماء فصبّه في البئر وأثر ماءها بالسهم، ففعلت(٣).

٥ ـ عن سليمان بن عمرو بن الأحوص الأزدي عن أمّه، قالت: رأيت رسول اللهﷺ عند جمرة العقبة راكباً، ووراءه رجل يستره من رمي الناس... ثمّ انصرف فجاءته امرأة معها ابن لها به مسّ فقالت: يا نبي الله ابني هذا تعني أدع له قال: فأمرها فدخلت بعض الأخبية، فجاءت بتور من حجارة فيه ماء فأخذ بيده

---

(١) البخاري ١: ٥٩ و٥: ١٩٩، وفتح الباري ١: ٢٥٦ و٨: ٣٧، وصحيح مسلم ٤: ١٩٤٣ في فضائل أبي موسى، وذخائر العقبى: ٨ـ ٢٩، والطبقات الكبرى ٨: ١٥ بأسانيد متعدّدة، وكنز العمّال ١٦: ٢١٩.

(٢) مرّت مصادره في الفصل المتقدّم.

(٣) المغازي للواقدي ٢: ٥٨٨، والبداية والنهاية ٦: ١٦، والسيرة الحلبية ٣: ١٤ ـ ٣٣٠، ودحلان ٢: ٢١٥، وفي طبعة بهامش الحلبية ٢: ١٦٦ بأسانيد متعدّدة، والبحار ١٨: ٣١ـ ٣٨، والبخاري ٤: ٢٣٤ و٥: ١٥٦، ومسند أحمد ٤: ٢٩٠، وفتح الباري ٦: ٤٢٥ وما بعدها، وكنز العمّال ١٠: ٣٠٣ـ ٣٠٤.

فمجّ فيه ودعا فيه وأعاده وقال: اسقيه اغسليه منه قالت: فتبعتها فقلت: هب لي من هذا الماء فقالت: خذي منه فأخذت منه حفنة فسقيتها ابني عبدالله فعاش، فكان من برئه ما شاء الله أن يكون ـ الحديث ـ(١).

٦ ـ عن محمود بن الربيع الأنصاري الخزرجي أنه قال: ما أنسى مجّة مجّها رسول الله ﷺ من بئر من دارنا في وجهي. وفي بعض الأسانيد: وأنا ابن خمس سنين(٢).

٧ ـ عن طاووس قال: أمر رسول الله ﷺ أن يفيضوا نهاراً، وأفاض في نسائه ليلاً وطاف بالبيت على ناقته، ثمّ جاء زمزم فقال: ناولوني فنوول دلواً فشرب منها ثمّ مضمض فمجّ في الدلو، ثمّ أمر به فأفرغ في البئر يعني (زمزم)(٣).

٨ ـ وفد الأقعس بن سلمة إلى رسول الله ﷺ في وفد بني سحيم من بني حنيفة... فردّهم إلى قومهم وأمرهم أن يدعوهم إلى الإسلام، وأعطاهم إداوة من ماء قد تفل فيه أو مجّ وقال:... فلينضحوا بهذه الإداوة مسجدهم ـ الحديث ـ(٤).

٩ ـ عن عبدالله بن عمير السدوسي قال: حدّثني أبي عن جدّي أنّه جاء بإداوة من ماء من عند رسول الله ﷺ وأنّه قال له: إذا أتيت بلادك رشّ به تلك البقعة واتخذها مسجداً (كذا في الإصابة).

وفي لفظ أسد الغابة: أنه جاء بإداوة من عند رسول الله ﷺ، وقد غسل النبي ﷺ

---

(١) الإصابة ٣: ٦٣، وأسد الغابة ٣: ٢٣١، والطبقات ٨: ٢٢٥ وفيه اسم أمّه «أمّ جندب» ونقل الحديث في ترجمتها، ونقله ابن ماجة ٢: ١١٦٨ عنها، وأحمد في المسند ٦: ٣٧٩ عنها في مسند أم سليمان بن عمرو ابن الأحوص، والسيرة الحلبية ٣: ٣٣١ ودحلان هامش الحلبية ٣: ١٨٤.

(٢) الإصابة ٣: ٣٨٦، وأسد الغابة ٤: ٣٢٢، والاستيعاب ٣: هامش الإصابة: ٤٢٢، وسنن ابن ماجة ١: ٢١٦ والبخاري ١: ٢٩ وفتح الباري ١: ١٥٧ ـ ١٥٨ وقد مرّ سابقاً.

(٣) الطبقات ٢: ق١: ١٣٠ وسيرة دحلان ٢: ٢٢٥ ومسند أحمد ١: ٣٧٢.

(٤) الإصابة ١: ٦٠ في ترجمة الأقعس.

فيها ومضمض في الماء، وغسل يديه وذراعيه، ثمّ ملأ الإداوة وقال: لا ترون ماء إلّا ملأت الإداوة على ما بقي فيها فإذا أتيت بلادك ـ الحديث ـ[١].

١٠ ـ دخل رسول الله ﷺ على أمّ هاني بنت أبي طالب قالت: إنّ النبي ﷺ دخل عليها يوم الفتح، فأتته بشراب فشرب منه، ثمّ فضلت منه فضلة فناولها فشربته، ثمّ قالت: يا رسول الله لقد فعلت شيئاً ما أدري يوافقك أم لا، فقال: وما ذاك يا أمّ هاني؟ قالت: كنت صائمة فكرهت أن أردّ فضلك فشربته.

وفي لفظ: فكرهت أن أردّ سؤرك.

وفي لفظ الطبقات: فقالت: لقد شربت وأنا صائمة قال: فما حملك على ذلك؟ قالت: من أجل سؤرك، لم أكن لأدعه لشيء لم أكن أقدر عليه، فلمّا قدرت عليه شربته[٢].

١١ ـ عن نضر بن نضلة الغفاري، أن أباه لقي النبي ﷺ بمرس، فهجم عليهم شوائل فحلب لرسول الله ﷺ في إناء فشرب وشربت فضلة إنائه ـ الحديث ـ[٣].

١٢ ـ عن أنس بن مالك (رجل من بني عبدالله بن كعب ثمّ أحد بني الحريش من بني عامر بن صعصعة) قال: أغارت علينا خيل رسول الله ﷺ فأتيت النبي ﷺ وهو يتغدى فقال: ادن فَكُلْ، قال: قلت: إنّي صائم قال: اجلس أحدّثك عن الصوم والصيام... فيالهف نفسي هلّا كنت طعمت من طعام رسول الله ﷺ[٤].

١٣ ـ عميرة بن مسعود الأنصارية حدّثت أنّها دخلت على رسول الله ﷺ هي وأخواتها، وهن خمس يبايعنه فوجدنه وهو يأكل قديداً فمضغ لهن قديدة، ثمّ

(١) الإصابة ٢: ٣٥٥، وأسد الغابة ٣: ٢٣٧.

(٢) مسند أحمد ٦: ٤٢٤، والطبقات ٨: ١٠٩ ومنحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي ١: ١٩١.

(٣) الإصابة ٣: ٥٥٧ وأوعز إليه أبو عمر في الاستيعاب ٣: ٥٤٢، وأسد الغابة ٥: ٣٠.

(٤) الإصابة ١: ١٣٢، والطبقات ٧: ٣٠، وأسد الغابة ١: ١٢٦ ولكنّه عنون الرجل بـ«أنس بن مالك أبو أمية القشيري وقيل: الكعبي» ويحتمل تعدّد القصّة، وكنز العمّال ٨: ٣٨٠.

ناولهن إيّاها، فقسمنها فمضغت كلّ واحدة منهنّ قطعة، فلقين الله عزّوجلّ، ما وجدن في أفواههن خلوفاً ولا اشتكين من أفواههن شيئاً(١).

١٤ ـ عن ابن عبّاس قال: دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد على ميمونة بنت الحارث، فقالت: ألا أطعمكم من هدية أهدتها لنا أمّ عقيق؟ فقال: بلى، فجيء بضبّين مشويّين فتبزّق رسول الله ﷺ، فقال له خالد بن الوليد: كأنّك تقذره، قال: أجل، قالت: ألا أسقيكم من لبن أهدته لنا؟ قال: بلى، قال: فجيء بإناء من لبن فشرب رسول الله ﷺ وأنا عن يمينه وخالد عن شماله فقال لي: اشربه هو لك وإن شئت آثرت به خالداً، فعلمت ما كنت لأوثر بسؤرك عليّ أحداً ـ الحديث ـ(٢) (والصحيح فقلت كما في الترمذي).

١٥ ـ عن حنش بن عقيل وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: سقاني رسول الله شربة سويق؛ شَرِب أوّلها وشربت آخرها.

يعني أنّه ﷺ شرب أوّلاً لتحصل البركة فيها ثمّ ناوله الإناء فشرب بقيّته قال: فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريّها إذا عطشت(٣).

١٦ ـ روى الطبراني عن امرأة بذيّة اللسان جاءته ﷺ وهو يأكل قديداً فقالت: أفلا تطعمني؟ فناولها من بين يديه، فقالت: لا، إلّا الذي في فيك فأخرجه فأعطاه لها، فأكلته فلم يعلم منها بعد ذلك شيء ممّا كانت عليه من البذاءة(٤).

---

(١) أسد الغابة ٥: ٥١٢، وسيرة دحلان ٢: ٢٤٦، والإصابة ٤: ٣٧٠.

(٢) الطبقات ١: ق٢: ١١١، والترمذي ٥: ٥٠٧، ومسند أحمد ١: ٢٢٥ ـ ٢٨٤، وفتح الباري ٥: ٢٣، وابن ماجة ٢: ١١٣٣ المرقم ٣٤٢٦، ومنحة المعبود ١: ٣٣٣.

(٣) سيرة دحلان ٢: ٢٤٦ ـ ٢٢٤، وفي طبعة في هامش الحلبية ٣: ١٨٩.

(٤) دحلان هامش الحلبية ٣: ١٩١ وفي المطبوع مستقلاً ٢: ٢٢٦، ومسلم ٣: ١٦٢٦، ومسند أحمد ٦: ٢ ـ ٣، ومنحة المعبود ٢: ١٥٦، والبحار ٦٦: ٣١٠ عن المحاسن و ٤٢٠ عنه أيضاً وعن كتاب الزهد للحسين بن سعيد و١٦: ٢٨١.

١٧ ـ شرب مقداد بن الأسود اللبن ولم يبق لرسول الله ﷺ شيئاً، ثمّ جاء رسول الله ﷺ فقام فحلب له مرّة أخرى، فشربه النبي ﷺ ثمّ شرب سؤره فقال: قلت: يا رسول الله كان منّي كذا وكذا، فقال: ما هذه إلّا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فأصابا منها، فقلت: والذي بعثك بالحقّ ما أبالي إذا أصبتها وأصبت فضلك من أخطأها من الناس.

وفي مسلم... قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس..

وفي مسند أحمد... إذا أصابتني وإيّاك الكرامة فما أبالي من أخطأت(١).

١٨ ـ وفي الشفا أيضاً وأتاه رجل ذو إدرة ـ وهي انتفاخ في الخصيتين ـ فأمره أن ينضحها بماء من عين مجّ فيها، ففعل فبرئ(٢).

١٩ ـ جلس ابن عبدالله بن أبيّ إلى النبي ﷺ فشرب رسول الله ﷺ فقال له: بالله يارسول الله أما أبقيت فضلة من شرابك أسقها أبي لعلّ الله يطهّر بها قلبه؟! فأفضل له فأتاه بها فقال له عبدالله: ما هذا؟ قال: هي فضلة من شراب النبي ﷺ جئتك بها تشربها، لعلّ الله يطهر قلبك بها، فقال له أبوه: فهلّا جئتني ببول أمّك فإنّه أطهر منها فغضب، وجاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله ﷺ بالله أما أذنت لي في قتل أبي؟ فقال النبي ﷺ: بل ترفق به وتحسن إليه.

وجاء أن ابنه قال: يا رسول الله ذرني أسقي والدي من وضوئك لعلّ قلبه أن يلين! فتوضّأ ﷺ وأعطاه فذهب به إلى أبيه فسقاه وقال له: هل تدري ما سقيتك؟ قال: نعم سقيتني بول أمّك، قال: لا والله لكن سقيتك بول رسول الله ﷺ(٣).

---

(١) راجع المصادر المتقدّمة.

(٢) سيرة دحلان ٢: ٢٢٧، وبهامش الحلبية ٣: ١٩٣.

(٣) السيرة الحلبية ٢: ٣٠٧.

٢٠ ـ عن أمالي الحاكم: أنّ النبي ﷺ كان يوماً قائظاً[١] فلمّا انتبه من نومه دعا بماء فغسل يديه، ثمّ مضمض ماءً ومجّه إلى عوسجة، فأصبحوا وقد غلظت العوسجة وأثمرت وأينعت بثمر أعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد، والله ما أكل جائع إلّا شبع ولا ظمآن إلّا روي ولا سقيم إلّا برئ ولا أكل من ورقها حيوان إلّا درّ لبنها، وكان الناس يستشفون من ورقها[٢].

٢١ ـ عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال: يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟ قال: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله فأعطاه إيّاه[٣].

٢٢ ـ عن أنس بن مالك: أنّها حلبت لرسول الله ﷺ شاة داجن وهي في دار أنس بن مالك وشيب لبنها بماء من البئر التي في دار أنس، فأعطى رسول الله ﷺ القدح فشرب منه حتّى إذا نزع القدح من فيه وعلى يساره أبو بكر وعن يمينه أعرابي، فقال عمر: وخاف أن يعطيه الأعرابي أعطِ أبا بكر يا رسول الله عندك، فأعطاه الأعرابي الذي على يمينه ثمّ قال: الأيمن فالأيمن[٤].

لِمَ خاف عمر من أن يعطيه الأعرابي؟ ولِمَ قدّم أبا بكر؟ فهل هذا إلّا تشرّفاً وتبرّكاً بفضله وسؤره ﷺ.

٢٣ ـ عن حكيم بن حزام قال: أتى النبي ﷺ بإناء فيه لبن وعن يمينه رجل من أهل البادية ومن يساره رجل من أصحابه وهو أسنّ منه، فلمّا قضى النبي ﷺ

(١) أي مقيماً وقت شدّة الحرّ.

(٢) البحار ١٨: ٤١.

(٣) البخاري ٣: ١٤٤ ـ ١٤٧ ـ ٢١١ بسندين و٧: ١٤٤، ومسلم ٣: ١٦٠٤، ومسند أحمد ٥: ٣٣٣، ومنحة المعبود ١: ٣٢٢ و٢: ١٢٩ وتكلّم ابن حجر على هذا الحديث في الفتح ٥: ٢٢ ـ ٢٣.

(٤) البخاري ٣: ١٤٤، والفتح ٥: ٢٢ ـ ٢٣، ومسلم ٣: ١٦٠٣، ومسند أحمد ٣: ١٩٧ ـ ٢٣١، ومنحة المعبود ١: ٣٣٢، وكنز العمّال ٩: ١٣٨.

حاجته من الشراب قال: يا فتى هذا لك، فتأذن لي فأسقيه؟ قال: هو لي؟ قال: نعم قال: لن أعطي نصيبي من سؤرك أحداً فناوله النبيﷺ فشرب[١].

٢٤ ـ عن عليّ قال: كنت أرمد من دخان الحصن، فدعاني رسول اللهﷺ فتفل عليه وغمزها باصبعه فما رمدت بعد[٢].

٢٥ ـ كانت الأنصار تقول: من أكل الفريكة فضح قومه، وأنّ النبيﷺ أتي بفريكة ففركها وتفل فيها من ريقه ثمّ ناولها غلاماً من الأنصار فأكلها[٣] (عن أبي هريرة).

نظرة في الأحاديث

يستفاد من الأحاديث المتقدّمة أيضاً اهتمام الصحابة بآثار النبيﷺ، ولذلك اهتموا بالآبار التي شرب منها النبيﷺ أو بصق فيها أو تفل أو مجّ فيها، حتّى ضبطها العلماء الحفّاظ للآثار النبوية، وقد جمع شتاتها وأوضح مجملاتها السمهودي في كتابه القيّم وفاء الوفاء ـ وسيأتي كلامه مختصراً ـ بل كانوا يستشفون بتلك الآبار، ومرّ حديث سعد «وكان إذا مرض المريض في عهده (أي عهد النبيﷺ) يقول: «اغسلوه من ماء بضاعة فيغسل فكأنّما حلّ من عقال».

وأمرﷺ بالاستشفاء بماء مجّ فيه ودعا فيه كما في حديث سليمان بن عمرو بن الأحوص، وكذا أمر وفد بني حنيفة بأن يرشوا مسجدهم بماء وضوئه أو ماء تفل ومجّ فيه أو ماء مضمض فيه وغسل يديه وذراعيه، ومعلوم أنّه أمر بالتبرّك وإلّا فلا

---

(١) كنز العمّال ٩: ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) كنز العمّال ١٠: ٥٢.

(٣) كنز العمال ٢٠: ٢٤.

الفريكة: طعام يُلَتّ بالسمن ونحوه. وحب فرك وخلص.

خصوصية لهذا الماء المحمول من المدينة، وإتعاب النفس فيه كما هو واضح.

وهذه الأحاديث كالأحاديث المتقدّمة والآتية، لا يحتاج إلى التدقيق في سندها ونقده لتواترها الإجمالي والمعنوي مضافاً إلى نقل الصحاح قسماً منها.

ويظهر من الأحاديث أيضاً جواز التوسل والاستشفاء والاستشفاع، بل التبرّك في الحقيقة توسل كما تقدّم بيانه، بل السائل كان يطلب الدعاء وهو ﷺ يمجّ في الماء ويعطيه مشفوعاً بالدعاء أو بدونه.

التبرّك بماء أدخل فيه يده ﷺ أو برّكه بشيء

١ ـ عن أنس بن مالك قال: كان ـ رسول الله ﷺ ـ أشدّ الناس لطفاً، والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا أمة تأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه[١].

٢ ـ عنه أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى جاء خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بماء إلّا غمس يده فيها، فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها[٢]. جمعه للتبرك لا لشيء آخر

٣ ـ قال عابس بن جعدة التميمي: كنت في مجلس رسول الله ﷺ فرشّ على قوم في المجلس ماء، فأصابني من رشّ رسول الله ﷺ[٣].

٤ ـ عن جابر بن عبدالله الأنصاري في غزوة الخندق ـ في حديث طويل ـ جاء النبي ﷺ يقدم الناس فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك، ثمّ عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك[٤].

---

(١) سيرة دحلان ٢: ٢٦٥.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٨١٢، ومسند أحمد ٣: ١٣٧، والبداية والنهاية ٦: ٢٤ ـ ٢٥، وتبرك الصحابة: ٧، وسيرة دحلان ٢: ٢٦٥، ودلائل النبوّة للبيهقي ١: ٢٤٦، وكنز العمّال ٧: ٨١.

(٣) الإصابة ٢: ٢٤٢.

(٤) سيرة دحلان ٢: ٢١٧، والبخاري ٥: ١٤٩، ومسلم ٣: ١٦١١، ودحلان هامش الحلبية ٣: ١٧١.

٥ ـ مرّ رسول الله ﷺ في غزوة تبوك على ماء نزر لا يملأ الإداوة، فسمّى ذلك المكان تبوكاً، ثمّ استخرج مشقصاً من كنانته فقال: انزل فأغرسه، فنزل فغرسه فجاش عليه الماء ـ وفي هذه القصّة ـ قال إبراهيم بن بكر: جاء أبو عقال رجل من جذام كان يقال: إنّه من الأبدال فقال: دلوني على هذه البركة التي جاء إليها رسول الله ﷺ وهي حسى لا تملأ الأدواة، فدعا الله فبجسها فخرجنا به حتى وقف عليها فقال: نعم نعم هي هي والله، إنّ ماءً أنبطه جبرئيل وبرّك فيه محمّد ﷺ لعظيم البركة قال: فلم تزل على ذلك حتى بعث عمر بن الخطّاب ابن عريض اليهودي فطواها.

قال ابن حجر: وفي سند هذا الحديث من لا نعرفه(١).

وعن معاذ بن جبل قال ـ في غزوة تبوك ـ ثمّ قال: إنّكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك ـ إلى أن قال ـ ثمّ غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتّى اجتمع في شيء قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثمّ أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر أو قال: غزير حتى استقى الناس(٢).

٦ ـ عن ثابت بن قيس عن رسول الله ﷺ أنه دخل على ثابت بن قيس. قال أحمد: وهو مريض فقال: «اكشف الباس ربّ الناس» عن ثابت ابن قيس: ثمّ أخذ تراباً من بطحان، فجعله في قدح ثمّ نفث فيه بماء وصبّه عليه(٣).

٧ ـ عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فأتينا على ركى

(١) الإصابة ٤: ٥١ عن ابن شاهين، وأشار إليه أسد الغابة ٥: ١٧٦.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٧٨٤، والسيرة الحلبية ٣: ٣٣٠، ودحلان هامش الحلبية ٣: ١٦٥، والظاهر اتّحاد القصّتين كما لا يخفى، وكنز العمّال ١٤: ٢٨ ـ ٢٩.

(٣) سنن أبي داود ٤: ١٠.

ذمة[١] فنزل فيها ستّة أنا سابعهم أو سبعة أنا ثامنهم قال ماحه[٢] فأدليت إلينا دلو، ورسول الله ﷺ على شفة الركى فجعلت فيها نصفها أو قراب ثلثها فرفعت الدلو إلى رسول الله ﷺ، قال البراء: وكدت بإنائي هل أجد شيئاً أجعله في حلقي فما وجدت فغمس يديه فيها، وقال ما شاء الله أن يقول، وأعيدت إلينا الدلو بما فيها ولقد أخرج آخرنا بثوب مخافة الغرق ثمّ ساحت[٣].

٨ ـ عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قد رأيتني مع النبي ﷺ وقد حضرت العصر، وليس معنا ماء غير فضلة، فجعل في إناء فأتي النبي ﷺ فأدخل يده فيه وفرّج أصابعه، ثمّ قال: حيّ على أهل الوضوء البركة من الله، فلقد رأيت الماء يتفجّر من بين أصابعه فتوضّأ الناس وشربت، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني فعلمت أنّه بركة.

والمعنى أنه جعل يستكثر من شربه من ذلك الماء لأجل البركة[٤].

٩ ـ عن عبدالله قال: كنّا نعد الآيات بركة وأنتم تعدّونها تخويفاً، كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء، ثمّ قال: حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

وفي الدارمي «فتوضأوا وجعلت لا همَّ لي إلّا ما أدخله بطني لقوله والبركة

---

(١) بئر ذمة أي قليلة الماء وغزيرته ضد والمراد هنا الأوّل.

(٢) ماحه مع: مايح وهو الذي دخل البئر فملأ الدلو لقلّة مائها ولا يمكن أن يستقى منها إلّا بالاغتراف أي قال الذين دخلوا البئر للاستقاء.

(٣) مسند أحمد ٤: ٢٩٧ وكنز العمّال ١٤: ٢ ـ ٣.

(٤) البخاري ٧: ١٤٨ والفتح ١٠: ٨٨ والبحار ١٨: ٤ وما بعدها، ومسند أحمد ١: ٤٠٢ و٣: ١٧٥ عن أنس بن مالك، ودحلان هامش الحلبية ٣: ١٦٤.

من الله»[١].

١٠ ـ روي أن أعرابياً جاء إليه فشكى إليه نضوب ماء بئرهم، فأخذ حصاة أو حصاتين، وفركها بأنامله ثمّ أعطاها الأعرابي وقال: أرمها بالبئر، فلمّا رماها فيها فار الماء إلى رأسها[٢].

١١ ـ روي عن زياد بن الحارث الصيداوي صاحب النبيﷺ في حديث «ثمّ قلنا: إنّ لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليه وإذا كان الصيف قلّ ماؤها.. فادع الله لنا في بئرنا، فدعا بسبع حصيات ففركهن في يده ودعا فيهن ثمّ قال: «اذهبوا بهذه الحصيات، فإذا أتيتم البئر فالقوا واحدة واذكروا اسم الله» قال زياد: ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا إلى أن ننظر إلى قعر البئر ببركة رسول اللهﷺ[٣].

نظرة في الأحاديث

هذه الأحاديث أيضاً تفيد تبرّك الصحابة رضي الله عنهم بما مسّ جلده الشريف، بل تفيد أن ذلك كان سيرة مستمرّة لهم حتّى في الغداة الباردة ولا يشكّ في هذا متدبِّر منصف.

إلّا أنّ العجب ممّا في رواية إبراهيم بن بكر من إرسال عمر بن الخطّاب ابن عريض اليهودي لطمس آثار العين المذكورة ومحو أثر ماء أنبطه جبرئيل، وبرّك فيه محمّدﷺ كما في الحديث. أما كان في وسعه أن يتبرّك به كما كان يتبرّك به

(١) البخاري ٤: ٢٣٥ والنسائي ١: ٦٠ وسيرة دحلان ٢: ٢١٤ وسنن الدارمي ١: ١٥ بسندين مع اختلاف في اللفظ، وفتح الباري ٦: ٤٣٢ـ٤٣٣ عن أبي نعيم وغيره، ومسند أحمد ١: ٤٦٠ ودحلان هامش الحلبية ٣: ١٦٥، وكنز العمّال ١٤: ٧٧ وصرح بأن الراوي عبدالله بن مسعود.

(٢) البحار ١٨: ٣٤.

(٣) البحار ١٨: ٣٥، وكنز العمّال ١٦: ١٤.

الصحابة الكبار رضي الله عنهم، أو على الأقل يسكت؟ أما شاهد تبرّكهم في مرأى ومسمع من الرسولﷺ وتقريره لهم وأمره إيّاهم بذلك كما ثبت سابقاً؟ ولِمَ أرسل يهودياً أما كان في المسلمين غنى وكفاية؟ أم كان المسلمون لا يطيعونه في ذلك، أم أن هذا مفتعل عليه، أو هو اجتهاد من الخليفة في مقابل أعمال الصحابة وتقرير النبيﷺ بل في قبال أوامره الصريحة بذلك، وكلّ ذلك كان بمرأى منه ومسمع. وهذه المسألة يأتي الكلام حولها في التبرّك بمكان صلاة رسول اللهﷺ إن شاء الله تعالى.

تذنيب وتتميم

جمع العلّامة السمهودي في كتابه القيم «وفاء الوفاء ج٣ ص٩٤٢» أسماء الآبار التي شرب منها النبيﷺ أو توضّأ أو اغتسل منها أو بزق أو مجّ فيها، ولا بأس بنقل كلامه هنا مختصراً فنقول:

قال السمهودي: إنّ المسلمين كانوا يتبرّكون ببئر أيّوب وقال في تعريف البخبخة: وبئر أيّوب وأن البئر عن يسار الطريق لمن يريد البقيع ويريد قبر عثمان قال: وإن من يريد طريق سيّدنا حمزة في يسار حديقة تعرف بالرباطية وقف رباط اليمنة، بها بئر، قال المراغي: تعرف ببئر أيّوب أيضاً يتبرّك بها الناس وهي بالقرب من الحديقة المعروفة بدار الفحل.

وقال في ج٣ ص٩٥١: وتقدّم في بيان المحل الذي ضرب منه اللِبِن للمسجد النبوي أن البئر المعروف اليوم بالرباطية وقف رباط اليمنة في شامي الحديقة المعروفة بالرومية بقرب دار فحل، يتبرّك بها الفقراء كما ذكره الزين المراغي وقال: إنّها تعرف ببئر أيّوب، وكذلك البئر ذات الدرج التي في شرقيها في الحديقة المعروفة بأولاد المصطفى تعرف ببئر أيّوب أيضاً.

قلت: والمعروف اليوم ببئر أيّوب إنّما هي الثانية والظاهر أنّها بئر أبي أيّوب الأنصاري، وأمّا الأولى فالظاهر أنّها بئر أنس؛ لأنّها في جهة السرب الذي ذكره ابن شبه قرب منازل بني جديلة ولتبرّك الناس بها قديماً...

وفي ص٩٥٣ في بيان الآبار التي أتاها النبيﷺ وشرب منها وتوضّأ قال: ومنها بئر أخرى إذا وقفت على هذه يعني بئر السقيا وأنت على جادّة الطريق وهي ـ يعني السقيا ـ على يسارك كانت هذه على يمينك... ولم يزل أهل المدينة قديماً وحديثاً يتبرّكون بها ويشربون من مائها وينقل إلى الآفاق منها كما ينقل من ماء زمزم، ويسمّونها بـ(زمزم) أيضاً لبركتها.

ثمّ ذكر في ص٩٥٤: بئر البُصَّة، وأنهﷺ صبّ فيها غسالة رأسه ومراقة شعره. وأن الفقيه الصالح القدوة أبا العبّاس أحمد بن موسى بن عجيل وغيره من صلحاء اليمن إذا جاءوا للتبرّك بالبصة لا يقصدون إلّا الكبرى القبلية، ثمّ ساق في تعيينها كلاماً طويلاً لا مجال لذكره.

ثمّ قال في ص٩٥٦: بئر بضاعة ـ بضم الموحدة على المشهور وحكى كسرها وبفتح الضاد المعجمة وأهملها بعضهم ـ بصقﷺ فيها وبرّك على بضاعة، وكان إذا مرض المريض في أيّامه يقول: اغسلوني من ماء بضاعة، فيغسل فكأنّما ينشط من عقال. قالت أسماء: كنّا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة أيّام فيعافون.

ثمّ ساق الكلام في الآبار التي شرب منها النبيﷺ أو توضّأ منها فذكر في ص٩٥٩: أن بئر جاسوم قد شرب منها النبيﷺ وفي ص ٩٦٠: بئر جمل وأن النبيﷺ توضّأ منها وفي ص٩٦١: بيرحاء كان ﷺ يدخلها ويشرب منها وص٩٦٦: بئر ذرع توضأﷺ منها وبصق فيها وص٩٦٧: بئر رومة وص ٩٧١ بئر السقيا، وأطال الكلام فيها فقال في ص٩٧٣: وتقدّم في بئر إهاب: أنّ المطري تردّد في أنّ هذه السقيا لقربها من الطريق أم هي البئر المعروفة اليوم بزمزم، لتواتر

التبرّك بها...

ثمّ ذكر في ص٩٧٨: بئر العهن فقال: لم يذكروا شيئاً يتمسّك به في فضلها ونسبتها إلى النبيﷺ، لكن لم يزل الناس يتبرّكون بها، والذي ظهر لي بعد التأمّل أنّها بئر اليسيرة، وأنّ النبيﷺ نزل عليها وتوضّأ وبصق فيها.

ثمّ ذكر في ص٩٧٨: بئر غرس ـ بضم المعجمة كما رأيته في خط الزين المراغي ـ وقال: إنّهﷺ شرب منها وبصق فيها (ثمّ أطال الكلام فيها).

ثمّ ذكر في ص ٩٨١ ـ ٩٨٢: بئر القراصة في حديقة جابر، وأنّهﷺ توضّأ منها ثمّ قام إلى المسجد فصلّى ركعتين. وكذا بئر القريصة، وأنّهﷺ توضّأ منها. وكذا بئر اليسيرة، وأنّهﷺ بصق فيها وبرّك فيها.

ثمّ ذكر في ص ٩٨٤: عين كهف بني حرام، وأنّهﷺ توضّأ منها.

وذكر في ص٩٤٣: بئر ريس ونقل سقوط خاتم عثمان فيها، وساق الكلام فقال: في ص٩٤٧: أنّهﷺ تفل فيها ونقل في ص ٩٤٩: بئر الأعواف أحد صدقات النبيﷺ، فقال: إنّه ﷺ توضّأ على شفة البئر، فسال الماء فيها ونبتت نابتة على أثر وضوئهﷺ، ولم تزل فيها حتّى الساعة.

وغرضه من ذكر هذه الآبار، كما في عنوان الفصل، ذكر الآبار المباركات بوقوع بصاقه فيها أو وضوئه أو شربه منها أو مجّهﷺ فيها، وغرضنا من نقل كلامه بيان كون التبرّك بهذه الآبار شائعاً واضحاً عند الصحابة رضي الله عنهم، وكذا التابعين إلى زمن السمهودي المتوفى سنة ٩١١، من دون أي إنكار من أحد من العلماء وغيرهم، وذلك واضح بعد التأمّل فيما تقدّم ويأتي من الأدلّة.

التبرُّك

بحث إجمالي

التبرّك بشعره وتقسيمه ﷺ شعره بينهم

نظرة في الأحاديث

تبرّك التابعين بشعره ﷺ

التبرّك بعرقه وبصاقه ونخامته وظفره ﷺ

نظرة وتحقيق في الأحاديث

التبرّك بشعره ﷺ و...

بحث إجمالي

يوجد هنا قسم آخر من النصوص؛ يدلّ على تبرُّك الصحابة رضي الله عنهم بشعره ﷺ وعرقه وبصاقه ونخامته وظفره، وكانوا يحفظون ويستشفون بشعره، ويحبّون أن يكون شيء منه عندهم، حتّى لقد قال أبو عبيدة: هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، وأمّ سلمة أمّ المؤمنين تحفظ شعره، فمن اشتكى من أهل المدينة أرسل إناءه إلى أمّ سلمة فتجعل فيه من شعرات رسول الله ﷺ، وتغسلها فيه وتعيده فيشرب به صاحب الإناء أو يغتسل به استشفاء فيحصل له الشفاء ببركتها.

وكان رسول الله ﷺ نفسه يقسِّم شَعره حينما يحلق رأسه بين أصحابه، ويأمر أبا طلحة أن يقسم شعره بين الناس في حجّة الوداع وعمرة الحديبية، ويطيف به أصحابه، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه، وما يريدون أن تقع شعرة إلّا بيد رجل، ويذهب كلّ منهم بما أصابه من الشعر يحفظه، كما يحفظ صفراءه وبيضاءه، ويتبرّك به ويفتخر بكونه عنده.

وهذه أمّ سليم تدوف عرقه في طيبها، وتجعله في قارورة بل تدوف شعره ﷺ في الطيب.

وهذا خالد بن الوليد يجعل شعره ﷺ في قلنسوته، ويستنصر على الأعداء في الحروب ببركته، ولمّا سقطت قلنسوته يوم اليمامة شدّ على الأعداء، ففرّقهم حتّى أخذها، فأنكر عليه بعض الصحابة ذلك، (قبل علمهم بما فيها من شعر رسول الله ﷺ) لظنّهم أنّه خاطر بنفسه لقلنسوة لا قيمة خطيرة لها، فأخبرهم بما فيها من شعر رسول الله ﷺ، وأنّه فعل ذلك كراهة أن تقع الشعرة بيد المشركين، فرضوا عنه وأثنوا عليه، بل إنّه هو حينما قسّم شعر رسول الله ﷺ أخذه وجعله على عينيه وفمه.

وهذا ابن سيرين يقول: لأن يكون عندي منه شعرة أحبّ إليّ من الدنيا بما فيها.

وهذا معاوية بن أبي سفيان يوصي أن يدفن معه شيء من شعره ﷺ وظفره، وإن كانت الوصية رياءً أو جلباً لرضا العامّة، وفيهم الصحابي وغيره، إذ يكشف ذلك عن نظر عامّة المسلمين وفيهم الصحابة في التبرّك بآثاره ﷺ.

وهذا الوليد بن أبي الوليد يغسل الشعر ويشربه.

وهذا أنس بن مالك يوصي أن يجعل في حنوطه شعرة من شعر رسول الله ﷺ.

وهذه عائشة أمّ المؤمنين تحتفظ بشعر رسول الله ﷺ وتهتم به.

وهذا محمد بن سيرين لمّا مات حنط بسك فيه شعر رسول الله ﷺ وكان يعجبه أن يحنط به.

وهذا يحيى بن خالد يحفظ شعر رسول الله ﷺ في جلجل، والناس يغسلونه ويتبرّكون به.

وهؤلاء آل أبي عبيدة يحفظون فيما بينهم شعرات من رسول الله ﷺ.

وهذا عمر بن عبد العزيز يوصي أن يجعل شعره وظفراً من أظفاره ﷺ في كفنه.

وهذا أحمد بن حنبل يوصي أن يجعل شعره ﷺ على عينيه ولسانه.

وبعد هذا كلّه، أفيمكن أن يقال: إنّ الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لم يكونوا قائلين بجواز التبرّك أو كانوا بتبرّكهم مشركين ـ والعياذ بالله تعالى ـ وكان النبي ﷺ يقرّرهم على الشرك أو يأمرهم به؟! حاشا ثمّ حاشا النبي العظيم وصحبه الكرام عن وصمة الشرك وتقريره.

وهل يحتمل مسلم مؤمن بالله ورسوله ﷺ أن يكون النبي ﷺ بتقسيمه الشعر وأمره بالتقسيم، وكذا في إعطائه عرقه لشخص أو ترغيبه فيه معيناً على الشرك والكفر وآمراً بهما؟!

بل كان في التبرّك حقيقة التوحيد وخالص الايمان لايمانهم بأنّ ما يصدر عن الرسول ﷺ من إعطاء الله سبحانه وفضله عليه وشدّة إيمانهم بأنّه رسول الله وخيرته من خلقه والمقرّب عنده والمطاع في ملكوته، وهو عبده ورسوله ومبارك من عنده وبإرادته.

وها نحن نتلو عليك بعض تلك النصوص كي تتدبّر فيها تدبّر ذي لب سلّم لله تعالى نفسه وقلبه.

تقسيمه ﷺ شعره

١ ـ عن أنس: أنّ رسول الله ﷺ لمّا حلق رأسه كان أبو طلحة أوّل من أخذ من شعره[١].

٢ ـ عن المناسك للكرماني: أنّ النبي ﷺ لمّا رمى جمرة العقبة رجع إلى منزله بمنى ثمّ دعا بذبائح فذبح، ثمّ دعا بالحلّاق فأعطاه شقّه الأيمن فحلقه ثمّ دفعه إلى أبي طلحة ليفرّقه بين الناس، ثمّ أعطاه شقّه الأيسر فحلقه ثمّ دفعه إلى أبي طلحة ليفرّقه بين الناس، قيل: وأصاب خالد بن الوليد شعرات من شعرات ناصيته ﷺ

(١) البخاري ١: ٥٤.

وفي الشفا كانت شعرات من شعرهﷺ في قلنسوة خالد، فلم يشهد بها قتالاً إلّا رزق النصر. انتهى من تاريخ الخميس ويأتي عن مسلم(١).

٣ ـ عن أنس بن مالك: أنّ رسول اللهﷺ أتى مِنى فأتى الجمرة فرماها، ثمّ أتى منزله بِمِنى ونَحَرَ ثمّ قال للحلّاق: خذ وأشار إلى جانبه الأيمن، ثمّ الأيسر، ثمّ جعل يعطيه الناس(٢).

٤ ـ بهذا الاسناد ـ قال مسلم: أما أبو بكر فقال في روايته للحلّاق «ها» وأشار بيده إلى الجانب الأيمن هكذا، فقسّم شعره بين من يليه قال: ثمّ أشار إلى الحلاق وإلى الجانب الأيسر فحلقه وأعطاه أمّ سليم.

وأمّا في رواية كريب فقال: فبدأ بالشقّ الأيمن فوزّعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثمّ قال: بالأيسر فصنع به مثل ذلك ثمّ قال: هاهنا أبو طلحة، فدفعه إلى أبي طلحة(٣).

٥ ـ عن أنس بن مالك أيضاً: أنّ رسول اللهﷺ رمى جمرة العقبة ثمّ انصرف إلى البدن فنحرها، والحجام جالس، وقال بيده عن رأسه فحلق شقّه الأيمن فقسّمه فيمن يليه، ثمّ قال: احلق الشقّ الآخر، أين أبو طلحة؟ فأعطاه إيّاه(٤).

٦ ـ عنه أيضاً: لمّا رمى رسول اللهﷺ الجمرة، ونحر نسكه، وحلق، ناول الحلّاق شقّه الأيمن فحلقه. ثمّ دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إيّاه ثمّ ناوله الشقّ الأيسر فقال: احلق، فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمه بين الناس(٥).

---

(١) التبرّك: ٨ـ٩.

(٢) مسلم ٣: ٩٤٧.

(٣) مسلم ٢: ٩٤٧، والسيرة الحلبية ٣: ٣٠٣.

(٤) مسلم ٣: ٩٤٧، ومسند أحمد ٣: ٢٠٨، والسنن الكبرى للبيهقي ١: ٢٥ بإسناده إلى مسلم والبخاري.

(٥) مسلم ٣: ٩٤٨، والسيرة الحلبية ٣: ٣٠٣، وفتح الباري ١: ٢٣٩، والترمذي ٣: ٢٥٥ وأبو داود ٢: ٢٠٣.

٧ ـ عنه أيضاً قال: لمّا رمى النبيﷺ جمرة العقبة، ونحر هديه، حجم وأعطى الحجّام ـ وقال سفيان بن مرّة أحد رواة الحديث ـ الحجّام وأعطى الحالق شقّه الأيمن فحلقه فأعطاه أبا طلحة، ثمّ حلق الأيسر فأعطاه الناس(١).

٨ ـ عنه أيضاً قال: لمّا أراد رسول اللهﷺ أن يحلق الحجام رأسه، أخذ أبو طلحة شعر أحد شق رأسه بيده، فأخذ شعره فجاء به إلى أمّ سليم، فقال: فكانت أمّ سليم تدوفه في طيبها(٢).

٩ ـ عن أنس قال: رأيت رسول اللهﷺ والحلّاق يحلقه، وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلّا في يد رجل(٣).

١٠ ـ عن ابن سيرين عن أنس قال: لمّا حلق رسول اللهﷺ رأسه بمِنى أخذ شقّ رأسه الأيمن بيده، فلمّا فرغ ناولني، فقال: يا أنس انطلق بهذا إلى أمّ سليم فلمّا رأى الناس ما خصّها به من ذلك، تنافسوا في الشقّ الآخر هذا يأخذ الشيء وهذا يأخذ الشيء.

قال محمد: فحدّثته عبيدة السلماني فقال: لَأن يكون عندي منه شعرة أحبّ إليّ من كلّ صفراء وبيضاء أصبحت على وجه الأرض وفي بطنها(٤).

١١ ـ عن أنس لما حلق ﷺ بدأ بشق رأسه الأيمن فحلقه ثمّ ناوله أبا طلحة قال: ثمّ حلق شقّ رأسه الأيسر فقسّمه بين الناس(٥).

---

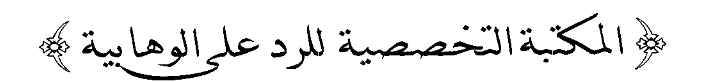
(١) مسند أحمد ٣: ١١١، والسنن الكبرى للبيهقي ٥: ١٣٤.

(٢) مسند أحمد ٣: ١٤٦ـ٢١٣ـ٢٣٩ و ٤: ٣٢٤، وفضائل الخمسة ١: ٢١.

(٣) مسند أحمد ٣: ١٣٣ـ١٣٧، والطبقات الكبرى ١: ق٢: ٧، ١٣ ـ ١٣٠ و ٤: ٦٤، والسنن الكبرى للبيهقي ٧: ٦٨، وسيرة دحلان ٢: ٢٥٤، والسيرة الحلبية ٣: ٣٠٣، وفضائل الخمسة ١: ٢١، والرصف: ٧٩، وصحيح مسلم ٤: ١٨١٢، والبداية والنهاية ٥: ١٨٩.

(٤) مسند أحمد ٣: ٢٥٦، والطبقات ٣: ٦٥ ق٢.

(٥) مسند أحمد ٣: ٢١٤.



١٢ ـ عن عبدالله بن زيد: «فحلق رسول الله ﷺ رأسه في ثوبه فأعطاه فقسم منه على رجال، وقلّم أظفاره فأعطاه صاحبه قال: فإنّه لعندنا مخضوب بالحناء والكتم يعني شعره[1].

١٣ ـ عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك: أنّ رسول الله ﷺ لمّا حلق شعره يوم النحر، تفرّق الناس وأخذوا شعره فأخذ أبو طلحة منه طائفة.

قال ابن سيرين: لأن يكون عندي منه شعرة أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها[2].

١٤ ـ لما نحر رسول الله ﷺ الهدي دعا الحلّاق، وحضر المسلمون يطلبون من شعر رسول الله ﷺ فأعطى الحلّاق شقّ رأسه الأيمن، ثمّ أعطاه أبا طلحة الأنصاري، وكلّمه خالد بن الوليد في ناصيته حين حلق فدفعها إليه، فكان يجعلها في مقدّمة قلنسوته فلا يلق جمعاً إلّا فضّه[3].

١٥ ـ عن أبي بكر قال: نظرت إليه يعني خالداً، ورسول الله يحلق رأسه وهو يقول: يارسول الله ناصيتك لا تؤثر بها عليّ أحداً فداك أبي وأمّي فانظر إليه أخذ ناصية رسول الله ﷺ فكان يضعها على عينه وفمه[4].

١٦ ـ قال: وسألت عائشة من أين هذا الشعر الذي عندكن؟ قالت: إنّ رسول الله ﷺ لمّا حلق رأسه في حجّته، فرّق شعره في الناس فأصابنا ما أصاب الناس[5].

١٧ ـ بايع جعشم الخير تحت الشجرة وكساه النبي ﷺ قميصه ونعليه وأعطاه من شعره[6].

(١) مسند أحمد ٤: ٤٢، والسنن الكبرى للبيهقي ١: ٢٥، والطبقات ٣: ق٢: ٨٧.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٦٧ بإسناده وساقه أيضاً عن البخاري.

(٣) المغازي للواقدي ٣: ١١٠٨ ـ ١١٠٩.

(٤) المغازي للواقدي ٣: ١١٠٨ ـ ١١٠٩.

(٥) المغازي للواقدي ٣: ١١٠٩.

(٦) الإصابة ١: ٢٣٦، والاستيعاب ١: هامش الإصابة: ٢٦٨، وأسد الغابة ١: ٢٨٦.

١٨ ـ كانت شعرات من شعرهﷺ في قلنسوة خالد، فلم يشهد بها قتالاً إلّا رزق النصر[١].

١٩ ـ روي في قصّة الحديبية (كما تقدّم)، أنّه لا يسقط شيء من شعره إلّا أخذوه[٢].

٢٠ ـ عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة ـ السلماني ـ: عندنا من شعر النبيﷺ أصبنا من قبل أنس، أو من قبل أهل أنس، قال: لأن تكون عندي شعرة منه أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها[٣].

قال في الفتح[٤]: فيما يستفاد من الحديث «وفيه التبرّك بشعرهﷺ».

٢١ ـ عن عبدالله بن موهب قال: أرسلني أهلي إلى أمّ سلمة بقدح من ماء وقبض إسرائيل[٥] ـ الراوي عن عثمان بن عبدالله بن موهب عن عبدالله ـ ثلاث أصابع من قصة (فضة خ د) فيه شعر من شعر النبيﷺ وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة فاطلعت في الحجل فرأيت شعرات حمراً.

قال في الفتح: والمراد أنّه كان من اشتكى أرسل إناءً إلى أمّ سلمة فتجعل فيه تلك الشعرات، وتغسلها فيه، وتعيده فيشربه صاحب الإناء، أو يغتسل به استشفاءً بها، ليحصل له بركتها[٦].

---

(١) التبرّك: ٩ عن تاريخ الخميس والسيرة الحلبية ٣: ٣٠٣، والمغازي للواقدي ٣: ٨٨٤ـ١١٠٨ والإصابة ١: ٤١٤، والشفا للقاضي عياض: ٥٤، وسيرة دحلان ٢: ٢٢٤، وكنز العمّال ١٥: ٣٤٣.

(٢) تقدّمت مصادره في التبرّك بماء وضوئهﷺ، وراجع سيرة ابن هشام ٣: ٣٢٨، والبحار ١٧: ٣٢ وفضائل الخمسة ١: ٢٠، ومسند أحمد ٤: ٣٢٤، والمغازي للواقدي ٢: ٦١٠ـ٦١٥، والسيرة الحلبية ٣: ٣٢.

(٣) البخاري ١: ٥٤، وتبرّك الصحابة: ٩، وسيرة دحلان ٢: ٢٥٤، والرصف: ٨٠.

(٤) الفتح ١: ٢٣٩.

(٥) بيان لصغر القدح، راجع فتح الباري ١٠: ٢٩٨.

(٦) البخاري ٧: ٢٠٧، والتبرّك: ١٠، والبداية والنهاية ٦: ٢١ عن عثمان بن موهب، والرصف: ١٠٩، وفتح الباري ١٠: ٢٩٨ـ٢٩٩ بألفاظ متقاربة.

٢٢ ـ عن عبدالله بن موهب قال: دخلت على أمّ سلمة، فأخرجت إلينا شعراً من شعر النبيّ ﷺ مخضوباً[١].

٢٣ ـ عن ابن موهب: أنّ أمّ سلمة أرته شعر النبيّ ﷺ أحمر[٢].

٢٤ ـ عن أنس: أنّ أمّ سليم كانت تبسط للنبيّ ﷺ نطعاً، فيقيل عندها على ذلك النطع.

قال: فإذا نام النبيّ ﷺ أخذت من عرقه وشعره، فجمعته في قارورة، ثمّ جمعته في سكك قال: فلمّا حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك السكك قال: فجعل في حنوطه[٣].

٢٥ ـ عثمان بن عبدالله بن موهب قال: دخلنا على أمّ سلمة، فأخرجت إلينا صرّة فيها شعر من شعر النبيّ ﷺ مخضوباً بالحناء.

قال عفان ويونس في حديثهما، والكتم[٤].

٢٦ ـ لما حضر معاوية الموت، أوصى بأن يدفن في قميص رسول الله وإزاره وردائه وشيء من شعره[٥].

٢٧ ـ عن الوليد بن أبي الوليد: أنّه رأى شعراً من شعر رسول الله ﷺ مصبوغاً

(١) البخاري ٧: ٢٠٧، وفتح الباري ١٠: ٢٩٩، ومسند أحمد ٦: ٢٩٦ بسندين وص٣١٩ ـ ٣٢٢.

(٢) البخاري ٧: ٢٠٧، والفتح ١٠: ٢٩٩، ومسند أحمد ٦: ٢٩٦، والطبقات ١: ق٢: ١٣٩، والبداية والنهاية ٦: ١٩ وما بعدها.

(٣) البخاري ٨: ٧٨، والفتح ١١: ٥٩ وتأتي هذه الرواية بلفظ آخر، وللعسقلاني في سندها ولفظها تحقيق فراجع الفتح وقال: والسّك بضمّ المهملة وتشديد الكاف هو طيب مركّب، وفي النهاية: طيب يضاف إلى غيره من الطيب، والطبقات ٧: ١٩ بنحو آخر يأتي.

(٤) الطبقات ١: ق٢: ١٣٩، والبداية والنهاية ٦: ٢٠، وسنن ابن ماجة ٢: ١١٩٦.

(٥) السيرة الحلبية ٣: ١٠٩، وتبرّك الصحابة: ١٦ عن شرح كتاب زاد المسلم ٤: ٢١٢، والإصابة ٣: ٤٠٠ ـ ٣٩٩ ويأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

بالحنّاء، وليس بشديد الحمرة، وكان يغسله بالماء ثمّ يشربه[١].

٢٨ ـ جعل في حنوط أنس بن مالك صرّة مسك وشعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

٢٩ ـ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ـ قال في حديث: ـ فرأيت شعراً من شعره صلى الله عليه وآله فإذا هو أحمر، فسألت فقيل: أحمر من الطيب[٣].

٣٠ ـ أتى رجل من ولد الأنصار إلى الرضا علي بن موسى عليهما السلام بحقة فضة مقفل عليها، وقال: لم يتحفك أحد بمثلها ففتحها وأخرج منها سبع شعرات وقال: هذا من شعر النبي صلى الله عليه وآله، فميّز الرضا عليه السلام أربع طاقات منها وقال: هذا شعره... الحديث[٤].

٣١ ـ عن أبي بكر أنه كان يقول: ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عمّا كان بين محمد وربّه... لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجّة الوداع قائماً عند المنحر يقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بدنة، ورسول الله صلى الله عليه وآله ينحرها بيده، ودعا الحلّاق فحلق رأسه، وانظر إلى سهيل يلتقط من شعره وأراه يضعه على عينيه، وأذكر إباءه أن يقرّ يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم....[٥].

نظرة في الأحاديث

لا يخفى على المتدبّر، أنّ الاختلاف في أحاديث شعر النبي صلى الله عليه وآله وقع من جهات،

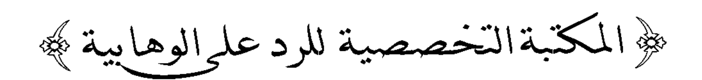
(١) الإصابة ٣: ٦٤٧.

(٢) الطبقات ٧: ١٩ وقد مرّ بنحو أبسط.

(٣) البخاري ٤: ٢٢٨ ربيعة بن أبي عبد الرحمن المدني الفقيه، ربيعة الراي مولى آل المنكدر راجع ميزان الاعتدال ٢: ٤٤.

(٤) البحار ٤٩: ٥٩.

(٥) كنز العمّال ١٠: ٣٠٢.



ففي بعضها: «دعا بالحلّاق فأعطاه شقّه الأيمن فحلقه ثمّ دفعه إلى أبي طلحة ليفرّقه بين الناس، ثمّ أعطاه شقّه الأيسر فحلقه ثمّ دفعه إلى أبي طلحة ليفرّقه بين الناس» وفي رواية: «وأشار إلى جانبه الأيمن ثمّ الأيسر ثمّ جعل يعطيه الناس» وفي رواية: «أنّه قسّم شعره الأيمن وأعطى أبا طلحة الأيسر» وفي لفظ: «أنه قسّم الأيمن وأعطى الأيسر أمّ سليم» وفي آخر: «أنه أعطى الأيمن أبا طلحة وقسّم الأيسر بين الناس» وفي آخر: «أنّ الأيمن أعطاه أبا طلحة وأما الأيسر فتقاسمه الناس هذا يأخذ شيئاً وذاك يأخذ آخر» وفي رواية: «أنّه حلق رأسه في ثوبه فقسّم منه على رجال».

وللعلماء في هذا الاختلاف كلام يأتي فيما بعد، ولكن التدافع والاختلاف في الخصوصيات إمّا لنسيان أو خطإ أو كذب وافتعال لا يضرّ بالاستدلال على أصل جواز التبرّك، وأنّه ﷺ أمر بالتقسيم أو قسّم شعره للتبرّك أو تقاسمه الناس أو أعطى أبا طلحة الأيمن أو الأيسر، وذلك للتواتر المعنوي في أصل المطلب، ولا ينافيه الخلاف في الخصوصيات.

وقال في تبرّك الصحابة: فإن قيل في هذه الروايات شبه تدافع فالجواب: أنّه لا تدافع، إذ يجمع بينها بأنّه ناول أبا طلحة كلّاً من الشقّين: فأمّا الأيمن فوزّعه أبو طلحة بأمره بين الناس، وأمّا الأيسر فأعطاه لأمّ سليم زوجته بأمر رسول الله ﷺ أيضاً، وزاد أحمد في رواية له: «لتجعله في طيبها» فأمره ﷺ بتفريق شعره بين أصحابه للتبرّك به، وحرصهم على ذلك وازدحامهم عليه حتى ينال أحدهم الشعرة والشعرتين فيه أقوى دليل على أنّ التبرّك بآثاره ﷺ كان أمراً مطرداً شائعاً بين أصحابه رضي الله عنهم شرعاً، لإقرارهم عليه، فلا ينكره إلّا من لم يخالط بشاشية الايمان قلبه (راجع ص٨).

وقال: أيضاً ص٩: وممّا هو معلوم من تبرّك أصحابه ﷺ بشعره الشريف

وبجميع ما خالط جسده الشريف، ما ثبت من جعل خالد بن الوليد بعض شعره في قلنسوته، فكان يدخل بها في الحرب ويستنصر ببركته ﷺ، ولمّا سقطت قلنسوته يوم اليمامة شدّ عليها شدّة حتّى أخذها، فأنكر عليه بعض الصحابة ذلك قبل علمهم بما فيها من شعر رسول الله ﷺ، لظنّهم أنّه خاطر بنفسه على قلنسوة لا قيمة لها، فقال خالد: لم أفعل ذلك لقيمة القلنسوة، لكن كرهت أن تقع بأيدي المشركين وفيها من شعر النبي ﷺ فرضوا عنه وأثنوا عليه. انتهى.

لكن جوابه في دفع الاختلاف ليس بصحيح إذ هو جمع بلا دليل، كما أنّه جمع بين بعض الروايات فقط كما لا يخفى.

وقال الحلبي في السيرة ج٣ ص٣٠٣: قال في النور: والحاصل أنّ الروايات اختلفت في صحيح مسلم، ففي بعضها أنه أعطاه الأيسر، وفي بعضها أنه أعطاه الأيمن، ورجح ابن القيم: أنّ الذي اختص به أبو طلحة هو الشقّ الأيسر، أقول: الذي في صحيح مسلم: قال للحلّاق «ها» وأشار بيده إلى جانبه الأيمن فقسّم شعره بين من يليه، وفي رواية فوزّعه الشعرة والشعرتين، ثمّ أشار إلى الحلّاق وإلى جانبه الأيسر فحلقه فأعطاه لأمّ سليم... والجمع ممكن بين هذه الروايات.انتهى. ولم يذكر طريق الجمع، والحقّ هو ما ذكرناه من جواز الاستدلال بما تواتر منها معنًى، وترك ما اختلفت فيه منها على حاله.

وتختص هذه الأحاديث بذكرها أن رسول الله ﷺ قد باشر بنفسه تقسيم الشعر في عمرة الحديبية أو عمرة القضاء وحجّة الوداع.

ويتبعه عمل الصحابة رضي الله عنهم في تبرّكهم بشعره ﷺ، كما في قصة قلنسوة خالد، ووضعه الشعر على عينيه وفمه، وكما في حديث عبدالله بن موهب الدالّ على مزاولة أهل المدينة للتبرّك والاستشفاء بالشعر الشريف، وإرسالهم الآنية إلى أمّ المؤمنين أمّ سلمة، لترسل لهم ماء مسّ شعره ﷺ، ليتبرّكوا به، وكذا

جعل الشعر في الحنوط، في حديث أنس بن مالك، ووصية معاوية بن صخر (وإن كان رياءً أو تظاهراً).

ويستفاد من هذه الأحاديث أيضاً حكم التوسل والاستشفاء؛ إمّا صريحاً، أو من أنّ حقيقة التبرّك هي التوسّل كما تقدّم بيانه.

ودلالتها على تبرّكهم بالشعر واستشفائهم ممّا لا يخفى على أي إنسان، إذ تقسيمه ﷺ الشعر، وتقاسمهم له، وتنافسهم فيه، وحفظهم له، والإيصاء بالتحنيط به، أو جعله في الطيب، كلّ ذلك إنّما هو للتبرّك به، وأصرح من ذلك عمل أهل المدينة، وأمّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها.

تبرّك التابعين بشعره ﷺ:

١ ـ عن عكرمة بن خالد قال: عندي من شعر رسول الله ﷺ مخضوب[1].

٢ ـ عن يحيى بن عباد عن أبيه قال: كان لنا جلجل من ذهب، فكان الناس يغسلونه وفيه شعر رسول الله ﷺ قال: فتخرج منه شعرات قد غيرت بالحناء والكتم[2].

٣ ـ عن عثمان بن حكم قال: رأيت عند آل أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة شعرات من شعر رسول الله ﷺ مصبوغاً بالحناء[3].

٤ ـ حينما حضرت عمر بن عبد العزيز ـ الخليفة الأموي ـ الوفاة، دعا بشعر من شعر النبي ﷺ، وأظفار من أظفاره، وقال: إذا مت فخذوا الشعر والأظفار، ثمّ

(١) الطبقات الكبرى ١: ق٢: ١٣٩ عكرمة هو ابن خالد بن سعيد المخزومي مكي معروف من مشيخة ابن جريج مات قبل العشرين ومئة (ميزان الاعتدال ٣: ٦٠).

(٢) الطبقات الكبرى ١: ق٢: ١٣٩. لعلّه يحيى بن عباد بن هاني المدني تلميذ ابن جريح، أو يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير أو يحيى عباد السعدي.

(٣) الطبقات الكبرى ١: ق٢: ١٣٩. عثمان بن الحكم الجذامي، شيخ عبدالله بن وهب.

اجعلوه في كفني، ففعلوا ذلك[١].

٥ ـ أعطى بعض ولد فضل بن الربيع أبا عبدالله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ وهو في الحبس ثلاث شعرات، فقال: هذا من شعر النبي ﷺ، فأوصى أبو عبدالله عند موته أن يجعل على كلّ عين شعرة، وشعرة على لسانه، ففعل ذلك به بعد موته[٢].

وأضف إلى ذلك ما في كتاب «الآثار النبوية» فقد نقل فيه ما يعلم منه اهتمام المسلمين بشعره ﷺ، وحفظهم إيّاه تبرّكاً به، (ص ٨١/٨٢).

قال ابن العجمى في تنزيه المصطفى، ثبت في الصحيحين بروايات أنه ﷺ حلق رأسه الشريف في حجّة الوداع، وقسّم شعره، أو أمر أبا طلحة وزوجته أمّ سليم بقسمته بين الصحابة الرجال والنساء.

قال ابن حجر فيه: إنّه يسنّ بل يتأكّد التبرّك بشعره ﷺ وسائر آثاره، كما نقل عن العلماء في أحاديث الشعر، وأنه كيف وصل إلى ابن سيرين.

ثمّ قال (في ص٨٣): كان عند أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المرشدي المولود سنة ٧٦٣ والمتوفى سنة ٨٢٩ شعرة أو شعرتان تلقّاها عن رجل ببيت المقدس.

ثمّ قال: شعرة بتونس بقبر الصحابي الجليل أبي زمعة البلوي أخذها يوم مِنى في حجّة الوداع، ووضعها في قلنسوته إلى أن استشهد في القيروان فدفنت معه.

وقال (في ص ٨٤): نقل ابن حجر الهيثمي: أنّ بمكة شعرة من شعره المكرّم مشهورة تزار، واتّفق الخلف عن السلف أنه من شعره ﷺ.

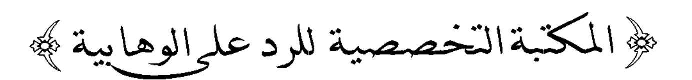
وقال(ص ٨٥): بدارالأشياخ بتونس شعرات بشعره(كذا) ﷺ وبقبر أبي شعرة.

وقال (ص٨٦): نقلاً عن ابن حجر العسقلاني: إنّ الخلاطي الحنفي يزعم أن عنده ركاب رسول الله ﷺ، ومن شعره ﷺ، وعن السخاوي: أن عند شمس الدين

---

(١) الطبقات ٦: ٣٠٠.

(٢) صفة الصفوة ٢: ٣٥٧.



محمد بن عمر، شعرة تنسب إلى النبيﷺ وكذا بجامع برسباي بالخانقاة.

وقال (ص٨٩): إنّ بالمسجد الحسيني بالقاهرة شعرات باقية.

وقال (ص ٩٠): إنّ برباط النقشبندية بالقاهرة شعرة.

وقال (ص ٩١): إنّ بالقسطنطينية شعرات.

وقال (ص ٩٢): إنّ بالمشهد الحسيني بدمشق شعرة.

وقال (ص٩٣): إنّ بمقام التوحيد بدمشق شعرة.

وقال (ص ٩٤): شعرة ببيت المقدس، وشعرتان بعكا وحيفا، وثلاث شعرات بصفد وطبرية والناصرة موجودة.

وقال (ص ٤٥): إنّ بطرابلس شعرتين وكذا في يهوبال الهند شعرة:

وأضف إلى ما تقدّم من النصوص ما في دلائل النبوّة للبيهقي[١] وصفة الصفوة[٢] والوفاء لابن الجوزي[٣] وتاريخ الإسلام للذهبي[٤] والبداية والنهاية[٥] ومسند أحمد[٦].

التبرّك بعرقه وبصاقه ونخامته وظفره:

هنا قسم آخر من النصوص الحاكية عن عمل الصحابة رضي الله عنهم في تبرّكهم بعرقه وبصاقه ونخامته وظفرهﷺ.

فهذه أمّ سليم تجمع عرقه ﷺ في قارورة تجعله في طيها، فيقولﷺ: «ما هذا

(١) النبوّة للبيهقي ١: ١٥٥ ـ ١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٥ ـ ١٧٦ ـ ١٧٨.

(٢) صفة الصفوة ١: ١٨٨ ـ ٤٨٠ ـ ٦٥٣.

(٣) الوفاء لابن الجوزي ٢: ٥٨٩.

(٤) تاريخ الإسلام ٢: ٢٩٨ ـ ٢٩٦.

(٥) البداية والنهاية ٦: ٢١، و٥: ١٨٩.

(٦) مسند أحمد ٣: ٢١٣ ـ ٢١٤ ـ ٢٣٩ ـ ٢٨٧.

الذي تصنعين؟» فتقول: «هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب نرجو بركته لصبياننا، فيقول: «أصبت».

بل جمعت عرقه وشعره في سكّ، فلمّا مات أنس بن مالك أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك السك، واستوهب منه محمد بن سيرين واستوهب منه أيّوب وأوصى محمد بن سيرين أن يحنّط به.

وقد يعيّنﷺ رجلاً في تزويج ابنته بقارورة من عرقهﷺ.

ويتبرّكون ببصاقهﷺ في البئار القليلة الماء، أو التي يكون ماؤها مرّاً، كما أنّهم يتبرّكون ببصاقه للأطفال والمراضع يتفل في أفواههم.

وقد تقدّمت بعض النصوص في ضمن الفصول المتقدّمة، وإليك نبذاً أخرى منها:

١ ـ عن أمّ سليم عن النبيﷺ كان يأتيها فيقيل عندها، فتبسط له نطعاً فيقيل عندها، وكان كثير العرق، فتجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير، قالت: وكان يصلّي على الخُمْرَة[١].

٢ ـ عن أنس قال: كان رسول اللهﷺ يدخل على أمّ سليم فتبسط له نطعاً فيقيل عليه، فتأخذ من عرقه فتجعله في طيبها وتبسط له الخُمْرَة فيصلّي عليها[٢].

٣ ـ عنه أيضاً قال: دخل علينا النبيﷺ فَقالَ عندنا، فعرق فجاءت أمّي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبيﷺ فقال: يا أمّ سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب[٣].

٤ ـ عنه أيضاً قال: كان النبيﷺ يدخل على بيت أمّ سليم فينام على فراشها

(١) مسند أحمد ٦: ٣٧٧.

(٢) مسند أحمد ٣: ١٠٣.

(٣) مسند أحمد ٣: ١٣٦، وصحيح مسلم ٤: ١٨١٥، والبداية والنهاية ٦: ٢٥، والرصف: ٨٧.

وليست فيه.

قال: فجاء ذات يوم فنام علىٰ فراشها، فأتت فقيل لها: هذا النبيّ ﷺ نائم علىٰ فراشك.

قالت: فجئت وذاك في الصيف فعرق النبي ﷺ حتى استنقع عرقه على قطعة أدم على الفراش، فجعلت أنشف ذلك العرق وأعصره في قارورة، ففزع وأنا أصنع ذلك فقال: ما تصنعين يا أمّ سليم؟ قالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت[1].

وفي لفظ آخر لمسلم ص(١٨١٦ ج ٤): عن أنس عن أمّ سليم: أنّ النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها، فتبسط له نطعاً فيقيل عليه، وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير، فقال النبي ﷺ: يا أمّ سليم ما هذا؟ قالت: عرقك أدوف به طيبي.

٥ ـ عنه أيضاً قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي بيت أمّ سليم فينام على فرشها، وليست أمّ سليم في بيتها، فتأتي فتجده نائماً، وكان ﷺ إذا نام ذفَّ عرقاً فتأخذ عرقه بقطنة فتجعله في مسكها»[2].

٦ ـ وعنه: أنّ أمّ سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نطعاً؛ فيقيل عندها على ذلك النطع، قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثمّ جمعته في سكّ. قال: فلمّا حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك السكّ قال: فجعل في حنوطه[3].

---

(١) مسند أحمد ٣: ٢٢١ ـ ٢٢٦، وصحيح مسلم ٤: ١٨١٥ قريباً ممّا نقلناه، وكذا في سيرة دحلان ٢: ٢٥٦، والبداية والنهاية ٦: ٢٥، ومنحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي ٢: ١٢٥.

(٢) مسند أحمد ٣: ٢٣٠.

(٣) البخاري ٨: ٧٨ وفاء الوفاء ٣: ٨٨١ عنه والفتح ١١: ٥٩.

قال ابن حجر في الفتح ج ١١ ص ٥٩ بعد ذكره ما نقلناه عن البخاري عن أنس: «إنّ أمّ سليم كانت تبسط للنبي نطعاً فيقيل عندها على ذلك النطع، قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثمّ جمعته في سك وهو نائم، قال: فلمّا حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى إليّ أن يجعل في حنوطه من ذلك السكّ. قال: فجعل في حنوطه».

قال: وفي ذكر الشعر غرابة في هذه القصّة، وقد حمله بعضهم على ما ينتشر من شعره ﷺ عند الترجل، ثمّ رأيت في رواية محمد بن سعد ما يزيل اللبس، فإنّه أخرج بسند صحيح عن ثابت عن أنس: «أنّ النبي ﷺ لمّا حلق شعره بِمِنى أخذ أبو طلحة شعرة فأتى بها أمّ سليم فجعلته في سكها، قالت أمّ سليم: وكان يجيء فيقيل عندي على نطعي، فجعلت أسلت العرق... الحديث[1].

فيستفاد من هذه الرواية أنّها لمّا أخذت العرق وقت قيلولته أضافته إلى الشعر الذي عندي، لا أنّها أخذت من شعره لما نام...

٧ ـ عن محمد بن سيرين عن أمّ سليم قالت: كان رسول الله ﷺ يقيل في بيتي فكنت أبسط له نطعاً فيقيل عليه فيعرق، فكنت آخذ سكّا فأعجنه بعرقه، قال محمد: فاستوهبت من أمّ سليم من ذلك السك فوهبت لي منه.

قال أيوب: فاستوهبت من محمد من ذلك السك فوهب لي منه فإنّه عندي الآن. قال: فلمّا مات محمد حُنِّط بذلك السك. قال: وكان محمد يعجبه أن يُحنّط الميّت بالسك[2].

٨ ـ عن البراء بن زيد: أنّ النبي ﷺ قال في بيت أمّ سليم على نطع فعرق فاستيقظ رسول الله ﷺ وأمّ سليم تمسح العرق، فقال: يا أمّ سليم ما تصنعين؟ قال:

---

(١) الطبقات ٨: ٣١٣.

(٢) الطبقات ٨: ٣١٣.

فقالت: آخذ هذه البركة التي تخرج منك(١).

٩ ـ عن أمّ سليم: كان النبيﷺ يجيء يقيل عندي على نطع وكان معراقاً، قالت: فجاء ذات يوم فجعلت أسلت العرق فأجعله في قارورة لي فاستيقظ النبيﷺ، فقال: ما تجعلين يا أمّ سليم؟ فقلت: باقي عرقك أريد أن أدوف به طيبي(٢).

١٠ ـ عن ثابت عن أنس قال: كان النبيﷺ يقيل عند أمّ سليم وكان من أكثر الناس عرقاً، فاتخذت له نطعاً فكان يقيل عليه وخطّت بين رجليه خطّاً، فكانت تنشف العرق فتأخذه، فقال: ما هذا يا أمّ سليم؟ قالت: عرقك يا رسول الله أجعله في طيبي، فدعا لها بدعاء حسن(٣).

١١ ـ تقدّم في تبرّكهم بماء وضوئهﷺ، أنّ عروة بن مسعود قال: فوالله ما تنخّم رسول اللهﷺ نخامة إلّا وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده(٤).

١٢ ـ تقدّم أيضاً في التبرّك بماء وضوئهﷺ (في قصة الحديبية) عن عروة بن مسعود قوله: «لا يتوضّأ وضوءاً إلّا ابتدروه، ولا يبصق بصاقاً إلّا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه»(٥).

---

(١) الطبقات ٨: ٣١٣.

(٢) الطبقات ٨: ٣١٤.

(٣) مسند أحمد ٣: ٢٣١.

(٤) راجع لمزيد الاطلاع: البداية والنهاية ٥: ٢٠٥ و٦: ٢٤ ـ ٢٥، وتبرّك الصحابة: ١٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٣٠٢، وصفة الصفوة ٢: ٦٦، ودلائل النبوّة للبيهقي ١: ١٩١ ـ ١٩٢، وسيرة دحلان ٢: ٢٥٦، وفتح الباري ٦: ٤١٧ و١١: ٥٩.

(٥) راجع مسند أحمد ٤: ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٩ ـ ٣٣٠، والمصنف لعبد الرزاق ٥: ٣٣٦، والسنن الكبرى للبيهقي، ٩: ٢١٩ وتبرّك الصحابة: ٦، وفضائل الخمسة ١: ٢٠ ـ ٢١، والمغازي للواقدي ٢: ٥٩٨ والبحار ١٧: ٣٢، والشفا للقاضي عياض ٢: ٣٧ وشرحه لملّا علي القاري ٢: ٦٧، وتاريخ الخميس ٢: ١٩، والبخاري ٣: ٢٥٤، وسيرة ابن هشام ٣: ٣٢٨، والسيرة الحلبية ٣: ١٨.

١٣ ـ مرّ ما يدلّ على تبرّك الصحابة رضي الله عنهم ببصاقه ﷺ في النصوص الواردة في تبرّكهم بماء وضوئه وكذا تبرّكهم بتفله.

١٤ ـ بزق ﷺ على صدر عبدالله بن أبيّ بعد تكفينه[١].

١٥ ـ وقد مرّ وسيأتي: أنّ معاوية أوصى أن يدفن معه ظفره ﷺ، ويجعل على عينه وفمه ومنخره[٢].

١٦ ـ عن رجل من قيس قال: لمّا مات أبي جاء ـ يعني رسول الله ﷺ ـ وقد شددته في كفنه، وأخذت سلاءة فشددت بها الكفن، فقال: لا تعذّب أباك بالسلا ـ قالها حمّاد ثلاثاً ـ قال: ثمّ كشف عن صدره، وألقى السلا، ثمّ بزق على صدره حتّى رأيت رضاض بزاقه على صدره[٣].

١٧ ـ عن أنس قال: ما ورثتني أمّ سليم إلّا ببرد رسول الله ﷺ، وقدحه الذي كان يشرب فيه، وعمود فسطاطه، وصلاية كانت تعجن عليها أمّ سليم الرامك بعرق رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يكون في بيت أمّ سليم فينزل عليه الوحي وهو على فراشها، فيجدل كما يجدل المحموم فيعرق، فكانت أمّ سليم تعجن الرامك بعرقه[٤].

١٨ ـ عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يقول للمريض ببزاقه باصبعه بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربّنا[٥].

١٩ ـ عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي

---

(١) مسند أحمد ٥: ٧٣.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ١٠٩، وتبرّك الصحابة: ١٦.

(٣) مسند أحمد ٥: ٧٣.

(٤) كنز العمال ٧: ١٤٦.

(٥) كنز العمّال ١٠: ٦٠.

زوّجت ابنتي، وأنا أحبّ أن تعينني بشيء، فقال: ما عندي شيء، ولكن إذا كان غداً فأتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة... فلمّا كان الغداة أتاه بذلك فجعل النبي ﷺ يسلت العرق عن ذراعيه، حتّى امتلأت القارورة... الحديث[١].

نظرة وتحقيق في الأحاديث

تكرّرت الروايات في أخذ أمّ سليم عرق النبي ﷺ بمضامين مختلفة ففي بعضها: أنّ سيرة رسول الله ﷺ استقرّت على أن يقيل في بيت أمّ سليم، حتى اتخذت لذلك نطعاً، فكان يقيل عليه، وخطّت بين رجليه خطّاً فكانت تنشف العرق وتأخذه. وفي بعضها: أنّ رسول الله ﷺ كان يأتي بيت أمّسليم، فينام فيه، وليست هي في البيت فتأتي وتجده نائماً فتأخذ من عرقه.

وظاهر بعضها أنّها كانت تمسح العرق عن وجهه، كما أنّ في بعضها أنّها كانت تجعل العرق في قارورة، وفي بعضها أنّها أخذت سكاً تعجنه بعرقه، وفي بعضها أنّ أمّسليم كانت تأخذ العرق حين نزول الوحي على النبي ﷺ.

فهنا عدّة أسئلة تواجهنا:

فلِمَ ترك رسول الله بيوت نسائه وبناته وعمّاته، واستمر عمله على القيلولة في بيت أمّ سليم؟ وقد نقل قيلولته كثيراً عند الشفا بنت عبدالله القرشيّة... التي كانت من عقلاء النساء وفضلائهنّ...[٢].

وأيّة خصوصية لها[٣]، عدا أنّ ابنها كان خادماً لرسول الله ﷺ؟

---

(١) سيرة دحلان ٢: ٢٥٥ والبداية والنهاية ٦: ٢٥ وفتح الباري ٦: ٤١٧.

(٢) الإصابة ٤: ٣٤٠، والاستيعاب ٤: ٣٤٠، وأسد الغابة ٥: ٤٨٦.

(٣) لعلّ الخصوصيّة ما حدّثوه عن أنس: أنّ النبيّ ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أمّسليم إلّا على أزواجه. فقيل له: فقال ﷺ: إنّي أرحمها قتل أخوها معي. (البخاري ٤: ٣٣، ومسلم ٤: ١٩٠٨ باختلاف يسير، ومسند أحمد ٤: ٣٩٤ قريباً منه.

وإلى أي حدّ كانﷺ معراقاً حتّى يجري عرقه على النطع ويستنقع حتّى تنشفه أمّ سليم؟

ثمّ.. كيف رخصﷺ أمّ سليم، وهي امرأة أجنبية، أن تباشر مسح العرق عن وجههﷺ(١)؟

وبأيّ طريق يجمع بين الروايات المختلفة على نحو ما تقدّم؟

هذه أسئلة لا جواب لبعضها، ولكنّها لا تمنع من الاستدلال في مورد الاتفاق وهو جواز التبرّك بآثار النبيﷺ.

ودلالتها على التبرّك بمكان من الوضوح، سيما مع تصريح أمّ سليم برجاء البركة. كما أنّ ترغيب رسول اللهﷺ إيّاهم في التبرّك أيضاً لا يخفى على المتدبِّر المنصف، ولاسيما في قصة إعطائهﷺ عرقه لرجل يريد تزويج ابنته، ويطلب منهﷺ الإعانة، فهل هذا إلّا طلب البركة وإعانته بذلك إجابة لهذا الطلب؟

(١) لم تذكر مباشرتها مسح العرق عن وجههﷺ في الروايات.

التبرّك بقدحه ﷺ وموضع فمه ﷺ

بحث إجمالي

تبرّكهم بقدحه ﷺ

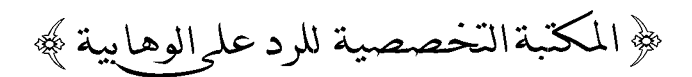
تبرّكهم بموضع فمه وآثار أصابعه من الطعام

تبرّكهم بمنبره ﷺ واحترامهم له

كلام السمهودي

تبرّكهم بالدنانير التي أعطاها رسول الله ﷺ لبعضهم

الكلام حول الأحاديث



تبرّك الصحابة رضي الله عنهم بقدحه صلى الله عليه وآله

بحث إجمالي

ونعرض هنا للقرّاء الكرام طائفة أخرى من النصوص الدالّة على تبرّك الصحابة رضي الله عنهم بآثار الرسول صلى الله عليه وآله، كي يتدبّروا فيها سنداً ودلالة، تدبّر منصف محقّق سلّم نفسه لله تبارك وتعالى، حتى يتبيّن لهم كون التبرّك عند الصحابة أمراً مسلّماً؛ لا مرية فيه ولا ريب يعتريه.

إذ إننا نجد في تلك النصوص: أنّ أمّ سليم تقطع فم القربة التي يشرب منها الرسول العظيم صلى الله عليه وآله، لمسّ فمه فم القربة، وكذلك كبشة بنت ثابت، وكلثم جدّة عبد الرحمن.

ونجد أيضاً أنّ سهل بن سعد الساعدي سقى النبي صلى الله عليه وآله في قدح عنده، فيقول أبوحازم الراوي عنه: فأخرج سهل لنا هذا القدح فشربنا منه ثمّ استوهبه منه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، فوهبه إيّاه، وكان عمر وقتئذ أمير المدينة. ومعلوم أنّ كلّ ذلك ـ كما قال ابن حجر في الفتح ـ للتبرّك بآثار الصالحين، فكيف التبرّك بالنبي العظيم صلى الله عليه وآله؟!

وأنّ أنس بن مالك كان يحتفظ بقدح النبي صلى الله عليه وآله وقد بقي حتّى رآه البخاري في



البصرة وتبرّك بالشرب منه.

وأنّ أبا أيّوب وأمّه كانا يتبرّكان بموضع أصابع النبيﷺ من الطعام وقال: «نبتغي بذلك البركة».

وأنّ عمر بن الخطّاب الخليفة الثاني كان يتبرّك بالشرب في قدح النبيﷺ وينضح من مائه على وجهه.

وأنّ أمّ عامر أخذت الشجب الذي شرب فيه النبيﷺ، فدهنته وكانت تسقي فيه المرضى استشفاء، ويتبرّك الناس بالشرب فيه.

وأنّ أسماء كانت تدير الكأس، وتتبع بشفتها لتصيب منه مشرب النبيﷺ.

وأنّ عبدالله بن سلام يسقي أبا بردة في قدح شرب فيه النبيﷺ.

والنصوص الدالّة على ذلك كثيرة نذكر منها:

تبرّك الصحابة رضي الله عنهم بقدحهﷺ

١ ـ قال أبو بردة: قال لي عبدالله بن سلام: ألا أسقيك في قدح شرب النبيﷺ فيه[1]؟

٢ ـ عن سهل بن سعد في حديث قال: فأقبل النبيﷺ يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه، ثمّ قال: اسقنا يا سهل، فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه (قال الراوي): فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه. قال: ثمّ استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له[2].

قال ابن حجر في الفتح: كان عمر بن عبد العزيز حينئذ قد وُلي إمرة المدينة وليست الهبة هنا حقيقة، بل من جهة الاختصاص.

(١) البخاري ٧: ١٤٧، وتبرّك الصحابة: ١١ عنه، وفتح الباري ١٠: ٨٥.

(٢) البخاري ٧: ١٤٧، والفتح ١٠: ٨٦، وصحيح مسلم ٣: ١٥٩١.

(يعني من أجل أنّ الآثار النبوية لا تباع أو لا تملك، بل الذي تكون عنده يكون لها نحو اختصاص به، وفي الحديث التبسط على الصاحب... والتبرّك بآثار الصالحين).

٣ ـ عن عاصم الأحول قال: رأيت قدح النبي ﷺ عند أنس بن مالك قد انصدع فسلسله بفضة. قال: وهو قدح جيّد عريض من نضار.

قال: قال أنس: لقد سقيت رسول الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا. قال ابن سيرين: إنّه كان فيه حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة، فقال أبو طلحة: لا تغيرن شيئاً صنعه رسول الله ﷺ فتركه[1].

قال في الفتح: تقدّم في فرض الخمس من طريق أبي حمزة السكري عن عاصم قال: رأيت القدح وشربت منه. وأخرجه أبو نعيم من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن أبي حمزة ثمّ قال: قال علي بن الحسن: وأنا رأيت القدح وشربت منه.

وذكر القرطبي في مختصر البخاري أنه رأى في بعض النسخ القديمة من صحيح البخاري: قال أبو عبدالله البخاري: رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت منه، وكان اشتري من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف.

أقول: وقال صاحب كتاب تبرّك الصحابة بعد نقل الحديث، ونعم ما قال: فقد كان هذا القدح محفوظاً عند الصحابة والتابعين للتبرّك بالشرب فيه ولم يسمع من أحد من الصحابة ولا من أئمّة التابعين إنكار ذلك ولا الاستخفاف به، فكيف يتوهّم جاهل بالسنة أن هذا التبرّك وشبهه منهيّ عنه، أو خلاف الأفضل، أحرى أن يوصف فاعله بالضلال، أعاذنا الله منه؟!

٤ ـ عن صفية بنت بحرة قالت: استوهب عمّي فراس من النبي ﷺ قصعة رآه يأكل فيها فأعطاها إيّاها. قال: وكان عمر إذا جاءنا قال: أخرجوا لي قصعة

(١) البخاري ٧: ١٤٧، وتبرّك الصحابة: ١٢، والفتح ١٠: ٨٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٣٥٤، والبداية والنهاية ٦: ٧، ومسند أحمد ٣: ١٣٩.

رسول الله ﷺ، فنخرجها إليه فيملأها من ماء زمزم فيشرب منها، وينضحه على وجهه[١].

٥ ـ عن حجّاج بن حسان قال: كنّا عند أنس فدعا بإناء فيه ثلاث ضبات حديد وحلقة من حديد، فأخرج من غلاف أسود وهو دون الربع وفوق نصف الربع، وأمر أنس بن مالك فجعل لنا فيه ماء، فأتينا به فشربنا وصببنا على رؤوسنا ووجوهنا، وصلّينا على النبي ﷺ[٢].

٦ ـ عن أنس: أنّ قدح النبي ﷺ انكسر، فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة. قال عاصم: رأيت القدح وشربت فيه[٣].

تبرّك الصحابة رضي الله عنهم بموضع فمه وآثار أصابعه من الطعام

١ ـ عن أنس قال: حدّثتني أمّي: أنّ رسول الله ﷺ دخل عليها وفي بيتها قربة معلّقة، قالت: فشرب من القربة قائماً، قالت: فعمدت إلى فم القربة فقطعتها[٤].

٢ ـ عنه أيضاً: أنّ النبيّ ﷺ دخل على أمّ سليم بيتها وفي البيت قربة معلّقة فيها ماء، فتناولها فشرب من فيها وهو قائم، فأخذتها أمّ سليم، فقطعت فمها فأمسكته عنها[٥].

٣ ـ عن أبي أيّوب الأنصاري قال: وكنّا نضع له العشاء (يعني حين كان ﷺ نازلاً في داره) ثمّ نبعث فإذا رد علينا فضله تيمّمت أنا وأمّ أيوب موضع يده، فأكلنا

(١) الإصابة ٣: ٢٠٢. قال: وأخرجه ابن مسندة فيمن اسمه خداش بالخاء المعجمة والدال المهملة والشين المعجمة، وأسد الغابة ٤: ١٧٦، وكنز العمّال ١٤: ٢٦٤.

(٢) البداية والنهاية ٦: ٧، ومسند أحمد ٣: ١٨٧.

(٣) البخاري ٤: ١٠١.

(٤) مسند أحمد ٦: ٣٧٦ ـ ٤٣١ بسندين، ومنحة المعبود ٢: ١٢٥.

(٥) الطبقات ٨: ٣١٣ بسندين.

منه نبتغي بذلك البركة، حتّى بعثنا إليه ليلة بعشائه، وقد جعلنا له بصلاً وثوماً، فردّه رسول الله ﷺ ولم أرَ ليده فيه أثراً فجئته فزعاً، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي رددت عشاءك ولم أرَ فيه موضع يدك، وكنت حينما ترد علينا فضل طعامك أتيمّم أنا وأمّ أيّوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة.

وفي لفظ مسلم (في حديث نزول رسول الله ﷺ على أبي أيّوب): فتحوّل النبي ﷺ في العلو، وأبو أيّوب في السفل، فكان يصنع للنبي ﷺ طعاماً، فإذا جيء به إليه سئل عن موضع أصابعه، فيتبع موضع أصابعه، فصنع له طعاماً فيه ثوم، فلمّا ردّ إليه سئل عن موضع أصابع النبي ﷺ، فقيل: لم يأكل، ففزع وصعد إليه فقال: أحرامٌ هو؟ فقال النبي ﷺ: لا ولكنّي أكرهه... الحديث.

وفي لفظ الإصابة: «قلت: يا رسول الله كنت ترسل إليّ بالطعام، فأنظر فأضع أصابعي حيث أرى أثر أصابعك حتى كان هذا الطعام... الحديث[1].

قال الدكتور محمد سعيد البوطي (بعد نقل الحديث وبعد أن تكلّم عن بعض ما يستفيده من الحديث ووصل البحث إلى التبرّك): والذي يهمّنا هنا هو التأمّل في تبرّك أبي أيّوب وزوجه بآثار أصابع رسول الله ﷺ في قصّة الطعام، حينما كان يرد عليهما فضل طعامه. إذاً فالتبرّك بآثار النبي ﷺ أمر مشروع قد أقرّه ﷺ ـ ثمّ ذكر الروايات التي نقلها البخاري ومسلم في التبرّك فقال: ـ فإذا كان هذا شأن التوسّل بآثاره المادّية، فكيف بالتوسل بمنزلته عند الله جلّ جلاله؟ ثمّ علّق على ذلك بقوله:

(١) فقه السيرة للدكتور محمد سعيد البوطي: ١٨٨ ـ ١٨٩، وتبرّك الصحابة: ١١ عن زاد المسلم، والبداية والنهاية ٣: ٢٠١، والإصابة ١: ٤٠٥، والفتوحات الإسلامية لدحلان ٢: ٢٣٦، والطبقات الكبرى ١ ق٢: ١١٠، وصحيح مسلم ٣: ١٦٢٣، ومنحة المعبود ١: ٣٢٩، وأسد الغابة ١: ٨١، ومسند أحمد ٥: ٤١٥ ـ ٤٢٠ واللفظ لفقه السيرة والباقون نقلوه بألفاظ متقاربة، وراجع كنز العمّال ٢٠: ١٤، وسيرة ابن هشام ٢: ١٤٤.

يرى الشيخ ناصر الألباني: أنّ مثل هذه الأحاديث لا فائدة منها في هذا العصر... ونحن نرى أنّ هذا الكلام خطير لا ينبغي أن يتفوّه به مسلم، فجميع أقوال الرسول وأفعاله وإقراراته تشريع، والتشريع باق مستمر إلى يوم القيامة ما لم ينسخه كتاب أو سنّة صحيحة، ومن أهمّ فوائد التشريع ودليله معرفة الحكم والاعتقاد بموجبه، وهذه الأحاديث الثابتة الصحيحة لم ينسخها كتاب ولا سنّة مثلها، فمضمونها التشريع باقٍ إلى يوم القيامة، ومعنى ذلك أنّه لا مانع من التوسل والتبرّك بآثار النبي ﷺ فضلاً عن التوسّل بذاته وجاهه...

٤ ـ عن كبشة بنت ثابت قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ فشرب من فيّ قربة معلّقة قائماً فقمت إلى فمها فقطعته. وفي الاستيعاب «فقطعت فمها فرفعته»[١].

٥ ـ عن أمّ عامر ـ واسمها فكيهة أو أسماء ـ بنت يزيد بن السكن قالت: رأيت رسول الله ﷺ صلّى في مسجدنا المغرب فجئت منزلي فجئته بلحم وأرغفة، فقلت: تعش، فقال لأصحابه: كلوا فأكل هو وأصحابه الذين جاءوا... قالت: وشرب عندي في شجب فأخذته فدهنته وطويته، وكنّا نسقي فيه المرضى ونشرب منه في الحين رجاء البركة[٢].

٦ ـ عن عبد الرحمان بن أبي عمرة عن جدّته كلثم قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا قربة معلّقة فشرب منها فقطعت فم القربة ورفعتها تبتغي البركة موضع فيّ رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) الإصابة ٤: ٣٩٤، والاستيعاب ٤: ٣٩٥، وأسد الغابة ٥: ٥٣٦.

(٢) الإصابة ٤: ٤٧١، والطبقات الكبرى ٨: ٢٣٤.

الشجب: قربة تحزز من أسفلها ويقطع رأسها إذا خلقت شبه الدلو العظيم. كذا فسّره في الطبقات، وفي النهاية: الشجب بالسكون: السقاء الذي قد أخلق وبلى وصار شناً.

(٣) أسد الغابة ٥: ٥٣٩ إلى قوله «فم القربة» وفي ابن ماجة ٢: ١١٣٢ عن عبد الرحمان بن أبي عمرة عن جدة له يقال لها كبشة الأنصارية... الحديث والزيادة من ابن ماجة.

٧ ـ عن شهر بن حوشب: أنّ أسماء بنت يزيد بن السّكن إحدى نساء بني عبد الأشهل، دخل عليها يوماً (يعني رسول الله ﷺ) فقرّبت إليه طعاماً فقال: لا أشتهيه فقالت: إنّي قنيت عائشة لرسول الله ثمّ جئته فدعوته لجلوتها فجاء فجلس إلى جنبها فأتى بعسّ لبن فشرب ثمّ ناولها النبي ﷺ فخفضت رأسها واستحييت.

قالت أسماء: فانتهرتها وقلت لها: خذي من يد النبي ﷺ قالت: فأخذت فشربت شيئاً ثمّ قال لها النبي: أعطي تربك. قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله بل خذه فاشرب منه ثمّ ناولنيه من يدك، فأخذه وشرب منه ثمّ ناولنيه، قالت أسماء: فجلست ثمّ وضعته على ركبتي، ثمّ طفقت أديره وأتبعه بشفتي لأصيب منه مشرب النبي ﷺ... الحديث[1].

عود إلى بدء

قد أسلفنا أنّ هذه الأحاديث بأسرها كما تدلّ على جواز التبرّك أو استحبابه، فكذا هي تدلّ على جواز الاستشفاء والاستشفاع والتوسّل، إذ التبرّك في الحقيقة توسل، فكان المتبرّك يتوسّل بهذا الشيء المتوسل به إلى الوصول إلى ما يريد، وقد أشار إلى ذلك محمد سعيد البوطي فيما تقدّم من كلامه بقوله: «فإذا كان هذا شأن التوسّل بآثاره المادّية فكيف بالتوسّل بمنزلته عند الله جل جلاله؟!» حيث عبّر عن تبرّك أبي أيّوب الأنصاري وأمثاله من الصحابة الكرام بالتوسل ولنعم ما قال وحقّق.

ويظهر من كلام ابن حجر في شرح الأحاديث الكثيرة استفادة جواز التبرّك أو استحبابه بآثار جميع الصلحاء، وكأنّه استنبطه من هذه الأخبار بإلغاء

---

(١) مسند أحمد ٦: ٤٥٨.

الخصوصية، ويشهد له تبرّك الصحابة رضي الله تعالى عنهم ببعضهم ببعض أو تبرّكهم بآل الرسول، وتبرّكهم بقبر حمزة سيّد الشهداء رحمه الله تعالى كما سنشير إليه.

التبرّك بمنبره ﷺ

١ ـ كان عبدالله بن عمر يتبرّك بمقعد النبي ﷺ من منبره[١].

٢ ـ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري: أنّه نظر إلى ابن عمر وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثمّ وضعها على وجهه[٢].

٣ ـ عن يزيد بن عبدالله بن قسيط قال: رأيت ناساً من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم ثمّ استقبلوا القبلة يدعون[٣].

٤ ـ سنّ رسول الله ﷺ الأيمان على الحقوق عند منبره وقال: من حلف على منبري كاذباً ولو على سواك أراك فليتبوأ مقعده من النار[٤].

٥ ـ وقال: لا يحلف أحد عند هذا المنبر أو عند منبري على يمين آثمة، ولو على سواك رطب، إلّا وجبت له النار[٥].

---

(١) الشفا للقاضي عياض ٢: ٥٤، وكشف الارتياب: ٤٤٠.

(٢) الطبقات الكبرى ١: ق٢: ١٣.

(٣) الطبقات الكبرى ١: ق٢: ١٣.

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ق٢: ١٠ وفي الفتح ٥: ٢١٠ عن النسائي عن أبي امامة «من حلف عند منبري هذا بيمين كاذبة يستحلّ بها مال امرئ مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين «لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» ومسند أحمد ٣: ٣٧٥ قريباً ممّا نقله الفتح.

(٥) الطبقات ١: ق٢: ١٠، الفتح ٥: ٢١٠ عن مالك وأبي داود والنسائي وابن ماجة وقال: وصحّحه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم وابن أبي شيبة مع اختلاف في اللفظ، ومسند أحمد ٢: ٥١٨.

٦ ـ أيما امرئ من المسلمين حلف عند منبري على يمين كاذبة يستحقّ بها حقّ مسلم، أدخله الله النار، وإن كان على سواك أخضر[١] (عن جابر).

٧ ـ لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلّا تبوأ مقعده من النار[٢] (عن جابر).

٨ ـ لا يحلف أحد عند منبري على يمين آثمة ولو على سواك رطب إلّا وجبت له النار[٣] (عن أبي هريرة).

٩ ـ من حلف بيمين آثمة عند منبري هذا، فليتبوأ مقعده من النار ولو على سواك أخضر[٤] (عن جابر).

١٠ ـ من حلف على منبري ولو على قضيب سواك أخضر كاذباً كان من أهل النار[٥]. (عن أبي هريرة).

١١ ـ منبري روضة من رياض الجنّة، فمن حلف عنده على سواك أخضر كاذباً فليتبوأ مقعده من النار ليبلغ شاهدكم غائبكم[٦] (عن ابن الجوزاء مرسلاً).

١٢ ـ لا يحلف أحدكم على منبري هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلّا تبوّأ مقعده من النار[٧] (عن جابر).

أقول: هل كان هذا إلّا بياناً لحرمة منبره، وحفظاً لشؤونه، وإكباراً له، على اعتبار أن الحلف عنده كاذباً فيه هتك لهذه الحرمة وخلاف شأنه وإكباره، مع أنّ المنبر

(١) كنز العمّال ٢٢: ٢٢١.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.

عود من أعواد الأشجار وشيء جامد لا وجه لثبوت هذه الحرمة له إلّا انتسابه إلى النبي الأقدسﷺ، وصيرورته من مختصّاته كلباسه وسيفه وقدحه وشعره وظفره وسؤره وغيرها ممّا يناط بهﷺ. فكلّ ما يرجع إليه ويناط به يصير من شؤونه، ويحترم باحترامه، ويكرم بإكرامه، فيكون إعظامه إعظاماً له، وهتكه هتكاً له كمشاعر الله سبحانه، ﴿ومن يعظِّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب﴾ وبهذا البيان يكون الرسولﷺ وحرمته وإكرامه وإعظامه وإكباره من شؤون الحقّ تبارك وتعالى، ومنوطاً به ومنسوباً إليه، لأنّه رسوله وعبده ووليّه، ومن أجل ذلك يتبرّك به جميع أولياء الله، ويتبرّك بهم وبآثارهم.

١٣ ـ يتأبى زيد بن ثابت من الحلف على المنبر تعظيماً له. قال البخاري: قضى مروان باليمين على زيد بن ثابت على المنبر فقال: احلف له مكاني فجعل زيد يحلف وأبىٰ أن يحلف عند المنبر فجعل مروان يعجب منه(١).

أقول: جعل ابن حجر في الفتح التغليظ في اليمين: أن يكون في المدينة عند المنبر وفي مكّة وبين الركن والمقام، ثمّ نقل أنّ عثمان أمر شخصاً أن يحلف عند المنبر فأبى أن يحلف. وقال: أحلف حيث شاء غير المنبر، فأبى عليه عثمان أن يحلف إلّا عند المنبر، فغرم له بعيراً مثل بعيره ولم يحلف.

١٤ ـ قالﷺ: لا يحلف رجل على يمين آثمة عند هذا المنبر إلّا تبوّأ مقعده من النار، ولو على سواك أخضر(٢).

١٥ ـ ذكر الشيخ أحمد بن عبد الحميد المتوفى في القرن العاشر في كتابه عمدة الأخبار الطبعة الخامسة ص ١٣٥: تبرّك الناس بأعواد منبر النبيﷺ.

١٦ ـ روي عن مالك ويحيى بن سعيد الأنصاري شيخ مالك وكذا عن ابن عمر

(١) البخاري ٣: ٢٣٤، والفتح ٥: ٢١٠.

(٢) الطبقات الكبرى ١: ق٢: ١٢، وقريب منه ما في مسند أحمد ٣: ٣٤٤.

وسعيد بن المسيب جواز مسح رمانة المنبر(١).

١٧ ـ منبره صلى الله عليه وآله كان بمكانه حتى احترق، وكان لإحراقه في سكّان المدينة الطيّبة وقع أليم، لما فاتهم من مسّ رمّانته التي كان يضع يده المباركة عليها ولمس موضع قدميه الشريفين(٢).

١٨ ـ قال العاقولي بعد ذكره منبر رسول الله صلى الله عليه وآله: ثمّ إنّ هذا المنبر تهافت على طول الزمان، فجدّده بعض خلفاء بني العبّاس، واتخذ من بقايا أعواد منبر النبي صلى الله عليه وآله أمشاطاً للتبرّك بها. ذكره بعض المؤرّخين(٣).

كما أنّهم ـ يعني الصحابة رضي الله عنهم ـ كانوا يهتمّون بمسّه صلى الله عليه وآله، وقد ذكرنا موارد من ذلك بما لا مزيد عليه(٤) وقد روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله جاء إلى السوق فوجد زهيراً ـ زاهراً ـ! قائماً يبيع متاعاً فجاء من قبل ظهره وضمّه بيده إلى صدره، فأحسّ زهير بأنّه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء حصول بركته.

وفي لفظ أحمد: فأتاه النبي صلى الله عليه وآله يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال الرجل: أرسلني مَنْ هذا؟ فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وآله فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وآله حين عرفه، وجعل النبي صلى الله عليه وآله يقول: من يشتري العبد؟ فقال: يا رسول الله إذاً والله ستجدني كاسداً. فقال النبي صلى الله عليه وآله: لكن عند الله لست بكاسد أو قال: لكن عند الله أنت غال(٥).

١٩ ـ قال أبو عبدالله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «إذا فرغت من الدعاء عند

(١) الصارم المنكى: ١٣٢.

(٢) الآثار النبوية: ٣١.

(٣) الرصف: ١٦٣ وستأتي تتمّة لذلك فانتظر.

(٤) تقدّم ذلك في فصل خاص به فراجع.

(٥) سيرة دحلان ٢: ٢٦٧، والبداية والنهاية ٦: ٤٧ وصحّحه وقال: إنّ رجاله كلّهم ثقات، ورواه ابن حبان في صحيحه ومسند أحمد ٣: ١٦١.

قبر النبي ﷺ فأت المنبر فامسحه بيدك وخذ برمانتيه، وهما السفلان وامسح عينيك ووجهك به، فإنّه يقال: إنّه شفاء للعين»[١].

ونحن نقول للذين يحسبون أنّ تكريم آثار النبي ﷺ والتبرّك بها والتوسل والاستشفاع بها شرك: هلّا رجعوا إلى الأحاديث المتواترة الدالّة على سيرة النبي الأكرم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وأقواله وأقوالهم؟! هلّا تدبّروا في أنّ التبرّك به وبآثاره ﷺ إنّما هو لانتسابه إلى الله تعالى، فهو في الحقيقة تبرّك بما ينتمي إلى الله تعالىٰ، وتوسل إليه سبحانه بما ينسب إليه، ولا يوجد مسلم موحِّد يتبرّك ويتوسّل بالنبي ﷺ مستقلّاً مقطوعاً عن الله سبحانه، حتى يكون مشركاً كافراً؟!

كلام السمهودي

وإذا أحطت خبراً بما تلوناه عليك من الأخبار في تعظيمه منبره ﷺ بجعل الحلف عنده سنّة، أو تغليظاً في الحلف، وكذا في تعظيم الصحابة رضي الله عنهم إيّاه وتبرّكهم به، فلا بأس أن نذكر نبذاً ممّا جاء به السمهودي[٢] وما بعدها في شأن المنبر الشريف.

قال (بعد ذكره صنع المنبر وتاريخه وصانعه وكيفيته وعلّة صنعه والشجر الذي صنع منه): إنّ منبر النبي ﷺ جعل عليه منبر كالغلاف، وجعل في المنبر الأعلى طاق ممّا يلي الروضة فَيُدْخِل الناس منها أيديهم يمسحون منبر النبي ﷺ ويتبرّكون بذلك (نقله عن الطراز).

وقال: الذي زاده معاوية ورفع منبر النبي ﷺ تهافت على طول الزمان، وإنّ

---

(١) وسائل الشيعة ١٠: ٢٧٠ عن الكليني والشيخ الطوسي رضوان الله عليهما والبحار ١٠٠: ١٥١ عن كامل الزيارة، ومستدرك الوسائل ٢: ١٩٢ كلّهم رووه عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام.

(٢) وفاء الوفاء ٢: ٣٩٠.

بعض خلفاء بني العبّاس جدّده واتّخذ من بقايا أعواد منبر النبي ﷺ أمشاطاً للتبرّك[(١)].

ثمّ قال: قال يعقوب: سمعت ذلك من جماعة بالمدينة ممّن يوثق بهم.

وعن ابن عساكر: وقد احترقت (في حريق الحرم الشريف) بقايا منبر النبي ﷺ القديمة، وفات الزائرين لمس رمّانة المنبر التي كان ﷺ يضع يده المقدّسة المكرّمة عليها عند جلوسه عليه، ولمس موضع جلوسه منه بين الخطبتين وقبلهما، ولمس موضع قدميه الشريفتين بركة عامة ونفع عائد. وفيه عوض من كلّ ذاهب وفائت... ويؤيّده ما تقدّم عن رحلة ابن جبير وصاحب الطراز (في كلام له حذفناه) بل ظفرنا بما يشهد لصحّة ذلك، فإنّه لمّا أراد متولي العمارة تأسيس المنبر الرخام الآتي ذكره حفروا على الدّكة التي تقدّم، أنّ المنبر كان عليها فَوُجِدَت مجوّفة كالحوض، وبه عبَّر ابن جبير عنها، فوجدوا فيما يلي القبلة قطعاً كثيراً من أخشاب المنبر المحترق ـ أعني الذي كان فيه بقايا منبر النبي ﷺ ـ فوضعها الأقدمون في جوف ذلك المحلّ حرصاً على البركة[(٢)].

ثمّ تكلّم في معنى قوله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة» فقال: وتخصيص ما أحاطت به البنية المذكورة بذلك إمّا تعبّد وإمّا لكثرة تردّده ﷺ في بيته ومنبره، وقرب ذلك من قبره الشريف الذي هو الروضة العظمى[(٣)].

وعلى كلّ حال فإنّه جعل سبب كونه روضة هو اكتسابه البركة من قربه من بيته ﷺ، وتردّده فيه كثيراً، ويعلم ممّا نقلناه من كلامه اهتمام المسلمين في جميع القرون من زمن الصحابة وما بعدها بمنبره ﷺ، وتعظيمهم له، وتبرّكهم به، اتباعاً لما سنّه النبي الأقدس من تعظيمه وتكريمه.

---

(١) نقله ص٤٠٦ عن المطري.

(٢) راجع ص٤٠٦.

(٣) راجع ص٤٣١.

تبرّك الصحابة رضي الله عنهم بالدنانير التي أعطاها رسول الله ﷺ لهم

١ ـ رووا في حديث شراء رسول الله ﷺ جمل جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: فلمّا قدمت المدينة جئت به ـ أي الجمل ـ فقال: يا بلال زن له أوقية وزده قيراطاً قال: قلت: هذا قيراط زادنيه رسول الله ﷺ لا يفارقني أبداً حتّى أموت قال: فجعلته في كيس، فلم يزل عندي حتى جاء أهل الشام يوم الحرّة، فأخذوه فيما أخذوه (اللفظ لأحمد).

وفي لفظ البخاري: فلمّا قدمنا المدينة قال: يا بلال اقضه وزده، فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطاً. قال جابر: لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ، فلم يكن القيراط يفارق جراب جابر بن عبدالله[1].

٢ ـ رُوى بعضهن ـ أي بعض النساء اللّاتي خرجن مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ـ قالت: لمّا افتتح رسول الله ﷺ خيبر، رضخ لنا، وأخذ هذه القلادة ووضعها في عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً وأوصت أنّها تدفن معها[2].

الكلام حول الأحاديث

قد عرفت تظافر الروايات بل تواترها معنًى وإجمالاً، فلا ينبغي الارتياب في سندها، كما أنّ دلالتها أيضاً ممّا لا ينبغي الشكّ فيها، إذ من المعلوم أنّ اهتمامهم بحفظ قدحه ﷺ وموضع فمه ﷺ، أو آثار أصابعه، ليس إلّا من أجل التبرّك بها، مضافاً إلى تصريحهم بذلك، كما في حديث أبي بردة وأبي أيّوب وأمّ عامر وعبد الرحمان ابن أبي عمرة، كما استفاده أيضاً القاضي عياض من نقل عمل ابن عمر، والإمام مالك، ويحيى بن سعيد، والعاقولي، والسهمودي، كذا ورواية دحلان في نقل عمل

(١) مسند أحمد ٣: ٣١٤ ـ ٣٧٦، والبخاري ٣: ١٣٢، والفتح ٤: ٣٩٥، والنسائي ٧: ٢٩٩.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ٦٦.

زهير، ومضافاً إلى أنّ أعمال الصحابة كلّها واضحة الدلالة على التبرّك، كحديث سهل بن سعد وصفية وحجّاج وأنس وكبشة وزيد بن ثابت وغيرهم، مع أنّ جعل الرسول ﷺ منبره محلاًّ للأيمان على الحقوق، تعظيم وتكريم له، كما أنّ أمر جعفر الصادق عليه السلام بمسح الرمّانة أمر بالتبرّك.

وقد أسلفنا أنّ هذه الأحاديث كما تدلّ على الرخصة في التبرّك عند الصحابة وشيوعه ووضوحه عندهم، فكذا تدلّ على جواز التوسّل والاستشفاء والاستشفاع، وقد صرّح بذلك في حديث أمّ عامر، فتدبّر في هذا حتّى لا يشتبه عليك الأمر كما اشتبه على بعض الناس.

وزهير الذي تقدّم في حديث الإمام أحمد في مسنده: قد كان رجلاً من البدو وكان يأتي النبي ﷺ بالهدايا، فيجهّزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، وكان رجلاً دميماً، راجع المسند[1].

(١) المسند ٣: ١٦١.

التبرّك بقبره ﷺ

الاستشفاع والاستشفاء بقبره ﷺ

التبرّك بقبره المبارك: بترابه ووضع الخدّ عليه والبكاء عنده

تبرّك الصحابة والتابعين بقبور الصالحين

كلام العلّامة الأميني مختصراً

تبرّك أهل البيت بقبر رسول الله ﷺ

نظرة حول الأحاديث

الاستشفاع بقبره صلى الله عليه وآله

١ ـ روي أن أعرابياً جاء واستشفع بقبره صلى الله عليه وآله مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿واستغفر لهم الرسول﴾ ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.

وفي لفظ: عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنّا رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاثة أيّام، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وآله وحثى من ترابه على رأسه، وقال: يا رسول الله! قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك...﴾ الآية، وقد ظلمت وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر قد غفر لك[1].

٢ ـ روي من أنّ الناس أصابهم القحط في خلافة عمر بن الخطّاب، فجاء بلال

---

(١) كنز العمّال ٢: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، والتوصل: ٢٦٥، والصارم المنكى: ٣١٠ ودفع شبه من شبه: ٧٤، وكشف الارتياب: ٣٢١ ـ ٣٢٢، والغدير ٥: ١٤٣ ـ ١٥٥ عن السمعاني وابن نعمان المالكي في مصباح الظلام وعلي ابن إبراهيم الكرخي والروض الفائق ٢: ١٣٧، والسمهودي في وفاء الوفاء ٢: ٤١٢، والمواهب اللدنية والخالدي في صلح الإخوان، والخمراوي في المشارق: ٥٧، والبيان للعلّامة الخوئي: ٥٥٩ وفي نسخة من وفاء الوفاء ٤: ١٣٦١ ويأتي في التوسل إن شاء الله بألفاظه المختلفة، ورواه شفاء السقام: ٥٢ عن محمد بن حرب الهلالي.

ابن الحارث وكان من أصحاب النبيﷺ إلى قبر النبيﷺ وقال: يا رسول اللهﷺ استسق لأمّتك... فإنّهم قد هلكوا، فأتاه رسول اللهﷺ في المنام وأخبره أنّهم سيسقون[(١)].

٣ ـ عن أوس بن عبدالله قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبيﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا فمطرنا مطراً حتّى نبت العشب وسمنت الإبل[(٢)].

قال السمهودي: قال الزين المراغي: واعلم أنّ فتح الكوة عند الجدب سنّة أهل المدينة، حتى الآن يفتحون كوة في سفل قبّة الحجرة، أي القبّة الزرقاء المقدّسة من جهة القبلة، وإن كان السقف حائلاً بين القبر الشريف وبين السماء.

قلت: وسنّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة والاجتماع هناك[(٣)].

٤ ـ روي أنّ عائشة كشفت عن قبر النبيﷺ لينزل المطر فإنّه رحمة تنزل على قبره[(٤)].

٥ ـ أخرج القاضي عياض بإسناده عن ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر

---

(١) التوصل: ٢٤٨ عن البيهقي وابن أبي شيبة وقال: ٢٥١: إنّ ابن حجر صحّحه وكذا سيف في الفتوح ودفع شبه من شبه: ٩٤ والاستيعاب هامش الإصابة ٢: ٤٦٤ والإصابة ٣: ٤٨٤، وكشف الارتياب: ٢٨٠ عن البيهقي وابن أبي شيبة، وفتح الباري ٢: ٤١٢ عن ابن أبي شيبة وصحّحه والفتوح للسيف، وكنز العمّال ٨: ٢٧٨.

(٢) سنن الدارمي ١: ٤٣ ـ ٤٤، وكشف الارتياب: ٣١٣ عن السمهودي في وفاء الوفاء ٢: ٥٤٩.

(٣) وفاء الوفاء ٢: ٥٤٩، وكشف الارتياب: ٣١٣.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٣٨ والتوصل: ٢٥٩ عن الدارمي والدرر السنية لدحلان ودفع شبه من شبه ص٩٣، والوفاء لابن الجوزي ٢: ٨١٠، وسنن الدارمي ١: ٤٤، وكشف الارتياب: ٣١٣، وشفاء السقام: ٥٨ـ١٢٨.

أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإنّ الله تعالى أدّب قوماً فقال: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ الآية، وذمّ قوماً فقال: ﴿إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ الآية، وإنّ حرمته ميّتاً كحرمته حيّاً، فاستكان له أبو جعفر وقال: يا أبا عبدالله استقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءُوك فاستغفروا الله﴾ الآية[1].

٦ ـ كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه قال: وكان يصيبه الصمات فكان يقوم كما هو يضع خدّه على قبر النبي ﷺ ثمّ يرجع فعوتب في ذلك، فقال: إنّه ليصيبني خطرة، فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي ﷺ وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرّغ فيه ويضطجع، فقيل له في ذلك. فقال: إنّي رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع يعني في النوم[2].

٧ ـ في الصواعق أنّ الإمام محمد بن إدريس الشافعي توسّل بأهل البيت عليهم السلام حيث قال:

آل النبيّ ذريعتي ... وهم إليه وسيلتي[3]

---

(١) نقل الحديث في الصارم المنكى: ٢٤٤ وكشف الارتياب: ٢٨٧ ـ ٣٠٥ ـ ٣١٧، عن السمهودي، وخلاصة الكلام والسبكي والقسطلاني في المواهب اللدنية وابن حجر في تحفة الزوّار وصحّحوه ووثّقوه، والبحار ١٧: ٣٣.

(٢) وفاء الوفاء ٢: ٤٤٤، وكشف الارتياب: ٤٣٦ ـ ٤٣٧.
كان ابن المنكدر أحد أعلام التابعين.

(٣) ينابيع المودّة: ١٥١، والتوصل: ٣٣١ ـ ٣٣٦ عن الصواعق.

تبرّك الصحابة بقبرهﷺ بلمسه وأخذ ترابه ووضع الخدّ عليه و...

١ ـ قال السمهودي: كانوا ـ يعني الصحابة وغيرهم ـ يأخذون من تراب القبر ـ يعني قبر النبيﷺ ـ فأمرت عائشة فضرب عليهم، وكانت في الجدار كوة، فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكوة فسدّت[1].

أقول: ليس ضربها عليهم وسدّها الكوّة لأجل أنّها ترى ذلك شركاً وكفراً، أو معصية وفسقاً؛ لأنّها كما تقدّم قد أمرت بالاستسقاء بقبره الشريف، بل هي استسقت بالقبر الشريف بنفسها، ولأنّ الآخذين من القبر كانوا من الصحابة، وكانوا يأخذون بمرأى من إخوانهم من الصحابة الكرام الآخرين، فلو كان ذلك شركاً لما أمرت بالاستسقاء بالقبر المبارك، ولما كانوا يأخذون التراب، ولنهاهم الآخرون وأنكروا عليهم من بدء عملهم، ولا يتركونهم على شركهم حتى تضرب عليهم هي من دون أي تصريح بكون عملهم شركاً، بل كان الضرب عليهم من أجل أنّ أخذ التراب لو شاع وذاع؛ لأوجب نفاد تراب القبر الشريف، بل أوجب خراب القبّة المباركة.

٢ ـ رُويَ أنّ فاطمة سلام الله عليها جاءت فوقفت على قبر رسول اللهﷺ فأخذت قبضة من تراب القبر، فوضعت على عينيها فبكت.

وفي لفظ: «فجعلتها على عينيها ووجهها»[2].

٣ ـ رُويَ أنّ ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف. وأنّ بلالاً وضع خدّه عليه[3].

---

(١) وفاء الوفاء ١: ٥٤٤ وفي طبعة: ٦٩، وتاريخ كربلاء: ١١٩.

(٢) البيان للعلّامة الخوئي: ٥٥٩ قسم التعليقات المرقم ٧ عن المنتقى لابن تيمية، والوفاء لابن الجوزي ٢: ٨٠٤، وكشف الارتياب: ٤٣٦، وأهل البيت لتوفيق علم: ١٦٥، والفصول لابن الصباغ: ١٣٢، وسيأتي عن الغدير.

(٣) كشف الارتياب: ٤٣٤ وسيأتي بسند آخر.

٤ ـ عن داود بن صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيّوب، فقال: نعم. جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر. سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله[1].

قال الأحمدي: هذا عمل الصحابي العظيم أبي أيّوب الأنصاري رضي الله عنه، فهو يتبرّك بوضع وجهه على القبر الشريف، اتّباعاً لسنّة الرسول الأقدس ﷺ وصحبه في التبرّك كما تقدّم، ويأتي بعض الأدلّة المتواترة القطعية.

وهذه فتوى الأموي طريد رسول الله ﷺ وابن طريده، المتضلّع ببغض البيت الرفيع الهاشمي، والحاقد المنافق المتهاون بشأن النبي ﷺ، يعترض على أبي أيّوب بعمله المشروع، وهو يجابهه بقوله: «نعم جئت رسول الله ﷺ...» الحي المرزوق عند ربّه بصريح القرآن الكريم، ثمّ يعقبه بما يسوؤه من قوله: «سمعت رسول الله ﷺ...» تعريضاً بما فيه من عدم الأهلية والصلاحية.

فإذاً هنا سنّتان: سنّة رسول الله ﷺ التي عمل بها الصحابي الجليل، وسنّة الأموي الشانئ لرسول الله صلّى الله عليه وآله الطاهرين، وواضح أنَّ من الواجب على كلّ مسلم هو اتّباع سنّة رسول الله ﷺ وصحبه، دون سنّة طريده.

والرواية صحيحة لا يغمز فيها كما صرّح به الحاكم والذهبي، ويؤيّدها ما تقدّم ويأتي من عمل بلال مؤذّن رسول الله ﷺ، ومعاذ بن جبل، وفاطمة عليها السلام.

وفي كلام أبي أيّوب معنى لطيف لا يدرك إلّا بالتدبّر فتدبّر.

---

(١) مسند أحمد ٥: ٤٢٢ والغدير ٥: ١٤٨ عن المستدرك للحاكم ٤: ٥١٥ وصحّحه هو والذهبي في تلخيصه، وشفاء السقام للسبكي، والسمهودي في وفاء الوفاء ٢: ٤١٠ ـ ٤٤٣ وفي طبعة ٤: ١٣٥٩ ومجمع الزوائد ٤: ٢، والبيان للعلّامة الخوئي: ٥٥٨ قسم التعليقات عن المستدرك للحاكم والمنتقى لابن تيمية ٢: ٢٦١ ـ ٢٦٣، وشفاء السقام: ١٢٦ عن أخبار المدينة لأبي الحسن الحسيني.

٥ ـ عن عمر بن الخطاب: أنّه خرج يوماً إلى مسجد رسول الله ﷺ، فوجد معاذ بن جبل قاعداً عند قبر النبي ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: يبكيني شيء سمعته من رسول الله ﷺ... الحديث(١).

٦ ـ روي أنّ بلالاً أتى قبر النبي ﷺ وجعل يبكي عنده، ويمرّغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمّهما ويقبّلهما(٢).

٧ ـ قال صول ليزيد بن المهلب حين افتتح جرجان: هل في الإسلام من أجلّ منك لأسلم على يده؟ قال: نعم سليمان بن عبد الملك، قال: فسرحني إليه لأسلم على يده ففعل، فلمّا قدم عليه قال له مثل ما قال ليزيد، فقال سليمان: ليس اليوم في المسلمين أحد أجلّ منّي، ولكن لقبر رسول الله ﷺ الفضل، قال: أسلم هناك، فسرّحه سليمان إلى المدينة فأسلم عند القبر ثمّ انصرف إلى عند يزيد..(٣).

٨ ـ نقل السمهودي: أنّ الناس كانوا يتبرّكون بالصلاة إلى القبر قال: عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي قال: كان الناس يصلّون إلى القبر، فأمر به عمر ابن عبد العزيز، فرفع حتى لا يصل إليه أحد(٤).

لم يمنع عمر بن عبد العزيز من التبرّك بالصلاة إلى القبر، وإنّما منع من الوصول

---

(١) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢٠.

(٢) البيان للعلّامة الخوئي: ٥٥٩ قسم التعليقات المرقم ١٩ عن المنتقى لابن تيمية، والغدير ٥: ١٤٧ عن تاريخ ابن عساكر مسنداً بطريق في موضعين كما في شفاء السقام: ٣٩ ـ ٤٠ في ترجمة إبراهيم بن محمد الأنصاري ٢: ٢٥٦ وفي ترجمة بلال... وقال: ورواه الحافظ أبو محمد الغني المقدسي في الكمال في ترجمة بلال وأبو الحجّاج المزي في التهذيب والسبكي في شفاء السقام: ٣٩، وأسد الغابة ١: ٢٠٨، ووفاء الوفاء ٢: ٤٠٨ وقال: سند جيّد و٤٤٣ وفي طبعة ٤: ١٣٥٦ والقسطلاني في المواهب، والخالدي في صلح الاخوان: ٥٧، والخمراوي في مشارق الأنوار: ٥٧، وشفاء السقام: ٤٤ وكشف الارتياب: ٤٣٥ عن السبكي، وأحمد والسمهودي والطبراني في الكبير والأوسط.

(٣) تاريخ جرجان: ٢٤٧.

(٤) وفاء الوفاء ٢: ٥٤٧.

إليه وقد يأتي أنّهم يرون الوصول إليه، واللزوق به، والدنو منه خلاف الاحترام، لا أنّ التبرّك به حرام، فانتظر لما يأتي. وهم يروون أنّ النبي كان يصلّي في مكّة إلى بيت المقدس، لكنّه كان يجعل الكعبة بين يديه.

تنبيه

هنا روايات وردت من طرق أهل البيت عليهم السلام في الاهتمام بزيارة النبي الأقدس صلى الله عليه وآله، والحثّ على زيارة المشاهد وآثار الرسول صلى الله عليه وآله[١]، بل يظهر من حديث رواه الحلبي عن أبي عبدالله جعفر بن محمد صلوات الله عليهما تأسّفه على تغيير آثار رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: هل أتيتم مسجد قبا أو مسجد الفضيخ أو مشربة أمّ إبراهيم؟ فقلت: نعم. فقال: أما إنّه لم يبق من آثار رسول الله صلى الله عليه وآله شيء إلّا وقد غيّر.

ولا يخفى على من تدبّر هذه الأحاديث أنّ الترغيب والحثّ على زيارة تلكم المشاهد والمساجد إنّما هو من أجل أنّها آثار رسول الله صلى الله عليه وآله، يتبرّك بها، لا من أجل كونها مساجد فحسب، ولذلك أكّده بقوله عليه السلام: «أما أنّه لم يبقَ من آثار رسول الله صلى الله عليه وآله...»[٢].

كما أنّه ورد أيضاً التبرّك بالمعرّس بين مكّة والمدينة (في ذي الحليفة) بأن يأتي لمعرّس فيصلّي مكتوبة إن كان في وقتها، أو نافلة إن كان في غير وقت صلاة مكتوبة، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان يعرّس فيه ويصلّي فيه. وفي رواية: «والتعريس هو أن تصلّي فيه وتضطجع فيه ليلاً مرّ به أو نهاراً». راجع الوسائل[٣] وسيأتي

(١) راجع وسائل الشيعة ١٠: ٢٥١ ـ ٢٨٠؛ والبحار ١٠٠ و ١٠١.
(٢) تكلم في التبرّك بقبر الرسول صلى الله عليه وآله تقي الدين السبكي في شفاء السقام.
(٣) الوسائل ١٠: ٢٨٩ ـ ٢٩١.

اهتمام ابن عمر أيضاً بالمعرّس (راجع تبرّك الصحابة) بأماكن مشى فيها رسول الله ﷺ.

تبرّك الصحابة والتابعين بقبور الصالحين وجنائزهم

هذه الأحاديث المتقدّمة تبيّن لنا عقيدة الصحابة رضي الله عنهم في التبرّك والاستشفاء والاستشفاع بقبر النبي ﷺ، من وضع اليد والوجه عليه وتمريغ الوجه في ترابه، أو الأخذ من ترابه ووضعه على الوجه والعين.

وقد اقتفى أثرهم التابعون في التبرّك بقبره ﷺ وقبور الصالحين والاستشفاء والاستشفاع بقبره ﷺ وقبور الصالحين.

وقد أورد السمهودي في وفاء الوفاء موارد كثيرة من تبرّك الصحابة والتابعين بآثاره ﷺ[1].

قال السمهودي بعد ذكر تبرّك المسلمين بتراب المدينة: أنّهم جرّبوا تراب قبر صهيب للحمى. ثمّ قال: وقال الزركشي: استثنى ـ من عدم جواز حمل تراب المدينة إلى غيرها لكونها حرماً ـ تربة حمزة ﵁ لإطباق الناس على نقلها للتداوي بها[2].

ثمّ قال: حكى البرهان بن فرحون عن الإمام العالم أبي محمد عبد السلام بن إبراهيم بن مصال الحاحاني قال: نقلت من كتاب الشيخ العالم أبي محمد صالح الهرمزي قال: قال صالح بن عبد الحليم: سمعت عبد السلام بن يزيد الصنهاجي يقول: سألت أحمد بن بكوت عن تراب المقابر الذي كان الناس يحملونه للتبرّك هل يجوز أو يمنع؟ فقال: هو جائز، وما زال الناس يتبرّكون بقبور العلماء والشهداء

---

(١) راجع ١: ٦٧ـ ٧٤.

(٢) راجع ١: ٦٩ـ ١١٦.

والصالحين، وكان الناس يحملون تراب قبر سيّدنا حمزة بن عبد المطلب في القديم من الزمان. قال ابن فرحون عقيبه: والناس اليوم يأخذون من تربة قريبة من مشهد سيّدنا حمزة، ويعملون خرزاً يشبه التسبيح، واستدلّ ابن فرحون بذلك على جواز نقل تراب المدينة، وقد علمت ممّا تقدّم أن نقل تراب قبر حمزة رضي الله عنه إنّما للتداوي، ولهذا لا يأخذونها من نفس القبر، بل من المسيل الذي عند المسجد[1].

أقول: قد صار التبرّك بقبره الشريف بل بقبور الصالحين سيرة جارية للعلماء والعباد وسائر المسلمين. قال المأمون الخليفة العبّاسي ليحيى بن أكثم: «فطائفة أبوا علينا ما نقول في تفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وظنّوا أنّه لا يجوز تفضيل عليّ إلّا بانتقاص غيره من السلف. والله ما استحل، أو قال: استجيز أن انتقص الحجّاج فكيف السلف الطيّب؟ وأنّ الرجل ليأتيني بالقطعة من العود أو بالخشبة أو بالشيء الذي لعلّ قيمته لا تكون إلّا درهماً أو نحوه فيقول: إنّ هذا كان للنبي صلى الله عليه وآله أو قد وضع يده عليه أو بأسافله أو مسّه، وما هو عندي بثقة ولا دليل على صدق الرجل إلّا أنّي بفرط النيّة والمحبّة أقبل ذلك فأشتريه بألف دينار وأقلّ وأكثر، ثمّ أضعه على وجهي وعيني وأتبرّك بالنظر إليه وبمسّه، فأستشفي به عند المرض يصيبني أو يصيب من أهتمّ به، فأصونه كصيانتي لنفسي، وإنّما هو عود لم يفعل هو شيئاً، ولا فضيلة له تستوجب به المحبّة، إلّا ما ذكر من مسّ رسول الله صلى الله عليه وآله له...»[2].

وهذه القصّة تحكي لنا حال المسلمين أجمع بالنسبة إلى التبرّك بآثار الرسول صلى الله عليه وآله، فكيف بقبره صلى الله عليه وآله؟! وقد نقل ابن حجر في كتابه «الخيرات الحسان» في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين: أنّ الإمام الشافعي حين كان ببغداد كان يتوسّل بالإمام أبي حنيفة. قال: وقد ثبت أنّ الإمام أحمد

(١) راجع ص١١٦ وما بعدها.

(٢) تاريخ بغداد لطيفور: ٤٥.

توسّل بالإمام الشافعي، حتى تعجب ابنه عبدالله فقال له أبوه: إنّ الشافعي كالشمس للناس. ولما بلغ الإمام الشافعي: أنّ أهل المغرب يتوسّلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم، وفي الصواعق أنّ الإمام الشافعي توسّل بأهل البيت عليهم السلام حيث قال:

آل النبي ذريعتي　　　وهم إليه وسيلتي[1]

وقال أبو منصور الكرماني من الحنفية: إن كان أحدٌ أوصاك بتبليغ التسليم تقول: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان يستشفع بك إلى ربّك والمغفرة فاشفع[2].

قال السبكي: وبقي قسم (من أقسام الزيارة) لم يذكره ـ يعني ابن تيمية ـ وهو أن تكون الزيارة للتبرّك به من غير إشراك به، فهذه ثلاثة أقسام: أوّلها: السلام والدعاء له، وقد سلّم جوازه وأنّه شرعيّ. والقسم الثاني: التبرّك به والدعاء عنده للزائر قال: وهذا القسم يظهر من فحوى كلام ابن تيمية أنّه يلحقه بالقسم الثالث ـ يعني في التحريم ـ ولا دليل له على ذلك، بل نحن نقطع ببطلان كلامه فيه، وأنّ المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرّك ببعض الموتى، فكيف بالأنبياء والمرسلين[3]؟!

وقال إسحاق بن إبراهيم: وممّا لم يزل شأن من حجّ المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، والتبرّك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه، ومواطئ قدميه، والعمود الذي كان يستند إليه، ونزل جبرئيل عليه فيه،

(١) كشف الارتياب: ٣١٩.

(٢) ينابيع المودّة: ١٥١، والتوصل: ٣٣١ـ٣٣٦ عن الصواعق.

(٣) الصارم المنكى: ٣٢٢.

وبمن عمّره وقصده من الصحابة والتابعين وأئمّة المسلمين والاعتبار بذلك كلّه[١].

ولمّا مات ابن تيمية كان تشييعه حافلاً حتّى ضاقت الطريق لجنازته، وانتهى إليها الناس من كلّ فجٍّ عميق، واشتدّ الزحام وألقوا على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرّك... ، وكسرت أعواد سريره لكثرة تعلّق الناس به، وشربوا ماء غسله للتيمّن به لما اشرب في قلوبهم من حبّه، واشتروا ما زاد من سدره؛ فقسّموه بينهم، ويقال: إنّ الخيط الذي كان عليه الزيبق وعلّق على جسده لدفع القمل، اشتروه بمائة وخمسين درهماً[٢].

ومعروف الكرخي المتوفى سنة ٢٠٠، قبره ظاهر ببغداد يتبرّك به، وكان إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف ترياق مجرّب[٣].

والناس يزورون قبر إسماعيل بن يوسف المعروف بالديلمي[٤]، وإبراهيم الحربي قبره ظاهر نتبرّك به[٥].

قال أبو الحسن الدارقطني: كنّا نتبرّك بأبي الفتح القواسي وهو صبي[٦].

قال ابن الجوزي في ترجمة عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق: أبو القاسم الواعظ المتوفّى سنة ٣٩٧ وقبره اليوم ظاهر يتبرّك به بمقبرة الإمام أحمد[٧].

ونقل: أنّ أحداً أخذ من تراب سعد ـ يعني سعد بن معاذ ـ فذهب بها ثمّ نظر

---

(١) الصارم المنكى: ١٤٨.

(٢) البداية والنهاية ١٤: ١٣٦ ـ ١٣٨، والكنى والألقاب للمحدّث القمّي ١: ٢٣٧.

(٣) صفة الصفوة ٢: ٣٢٤.

(٤) صفة الصفوة ٢: ٤١٣.

(٥) صفة الصفوة ٢: ٤١٠.

(٦) صفة الصفوة ٢: ٤٧١.

(٧) صفة الصفوة ٢: ٤٨٢.

إليها بعد ذلك، فإذا هي مسك[١].

والناس كانوا يأتون قبر مسروق بن الأجدع ويستسقون فيسقون[٢].

ونقل: أنّه لمّا حجّ هارون فورد المدينة فقال ليحيى بن خالد: ارتد لي رجلاً عارفاً بالمدينة والمشاهد، وكيف كان نزول جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله، ومن أيّ وجه كان يأتيه وقبور الشهداء؟

فسأل يحيى بن خالد فكلّ دلّه عليّ فبعث إليّ ـ يعني الواقدي نفسه ـ فأتيته وذلك بعد العصر فقال لي: يا شيخ إنّ أمير المؤمنين أعزّه الله يريد أن تصلّي العشاء الآخرة في المسجد وتمضي معنا إلى المشاهد...

فلمّا صلّيت عشاء الآخرة إذا أنا بالشموع، وقد خرجت، وإذا أنا برجلين على حمارين. فقال يحيى: أين الرجل؟ فقلت: ها أنا ذا أتيت به إلى دور المسجد، فقلت: هذا الموضع الذي كان جبرئيل يأتيه، فنزلا عن حماريهما فصلّيا ركعتين ودعوا الله ساعة، ثمّ ركبا وأنا بين أيديهما، فلم أدع موضعاً من المواضع، ولا مشهداً من المشاهد إلّا مررت بهما عليه، فجعلا يصلّيان ويجتهدان... الحديث[٣].

قال مجاهد: كانوا ـ أي الناس ـ إذا أمحلوا كشفوا عن قبره ـ يعني قبر أبي أيّوب الأنصاري ـ فمطروا.

هذه السيرة المستمرّة بين المسلمين في التبرّك بقبره صلى الله عليه وآله وقبور الصالحين أخذها الخلف عن السلف، حتى ينتهي إلى الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكفى بذلك

---

(١) الطبقات الكبرى ٣: ق٢، ص١٠، وتاريخ الخميس ١: ٥٠٠، والظاهر أنّ الذي أخذ التراب هو من الصحابة إذ الراوي هو محمد بن شرحبيل بن حسنة فهو حينئذٍ أخذ التراب بمرأى من الصحابة ولم ينكر عليه أحد، وفي كنز العمّال ١٦: ٢٤ ـ ٢٥: أنّ سنده صحيح.

(٢) الطبقات الكبرى ٦: ٥٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٥: ٣١٥. وفي الموفقيات لزبير بن بكار ص٣٣٢ نقل عمل سليمان بن عبد الملك السنة ٨٢ قريباً من عمل هارون، فراجع.

حجّة وبرهاناً؛ لأنّ سيرة الصحابة بل التابعين تكشف عن ترخيص رسول الله ﷺ لهم أو تقريره لعملهم.

ومما يمثّل لنا احترام المسلمين لقبر رسول الله ﷺ، وتوسّلهم وتبرّكهم به وطوافهم حول قبره ﷺ، ما نقله المبرّد في الكامل من إلحاد الحجّاج وكفره لعنه الله وأخزاه، قال في تفسير رثاء الفرزدق[1] ابني مسمع قال: «ومما كفّرت به الفقهاء الحجّاج بن يوسف قوله ـ والناس يطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومنبره وإن شئت قلت: يطيفون ـ إنّما يطوفون بأعواد ورمة»[2].

ومراد هذا الملحد الملعون من الأعواد: المنبر، ومن الرمة: العظام المقدّسة لرسول الله ﷺ، فيسخر من المسلمين ويهزأ بهم ويوبّخهم في أنّهم يطوفون حول الأعواد والعظام البالية، خلافاً للكتاب والسنّة، وجرأةً على الله ورسوله، واستخفافاً وإهانة بالنبي العظيم ﷺ، ومرادنا من نقله أنّه يعطينا أنّ المسلمين كانوا وقتئذ يطوفون حول القبر الشريف، وعليه جرى سيرتهم وفيهم العلماء والفقهاء ـ كما يظهر من تكفيرهم للحجّاج وفيهم أيضاً التابعون الكبار، والصحابة الكرام حتى استخف بهم الحجّاج، وختم في أعناقهم[3].

ذكر ابن أبي الحديد في شرحه[4] قال: خطب الحجّاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: تبّاً لهم إنّهم يطوفون بأعواد ورمة بالية، هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله؟!

---

(١) في المجلّد الأوّل: ١٣٠ ط مطبعة الاستقامة.

(٢) راجع أيضاً النصائح الكافية: ٨١ عن الجاحظ، والغدير ١٠: ٥١ عن النصائح عن الجاحظ، وبهج الصباغة ٥: ٢٩١، ٣١٩ عن العقد الفريد، وص٣٣٨ عن كتاب افتراق هاشم وعبد شمس للجاحظ، والعقد الفريد ٥: ٥١، و وفيات الأعيان ٢: ٧.

(٣) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢١٥.

(٤) شرح ابن ابي الحديد ١٥: ٢٤٢.

والمراد أنّ الناس يدورون حول قبره متضرّعاً إلى الله تعالى ومتوسّلاً إلى النبيﷺ، لا أنّهم يطوفون أشواطاً سبعة، كما يطوفون حول الكعبة.

كان الحجّاج على الحجاز من حين قتل ابن الزبير سنة ٧٣ شهر جمادى الأولى إلى ٧٥ وورد المدينة سنة ٧٤ واستخفّ ببقايا من فيها من صحابة رسول اللهﷺ ختم في أعناقهم وأيديهم، وشاهد في هذه المدينة طواف الناس على قبر الرسولﷺ فلمّا بعثه عبد الملك إلى الكوفة؛ خطبهم وقال لهم ذلك.

وممّا يدلّ على اهتمام الصحابة بقبر النبيﷺ والتبرّك والتوسّل به «إيصاء الصالحين أن يدفنوا مع النبيﷺ وقد عدّ دفنهما (أي الخليفة الأوّل والثاني) معه أعظم منقبة لهما، ولو كانت القبور ليس لها حرمة ولا شرف، ولا ترجى بركتها وبركة جوارها، فما الموجب لذلك؟! ولما أراد بنو هاشم تجديد العهد بالحسن بن عليعليه‌السلام بجدّه وظنّ بنو أمية وأعوانهم أنّهم يريدون دفنه عند جدّه؛ لبسوا السلاح ومنعوهم أشدّ المنع، قائلين: أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن عند جدّه؟ وإذا لم يكن للقبر شرف ولا بركة ترجى، فلماذا يأتي بنو هاشم بجنازة الحسن ليجدّدوا به عهداً بجدّه بوصيّة منه؟ وهل هذا إلّا عين التوسّل والتبرّك بالنبي وبقبره بعد الموت؟...»[1].

كلام العلّامة المتتبّع الشيخ الأميني رحمه الله تعالى

للعلّامة الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله تعالى كلام في الغدير[2] وما بعدها في زيارة القبر الشريف والتبرّك به، ولقد أجاد فيه وأفاد وجاء بما فوق المراد ونحن نختصر منه ونأتي هنا بمقدار يناسب هذا المقال:

(١) كشف الارتياب: ٤٣٢.

(٢) الغدير ٥: ١٣٠.

قال: أدب الزائر عند الجمهور: ونحن نذكر نصّ ما وقفنا عليه من المصادر:

١ ـ إخلاص النيّة فإنّما الأعمال بالنيّات[1].

٢ ـ أن يكون دائم الأشواق إلى زيارة الحبيب الشفيع... إلى أن قال: لزوم الخضوع والخشوع حين يشاهد القبّة مستحضراً عظمتها يمثّل في نفسه مواقع أقدام رسول الله ﷺ...

١٣ ـ إذا شاهد المسجد والحرم الشريف فليزدد خضوعاً وخشوعاً يليق بهذا المقام...

١٥ ـ يقف بالباب لحظة لطيفة كما يقف المستأذن في الدخول على العظماء...

١٨ ـ ينبغي للزائر أن يكون واقفاً وقت الزيارة كما هو الأليق بالأدب، فإذا طال فلا بأس بالجلوس متأدّباً جاثياً على ركبتيه غاضّاً طرفه في مقام الهيبة والإجلال، مستحضراً بقلبه جلالة موقفه وأنّه ﷺ حي ناظر إليه ومطّلع عليه...

٢٠ ـ يتوجّه إلى القبر الكريم مستعيناً بالله تعالى في رعاية الأدب في هذا الموقف العظيم فيقف ممثلاً صورته الكريمة في خياله بخشوع وخضوع تامّين بين يديه ﷺ.

٢١ ـ لا يرفع صوته ولا يخفيه بل يقتصد، وخفض الصوت عنده ﷺ أدب للجميع (أخرج هنا مناظرة المنصور الخليفة العبّاسي مع الإمام مالك كما تقدّم)...

٢٥ ـ ثمّ يرجع الزائر إلى موقفه الأوّل قبالة وجه رسول الله ﷺ، فيتوسّل به في حقّ نفسه ويستشفع إلى ربّه سبحانه وتعالى ويكثر الاستغفار والتضرّع بعد قوله: يا خير الرسل إنّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿ولو أنّهم إذ ظلموا

(١) هذه أرقام الغدير حفظناها مع إسقاط ما أسقط منها.

أفرد جمال الدين عبدالله الفاكهي المكي الشافعي المتوفى سنة ٩٧٢ آداب زيارة النبي ﷺ بتأليف سمّاه «حسن التوسّل في آداب زيارة أفضل الرسل».

أنفسهم جاءُوك.فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾. وإنّي جئتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربّي ويقول: ونحن وفدك يا رسول الله وزوّارك، جئناك لقضاء حقّك، والتبرّك بزيارتك، والاستشفاع بك إلى ربّك تعالى.. فاشفع لنا إلى ربّك.

قال القسطلاني في المواهب اللدنية: وينبغي للزائر لهﷺ أن يكثر من الدعاء والتضرّع والاستغاثة والتشفّع والتوسّل بهﷺ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله فيه... ثمّ إنّ كلّاً من التوجّه والاستغاثة والتوسّل والتشفّع بالنبيﷺ ـ كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام ـ واقع في كلّ حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدّة حياته في الدنيا وبعد موته. (ثمّ فصل ما وقع من التوسل والاستشفاع بهﷺ في الحالات المذكورة).

ثمّ نقل عن الزرقاني[1] ما حاصله: وليتوسّل إلى الله بجاهه في التوسل؛ لأنّ بركة شفاعته لا يتعاظمها ذنب، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس الله بصيرته وأضلّ سريرته.

قال الأميني: وهناك جماعة من الحفّاظ وأعلام أهل السنّة بسطوا القول في التوسل، وقالوا: إنّ التوسّل بالنبي جائز في كلّ حال قبل خلقه وبعده مدّة حياته في الدنيا وبعد موته في مدّة البرزخ وجعلوه على ثلاثة أنواع:

١ ـ التوسّل به بمعنى طلب الدعاء منه، وحكموا بأنّ ذلك جائز في الأحوال كلّها.

٢ ـ طلب الحاجة من الله تعالى به أو بجاهه أو لبركته، فقالوا: إنّ التوسّل بهذا المعنى جائز في جميع الأحوال.

---

(١) شرح المواهب ٨: ٣١٧.

٣ ـ الطلب من النبي ﷺ ذلك الأمر المقصود بمعنى أنّه ﷺ قادر على التسبّب فيه بسؤاله ربّه وشفاعته إليه، فيعود إلى الأوّل في المعنى، غير أنّ العبارة مختلفة وعدُّوا منه قول القائل للنبي ﷺ: أسألك مرافقتك في الجنّة، وقول عثمان بن أبي العاص: شكوت إلى النبي ﷺ سوء حفظي للقرآن فقال: أدن منّي يا عثمان، ثمّ وضع يده على صدري وقال: أخرج ياشيطان من صدر عثمان، وقال السبكي في شفاء السقام: والآثار في ذلك كثيرة أيضاً فلا عليك في تسميته توسّلاً أو تشفّعاً أو استغاثة أو تجوهاً أو توجّهاً.

ولا يسعنا إيقاف الباحث على جلّ ما وقفنا عليه من كلمات أعلام المذاهب الأربعة في المناسك وغيرها، وقد بسط القول فيه جمع لا يستهان بهم، منهم: الحافظ بن الجوزي المالكي المتوفى سنة ٥٩٧ في مصباح الوفاء، ومحمد بن نعمان المالكي المتوفى سنة ٦٧٣ في مصباح الظلام، وابن داود المالكي في البيان والاختصار، والسبكي في شفاء السقام، والسمهودي في وفاء الوفاء، والقسطلاني في المواهب، والزرقاني في شرحه، والخالدي البغدادي في صلح الأخوان، والعدوي في كنز المطالب، والغرامي الشافعي في فرقان القرآن.

التبرّك بالقبر الشريف

لم نجد في المقام قولاً بالحرمة فيه لأحد من أعلام المذاهب ممّن لهم ولآرائهم قيمة في المجتمع، وإنّما القائل بالنهي عنه يراه تنزيهاً لا تحريماً، زاعماً أن الدنو من القبر الشريف يخالف الأدب، ويرى أنّ البعد أليق. نعم، هناك أُناس شذّت عن شرعة الحقّ، وحكموا بالحرمة قولاً بلا دليل ولا برهان، وها نحن نقدّم بين يدي القارئ ما يوقفه على الحقيقة:

١ ـ لمّا رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها، فوقفت على قبره ﷺ، وأخذت قبضة من تراب القبر، ووضعتها على عينيها، وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد... الأبيات[1].

٢ ـ ذكر قصة بلال كما تقدّمت.

٣ ـ ذكر قصة الأعرابي كما أسلفنا.

٤ ـ ذكر قصة أبي أيّوب؛ وقد تقدّمت. ثمّ ذكر كلاماً في مروان وما تضلّعه من الأيمان.

٥ ـ ذكر قصة ابن المنكدر وقد مضت.

٦ ـ قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الرجل يمسّ منبر رسول الله ﷺ، ويتبرّك بمسّه ويقبّله، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى. قال: لا بأس[2].

٧ ـ أخبر الحافظ أبو سعيد بن العلاء، قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفّاظ: أنّ الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره، فقال: لا بأس بذلك قال: فأريناه التقي ابن تيمية فصار يتعجّب من ذلك ويقول: عجبت من أحمد عندي جليل هذا كلامه أو معنى كلامه.

---

(١) رواه ابن عساكر في التحفة، وابن الجوزي في الوفاء، وابن سيد الناس في السيرة ٢: ٣٤٠، والقسطلاني في المواهب مختصراً، والقاري في شرح الشمائل ٢: ٢١٠ والشبراوي في الاتحاف: ٩، والسمهودي في وفاء الوفاء ٢: ٤٤٤، والخالدي في صلح الاخوان: ٥٧، والخمراوي في مشارق الأنوار: ٦٣، ودحلان في السيرة ٣: ٣٩١، وعمر رضا كحالة في أعلام النساء ٣: ١٢٠٥، وابن حجر في الفتاوى الفقهية، والخطيب الشربيني في تفسيره ١: ٣٤٩، والقسطلاني في إرشاد الساري ٢: ٣٩٠ وقد سلف قسم من المصادر فراجع.

(٢) وفاء الوفاء ٢: ٤٤٣.

قال: وأي عجب في ذلك وقد روينا أنّه غسل قميصاً للشافعي، وشرب الماء الذي غسله به؟ وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم، فما بالك بمقادير الصحابة؟! وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[1]؟!

٨ ـ ذكر الخطيب ابن حملة: أنّ عبدالله بن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأنّ بلالاً رضي الله عنه وضع خدّيه عليه أيضاً[2].

٩ ـ قال شيخ مشايخ الشافعية في شرح المنهاج: ويكره أن يجعل على القبر مظلّة، وأن يقبّل التابوت الذي يُجعل فوق القبر، واستلامه وتقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء، نعم إن قصد التبرّك لا يكره كما أفتى به الوالد... .

١٠ ـ قال أبو العبّاس الرملي: «ولا يستلم القبر... نعم إن كان قبر نبي أو ولي أو عالم، واستلمه أو قبّله بقصد التبرّك فلا بأس به».

١١ ـ قال القاضي عياض في الشفاء: وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردّد بها جبرئيل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح... وأوّل أرض مسّ جلد المصطفى ترابها، أن تعظّم عرصاتها، وتنسّم نفحاتها، وتقبّل ربوعها وجدرانها ـ ثمّ نقل عن الخفاجي: أنّ اللصوق بالقبر ومسّه وتقبيله مكروه؛ لأنّه خلاف الأدب. ثمّ نقل عن ابن أبي ملكة استحباب البعد، وعن ابن أبي الصيف أحد علماء مكّة جواز التقبيل، وعن ابن حجر الاستدلال لجواز التقبيل من مشروعية تقبيل الحجر. وعن أحمد: نفي البأس عن تقبيل المنبر، وعن الزرقاني: كراهة تقبيل القبر الشريف إلّا لقصد التبرّك.

ثمّ نقل كلمات علماء المذاهب ولا نطيل بنقلها.

وقد أطلنا الكلام في نقل كلام هذا المحقّق المتتبّع الفقيد رحمه الله تعالى، لما فيه

(١) نقله عن فتح المتعال للمقري.

(٢) نقله عن الوفاء ٢: ٤٤٢ وقد مرّ سابقاً.

من كثير الفائدة ومن أراد المزيد منها فعليه بالرجوع إلى كتابه القيّم الفخم «الغدير» وملاحظة ما فيه من مطالب كثيرة لم نذكرها.

تبرّك أهل البيت عليهم السلام وتوسّلهم بقبره الشريف

ولنختم الكلام في التبرّك بقبر النبي صلى الله عليه وآله بنقل ما ورد من تبرّك أهل البيت عليهم السلام بالقبر الشريف، وقد ورد عنهم عليهم السلام من القول والعمل في ذلك أحاديث كثيرة أخرجها علماء الإمامية رضوان الله عليهم في كتبهم، ونحن نشير إلى موارد منها للتيمّن والتبرّك:

١ ـ لمّا مات الإمام الحسن بن علي السبط الأكبر عليه السلام أوصى وقال في وصيّته: «فإذا قضيت نحبي... وأدخلني على سريري إلى قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله لأجدّد به عهداً ثمّ ردّني إلى قبر أمّي فاطمة عليها السلام».

وفي لفظ الكافي:

«ثمّ وجّهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدث به عهداً ثمّ اصرفني إلى أمّي فاطمة عليها السلام ثمّ ردّني إلى البقيع...» الحديث.

وفي جواب الحسين عليه السلام لعائشة بعد كلام جرى بينهما في تقريب جنازة الحسن عليه السلام من الروضة المباركة الطيّبة: «يا عائشة إنّ أخي أمرني أن أقرّبه من أبيه رسول الله صلى الله عليه وآله ليحدث به عهداً»[1].

٢ ـ عن محمد بن أبي العلاء قال: سمعت يحيى بن أكثم قاضي سامراء بعدما

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٤٢ ط قم، والبحار ٤٤: ط الإسلامية: ١٥٦ عن الخرائج و١٠٢: ٢٦٤ عن الإرشاد للمفيد رحمه الله تعالى وص١٤٢ عن الكافي (الروضة: ١٦٧) وص١٥٤ عن الخرائج وإثبات الهداة ٥: ١٤٣ والصواعق: ٨٤، وملحقات إحقاق الحقّ ١١: ١٧١ عنه، وفضائل الخمسة: ٢٥٦، وروضة الواعظين: ١٤٤، والإرشاد للمفيد: ١٧٥، والفصول المهمّة: ١٥١، ووفاء الوفاء ٣: ٥٤٨.

جهدت به، وحاورته وناظرته وواصلته وسألته عن علوم آل محمد، قال: بينا أنا ذات يوم أطوف بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله فرأيت محمد بن علي الرضا عليه السلام يطوف به.. الحديث(١).

٣ ـ في حديث: أنّ علي بن الحسين عليه السلام كان يلتزق بالقبر(٢).

٤ ـ عن محمد بن مسعود قال: رأيت أبا عبدالله (الصادق) عليه السلام انتهى إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فوضع يده عليه... الحديث(٣).

٥ ـ عن ابن فضال قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام وهو يريد أن يودع للخروج إلى العمرة، فأتى القبر من موضع رأس رسول الله صلى الله عليه وآله بعد المغرب، فسلّم على النبي صلى الله عليه وآله ولزق بالقبر... الحديث(٤).

٦ ـ لمّا عزم الإمام الحسين بن علي عليهما السلام الخروج من المدينة إلى مكّة بعد موت معاوية، خرج من منزله ذات ليلة وأقبل إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك. ثمّ جعل يبكي عند القبر حتّى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر، فأغفى فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله... الحديث(٥).

وفي لفظ ابن أعثم:

خرج الحسين بن علي ذات ليلة وأتى قبر جدّه صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله أنا الحسين بن فاطمة أنا فرخك وابن فرختك، وسبطك في الخلف الذي

---

(١) البحار ١٠٠: ١٢٧ عن الكافي ١: ٣٥٣ و٥٠: ٦٨ أيضاً عنه.

(٢) الوسائل ٥: ٢٦٧، ومستدرك الوسائل ٢: ١٩١، والبحار ١٠٠: ١٥٣.

(٣) البحار ١٠٠: ١٥٤ عن الكامل لابن قولويه، والوسائل ٥: ٢٦٩، ومستدرك الوسائل ٢: ١٩١.

(٤) البحار ١٠٠: ١٥٧ـ١٥٨.

(٥) البحار ٤٤: ٣٢٨، والفتوح لابن أعثم ٥: ٢٦ـ٢٧.

خلفت على أمّتك، فأشهد عليهم يا نبيّ الله أنّهم قد خذلوني وضيّعوني، وأنّهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتّى ألقاك.

فلمّا كانت الليلة الثانية: خرج إلى القبر أيضاً فصلّى ركعتين، فلمّا فرغ من صلاته جعل يقول: اللهمّ إنّ هذا قبر نبيّك محمّد، وأنا ابن بنت محمّد، قد حضرني من الأمر ما قد علمت، إنّي أحبّ المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك ياذا الجلال والإكرام بحقّ هذا القبر ومن فيه ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضا.

قال: ثمّ جعل الحسين يبكي حتّى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعة... الحديث.

٧ ـ وقد تقدّم تبرّك فاطمة عليها السلام بتراب قبره صلى الله عليه وآله من أخذها من تراب القبر المبارك، ووضعه على عينيها ووجهها.

٨ ـ لمّا ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام ـ علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ـ كنت ـ يعني الراوي نفسه وهو مخول السجستاني ـ بالمدينة فدخل (يعني الرضا عليه السلام) المسجد ليودّع رسول الله صلى الله عليه وآله فودّعه مراراً، كلّ ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب[1].

٩ ـ عن الدرّ النظيم عن الرضا (علي بن موسى عليهما السلام) في حديث قال: لمّا أردت الخروج من المدينة إلى خراسان، جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا علي حتى أسمع بكاءهم، ثمّ فرّقت فيهم اثني عشر ألف دينار ثمّ قلت لهم: إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً، ثمّ أخذت أبا جعفر فأدخلته المسجد ووضعت يده على حافّة القبر وألصقته به واستحفظته برسول الله صلى الله عليه وآله... الحديث[2].

١٠ ـ لمّا قبض الرشيد علىٰ موسى بن جعفر عليهما السلام، وهو عند رأس النبي صلى الله عليه وآله قائماً

---

(١) البحار ٤٩: ١١٧ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام.

(٢) الأنوار البهية للمحدِّث القمّي: ١١٠.

يصلّي، فقطع عليه صلاته وحمل وهو يبكي ويقول: إليك أشكو يا رسول الله ما ألق... الحديث[١].

١١ ـ عن أبي جعفر (محمد بن علي الباقر) عليه السلام قال (في حديث): فبكى أبي وقال: يا بني اذهب إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فصلِّ ركعتين ثمّ قل: اللّهمّ اغفر لعلي بن الحسين خطيئته يوم الدين... الحديث[٢].

١٢ ـ عن محمد بن إسحاق قال: قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السلام: ألا تدلّني على من آخذ منه ديني؟ فقال: هذا ابني علي إنّ أبي أخذ بيدي فأدخلني إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا بني إنّ الله قال: ﴿**إنّي جاعلك في الأرض خليفة**﴾[٣].

نظرة حول الأحاديث

هذه الأحاديث المتواترة، إجمالاً أو معنًى؛ تدلّ على أنّ الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان كانوا يتبرّكون برسول الله صلى الله عليه وآله وآثاره؛ يتبرّكون بقبره ويحترمونه ويعظّمونه، وأنّ التبرّك والاحترام والتعظيم لم يكن شركاً عندهم، بل لم يكن يخطر ذلك في بالهم، بل يرون أنّ ذلك من شؤون الإيمان ومظاهره، وأنّ تعظيمه تعظيم وإجلال لله سبحانه، والتبرّك به توسّل ببعض شؤون الربّ سبحانه إليه واستشفاع برسوله إليه.

ولكن هذه الأحاديث تدلّ على أمور خاصّة ـ وإن كانت من مصاديق التبرّك والاحترام ـ.

منها: الاستشفاع برسول الله صلى الله عليه وآله وهو مقبور راحل إلى ربّه تعالى، وهذا

(١) البحار ٤٨: ٢٢١.

(٢) البحار ٤٦: ٩٢.

(٣) البحار ٤٩: ٢٤.

الاستشفاع بمرأىٰ من الصحابة الكرام رضى الله عنهم ومسمع، منهم مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وهو راوي الحديث الشريف في استشفاع الأعرابي المتمسّك في استشفاعه بالقرآن الكريم، ولم ينكروا عليه بفعل ولا قول؛ مع قدرتهم على النهي، وعندهم العدّة والعدد، فيجوز لكلّ مسلم أن يزور رسول اللهﷺ، ويسأله أن يستغفر له، أو يطلب حاجته من الله تعالى أي حاجة كانت.

ومن لطائف الحديث أنّ الأعرابي استشهد في عمله ذاك بقوله تعالى: ﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءُوك...﴾ الآية، فيفيد ذلك أنّ الأعرابي فهم من ظاهر الآية الكريمة أنّ شفاعة الرسولﷺ المستفادة من هذه الآية المباركة لا تختص بحال الحياة، بل هي شاملة لحال مماته أيضاً، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة في هذا الاستدلال والاستفادة، فيعلم أنّهم أيضاً كانوا يفهمون من الآية الشريفة هذا المعنى، ويلزم من ذلك أنّ جميع الآيات الدالّة على شأن من شؤون النبيﷺ تشمل حالتي الحياة والموت، كقوله تعالى: **﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول﴾** الآية[1] و**﴿إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾**[2] و**﴿لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾**[3] و**﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلّا أن يؤذن لكم﴾**[4] و**﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾**[5] وغيرها من الآيات الكريمة.

ومنها: ما ورد من استسقاء بلال بن الحارث برسول اللهﷺ بقوله:

---

(١) و (٢) الحجرات / ٢.

(٣) الأحزاب / ٥٣.

(٤) الأحزاب / ٥٤.

(٥) الأحزاب / ٥٧.

«يارسول الله استسق لأمّتك»، إذ لم يفرق بين موته وحياته، فاستسقاه وطلب منه الدعاء، ولعلّ على هذا الأصل تمسّك الإمام مالك في احتجاجه على الخليفة العبّاسي أبي جعفر بقوله: «يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإنّ الله تعالى أدّب قوماً فقال: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾الآية، وذمّ قوماً فقال: ﴿إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾الآية، وإنّ حرمته ميّتاً كحرمته حيّاً، فاستكان أبو جعفر»[1] وإن كان يحتمل أن يكون الاستدلال من جهة استفادة الحكم في حال الحياة من الآية الكريمة، وتسريته إلى حال الموت من جهة قاعدة المساواة، ولكن الذي يستفاد ممّا ذكرنا أنّ قاعدة المساواة مستفادة من إطلاق الآية، كما فهمه الصحابة رضي الله عنهم، وفي فهمهم واستدلالهم كفاية.

ومنها: أنّ أمّ المؤمنين عائشة أمرت المسلمين بالاستسقاء بالتوسّل بقبره الشريف، فصار ذلك سنّة لأهل المدينة، وبيّنت ذلك بأن يرفع الحائل بين القبر المبارك وبين السماء حتى ينزل المطر، وفي رواية: أنّ عائشة هي التي فعلت ذلك.

وعلى كلّ حال، فقد صار ذلك سنّة لأهل المدينة في الاستسقاء إلى زمن الزين المراغي.

وليس ذلك طلب دعاء من رسول الله ﷺ حتى يكون استشفاعاً واستسقاء بالمعنى المتقدّم، بل هو استسقاء بالقبر المبارك، وجعله وسيلة إلى الله تعالى، كما في الرواية: «فإنّه رحمة تنزل على قبره».

وهذا قسم آخر من التوسّل والاستشفاع، كان لكشف قبره أثر معنوي في شمول رحمة الله تعالى ونزولها.

---

(١) وقال الإمام مالك في آخر كلامه: «وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدمﷺ إلى الله تعالى يوم القيامة. بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى، قال الله تعالى: **﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم﴾** وذيل كلامه يشهد بما ذكرنا من استفادة قاعدة المساواة بين حياته وموته من نفس الآية الكريمة.

ولعلّ من هذا القبيل كان استشفاء ابن المنكدر ـ أحد أعلام التابعين ـ حينما كان يصيبه الصمات، حيث كان يضع خدّه على القبر الشريف، وقد تقدّمت الإشارة في توضيح الأحاديث المتقدّمة إلى أن الراوي كان يطلب منه ﷺ الدعاء، وهو ﷺ كان يمسح أو يتفل أو يبصق في الجرح أو المرض، وفي هذا إشارة إلى أنّ شفاعة النبي ﷺ لا تنحصر في الدعاء والطلب منه سبحانه، بل هنا قسم آخر ألطف وأدقّ وهو الاستشفاع بأثر أو عضو منه ﷺ.

ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم﴾[1] وقد وردت أحاديث كثيرة تدلّ على أنّ وجود رسول الله ﷺ أمان من العذاب، وإن شئت الوقوف عليها فراجع الدرّ المنثور، والطبري في تفسير الآية الكريمة.

ومن هذا القبيل استشفاء أهل المدينة بتراب قبر رسول الله ﷺ، وكذا تراب قبر حمزة سيّد الشهداء رضوان الله عليه وقبر صهيب كما تقدّم ويأتي، وكذا استشفاء الصحابة رضي الله عنهم بشعره وقدحه وغير ذلك كما سلف في ضمن الأحاديث المتقدّمة.

ولا يمكن ردّ الآية الكريمة والأحاديث الكثيرة المتظافرة أو المتواترة بالأوهام والاستبعادات، مع أنّ الاستبعاد ليس في محلّه كما تقدّم، وسيأتي تفصيله في بيان جواز التوسّل مستقلاً إن شاء الله تعالى.

ومنها: أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يأخذون تراب القبر الشريف ويتبرّكون به، حتّى صار ذلك سنّة فيهم، وطريقاً مألوفاً لديهم، حتى ضربت عليهم عائشة وسدّت الكوة، ولكن لم يصرّح في الحديث بكيفية تبرّكهم هل كان بالحفظ عندهم فقط أو هو مع السجود عليه أو هما مع أكله للاستشفاء والتداوي،

---

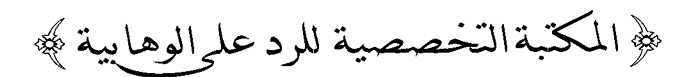
(١) الأنفال / ٣٣.

كما حكى ذلك في أخذ التراب من قبر حمزة رحمه الله تعالى، حيث كانوا يأخذونها للتداوي وصنع السبحة، ومن قبر صهيب يأخذونه للحمّى، بل كانوا يأخذون تراب المدينة ويحملونه معهم، وأطبق الناس على نقل تربة قبر حمزة للتداوي، بل كانوا يتبرّكون بقبور العلماء والشهداء والصالحين.

وشاهد الحال يحكي أنّهم كانوا يأخذون ذلك للحفظ وللتداوي والعبادة أيضاً. وقد صرّحوا أنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين كانت تتبرّك بجعله على عينيها ووجهها، وابن عمر كان يتبرّك بوضع اليد على تراب القبر، وأبو أيّوب كان يتبرّك بوضع الوجه على تراب القبر حتى اعترض عليه مروان، وبلال يتبرّك بتمريغ الوجه في تراب القبر والبكاء عنده، كما أنّ معاذاً كان يبكي عنده بمنظر من الخليفة عمر بن الخطّاب ولم يعترض عليه ولم ينكر، وإنّما كان كلام مروان ـ كما قال العلّامة المحقّق الأميني رحمه الله في الغدير ـ دليلاً على أنّ «المنع عن التوسل بالقبور الطاهرة إنّما هو من بدع الأمويين وضلالاتهم منذ عهد الصحابة، ولم تسمع أذن الدنيا قط صحابياً ينكر ذلك غير وليد بيت أمية مروان الغاشم، نعم الثور يحمي أنفه بروقه. نعم لبني أمية عامّة ولمروان خاصّة ضغينة على رسول الله ﷺ منذ يوم لم يبق ﷺ في الأسرة الأموية حرمة إلّا هتكها ولا ناموساً إلّا مزّقه»[1] حتى نفى مروان وأباه ولعنهما.

بل كان التبرّك بقبر كلّ شهيد وصالح شائعاً عندهم، كما يعلم من التدبّر في الأحاديث المتقدّمة، وكذا كلّ شيء من الصلحاء، كماء غسله وتراب قبره، حيث أخذوا تراب قبر سعد بن معاذ وحمزة بن عبد المطّلب وصهيب رحمهم الله تعالى، وكانوا يستسقون بقبر أبي أيّوب، ومسروق بن الأجدع، وشربوا ماء غسل ابن

(١) الغدير ٥: ١٤٣ وما بعدها.



تيمية، وتبرّكوا ببقية سدره وخيط زيبقه، وبرّكوا عمائمهم ومناديلهم بإلقائها على جنازته، وتبرّكوا بقبور تقدّم ذكرها.

ومنها: تبرّك أهل البيت عليهم السلام بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله بإحضار موتاهم عنده حتى يحدثوا به عهداً، وهذا أيضاً استشفاع برسول الله صلى الله عليه وآله، وطلب استغفار منه وتوسل به إلى الله تعالى في غفران الذنوب وستر العيوب، كما أنّهم كانوا يتوسّلون بالبكاء عند القبر الشريف، والصلاة والدعاء عنده تارةً، ويتبرّكون باللزوق به أخرى.

وهذان القسمان داخلان في القسم الثاني من جعل قبره صلى الله عليه وآله أو شيء منه وسيلة إلى المولى سبحانه يتقرّب به ويتبرّك ويستشفى ويستشفع، ولكنّه من حيث أثر رسول الله وينتهي إلى الله سبحانه، وليس شركاً كما تقدّم.

تبرّك الصحابة والتابعين بعصاه وملابسه ﷺ

تبرّكهم بعصاه ﷺ

تبرّكهم بخاتمه ﷺ تبرّكهم بلباسه ﷺ في التكفين وغيره

ملابسه ﷺ عند سائر المسلمين

نظرة وتحقيق حول الأحاديث

التبرّك بعصاه صلى الله عليه وآله

هناك أحاديث تدلّ على تبرّكهم بعصاه صلى الله عليه وآله، نذكر منها:

١ ـ قال عبدالله بن أنيس ـ بعد أن قتل سفيان بن خالد الهذلي ثمّ اللحياني (بكسر اللام وفتحها) بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع إلى المدينة: ـ فوجدت رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فلمّا رآني قال: قد أفلح الوجه، قلت: أفلح وجهك يا رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعت رأسه ـ أي رأس سفيان ـ بين يديه، وأخبرته خبري فدفع لي عصا... فكانت تلك العصا عنده، فلمّا حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدخلوها في كفنه ويجعلوها بين جلده وكفنه ففعلوا[١].

وفي السيرة الحلبية[٢] نقل هذه القصّة لعبد الله بن أنيس، حين قتل أسير بن رزام اليهودي قال: ثمّ أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله فحدّثنا الحديث فقال صلى الله عليه وآله: قد نجاكم الله من القوم الظالمين، وبصق في شجتي فلم تقع عليّ ولم تؤذني. قال: وفي رواية

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ١٨٧، والمغازي للواقدي ٢: ٥٣٣، والطبقات الكبرى ٢: ٣٦ق١، ومسند أحمد ٣: ٤٩٦ ولكنه فيه «خالد بن سفيان» بدل «سفيان بن خالد» وراجع كنز العمّال ١٢: ٣٠٥.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ٢٠٨.

زيادة على ذلك وهي:

وقطع لي قطعة من عصاه فقال: أمسك هذه علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها، فإنّك تأتي يوم القيامة متخصّراً، فلمّا دفن عبدالله بن أنيس جعلت معه على جلده دون ثيابه. انتهى[(١)].

أقول: تقدّم نظير ذلك لعبدالله بن أنيس هذا، حين أرسله ﷺ لقتل سفيان بن خالد الهذلي، وجاء برأسه إلى رسول الله ﷺ فيحتمل أنّ هذا وهم من بعض الرواة، ويحتمل تعدّد الواقعة أي أعطاه عصاه أولاً في تلك... ثمّ أعطاه إيّاها مرّة أخرى ثانياً، ثمّ جعل العصوين بين جلده وكفنه ولا مانع.

٢ ـ كان عثمان يخطب وبيده عصا رسول الله ﷺ فأخذ جهجاه الغفاري العصا من يد عثمان؛ فكسرها يومئذ، ثمّ أخذته في ركبته الآكلة[(٢)].

٣ ـ عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك: أنّه كانت عنده عصية لرسول الله ﷺ، فمات فدفنت معه بين جنبه وقميصه[(٣)].

٤ ـ بعث النجاشي إلى رسول الله ﷺ ثلاث عنزات، فأمسك النبي ﷺ واحدة لنفسه، وأعطى علي بن أبي طالب واحدة وأعطى عمر بن الخطّاب واحدة، فكان بلال يمشي بتلك العنزة التي أمسكها رسول الله ﷺ لنفسه بين يدي رسول الله ﷺ في العيدين، فيركز بين يديه فيصلّي إليها. ثمّ بين يدي أبي بكر ثمّ يمشي بها سعد القرظ بين يدي عمر بن الخطّاب وعثمان... وهذه العنزة التي يمشي بها اليوم بين يدي الولاة[(٤)].

(١) من كلام الحلبي.
(٢) الاستيعاب ١: ٢٥٣ هامش الإصابة، وابن أبي الحديد ٢: ١٤٩.
(٣) البداية والنهاية ٦: ٦.
(٤) الطبقات الكبرى ٣، ق١: ١٦٨، وقريب منه في كنز العمّال ١٥: ٢٧٨.

٥ ـ كان له صلى الله عليه وآله قضيب في شوحط يسمّى الممشوق، قيل: هو الذي كان الخلفاء يتداولونه (نقلاً عن الأحكام السلطانية للماوردي) قال: «وأمّا القضيب فهو من تركة رسول الله صلى الله عليه وآله التي صدقة وقد صار مع البرد من شعار الخلافة».

وكذا عن البداية والنهاية، حيث قال: وكانوا يهتمّون بهما كما يهتمّون بالبيعة وما زالت الشعراء تذكرهما ـ ثمّ ذكر قسماً من الأشعار في ذلك... [1].

٦ ـ وقال في كتاب الآثار النبوية: فيه (أي في رباط الآثار) قطعة من العنزة. يعني حفظوا ببعض تلك العنزة، احتراماً لها وتبرّكاً بعنزة الرسول صلى الله عليه وآله[2].

٧ ـ عن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص... فحملت عليه بالعنزة، فطعنته في عينه فمات... فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها، قال عروة، فسأله إيّاها رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاه، فلمّا قبض رسول الله أخذها، ثمّ طلبها أبو بكر فأعطاه، فلمّا قبض أبو بكر سألها إيّاه عمر فأعطاه إيّاها، فلمّا قبض عمر أخذها ثمّ طلبها عثمان منه فأعطاه إيّاها، فلمّا قتل عثمان وقعت عند مال عليّ فطلبها عبدالله بن الزبير فكانت عنده حتّى قتل[3].

٨ ـ جاء أبو حنيفة إليه (يعني إلى الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام) ليسمع منه، وخرج أبو عبدالله يتوكأ على عصا، فقال له أبو حنيفة: يا ابن رسول الله ما بلغت من السنّ ما تحتاج معه إلى العصا، قال: هو كذلك ولكنّها عصا رسول الله صلى الله عليه وآله أردت التبرّك بها، فوثب أبو حنيفة إليه وقال له: أقبّلها يا ابن رسول الله فحسر أبو عبدالله عليه السلام عن ذراعه، وقال له: والله لقد علمت أنّ هذا بشر

---

(١) البداية والنهاية ٦: ٨ وكتاب الآثار النبوية: ١٩.

(٢) كتاب الآثار النبوية: ٣٩ نقلاً عن البداية والنهاية.

(٣) البخاري ٥: ١٠، والسيرة الحلبية ٢: ١٤٦.

العنزة: محرّكة شبيه العكازة أطول من العصا وأقصر من الرمح، والعكازة بالضم عصا ذات زج في أسفلها يتوكّأ عليها الرجل.

رسول الله ﷺ وأنّ هذا من شعره فما قبّلته وتقبل عصا[١].

٩ ـ (همّ المنصور بقتل أبي عبدالله عليه السلام فلمّا منع من ذلك منع الناس عنه) «حتى ألق الله في روع المنصور أن يسأل الصادق عليه السلام ليتحفه بشيء من عنده لا يكون لأحد مثله، فبعث إليه بمخصرة كانت للنبي ﷺ طولها ذراع، ففرح بها فرحاً شديداً، وأمر أن تشق له أربعة أرباع... الحديث[٢].

التبرّك بخاتمه ﷺ

١ ـ عن ابن عمر: أنّ رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ورق فكان في يده، ثمّ كان في يد أبي بكر بعده، ثمّ كان في يد عمر بعده، ثمّ كان في يد عثمان، حتّى وقع في بئر أريس، نقشه محمد رسول الله ﷺ[٣].

٢ ـ ذكر البخاري خاتمه ﷺ، وأنّ أبا بكر كان ختم به الكتاب إلى البحرين ثمّ ذكر نعله وكسباءه[٤].

وقد ذكر في البداية والنهاية[٥] بحثاً حول الخاتم، ونقل هذه الرواية وأطال الكلام في ترك الخاتم، وأنّه كان صنع من ذهب أو ورق أو حديد، وكيف توارثه الخلفاء الثلاثة فراجعه.

---

(١) البحار ٤: ٢٨، والكنى والألقاب ١: ٢٥.

(٢) البحار ٤٧: ١٨٠.

المخصرة كمكنسة مايتوكّأ عليها كالعصا ونحوه ومايأخذه الملك يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب.

(٣) الطبقات الكبرى ١: ق٢، ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥، والاستيعاب ٢: ٤٩٤ هامش الإصابة، والبداية والنهاية ٦: ٢ ـ ٥، والرصف: ١٠٨، والبخاري ٧: ٢٠١ ـ ٢٠٢ ـ ٢٠٣ وزاد فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فننزح البئر فلم نجده و٤: ١٠١، ومسلم ٣: ١٦٥٦، وسنن أبي داود ٤: ٨٨ والنسائي ٨: ١٩٦، ومسند أحمد ٢: ٢٢ كلّها بألفاظ متقاربة.

(٤) البخاري ٤: ١٠١.

(٥) البداية والنهاية ٦: ٢ ـ ٣.

التبرّك بلباسه ﷺ وما اشتمله

لقد أبقى لنا السلف أحاديث كثيرة في التبرّك بلباسه ﷺ، كعمامته وبردته وجبّته وقلنسوته وقميصه وردائه وإزاره وكسائه ودرعه وغيرها، وكان الصحابة والتابعون ومن بعدهم يحفظونها ويتبرّكون ويستشفون بها، وإليك طائفة من نصوصها، وعليك بالتدبّر فيها والإيمان بما يستفاد منها:

١ ـ عمامته السحاب كانت عند علي عليه السلام ثمّ صارت لبني العبّاس[١].

٢ ـ عن سعد قال: رأيت رجلاً ببخارى على بغلة بيضاء عليه عمامة خز سوداء فقال: كسانيها رسول الله ﷺ[٢].

٣ ـ لما ولّي عثمان تعمّم بعمامة رسول الله ﷺ[٣].

٤ ـ عبدالله بن خازم ـ بالمعجمتين ـ أبو صالح الأمير المشهور كانت له عمامة سوداء يلبسها في الجمع والأعياد والحرب، فإذا فتح عليه تعمّم بها تبرّكاً بها، ويقول: كسانيها رسول الله ﷺ[٤].

٥ ـ عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما قال: أتى النبي ﷺ عبدالله ابن أبيّ بعدما أدخل قبره، فأمر به فأخرج، ووضع على ركبتيه، ونفث عليه من ريقه، وألبسه قميصه[٥].

وفي لفظ أحمد[٦]:

---

(١) المغازي للواقدي ٣: ١٠٩٦.

(٢) سنن أبي داود ٤: ٤٥، وكنز العمّال ١٦: ١٠١ بسندين.

(٣) الفتوحات الإسلامية لدحلان ٢: ٣٧٥.

(٤) الإصابة ٢: ٣٠١، وكنز العمّال ١٦: ١٠١ بسندين بنحو آخر.

(٥) البخاري ٢: ١١٦ و٧: ١٨٥ وأوعز إليه ٤: ٧٣، ومسلم ٤: ٢١٤٠ بسندين، ومسند أحمد ٣: ٣٧١ ـ ٣٨١، والسنن الكبرى للبيهقي ٣: ٤٠٢، والمغازي للواقدي ٣: ١٠٥٧، وفتح الباري ٨: ٢٥١ وما بعدها و٣: ١١١، والنسائي ٤: ٣٨ ـ ٨٤، وراجع كنز العمّال ٢: ٢١٧ بألفاظ متقاربة.

(٦) ص ٣٧١.

عن جابر لمّا مات عبدالله بن أبي أتى ابنه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ لم تأته لم نزل نعيّر بهذا، فأتاه النبي ﷺ فوجده قد أدخل حفرته فقال: أفلا قبل أن تدخلوه. فَأُخرجَ من حفرته فتفل عليه من قرنه إلى قدمه وألبسه قميصه.

٦ ـ عن نافع عن عبدالله قال: لمّا توفي عبدالله بن أبيّ جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفّنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفر له، فأعطاه قميصه[1].

وفي لفظ آخر للبخاري[2]: وقال أبو هريرة: وكان على رسول الله ﷺ قميصان، فقال له ابنه عبدالله: يا رسول الله ألبس أبي قميصك الذي يلي جلدك. قال سفيان: فيروون أنّ النبي ﷺ ألبس عبدالله قميصه مكافأة لما صنع، وفي لفظ الطبري: «وألبسه النبي ﷺ قميصه وهو عرق».

وفي الدرّ المنثور عن دلائل النبوّة للبيهقي عن ابن عبّاس أنّ عبدالله بن عبدالله بن أبيّ قال له أبوه: أي بني اطلب لي ثوباً من ثياب النبي ﷺ، فكفّني فيه ومره أن يصلّي عليّ. قال: فأتاه فقال: يا رسول الله قد عرفت شرف عبدالله وهو يطلب إليك ثوباً من ثيابك نكفّنه فيه وتصلّي عليه. فقال عمر: يا رسول الله قد عرفت عبدالله ونفاقه أتصلّي عليه؟... الحديث.

ليس في هذه الرواية نصّ على إعطاء القميص، ولكن نقل عن جابر، وفيه: فجاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: أبي أوصى أن يكفّن في قميصك، فصلّى عليه وألبسه قميصه.

(١) البخاري ٢: ٩٧ ـ ١١٦ و٧: ١٨٥ بسندين وج٦ في تفسير سورة براءة: ٦٦ ـ ٨٥، وصحيح مسلم ٤: ١٨٦٥ ـ ٢١٤١ عن ابن عمر، ومسند أحمد ٢: ١٨، والسنن الكبرى للبيهقي ٣: ٤٠٢، والبداية والنهاية ٥: ٣٥، والاستيعاب ٢: ٣٣٦، والإصابة ٢: ٣٣٦، والدر المنثور ٣: ٢٦٦ بطرق كثيرة، وفتح الباري ٣: ١١٠ ـ ١١١ و٨: ٢٥١، والنسائي ٤: ٣٦، والترمذي ٥: ٢٧٩، وتفسير الطبري ١٠: ١٣٨ في تفسير سورة براءة، وكنز العمّال ١٦: ١٠٣ كلّها بألفاظ متقاربة.

(٢) البخاري ١: ١١٦.

٧ ـ عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة ببردة... قالت: يا رسول الله إنّي نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنّه لإزاره، فجسّها رجل من القوم فقال: يا رسول الله اكسنيها، قال: نعم... ثمّ رجع فطواها، ثمّ أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت سؤلتها إيّاه، وقد عرفت أنّه لا يرد سائلاً فقال الرجل: والله ما سألتها إلّا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنه[1].

قال ابن حجر في الفتح في شرح ما يستفاد من الحديث: «وفيه التبرّك بآثار الصالحين» وقال في تعيين الرجل الذي فعل هذا: أفاد المحبّ الطبري في الأحكام له: أنّه عبد الرحمن بن عوف وعزاه للطبراني، ولم أره في المعجم الكبير لا في مسند سهل ولا عبد الرحمن، ونقله شيخنا ابن الملقن عن المحبّ في شرح العمدة، وكذا قال لنا شيخنا الحافظ أبو الحسن الهيثمي: إنّه وقف عليه لكن لم يستحضر مكانه، ووقع لشيخنا ابن الملقن في شرح التنبيه أنّه سهل بن سعد وهو غلط» ثمّ نقل عن الطبراني، أنّه سعد بن أبي وقاص، وعنه أيضاً في رواية أنّه أعرابي.

٨ ـ عن أسماء بنت أبي بكر أنّها أخرجت جبّة طيالسة إليّ ذات أعلام خضر قالت: كان رسول الله ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها ونستشفي بها[2].

---

(١) البخاري ٢: ٩٨ و٣: ٨٠ و٧: ١٨٩ و٨: ١٦، وتبرّك الصحابة: ١٥، ومسند أحمد ٥: ٣٣٤، والطبقات الكبرى ١: ق٢: ١٥٠، والرصف: ١٠٢، وابن ماجة ٢: ١١٧٧، ومنحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي ٢: ١٢١، وفتح الباري ٣: ١١٤ عن ابن ماجة والطبراني وغيرهما. قال: وفي رواية أبي غسّان: «فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ»... كلّهم رووا ذلك بألفاظ متقاربة. وراجع أيضاً كنز العمال ٧: ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٢) سيرة دحلان ٢: ٢٢٥ عن مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة، والتبرّك: ١٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٣٥١، ومسند أحمد ٦: ٣٤٨، والطبقات الكبرى ١: ق٢، ١٥٠ وزاد: «فلمّا توفي رسول الله ﷺ كانت عند عائشة فلمّا توفيت عائشة قبضتها» والرصف: ١٩ ـ ٣٤٨ ـ ٣٥٣ ـ ٣٥٤ بأسانيد متعدّدة وكلّهم بألفاظ متقاربة، فصل القلقشندي في مآثر الأناقة: ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥ ٢: الكلام في البردة والقضيب وكذا ص٢٧، ٣٦.

٩ ـ كان كعب بن زهير شديد الحرص على المحافظة على البردة التي أعطاها له رسول الله ﷺ، وقصّته مشهورة ومختصرها:

أنّ كعباً كان من فحول الشعراء، وكان ممّن هجا النبي ﷺ قبل الإسلام، فلمّا كان يوم الفتح خرج هارباً ثمّ أسلم أخوه، فهجاه كعب وأهدر دمه لمّا سمع ما قال، فأشفق كعب على نفسه، وقال قصيدة يمدح بها النبي ﷺ، ثمّ خرج إلى المدينة يريد الإسلام فنزل على رجل من جهينة، فأتى به إلى المسجد، ثمّ أشار إلى رسول الله ﷺ فقال: هذا رسول الله ﷺ.

فقام كعب إلى النبي ﷺ حتى جلس بين يديه فوضع يده في يده، ثمّ قال: يا رسول الله إنّ كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ فقال ﷺ: نعم، فقال: أنا كعب بن زهير فقال ﷺ: مأمون والله وألق عليه بردته التي كانت عليه ﷺ.

وقد بذل معاوية بن أبي سفيان لكعب في هذه البردة عشرة آلاف من الدراهم فقال كعب: ماكنت لأوثر بثوب رسول الله أحداً، فلمّا مات بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألف درهم فأخذها منهم، وهي البردة التي كانت عند السلاطين وهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد[1].

١٠ ـ لمّا ثقل معاوية ويزيد غائب، أقبل يزيد ودخل على معاوية، وهو يجود بنفسه، قال معاوية: أي بنيّ إنّ أعظم ما أخاف الله فيه ماكنت أصنع بك، يا بنيّ إنّي خرجت مع رسول الله، فكان إذا مضى لحاجته وتوضّأ أصبّ الماء على يديه، فنظر إلى قميص لي قد انخرق من عاتقي فقال لي: يا معاوية ألا أكسوك قميصاً؟ قلت: بلى، فكساني قميصاً لم ألبسه إلّا لبسة واحدة وهو عندي، واجتز ذات يوم فأخذت

---

(١) تبرّك الصحابة: ١٧ ـ ١٨، والإصابة ٣: ٢٩٦، وتاريخ الذهبي ٢: ٤١٢ وأسد الغابة ٤: ٢٤١، والسيرة الحلبية ٣: ٢٤٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩.

جزازة شعره وقلامة أظفاره فجعلت ذلك في قارورة، فإذا مت يا بنيّ فاغسلني ثمّ اجعل ذلك الشعر والأظفار في عيني ومنخري وفمي، ثمّ اجعل قميص رسول الله ﷺ شعاراً من تحت كفني إن نفع شيء نفع هذا[1].

أقول: في هذه الرواية مواضع للنظر والتأمّل لا تخفى على المتدبّر.

١١ ـ عن أمّ عطية الأنصارية رضي الله عنها ـ اسمها نسيبة بنت الحارث، وقيل بنت كعب، كانت من كبار نساء الصحابة، وكانت تغسل الموتى، وتغزو مع رسول الله ﷺ ـ قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته فقال: اغسليها ثلاثاً أو خمساً.. فإذا فرغتنّ فآذنّني، فلمّا فرغنا آذنّاه فأعطانا حقوه، فقال: اشعرنه إيّاها. تعني إزاره[2].

الحقو: بالفتح ويجوز كسرها وهي لغة هذيل، بعد المهملة قاف ساكنة، والمراد به هنا الإزار.

قال في الفتح: قيل: الحكمة في تأخير الإزار معه إلى أن يفرغن من الغسل ولم يناولهنّ إيّاه أوّلاً؛ ليكون قريب العهد من جسده الكريم حتى لا يكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل، وهو أصل في التبرّك بآثار الصالحين.

١٢ ـ عن عائشة أمّ المؤمنين في حديث دفن رسول الله ﷺ قالت: «إنّ عبدالله ابن أبي بكر أعطاهم ـ في تكفين الرسول ﷺ ـ حلّة حبرة، فأدرج فيها رسول الله ﷺ ثمّ استخرجوه منها، فكفن في ثلاثة أثواب بيض فأخذ الحلّة فقال: لأكفن نفسي

---

(١) تبرّك الصحابة: ١٦ عن كتاب زاد المسلم ـ اختصرناه ـ والسيرة الحلبية ٣: ١٠٩، والفتوح لابن أعثم ٤: ٢٦٤، والعقد الفريد ٣: ٢٣٢.

(٢) البخاري ٢: ٩٢ ـ ٩٤ بأسانيد متعدّدة وص٩٥ بسندين والفتح ٣: ١٠٣ وما بعدها، ومسلم ٢: ٦٤٧ ـ ٦٤٨، ومسند أحمد ٦: ٤٠٧ ـ ٤٠٨، والسنن الكبرى للبيهقي ٤: ٦ بأسانيد كثيرة، وذخائر العقبى: ١٦٦، والموطأ ١: ٢٢٢، والطبقات الكبرى، ٨: ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٣٣٤ بأسانيد متعدّدة، والنسائي ٤: ٣١ ـ ٣٢ بأسانيد كثيرة. كلّها بألفاظ متقاربة المعنى.

في شيء مسّ جلد النبيﷺ، ثمّ قال بعد ذلك: والله لا أكفّن نفسي في شيء منعه الله عزّوجلّ نبيّه أن يكفّن فيه»[1].

وفي لفظ الإصابة: عن عائشة قالت: كفّن رسول اللهﷺ في بردي حبرة حتى مسّا جلده، ثمّ نزعهما فأمسكهما عبدالله ليكفن فيهما. ثمّ قال: وما كنت لأمسك شيئاً منع الله رسوله منه فتصدّق بهما.

١٣ ـ لمّا ماتت فاطمة بنت أسد؛ أمّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام «ألبسها رسول اللهﷺ قميصه، واضطجع معها في قبرها. فقالوا: ما رأينا صنعت ما صنعت بهذه؟ فقال: إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنّما ألبستها قميصي لتكتسي من حلل الجنّة واضطجعت معها ليهون عليها»[2].

في البحار[3] «ثمّ قال لعليعليه السلام: هذا قميصي فكفّنها فيه، فإذا فرغتم فآذنوني، فلمّا أخرجت صلّى عليها النبيﷺ صلاة لم يصلِّ قبلها ولا بعدها على أحد مثلها، ثمّ نزل على قبرها فاضطجع فيه... قيل: يا رسول الله لقد صنعت بها شيئاً في تكفينك إيّاها ثيابك ودخولك في قبرها وطول مناجاتك وطول صلاتك ما رأينا صنعته بأحد قبلها؟ قال: أما تكفيني إيّاها فإنّي لما قلت لها يعرض الناس يوم يحشرون من قبورهم فصاحت، وقالت: واسوأتاه فلبستها ثيابي وسألت الله في صلاتي أن لا يبلى أكفانها حتى تدخل الجنّة... الحديث.

---

(١) مسند أحمد ٦: ١٣٢، وفي الإصابة ٢: ٢٨٤، وأسد الغابة ٣: ١٩٩ قريباً من نقل أحمد، والطبقات ٢: ٦٧ ق٢، ومسلم ٢: ٦٥٠ بسندين، ونور القبس المختصر من المقتبس لأبي عبدالله المرزباني: ٢٩٢.

(٢) الإصابة ٤: ٣٨٠، والاستيعاب هامش الإصابة ٤: ٣٨٢، وكنز العمّال ٦: ٢٢٨ المرقم ٤٠٤٩، والبحار ٦: ٢٤١ ـ ٢٣٢ و١٨: ٦ و٨١: ٣٥١، وصفة الصفوة ٢: ٥٤، وذخائر العقبى: ٥٦ وأسد الغابة ٥: ٥١٧، وينابيع المودّة: ٢٠١، والفصول المهمّة لابن الصباغ: ١٤، ووفاء الوفاء ٣: ٨٩٧ ـ ٨٩٨، وكنز العمّال ١٦: ٢٤٧ بأسانيد متعدّدة و١٣: ١٣٠.

(٣) البحار ٦: ٢٣٢.

وفي لفظ السمهودي: «لمّا فرغ منه نزل فاضطجع في اللحد وقرأ فيه القرآن ثمّ نزع قميصه، فأمر أن تكفّن فيه».

وفي لفظه الآخر:

عن جابر: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ أتاه آتٍ فقال: يا رسول الله إنّ أمّ علي وجعفر وعقيل قد ماتت. فقال رسول لله ﷺ: قوموا إلى أمّي؛ فقمنا، وكأنّ على رؤوس من معه الطير، فلمّا انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال: إذا غسلتموها فاشعروها إيّاه تحت أكفانها... حتى انتهينا إلى القبر فتمعّك في اللحد، ثمّ خرج فقال: ادخلوها باسم الله وعلى اسم الله، فلمّا أن دفنوها قام قائماً فقال: جزاك الله من أمّ وربيبة خيراً، فنعم الأمّ ونعم الربيبة كنت لي.

قال: فقلنا له أو قيل له: يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط، قال: ما هو؟ قلنا: نزعك قميصك وتمعكك في اللحد قال: أمّا قميصي فأريد أن لا تمسّها النار أبداً إن شاء الله تعالى، وأمّا تمعكي في اللحد فأردت أن يوسع الله عليها قبرها.

١٤ ـ لمّا صار عبدالله بن أبيّ في السياق، جاءه رسول الله ﷺ وعاتبه فقال: يارسول الله ليس بحين عتاب هو الموت، فإن مت فاحضر غسلي وأعطني قميصك أكفّن فيه فأعطاه الأعلى ـ وكان عليه قميصان ـ فقال: الذي يلي جلدك فنزع قميصه الذي يلي جلده فأعطاه[1].

١٥ ـ عن محمد بن جابر قال: سمعت أبي يذكر عن جدّي أنّه أوّل وفد وفد على رسول الله ﷺ من بني حنيفة، فوجدته يغسل رأسه فقال: اقعد يا أخا أهل اليمامة فاغسل رأسك، فغسلت رأسي بفضلة غسل رسول الله ﷺ... فقلت: يا رسول الله

(١) المغازي للواقدي ٣: ١٠٥٧، وفتح الباري ٨: ٢٥١ ـ ٢٥٢، والدر المنثور ٣: ٢٦٦، وابن ماجة ١: ٤٨٨، والمستدرك للحاكم ١: ٣٤١. هذه الرواية معارضة بما تقدّم من عدم توبته فراجع وتدبّر.

أعطني قطعة من قميصك استأنس بها، فأعطاني. قال محمد بن جابر: فحدّثني أبي أنّها كانت عندنا نغسلها للمريض يستشفي بها[١].

١٦ ـ لمّا مات عبد شمس بن الحارث بن عبد المطلب القرشي بالصفراء في حياة رسول الله ﷺ، دفنه في قميصه وقال: سعيد أدركته السعادة[٢].

١٧ ـ خرج صيفي بن ساعدة الأنصاري مع النبي ﷺ في بعض المغازي، فتوفي بالكديد، فكفّنه النبي ﷺ في قميصه[٣].

١٨ ـ عبدالله بن ثابت الأنصاري توفي على عهد رسول الله ﷺ وكفّنه رسول الله ﷺ في قميصه[٤].

١٩ ـ عن عبدالله بن ربيعة بن الحارث الهاشمي قال: أرسلته أمّ الحكم بنت الزبير وهو غلام في أثر رسول الله ﷺ، وهو يريد بيت أمّ سلمة فأمرته أن يدرك رسول الله فينزع عنه رداءه، فالتفت إليّ فقال: مَنْ أنت؟ فأخبرته وقلت: أمّي أمرتني بهذا فلفّ رداءه ثمّ أعطانيه وقال: مر أمّك تشقّه فتختمر به هي وأختها[٥].

٢٠ ـ جاء قرّة بن هبيرة القشيري إلى النبي ﷺ... ثمّ قال: يارسول الله أكسني ثوبين قد لبستهما فكساه... الحديث[٦].

٢١ ـ كان الوليد بن الوليد بن المغيرة محبوساً بمكّة، فلمّا أراد أن يهاجر باع مالاً له بالطائف، ثمّ وجد غفلة من القوم فخرج هو وعياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام مشاة يخافون الطلب فسعوا حتى تعبوا... فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا

---

(١) الإصابة ٢: ١٠٣ المرقم ٣٦٢٦.

(٢) ذخائر العقبى: ٢٤١.

(٣) الإصابة ٢: ١٩٦ المرقم ٤١٠٩، وأسد الغابة ٣: ٣٣.

(٤) الاستيعاب ٢: ٢٧٠ هامش الإصابة، والإصابة ٢: ٢٨٤، وأسد الغابة ٣: ١٣٨.

(٥) الإصابة ٢: ٣٠٤، وأسد الغابة ٣: ١٥٤ عن ابن مندة وأبي نعيم.

(٦) الإصابة ٢: ٢٣٤، وأسد الغابة ٤: ٢٠٤.

رسول الله حسرت وأنا ميّت فكفّني في فضل ثوبك، واجعله ممّا يلي جلدك ومات فكفّنه النبي ﷺ في قميصه[١].

٢٢ ـ كانت الشفاء بنت عبدالله القرشية العدوية أمّ سليمان بن أبي حثمة؛ من عقلاء النساء وفضلائهن، وكان رسول الله ﷺ يأتيها، ويقيل عندها، وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه، فلم يزل ذلك عند ولدها؛ حتى أخذه منهم مروان ابن الحكم[٢].

٢٣ ـ لمّا أراد عمر أن يستسقي؛ خرج ذلك اليوم، وعليه برد رسول الله ﷺ[٣].

٢٤ ـ مات عبدالله بن الحارث بن عبد المطّلب بن هاشم بالصفراء، فدفنه رسول الله ﷺ في قميصه[٤].

٢٥ ـ توفي عبدالله بن سعد الأنصاري منصرفه ﷺ من تبوك، وكفّنه رسول الله ﷺ في قميصه[٥].

٢٦ ـ كانت عائشة تحفظ كساءً ملبداً وإزاراً غليظاً. قالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين.

وفي لفظ: عن أبي بردة قال: دخلت على عائشة؛ فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً ممّا يصنع باليمن، وكساءً من التي يسمّونها الملبدة. قال: فأقسمت بالله أنّ رسول الله ﷺ قبض في هذين الثوبين.

وفي رواية عنه قال: أخرجت إلينا عائشة إزاراً وكساءً ملبداً، فقالت: في هذا

(١) الإصابة ٢: ٦٤٠.

(٢) الإصابة ٤: ٣٤١ والاستيعاب هامش الإصابة ٤: ٣٤٠، وأسد الغابة ٥: ٤٨٦.

(٣) الطبقات الكبرى ٣: ٢٣٢.

(٤) الاستيعاب ٢: ٢٧٩ هامش الإصابة، وأسد الغابة ٣: ١٣٨، والإصابة ٢: ٢٩٢.

(٥) الإصابة ٢: ٣١٨، وأسد الغابة ٣: ١٧٥. هو عبدالله بن سعد بن سفيان بن خالد لا عبد الله بن سعد المشهور.

قُبض رسول الله ﷺ.

وفي لفظ البخاري: أخرجت إلينا عائشة كساءً وإزاراً غليظاً، فقالت: قبض روح النبي في هذين[1].

٢٧ ـ عن محمد بن هلال قال: رأيت على هشام بن عبد الملك بردَ النبي من حبرة له حاشيتان[2].

٢٨ ـ عن عروة بن الزبير: أنّ ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد، رداء حضرمي طوله أربع أذرع، وعرضه ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء قد خلق وطووه بثوب يلبسونه يوم الأضحى والفطر[3].

وقد عقد السيوطي في تاريخ الخلفاء فصلاً في شأن البردة النبوية قال: قال السلفي في الطواريات بسنده إلى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: أنّ كعب بن زهير رضي الله عنه لمّا أنشد النبي قصيدته ـ بانت سعاد ـ رمى إليه ببردة كانت عليه، فلمّا كان زمن معاوية رضي الله عنه كتب إلى كعب: بعنا بردة رسول الله ﷺ بعشرة آلاف درهم، فأبى عليه، فلمّا مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم، وأخذ منهم البردة التي هي عند الخلفاء آل العبّاس، وهكذا قال خلائق آخرون.

وأمّا الذهبي فقال في تاريخه: أمّا البردة التي عند الخلفاء آل العبّاس فقد قال يونس بن بكر عن ابن إسحاق في قصة غزوة تبوك: إنّ النبي ﷺ أعطى أهل أيلة

---

(١) الوفاء لابن الجوزي ٢: ٧٨٩، وتاريخ الذهبي ٢: ٣٥٠، والبداية والنهاية ٦: ٨، والرصف: ١٠١ عن البخاري، ومسلم ٣: ١٦٤٩ بأسانيد متعدّدة، والبخاري ٧: ١٩٠ و٤: ١٠١، وفتح الباري ١٠: ٢٣٥، وسنن أبي داود ٤: ٤٥، ومسند أحمد ٦: ٣٢ ـ ١٣١، وسنن ابن ماجة ٢: ١١٧٦.

(٢) الطبقات الكبرى ١: ق٢: ١٥١، وتاريخ الذهبي ٢: ٣٤٦ قال: قلت: هذا البرد غير برد النبي ﷺ الذي يتداوله الخلفاء.

(٣) الطبقات ١: ق٢: ١٥٣ ـ ١٥٤، والوفاء لابن الجوزي ٢: ٥٦٨، وتاريخ الذهبي ٢: ٤١٢ ـ ٣٤٥، والآثار النبوية: ٢٤، والسيرة الحلبية ٣: ٢٤٢ ـ ٣٧٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٩، والرصف: ١٠٠.

بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم، فاشتراها أبو العبّاس السفاح بثلاثمائة دينار.

قلت: فكانت التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بني أمية.

أقول: تقدّم ذكر قصّة هذه البردة سابقاً.

٢٩ ـ عن جابر بن عامر، قال: أخرج إلينا علي بن الحسين (بن علي بن أبي طالب زين العابدين عليهما السلام) درع رسول الله ﷺ[١].

٣٠ ـ كان متاع رسول الله ﷺ عند عمر بن عبد العزيز في بيت ينظر إليه كلّ يوم، وكان إذا اجتمعت إليه قريش أدخلهم ذلك البيت، ثمّ استقبل ذلك المتاع، فيقول: هذا ميراث من أكرمكم الله وأعزّكم به، قال: وكان سريراً مزملاً بشريط ومزققة من أدم محشوة ليفاً وجفنة وقدحاً وثوباً ورحى وكنانة فيها أسهم، وكان في القطيفة أثر رشح عرق رأسه أطيب من ريح المسك، فأصيب رجل فطلبوا أن يغسلوا بعض ذلك الرشح فيسعط به، فذكر ذلك لعمر فسعط به فبرئ[٢].

٣١ ـ إنّ أهل البيت عليهم الصلاة والسلام كانوا يحتفظون بميراثه من لباسه، عن ابن عاصم قال: أخرج إلينا عليّ بن الحسين سيف رسول الله ﷺ فإذا قبيعة والحلقتان اللّتان فيهما الحمائل من فضة[٣].

٣٢ ـ عن عيسى بن طهمان قال: أمر أنس وأنا عنده فأخرج نعلاً لها قبالان فسمعت ثابت البناني يقول: هذه نعل النبي ﷺ[٤].

٣٣ ـ كان نعلا النبي ﷺ عند فاطمة بنت عبيدالله بن عبّاس[٥].

---

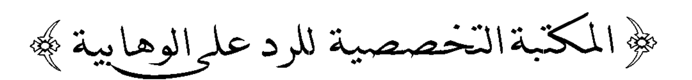
(١) الطبقات الكبرى ١: ق٢: ١٧٣، والوفاء لابن الجوزي ٢: ٦٦٨.

(٢) الوفاء لابن الجوزي ٢: ٥٥٥.

(٣) الوفاء لابن الجوزي ٢: ٦٦٨، والرصف: ١١٧ عن الطبقات، وراجع البحار ٤٧: ٣٥ ـ ١١٢.

(٤) الطبقات ١: ق٢: ١٦٧، والبخاري ٧: ١٩٩ و ٤: ١٠١، والبداية والنهاية ٦: ٦، وفتح الباري ١٠: ٢٦٢ ـ ٢٦٤.

(٥) الطبقات ١: ق٢: ١٦٧ بسندين، والرصف: ١٠٦ عنه.



٣٤ ـ عن جابر: أنّ محمد بن علي ـ الباقر عليه السلام ـ أخرج لهم نعل رسول الله صلى الله عليه وآله، فأراني معقبة مثل الحضرمية له قبالان[١].

٣٥ ـ قال هشام بن عروة: رأيت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله مخصرة معقبة ملسنة لها قبالان[٢].

٣٦ ـ رأى عبدالله بن الحارث الأنصاري نعلي النبي صلى الله عليه وآله كانتا متقابلتين[٣].

٣٧ ـ كان أنس يحفظ نعلي رسول الله صلى الله عليه وآله، وعائشة تحفظ إزاره[٤].

٣٨ ـ قال في الآثار النبوية: وأمّا السيف فالمراد به ذو الفقار كان وهبه لعلي عليه السلام ثمّ صار لبنيه، ثمّ كان عند محمد بن عبدالله بن الحسن، فلمّا أحس بالقتل أعطاه التاجر في دين عليه أربعمائة للتاجر، ثمّ اشتراه جعفر بن سليمان العبّاسي بأربعمائة دينار ثمّ أخذه منه المهدي[٥].

٣٩ ـ عن ابن سيرين قال: صنعت سيفي على سيف سمرة وزعم سمرة، أنّه صنع سيفه على سيف رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان حنفياً، وقد صار إلى آل علي سيف من سيوف رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء عند الطفّ، وكان معه فأخذه عليّ بن الحسين زين العابدين، فقدم معه دمشق حين دخل على يزيد بن معاوية. ثمّ رجع معه إلى المدينة.

فثبت في الصحيحين عن المسور بن مخرمة: أنّه تلقاه إلى الطريق فقال له: هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها؟ قال: فقال: لا، فقال: هل أنت معطي سيف رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّي أخشى أن يغلبك عليه القوم، وأيم الله، إن أعطيتنيه لا يخلص

(١) الطبقات ١: ١٦٦ ق ٢.
(٢) الطبقات ١: ق٢: ١٦٦ والرصف عنه.
(٣) الطبقات ١: ق ٢: ١٦٧ بسندين.
(٤) البخاري ٧: ١٩٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٤١٣.
(٥) راجع ٣١ ـ ٣٤، من المصدر.

إليه حتى يبلغ نفسي... الحديث(١).

٤٠ ـ عنون البخاري باباً بقوله: باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك، ممّا لم يذكر قسمته ومن شعره ونعله وآنيته ممّا تبرّك أصحابه وغيرهم بعد وفاته(٢).

ـ واتّبعه ابن حجر في الفتح(٣) في شرح العنوان فقال: الغرض من هذه الترجمة تثبيت أنّه ﷺ لم يورث ولم يبع موجوده، بل ترك بيد من صار إليه للتبرّك به، ولو كان ميراثاً لبيعت وقسّمت، ولهذا قال بعد ذلك: «ممّا لم تذكر قسمته» وقوله: «ممّا تبرّك أصحابه» أي به وحذف للعلم به.

أقول: قوله ﷺ: «إنّه لم يورث ولم يبع موجوده» فيه خلاف بين أهل السنّة والشيعة، وقد بحثوا فيه بحثاً ضافياً طويلاً، وقد أشرنا إليه في كتاب مكاتيب الرسول ﷺ، ودليلهم على عدم التوريث حديث انفرد به أبو بكر، فراجع وتدبّر.

وعلى كلّ حال: فقد علم من عنوان البخاري وشرحه، كون جواز التبرّك عند الصحابة أمراً مسلماً مفروغاً عنه، فلاحظ.

٤١ ـ ذكر السمهودي: أنّ سيف عبدالله بن جحش الذي أعطاه له رسول الله ﷺ يوم أحد؛ لم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي بمئتي دينار(٤).

٤٢ ـ في خبر طويل عن سعيد بن جبير، قال أبو خالد الكابلي: أتيت علي بن الحسين عليه السلام على أن أسأله هل عندك سلاح رسول الله؟ فلمّا بصر بي قال: يا

(١) البداية والنهاية ٦: ٦، والرصف: ١١٨، والبخاري ٤: ١٠١، ومسند أحمد ٤: ٣٢٦، والترمذي ٤: ١٠١ نقل صدر الرواية، والفتح ٦: ١٤٨ ـ ١٤٩ وليراجع كلامه في شرح الحديث.

(٢) البخاري ٤: ١٠١.

(٣) الفتح ٦: ١٤٨.

(٤) وفاء الوفاء ١: ٢٨٦.

أبا خالد أتريد أن أريك سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: والله يابن رسول الله ما أتيتك إلّا لأسألك عن ذلك، وقد أخبرتني بما في نفسي. قال: نعم، فدعا بحق كبير وسفط فأخرج لي خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أخرج لي درعه، وقال: هذا درع رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأخرج إليّ سيفه، وقال: هذا والله ذو الفقار. وأخرج عمامته وقال: هذه السحاب. وأخرج رايته وقال: هذه العقاب. وأخرج قضيبه وقال: هذا السكب. وأخرج نعليه وقال: هذان نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرج رداءه، وقال: هذا كان يرتدي به رسول الله صلى الله عليه وآله ويخطب أصحابه يوم الجمعة. وأخرج لي شيئاً كثيراً، قلت: حسبي جعلني الله فداك[1].

٤٣ ـ بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عنده «أي عند الإمام زين العابدين عليه السلام» فبعث يستوهبه ويسأله الحاجة، فأبى عليه، فكتب إليه عبد الملك يهدّده وإنّه يقطع رزقه من بيت المال فأجابه عليه السلام... الحديث[2].

٤٤ ـ في حديث احتجاج علي بن الحسين عليهما السلام على محمد بن الحنفية أنّ علي بن الحسين عليهما السلام قال: «وهذا سلاح رسول صلى الله عليه وآله عندي» الحديث[3].

٤٥ ـ عن محمد بن الفضل الهاشمي قال: لمّا توفي موسى بن جعفر عليهما السلام أتيت المدينة، فدخلت على الرضا عليه السلام فسلّمت عليه بالأمر ـ إلى أن قال: ـ ثمّ أخرج إليّ جميع ما كان للنبي صلى الله عليه وآله عند الأئمّة، من بردته وقضيبه وسلاحه وغير ذلك. ـ الحديث[4] ـ.

٤٦ ـ قال الإمام أبي جعفر عليه السلام: «عندي سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وهو فينا بمنزلة

(١) البحار ٤٦: ٣٥.

(٢) البحار ٤٦: ٩٥.

(٣) البحار ٤٦: ١١٢.

(٤) البحار ٤٩: ٥٩.

التابوت في بني إسرائيل يدور معنا حيث درنا، وهو مع كلّ إمام[١].

٤٧ ـ تقدّم في التبرّك بعرقه صلى الله عليه وآله حديث عن أنس بن مالك وأنّه ورث البردة عن أمّ سليم.

٤٨ ـ عن حازم بن حزام قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله بصيد اصطدته؛ فأهديتها، فقبلها (كذا) رسول الله صلى الله عليه وآله وكساني عصابته وسمّاني حزاماً[٢].

٤٩ ـ صلّى الحسين بن علي المقتول بفخ عليه السلام ... فخطب بعد الصلاة وقال: «...أيّها الناس أتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود وتمسحون بذلك وتضيّعون بضعة منه...»[٣]:

٥٠ ـ عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: ألا أريك قميص القائم الذي يقوم عليه؟ فقلت: بلى، فدعا بقمطر ففتحه، وأخرج منه قميص كرابيس فنشره، فإذا في كمّه الأيسر دم، فقال: هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي عليه يوم ضربت رباعيته. الحديث ـ[٤].

٥١ ـ (حديث في شأن القائم عليه السلام) يا أبا محمد! إنّه يخرج موتوراً غضبان أسفاً لغضب الله على هذا الخلق، عليه قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان عليه يوم أحد، وعمامته السحاب، ودرع رسول الله صلى الله عليه وآله السابغة، وسيف رسول الله صلى الله عليه وآله ذوالفقار... الحديث[٥].

٥٢ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان نعل سيف رسول الله وقائمته فضة، وكان

(١) البحار ٥٠: ٥٣.
(٢) كنز العمّال ١٥: ٣٢٠.
(٣) البحار ٤٨: ١٦٤.
(٤) البحار ٥٢: ٣٥٥.
(٥) البحار ٥٢: ٣٦١.

بين ذلك حلق من فضة، ولبست درع رسول الله ﷺ، فكنت أسحبها وفيها ثلاث حلقات من فضّة من بين يديها، واثنتان من خلفها[١].

ملابسه ﷺ عند سائر المسلمين

نقل في كتاب الآثار النبوية بعض الآثار النبوية المحفوظة المتبرّك بها فقال[٢]: عن جمع نقلوا النعل التي كانت عند السيّدة عائشة. وقال[٣]: إنّ نعلاً كان بالأشرفية بدمشق قال[٤]: وثمّة نعل أخرى بدمشق، وقال[٥]: وقطعة أخرى كانت عند القاضي عبد الباسط، وقال[٦] في عدّة النعال الشريفة النبوية الموجودة: النعل الشريفة التي بدار الشرفاء الطاهرين بفاس (انتهى بتلخيص وتحرير منّا).

وقال في البداية والنهاية[٧]: اشتهر في حدود سنة ٦٠٠ وما بعدها عند رجل من التجّار يقال له: ابن أبي الحدرد نعل مفردة، وذكر أنّها نعل النبي ﷺ فسامها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيّوب منه بمال جزيل، فأبى أن يبيعها، فاتفق موته بعد حين، فصارت إلى الملك الأشرف المذكور، فأخذها إليه وعظّمها، ثمّ لمّا بنى دار الحديث الأشرفية إلى جانب القلعة، جعلها في خزانة منها وجعل لها خادماً، وقرّر له من المعلوم كلّ شهر أربعين درهماً، وهي موجودة الآن في الدار المذكورة.

---

(١) البحار ٦٦: ٥٣٩.

(٢) الآثار النبويّة: ١٠٥.

(٣) الآثار النبويّة: ١٠٦.

(٤) الآثار النبويّة: ١١٠.

(٥) الآثار النبويّة: ١١٢.

(٦) الآثار النبويّة: ١١٤.

(٧) البداية والنهاية ٦: ٧.

أقول: قد نقلنا هذه الآثار، لنبيّن مدى اهتمام المسلمين بالآثار النبوية خلفاً عن سلف، وجيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، بحيث لا يبقى مجال للشكّ والريب.

نظرة وتحقيق حول الأحاديث

هذه الأحاديث واضحة الدلالة على جواز التبرّك، بل رجحانه، ولكن لتأكيد المطلب وإيضاحه نرى أن نعود إلى بيانها مرّة أخرى، فنقول: دلالتها على المطلوب من وجوه:

١ ـ عمل النبي الكريمﷺ يدلّ على المطلوب كعمله في تكفين ابنته، وكذا في تكفين بعض الصحابة، حيث كفّنهم ببعض ثيابه كقميصه وإزاره وردائه، وأمر باشعار ثوبه للميّت كما في تكفين فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنينعليه السلام، معلّلاً بقولهﷺ: «إنّما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنّة» و«سألت الله في صلاتي أن لا يبلي أكفانها» أي كفّنتها في قميصي لكي تنجو من الحشر هي عارية، وبقولهﷺ: «أمّا قميصي فأريد أن لا تمسّها النار أبداً إن شاء الله تعالى» وفي تكفين عبد شمس بن الحارث قال: «سعيد أدركته السعادة».

عملهﷺ بنفسه يكون طلباً لبركة ثوبه، وبياناً لوجه البركة والفوائد المترتّبة عليها، فلكلّ مسلم بهﷺ أسوة حسنة، وكلّ مؤمن بالله تعالى وبنبيّه نبيّ الرحمة يريد أن يكسى من حلل الجنّة، وأن لا تمسّه النار أبداً، وأن لا يأتي عارياً يوم الحشر، وأي وازع وأي مانع من تبرّك المسلم تأسّياً بنبيّهﷺ وابتغاء لهذه البركات؟

٢ ـ عمل الصحابة أيضاً يدلّ على ما ذكرنا، حيث كانوا يحتفظون بملابسه وآثاره متباهين بذلك، وطالبين للبركة، ونستفيد طلبهم للبركة من حفظهم ومباهاتهم، فكان عليعليه السلام يحفظ عمامته، وكان عثمان وعبدالله بن خازم يتعمّمان بها وطلب ابن عبدالله بن أبيّ قميصه ﷺ ليكفّن أباه فيه، أو طلبه عبدالله نفسه، وطلب

أحد الصحابة برده.

أمّا عبد الرحمن بن عوف أو غيره وصرّح بقوله: «والله ما سألتها إلّا لتكون كفني يوم أموت» وأسماء بنت أبي بكر تحفظ جبّته، ويحفظ كعب بردته ويشتريها منه معاوية بثمن غالٍ، ثمّ يحفظها الملوك ويلبسونها في الأعياد. ويوصي معاوية أن يكفّن في قميص رسول الله ﷺ قائلاً: «اجعل قميص رسول الله ﷺ شعاراً من تحت كفني إن نفع شيء نفع هذا» وترسل أمّ الحكم بنت الزبير عبدالله بن ربيعة لنزع ردائه عنه ﷺ. وتقول قرّة: «اكسني ثوبين قد لبستهما».

ومعلوم أنّه كان يرى للبسه خصوصية ولا يطلب منه ثوباً فقط. وليس هذا إلّا للتبرّك. ويوصي الوليد بقوله: «فكفّني في فضل ثوبك واجعله ممّا يلي جلدك». وتحتفظ الشفا بالفراش والإزار، ويبقى عند ولدها حتى أخذه منهم مروان. وتحتفظ عائشة بالكساء والإزار اللذين قبض فيهما رسول الله ﷺ، ويحفظ الخلفاء بردته ويلبسونها في الأعياد وللاستسقاء، وكذا يحفظ عمر بن عبد العزيز المتاع وينظر إليه، وأهل البيت عليهم السلام يحفظون ملابسه ﷺ وعدّة يحفظون نعاله.

وبعد هذا، فلا يبقى ريب للمتدبّر في أنّ هذا كلّه ما كان إلّا للتبرّك، مضافاً إلى الأحاديث الدالّة على التبرّك بعصاه حيث أوصى عبدالله بن أنيس أهله أن يدخلوها في كفنه، بين جلده وكفنه وفي رواية أنّ رسول الله ﷺ قال: امسك هذه علامة بيني وبينك اعرفك بها، فإنّك تأتي يوم القيامة متخصّراً، وأنّ أنساً كانت عنده عصيته فدفنت معه بين جنبه وقميصه، ثمّ كان الخلفاء والولاة يتبرّكون بعصاه فيمشي بها بين أيديهم، بل يهتمّون بالقضيب والبردة كما يهتمّون بالبيعة، وأبو حنيفة يريد أن يقبّل عصا رسول الله ﷺ، وأبو عبدالله عليه السلام يصرّح بتبرّكه بها.

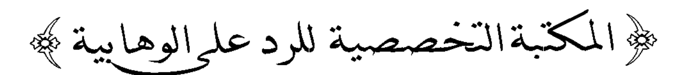
٣ـ قد صرّح بعض الصحابة والتابعين وأهل البيت بالتبرّك كما في حديث أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام وعبدالله بن خازم، ووصيّة معاوية، ومحمد بن جابر

وابن عبدالله بن أُبي وعمر بن عبد العزيز وأسماء بنت أبي بكر.

٤ ـ بل المستفاد من حديث أسماء أنّهم كانوا يستشفون بغسل الجبّة وشرب غسالتها، وكذا حديث محمد بن جابر وعمر بن عبد العزيز وحديث أسماء نقله أصحاب الصحاح كمسلم وأبي داود، مع أنّ روايات التبرّك نفسها تدلّ على جواز الاستشفاع والاستشفاء؛ لأنّ حقيقة التبرّك هي ابتغاء الوصول إلى البركة بسبب المتبرّك به كما لا يخفى. فالروايات كلّها تدلّ على جواز التبرّك والاستشفاع والاستشفاء والتوسّل.

ولا إشكال في الأحاديث من جهة الصدور لتواترها معنًى وإجمالاً بالنسبة إلى التبرّك والتوسّل.

التبرّك بأماكن صلّى فيها رسول الله ﷺ أو بويع فيها



التبرّك بأماكن صلّى فيها الرسول ﷺ أو دعا فيها

بقي هنا طائفة من النصوص الدالّة على تبرّك الصحابة رضي الله عنهم بأماكن صلّى فيها، أو صلّى إليها الرسول الأعظم ﷺ، أو مكان مشى فيه وقد ذكرها لنا فطاحل الأعلام من علماء الإسلام وأدرجوها في كتبهم، ونحن نقتفي أثرهم، ونتّبع منهجهم في إيراد ما أوردوه، لما فيه من إيضاح الحقّ وإتمام الحجّة.

فإليك نصوصهم وعليك بالتدبّر فيها:

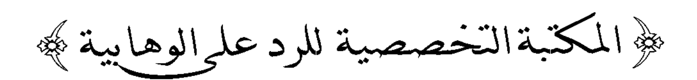
١ ـ عن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبدالله يتحرّى أماكن من الطريق فيصلّي فيها ويحدّث أنّ أباه ـ عبدالله بن عمر ـ كان يصلّي فيها، وأنّه رأى النبي ﷺ يصلّي في تلك الأمكنة[1].

قال ابن حجر في الفتح[2] في الذي يستفاد من الحديث: «عرف من صنيع ابن

---

(١) البخاري كتاب الصلاة الباب ٨٩ : ١٣٠ وفتح الباري ١ : ٤٦٩ وكنز العمّال ٦ : ٢٤٧ المرقم ٤٤٢٤ وما بعدها، والبداية والنهاية ٥ : ١٤٩ ـ ١٥٠ والصارم المنكى : ١٢٩ والغدير ٦ : ١٤٧ والإصابة ٢ : ٣٤٩، وفي الصارم المنكى : ١٠٨ عن الإمام مالك : أنّه يستحبّ الصلاة في مواضع صلاة النبي ﷺ.

(٢) الفتح ١ : ٤٧١.



عمر استحباب تتبّع آثار النبي ﷺ والتبرّك بها».

٢ ـ عن نافع عن ابن عمر: أنّه كان يصلّي في تلك الأمكنة ثمّ ذكر تلك الأمكنة التي صلّى فيها ابن عمر بين مكّة والمدينة؛ لأنّ رسول الله ﷺ صلّى فيها[1].

٣ ـ قال أبو بردة: قدمت المدينة فلقيت عبدالله بن سلام فقال: ألا تدخل في بيت صلّى فيه رسول الله ﷺ[2]؟

٤ ـ جاء عبدالله بن عمر إلى قرية من قرى الأنصار، فقال: هل تدرون أين صلّى رسول الله ﷺ من مسجدكم هذا؟ فقلت: نعم، وأشرت إلى ناحية منه... الحديث[3].

وفي لفظ أحمد: عن جابر بن عتيك أنّه قال: جاءنا عبدالله بن عمر في بني معاوية ـ قرية من قرى الأنصار ـ فقال لي: هل تدري أين صلّى رسول الله ﷺ من مسجدكم هذا؟ فقلت: نعم، فأشرت إلى ناحية منه... الحديث.

٥ ـ نزل رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف على سعد بن خيثمة ثلاث ليال، واتخذ سعد مكانه مسجداً يصلّي فيه ثمّ بناه بنو عمرو بن عوف[4].

٦ ـ بنى عمر بن أمية الثقفي عند مصلّى رسول الله ﷺ بالطائف، حين كان محاصراً لها، مسجداً[5].

٧ ـ كان عبدالله بن عمر كثير الاتّباع لآثار رسول الله ﷺ، حتى إنّه ينزل منازله ويصلّي في كلّ مكان صلّى فيه، وحتى إنّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن

(١) المصادر المتقدّمة.

(٢) الطبقات ٦: ١٨٧.

(٣) الموطأ لمالك ١: ٢١٨ باب ما جاء: في الدعاء وتبرّك الصحابة: ٢٠ عنه وإن خالف لفظه لفظ النسخة الموجودة من الموطأ عندي، ومسند أحمد ٥: ٤٤٥ وسيأتي الإشارة إليه أيضاً عن وفاء الوفاء: ٨٢٩.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٢٣٣.

(٥) الإصابة ٢: ٥٢٤.

عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس(١).

٨ ـ عن محمود بن الربيع الأنصاري(٢): أنّ عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول اللهﷺ ممّن شهد بدراً من الأنصار أتى رسول اللهﷺ فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري، وأنا أصلّي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلّي بهم، وودت يارسول الله أنّك تأتيني فتصلّي في بيتي فأتّخذه مصلّى، قال: فقال له رسول الله: سأفعل إن شاء الله. قال عتبان: فغدا رسول اللهﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار فاستأذن رسول اللهﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى ـ حين ذا ـ دخل البيت ثمّ قال: أين تحبّ أن أصلّي من بيتك؟ قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت فقام رسول اللهﷺ فكبّر... الحديث.

وفي لفظ البخاري(٣): عن محمود بن الربيع الأنصاري: أنّ عتبان بن مالك كان يؤم قومه وهو أعمى، وأنّه قال لرسول اللهﷺ: يا رسول الله إنّها تكون الظلمة والسيل، وأنا رجل ضرير البصر، فصلِّ يا رسول الله في بيتي مكاناً أتخذه مصلّى. فجاءه رسول اللهﷺ فقال: أين تحبّ أن أصلّي؟ فأشار إلى مكان من البيت فصلّى فيه رسول اللهﷺ.

---

(١) أسد الغابة ٣: ٢٢٧ وسيأتي في الفصل الآتي، وكنز العمّال ١٦: ٩٣.

(٢) راجع البخاري ١: ١١٥ ـ ١١٦ بسندين و ١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٥ و ٢: ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ و ٧: ٩٤ وتبرّك الصحابة ص ٢٠ عنه، والطبقات ٣: ٩٧ ق ٢ وإرشاد الساري ١: ٤٢٧ والأسماء والصفات للبيهقي: ١٠٠ ـ ١٠١ وفتح الباري ١: ٤٣٣ ـ ٤٦٩ وصحيح مسلم ١: ٦١ ـ ٦٢ ـ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ والنسائي ٢: ٨٠ ـ ١٠٥ و ٣: ١٧٤ و ٤: ٤٤ بسندين والإصابة ٣: ٣٨٦ ومسند أحمد ٣: ١٧٤ و ٤: ٤٤ بسندين و ٥: ٤٤٩ ـ ٤٥٠ بأسانيد متعدّدة ومنحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي ١: ٢٦ ووفاء الوفاء ٣: ٨٢٠ ـ ٨٢١ ـ ٨٧٧ ـ ٨٧٨ على اختلاف ألفاظ الأحاديث، وراجع تقييد العلم: ٩٤ وكنز العمّال ١: ٢٦٥.

(٣) البخاري ١: ١٧٠.

نقله البخاري عن أنس أيضاً مكرّراً وكذا عن محمود بن الربيع تارةً مفصّلاً وأخرى مختصراً، فراجع وكذا نقله الطبقات بسندين.

وقال ابن حجر في الفتح[١] في شرح الحديث: «وإنّما استأذن النبي ﷺ لأنّه دعي للصلاة ليتبرّك صاحب البيت بمكان صلاته، فسأله ليصلّي في البقعة التي يحبّ تخصيصها بذلك...».

وقال[٢]: «وقد تقدّم في حديث عتبان وسؤاله النبي ﷺ أن يصلّي في بيته ليتخذه مصلّى وإجابة النبي ﷺ إلى ذلك، فهو حجّة في التبرّك بآثار الصالحين».

وفي مسلم[٣]: «إنّي أحبّ أن تأتيني فتصلّي في منزلي فأتّخذه مصلّى قال: فأتى النبي ﷺ ومن شاء الله من أصحابه فدخل وهو يصلّي في منزلي وأصحابه يتحدّثون فيما بينهم...».

وفي لفظ[٤]: فأرسل إلى رسول الله ﷺ تعال فخط لي مسجداً... الحديث.

وأخرج[٥] نصّاً موافقاً لما أخرجناه أوّلاً عن البخاري. والروايات كلّها مع اختلاف ألفاظها مشتركة في الدلالة على تبرّك عتبان بمصلّى رسول الله ﷺ.

٩ ـ قال أبو سنان: عن عبيد، سمعت عمر ـ حين كان بالجابية ـ يقول لكعب: أين ترى أصلّي؟ ـ فقال عمر ـ أصلّي حيث صلّى رسول الله ﷺ ليلة أُسريَ به فتقدّم إلى القبلة فصلّى[٦].

١٠ ـ عن سيار بن معرور قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: أيّها الناس هذا

---

(١) فتح الباري ١: ٤٣٣.

(٢) فتح الباري ١: ٤٦٩.

(٣) صحيح مسلم ١: ٦١.

(٤) صحيح مسلم ١: ٦٢.

(٥) صحيح مسلم ١: ٤٥٥.

(٦) الإصابة ٤: ١٠٥ المرقم ١٣٤ ونقله كنز العمّال ١٧: ١١٥ مفصّلاً عن مسند أحمد.

المسجد بناه رسول الله ﷺ ونحن معه المهاجرون والأنصار فصلّوا فيه(١).

١١ ـ روى يزيد بن أبي عبيد قال: كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلّي عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت: يا أبا مسلم أراك تتحرّى الصلاة عند هذه الأسطوانة قال: فإنّي رأيت النبي ﷺ يتحرّى الصلاة عندها(٢).

وفي الطبقات: «كان يزيد بن أبي عبيد يتحرّى موضع القحف يسبّح فيه، وذكر أنّ رسول الله ﷺ كان يتحرّى ذلك المكان».

١٢ ـ عن سعيد بن عبيدالله بن فضيل قال: مرّ بي محمد بن الحنفية وأنا أصلّي إليها ـ يعني إلى الاسطوانة التي كان ﷺ يصلّي عندها بالليل ـ فقال لي: أراك تلازم هذه الأسطوانة هل جاءك فيها أثر؟ قلت: لا، قال: فالزمها فإنّها كانت مصلّى رسول الله ﷺ من الليل. (أخرجه ابن النجار)(٣).

١٣ ـ عن نافع: أنّ عبدالله بن عمر كان إذا دخل الكعبة مشى قبل وجهه حين يدخل، وجعل الباب قبل ظهره فمشى حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريباً من ثلاثة أذرع صلّى يتوخّى المكان الذّي أخبره به بلال، أنّ النّبي ﷺ صلّى فيه(٤).

١٤ ـ عن أنس بن مالك: أنّ أمّ سليم سألت رسول الله ﷺ أن يأتيها فيصلّي في بيتها فتتخذه مصلّى، فأتاها فعمدت إلى حصير فنضحه بماء فصلّى عليه وصلّوا معه(٥).

١٥ ـ عن أنس بن مالك قال: صنع بعض عمومتي طعاماً، فقال للنبيّ ﷺ: إنّي

---

(١) الفتوحات الإسلامية لدحلان ٢: ٢٦٥.

(٢) البخاري ١: ١٣٤ ومسلم ١: ٣٦٤ ومسند أحمد ٤: ٤٨ ـ ٥٤ وفتح الباري ١: ٤٧٦ والطبقات ٤: ق٢: ٤٠.

(٣) الرصف: ١٦٦ ووفاء الوفاء ١: ٤٥١.

(٤) البخاري ١: ١٣٥.

(٥) النسائي ١: ١٣٥.

أحبّ أن تأكل في بيتي وتصلّي، قال: فأتاه وفي البيت فحل من هذه الفحول فأمر بناحية منه فكنس ورش فصلّى وصلّينا معه.

قال أبو عبدالله بن ماجة: الفحل هو الحصير الذي قد اسودّ(١).

١٦ ـ عن أنس بن مالك قال: كان رجل ضخم لا يستطيع أن يصلّي مع رسول الله ﷺ، فقال للنبي ﷺ: إنّي لا أستطيع أن أصلّي معك، فلو أتيت منزلي فصلّيت فأقتدي بك، فصنع الرجل طعاماً ثمّ دعا النبي ﷺ، فنضح طرف حصير لهم فصلّى النبي ﷺ ركعتين... الحديث.

١٧ ـ عن أبي الشعثاء قال: خرجت حاجّاً فجئت حتى دخلت البيت، فلمّا كنت بين الساريتين مضيت حتى لزقت بالحائط، فجاء ابن عمر فصلّى إلى جنبي أربعاً فلمّا صلّى قلت: أين صلّى رسول الله ﷺ من البيت؟ قال: أخبرني أسامة بن زيد أنّه صلّى هاهنا... الحديث(٢).

١٨ ـ عن ابن عمر قال: سألت بلال بن رباح أين صلّى رسول الله ﷺ حين دخل الكعبة؟ قال: بين الساريتين(٣).

١٩ ـ عن ابن عمر: أنّه سأل بلالاً فأخبره أنّ رسول الله ﷺ ركع ركعتين، جعل الأسطوانة عن يمينه وتقدّم قليلاً وجعل المقام خلف ظهره(٤).

٢٠ ـ عن سعيد بن العاص قال: اعتمر معاوية فدخل البيت فأرسل إلى ابن عمر وجلس ينتظره حتى جاءه فقال: أين صلّى رسول الله ﷺ يوم دخل البيت؟ قال: ما كنت معه ولكنّي دخلت بعد أن أراد الخروج، فلقيت بلالاً فسألته أين

(١) سنن ابن ماجة ١: ٢٥٠ ـ ٢٥١، ومسند أحمد ٣: ١٣٠ بسندين وص ١٨٤.

(٢) مسند أحمد ٥: ٢٠٧ و٦: ١٢ ـ ١٤، وكنز العمّال ٥: ١٦٦.

(٣) مسند أحمد ٦: ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥، ومنحة المعبود ١: ٨٦، وكنز العمّال ٥: ١٦٨.

(٤) المصدر نفسه.

صلّى؟ فأخبرني أنّه بين الاسطوانتين فقام معاوية فصلّى بينهما[1].

٢١ ـ عن عبدالله بن عمر قال: وكنت رجلاً شابّاً قويّاً، فبادرت الناس فبدرتهم فوجدت بلالاً قائماً على الباب، فقلت: أين صلّى رسول الله ﷺ؟ فقال: بين العمودين المقدمين، ونسيت أن أسأله كم صلّى»[2].

فتوى الخليفة عمر بن الخطّاب في التبرّك

٢٢ ـ عن طارق قال: انطلقت حاجّاً فمررت بقوم يصلّون فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب؛ فأخبرته، فقال: حدّثني أبي أنّه كان فيمن بايع رسول الله تحت الشجرة، قال: فلمّا خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها، قال سعيد: إن كان أصحاب محمد لم يعلموها وعلمتموها أنتم[3] (واللفظ للبخاري والطبقات).

٢٣ ـ عن سعيد بن المسيب قال: كان أبي ممّن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان، فقال: انطلقنا في قابل حاجّين فعمي علينا مكانها، فإن كانت تبيّنت لكم فأنتم أعلم[4].

٢٤ ـ عن طارق بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن المسيب فتذاكروا الشجرة فضحك، ثمّ قال: حدّثني أبي أنّه كان ذلك العام معهم، وأنّه قد شهدها فنسوها من العام المقبل[5].

---

(١) مسند أحمد ٦: ١٢ـ١٣ـ١٤ـ١٥، ومنحة المعبود ١: ٨٦، وكنز العمّال ٥: ١٦٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الطبقات ٢: ق١: ٧٢ والدر المنثور ٦: ٧٣ والإصابة ٣: ٤٢٠ والبخاري ٥: ١٥٩ وأسد الغابة ٤: ٣٦٧ وأوعز إليه في الاستيعاب هامش الإصابة ٣: ٤٤٢.

(٤) مسند أحمد ٥: ٤٣٣.

(٥) الطبقات ٢: ق١: ٧٢ وتدلّ هذه الأحاديث أنّهم يريدون أن يعلموا مكانها وأن يتبرّكوا بها ولكن نسوها. فتدبّر. ولعلّ نسيان المكان كان بعد قطع عمر الشجرة حتى عمي المكان كما هو الظاهر.

٢٥ ـ عن نافع أنّه قال: كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله تحتها بيعة الرضوان فيصلّون عندها، فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمرهم بها فقطعت. (اللفظ للطبقات).

وفي لفظ ابن أبي الحديد:

كان الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ يأتون الشجرة التي كانت بيعة الرضوان تحتها، فيصلّون عندها، فقال عمر: أراكم أيّها الناس رجعتم إلى العزّى، ألا لا أوتي منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلّا قتلته بالسيف كما يقتل المرتدّ ثمّ أمر بها فقطعت(١).

٢٦ ـ عن معرور قال: خرجنا مع عمر بن الخطّاب رضوان الله عليه في حجّة حجّها قال: فقرأ بنا في الفجر: ﴿ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل﴾ و﴿لإيلاف قريش﴾ فلمّا انصرف فرأى الناس مسجداً فبادروه فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مسجد صلّى فيه النبي ﷺ فقال: هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتّخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من عرضت له صلاة فليصلّ ومن لم تعرض له صلاة فليمض(٢).

فيستفاد من هذه الأخبار أنّ التبرّك بالصلاة تحت شجرة بيعة الرضوان كان مشهوراً بعد حياة الرسول ﷺ، كما صرّح به في لفظ ابن أبي الحديد، وكذا في سائر الأحاديث، وكان مورد عناية من الصحابة حيث كانوا يتفقّدونها في حياة الرسول ﷺ، كما في الرواية عن سعيد بن المسيب، وإن صرّح هو بأنّ مكان الشجرة

(١) الطبقات الكبرى ١: ق١: ٧٣ وشرح ابن أبي الحديد ١: ١٧٨ والغدير ٦: ١٤٦ عن سيرة عمر لابن الجوزي: ١٠٧ والطبقات وشرح ابن أبي الحديد ٤: ١٢٢ والسيرة الحلبية ٣: ٢٩ وفتح الباري ٧: ٣٤٥ وقد صحّحه، وإرشاد الساري للقسطلاني ٦: ٣٣٧ وشرح المواهب للزرقاني ٢: ٢٠٧ والدرّ المنثور ٦: ٧٣ وعمدة القارئ ٨: ٢٨٤ وقال: اسناده صحيح.

(٢) الغدير ٦: ١٤٧ عن سيرة عمر لابن الجوزي: ١٠٧، وشرح ابن أبي الحديد ٣: ١٢٢، وفتح الباري ١: ٤٦٩.

لا يعرفها أصحاب محمّد ﷺ فكيف بغيرهم؟! فكأنّه ينكر على الذين يصلّون هنا بأنّ المكان غير معلوم، لا أنّ التبرّك غير جائز، ولكن ظاهر عمل المصلّين وفيهم الصحابي وغيره أنّ المكان معلوم، ولذلك لم ينكر عليهم عمر لأجل ذلك، بل أنكره لأجل ما توهّمه من الرجوع إلى العزّى، وإن كان يظهر أنّ عمر لم يعرف المكان، ولذا سأل عنه. ولعلّ التعمية كانت بعد قطع الشجرة ومحو أثرها كما هو الظاهر.

وعلى أي حال فقد رأى الخليفة مبادرة الناس إلى المسجد، فسأل عن المسجد فقيل له: «هذا مسجد صلّى فيه النبي ﷺ» فقال: «أيّها الناس رجعتم إلى العزّى» أو قال: «هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتّخذوا آثار أنبيائهم بِيعاً» فأفتى بكون الصلاة في هذا المسجد شركاً، ودليله على ذلك هو أنّ أهل الكتاب هلكوا كذلك.

ولقد تفرّد الخليفة بهذه الفتوى من بين جميع الصحابة كما تقدّم، ويأتي بما لا يبقى معه ريب في جواز التبرّك برسول الله ﷺ وآثاره عند جميع الصحابة، إلّا ما أسلفناه عن مروان طريد رسول الله ﷺ، بل إنّ اجتهاد الخليفة الثاني يخالف نصّ الرسول ﷺ على جواز التبرّك قولاً وعملاً وتقريراً وإشارةً وتصريحاً، كما اتّضح ممّا قدّمنا أيضاً، واجتهد في مقابل النصوص فرأى التبرّك بالإقبال إلى الله سبحانه والصلاة تحت تلك الشجرة رجوعاً إلى العزّى، وموجباً للتعذيب والقتل كما يقتل المرتدّ، وأمر بقلع تلك الشجرة مع كون أعمال الصحابة وأقوال النبي ﷺ بمرأى منه ومسمع.

يرى المسلمين يتبرّكون بماء وضوئه وبماء مجّ فيه أو بصق أو تفل فيه وبنخامته ودمه.

ويرى تبرّكهم بشعره ﷺ في حجّة الوداع والحديبية وأمره ﷺ بذلك.

ويرى تبرّكهم به ﷺ في تحنيك أطفالهم ومسحه رؤوسهم.

ويرى تبرّكهم بإدخال يده ﷺ في ظروف مياههم.

ويرى تبرّكهم بسؤره في مطعمه ومشربه وفي ملبسه وقدحه حتى أنّ الخليفة عمر نفسه كان يتبرّك بقدح النبي ﷺ.

ويرى تبرّكهم بآثار أصابعه في الطعام.

ويرى تبرّكهم بموضع صلاته في المساجد وغيرها ـ كما في قصّة عتبان بن مالك وأمّ سليم ـ وغيرهما ـ وأنّه ﷺ أقرّهم على ذلك، بل الخليفة نفسه تبرّك بموضع صلاته حين أسري به ﷺ، وهو نفسه أمر الناس بالصلاة في مسجد بناه النبي والمهاجرون والأنصار.

يرى كلّ ذلك ثمّ يجتهد في مقابل النصوص ويخطئ في اجتهاده.

ولعلّه كان في نفسه شيء لم يرَ التصريح به صلاحاً إلّا ما بدر منه من القول هنا، وبدر منه نظيره في تقبيل الحجر حيث رآه أمراً مستبشعاً لم يكن ليفعله لولا أنّه رأى الرسول ﷺ كان يقبّله، وردّ عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذا ما بدر منه في الصلاة إلى أحجار صلّى إليها النبي ﷺ فرآها تارةً شركاً وأخرى أمراً مرغوباً عنه، وكذا في أمره بطمس البئر التي برّكها الرسول ﷺ وكان الناس يتبرّكون بمائها، وكذا في أمره بدفن الجذع الذي كان يخطب النبي مستنداً إليه[1].

هذه موارد خمسة نقلت فيها هذه الفتوى الاجتهادية عن الخليفة بعد تلكم النصوص المتواترة الجليّة على خلافها، ولا غرو فإنّ الإنسان مجبول على الخطإ والنسيان.

قال العلّامة الفقيد الأميني رحمه الله تعالى: ليت شعري ما المانع من تعظيم آثار الأنبياء عليهم السلام وفي مقدّمهم سيّد ولد آدم محمد ﷺ إذا لم يكن خارجاً عن التوحيد

(١) في كنز العمّال ١٧: ١٠٤ «عن عمر: أنّه لمّا أراد الزيادة في المسجد وضع المنبر حيث هو اليوم ودفن الجذع لئلا يفتتن به أحد».

كالسجود إلى تماثيلهم واتخاذها قبلة، ﴿ومن يعظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب﴾؟! ومتى هلكت الأمم باتخاذ آثار أنبيائهم بيعاً؟! وأيّ مسجد تكون الصلاة أزلف إلى الله سبحانه من مسجد صلّى فيه رسول اللهﷺ؟! وأيّ مكان أشرف من مكان حلَّ به النبي الأعظم وبويع فيه بيعة الرضوان وحظي المؤمنون فيه برضى الله عنهم؟! أو لا يكسب ذلك المحلّ كلّه فضلاً يزيد في زلفة المتعبّدين بفنائه؟ وما ذنب الشجرة المسكينة حتى اجتثت أصولها ولا من ثائر لها أو مدافع عنها؟! أوليس ذلك توهيناً للمحلّ ومشرّفه؟!

أيسوغ أدب الخليفة قوله: «أراكم أيّها الناس رجعتم إلى العزّى»؟ والذين يرون حرمة تلكم الآثار ويعظّمونها ويصلّون عندها، إنّما هم حملة علم الدين من الصحابة العدول مراجع الخليفة في الأحكام والشرائع كان يعوّل عليهم حيث أعيته المسائل[1].

وقال ابن حجر (في تبرير عمل الخليفة في أمره بقطع الشجرة ونهيه عن الصلاة تحتها وإيعاد العاملين بذلك وعدّ ذلك رجوعاً إلى العزّى).

قال في الفتح[2] في تفسير ما مرّ من رواية موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه عبدالله بن عمر من تتبعه الأماكن التي صلّى فيها رسول اللهﷺ: «ومحصلّ ذلك أنّ ابن عمر كان يتبرّك بتلك الأماكن، وتشدّده في الاتّباع مشهور، ولا يعارض ذلك ماثبت عن أبيه أنّه رأى الناس في سفر يتبادرون إلى مكان، فسأل عن ذلك فقالوا: قد صلّى فيه النبيﷺ، فقال: من عرضت له الصلاة فليصلّ وإلّا فلميض، فإنّما هلك أهل الكتاب؛ لأنّهم تتبّعوا آثار أنبيائهم فاتّخذوها كنائس وبيعاً؛ لأنّ ذلك من عمر محمول على أنّه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاة أو خشي أن يشكل ذلك على من

(١) الغدير ٦: ١٤٧ وما بعدها.
(٢) فتح الباري ١: ٤٦٩.

لا يعرف حقيقة الأمر فيظنّه واجباً، وكلا الأمرين مأمون من ابن عمر، وقد تقدّم حديث عتبان وسؤاله النبيﷺ أن يصلّي في بيته ليتّخذه مصلّى وإجابة النبيﷺ إلى ذلك فهو حجّة في التبرّك بآثار الصالحين.

وقال[1]: أعرف من صنيع ابن عمر، استحباب تتبّع آثار النبيﷺ والتبرّك بها ثمّ قال: «وقد قال البغوي من الشافعية: إنّ المساجد التي ثبت أنّ النبيﷺ صلّى فيها لو نذر أحد الصلاة في شيء منها تعين كما تتعيّن المساجد الثلاثة (ثمّ تكلّم عن تعيين هذه المساجد التي صلّى فيها النبيﷺ).

أقول: هذه المحامل ما هي إلّا تبرير لعمل الخليفة وفتواه، وإن كان مخالفاً لظاهر الأحاديث المروية في هذه القصّة، إذ في رواية ابن أبي الحديد يصرّح بأنّ الناس كانوا يصلّون فنهاهم عمر، ويصرّح بأنّ اتخاذ آثار الأنبياء بيعاً ومعابد هو الذي أهلك الأوّلين لا زيارة الأماكن.

مع أنّه لو حمل فتواه هنا على هذين المحملين، فعلى ماذا يحمله في قصة البئر التي برّكها الرسول وتبرّك بها الصحابة، وفي الصلاة إلى الأحجار التي صلّى إليها رسول اللهﷺ وفي قصّة الحجر الأسود وفي قصة دفن الجذع؟!

أمّا أنا فلا أرى حملاً أحسن وأوجه من أن يقال: إنّه أخطأ في اجتهاده في مقابل النصوص، وهو قد اعترف بذلك في مسائل كثيرة كما لا يخفى على من له أدنى تتبّع، وقد كان يرى لنفسه الاجتهاد على خلاف النصّ الصريح من الكتاب والسنّة[2].

واحتمال أن تكون هذه الفتوى مختلقة وكذباً على الخليفة بعيد جدّاً بعد أن نقلها عنه أعلام الحديث وصحّحوها.

---

(١) فتح الباري ١: ٤٧١.

(٢) راجع النص والاجتهاد للعلّامة شرف الدين، والغدير ٦: واعترف بذلك أحمد أمين في فجر الإسلام.

٢٧ ـ قال السمهودي: روى ابن زبالة عن خالد بن عوسجة: كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي تلي باب الدار، فمرّ بي جعفر بن محمد يريد العريض معه أهله، فقال لي: أعن أثر وقفت هاهنا؟ قلت: لا، قال: هذا موقف نبيّ الله بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع[١].

فترى أنّه عليه السلام سأل خالداً عن علّة وقوفه للدعاء في هذا المكان، هل هو عن دليل وأثر فقال: لا أعلم أثراً، ثمّ بيّن له الإمام عليه السلام الأثر، وهو وقوفه في موقف دعاء النبي ﷺ تيمّناً وتبرّكاً بكونه موقف دعائه ﷺ.

قال السمهودي بعد نقله ما تقدّم من كلام الصادق عليه السلام: قال الزين المراغي: «فينبغي الدعاء فيه. قال: وقد أخبرني غير واحد أنّ الدعاء عند ذلك القبر مستجاب ولعلّ هذا سببه، أو لأنّ عبدالله بن جعفر كان كثير الجود، فأبقى الله قضاء الحوائج عند قبره.

قلت: ولم أقف في كلام المتقدّمين على أصل دفن عبدالله بن جعفر هناك، بل اختلف أنّه دفن بالمدينة أو بالأبواء، والمعتمد في سبب الاستجابة هناك ما ذكر أوّلاً، ولهذا يستحبّ الدعاء في جميع الأماكن التي دعا بها النبي ﷺ، وكلّها مواطن إجابة[٢].

أقول: لا ريب أنّ علّة استجابة الدعاء هناك إنّما هو بركة دعاء النبي ﷺ والمستفاد من كلام السمهودي[٣]: أنّ زاوية دار عقيل كانت تسمّى بيت علي عليه السلام وكانت مقبرة بني هاشم فصارت بعد ذلك مقابر للأئمّة الطاهرين من ولد رسول الله ﷺ: الإمام السبط الأكبر أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، والإمام

(١) وفاء الوفاء ٣: ٨٩٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) وفاء الوفاء ٣: ٩٠١ـ٩٠٢.

أبي الحسن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، والإمام أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، والإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وكذا دفن فيه العبّاس بن عبدالمطلب، وفاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على قول ضعيف، بل دفنت فيها أمّ سلمة أمّ المؤمنين رحمها الله تعالى على نقل.

وفي جهة القبلة من القبور الطاهرة كان بيت الحزن تجلس فيه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وتبكي على مصائبها التي لو صبّت على الأيّام صرن لياليا، وذلك يظهر أيضاً من كلام السمهودي[1].

ومن المعلوم أنّه يستجاب هناك الدعاء، وتنزل البركات من السماء، وتحفّ الملائكة بالداعي، وتحيط الرحمة به، لكونه مدفن أوليائه وأصفيائه من الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم.

التبرّك بأماكن صلّى إليها رسول الله صلى الله عليه وآله

١ ـ ورد أنّ الصحابة كانوا يتبرّكون بأحجار صلّى إليها الرسول العظيم صلى الله عليه وآله بين مكّة والمدينة[2].

٢ ـ عن عائشة: إنّي لأعلم سارية من سواري المسجد، لو يعلم الناس ما في الصلاة إليها لاضطربوا إليها بالسهمان[3].

٣ ـ عن مسلم بن أبي مريم وغيره أنه كان بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في المربعة التي في القبر. قال سليمان: قال لي مسلم: لا تنسَ حظّك من الصلاة إليها،

---

(١) وفاء الوفاء ٣: ٩٠٧ـ٩١٨.

(٢) كنز العمّال ١: ٢٣٣ المرقم ٤٢٣٣ نقلاً بالمعنى.

(٣) يأتي تفصيله فيما بعد تحت عنوان «ملخص الكلام».

فإنّها باب فاطمة رضي الله عنها الذي كان عليّ يدخل عليها منه[١].

٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلّى رسول الله ﷺ في مسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوسطى استقبلها، وكانت موضع الشجرة التي كان النبي ﷺ يصلّي إليها[٢].

٥ ـ كان أهل البيت عليهم السلام يتبرّكون بحجر كان في بيت فاطمة عليها السلام وقيل: ذلك حجر كان النبي ﷺ يصلّي إليه إذا دخل إلى فاطمة أو كانت فاطمة تصلّي إليه[٣].

٦ ـ عن الشعبي قال: نزل عمر بالروحاء فرأى ناساً يبتدرون أحجاراً، فقال: ما هذا؟ فقالوا: يقولون: إنّ النبي ﷺ صلّى إلى هذه الأحجار، فقال: سبحان الله ما كان رسول الله إلّا راكباً مرّ بواد، فحضرت الصلاة فصلّى ثمّ حدّث فقال:... الحديث[٤].

التبرّك بأماكن مشى أو وقف فيها رسول الله ﷺ

١ ـ كان ابن عمر يعترض براحلته في طريق عرض رسول الله ناقته فيه، وكان لا يترك الحجّ، فكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ (كذا في الإصابة والتبرّك)[٥].

ونقل أبو عمر[٦] «كان ـ ابن عمر ـ رحمه الله كثير الاتّباع لآثار رسول الله ﷺ»

(١) وفاء الوفاء ١: ٤٥٠.

(٢) وفاء الوفاء: ١٠٠٢.

(٣) وفاء الوفاء: ٥٧٢.

(٤) كنز العمّال ٢: ٢٢٨.

(٥) تبرّك الصحابة: ١٩ ـ ٢٠، والاستيعاب ٢: ٣٤٤، والإصابة ٢: ٣٤٩، وأسد الغابة ٣: ٢٢٧ ـ ٢٣٠.

(٦) الاستيعاب: ٣٤٢.

وقال(١): «وكان يتقدّم في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي ﷺ وقف بها».

٢ ـ كان عبدالله بن عمر كثير الاتّباع لآثار رسول الله ﷺ حتى إنّه ينزل منازله، ويصلّي في كلّ مكان صلّى فيه، وحتى أنّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلّا تيبس(٢).

٣ ـ عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أري وهو في معرّسه من ذي الحليفة في بطن الوادي، فقيل له: إنّك ببطحاء مباركة.

فقال موسى: وقد أناخ بنا سالم بالمناخ الذي كان عبدالله ينيخ به يتحرّى معرّس رسول الله ﷺ... الحديث(٣).

وفي لفظ مسلم: فقال موسى: وقد أناخ بنا سالم بالمناخ من المسجد الذي كان عبدالله ينيخ به يتحرّى معرس رسول الله ﷺ... الحديث.

وفي لفظ أحمد(٤): عن نافع أن عبدالله بن عمر كان ينيخ بالبطحاء التي بذي الحليفة التي كان رسول الله ﷺ ينيخ بها ويصلّي بها.

ولفظ مسلم(٥) موافق للفظ أحمد.

٤ ـ سيأتي تبرّك عبدالله بن عمر بمنحر رسول الله ﷺ في الهدي(٦).

---

(١) الاستيعاب: ٣٤٤.

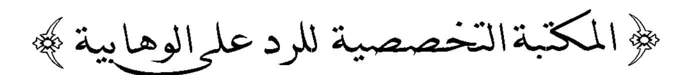
(٢) أسد الغابة ٣: ٢٢٧، وكنز العمّال ١٦: ٩٣.

(٣) البخاري ٣: ١٤٠ و٢: ١٦٧، وصحيح مسلم ٢: ٩٨١ ـ ٩٨٢، ومسند أحمد ٢: ١١٩ ـ ١٣٦ تقدّم اهتمام أهل البيت عليهم السلام بمعرس رسول الله ﷺ بذي الحليفة فراجع فصل تبرّك الصحابة بقبره الشريف.

(٤) ٢: ١١٩.

(٥) ٢: ٩٨١.

(٦) نقله البخاري ٢: ٢١٠.



عود على بدء

تبرّك الصحابة رضي الله عنهم بمكان صلّى فيه الرسول ﷺ، أو صلّى إليه، أو نزل به، وحثّهم على حفظ هذه الأماكن، وجعلها مساجداً، وكذا دعواتهم إلى تتبّع مواضع صلاته في هذه المساجد، وفي المسجد النبوي، والمكّة المكرّمة، ليس إلّا أنّهم يريدون التبرّك بها والقرب من الله بواسطتها، وقد تقدّم بعض تلكم الآثار وإليك ما بقي منها:

ونحن نلخص للقرّاء الكرام ما كتبه السمهودي في وفاء الوفاء:

كانوا يتحرّون موضع نوافل رسول الله ﷺ من مسجده، أو موضع صلاة الليل منه.

قال السمهودي[1]: قال ابن القاسم: أحبّ مواضع الصلاة في مسجده ﷺ في النفل العمود المخلق...

ونقل المرجاني: أنّ في العتيبة ما لفظه: أحبّ مواضع التنفّل في مسجد رسول الله ﷺ مصلّاه حيث العمود المخلق... عن مالك: أنّه سئل عن مسجد رسول الله ﷺ وقيل له: أي المواضع أحبّ إليك الصلاة فيه؟ قال: أمّا النافلة فموضع مصلّاه.

وذكر[2] في تعيين اسطوان القرعة أو أسطوان عائشة أو الأسطوان المخلق أو أسطوان المهاجرين فقال: عن عائشة: إنّي لأعلم سارية من سواري المسجد لو يعلم الناس ما في الصلاة إليها لاضطربوا إليها بالسهمان، فخرج الرجلان ـ مروان ورجل معه ـ وبقي ابن الزبير عند عائشة، فقال الرجلان: ما تخلّف إلّا ليسألها عن السارية، ولئن سألها لتخبرنّه ولئن أخبرته لا يعلمنا، وإن أخبرته عمد لها إذا

---

(١) السمهودي ١: ٣٦٨.

(٢) في ٢: ٤٤٠ ـ ٤٤١.

خرج فصلّى إليها فاجلس بنا مكاناً نراه ولا يرانا ففعلا، فلم ينشب أن خرج مسرعاً، فقام إلى هذه السارية فصلّى إليها، متيامناً إلى الشقّ الأيمن منها، فعلم أنّها هي، وسمّيت أسطوانة عائشة بذلك، وبلغنا أنّ الدعاء عندها مستجاب.

ثمّ نقل عن الأوسط للطبراني ما يقرب ممّا تقدّم ـ إلى أن قال ـ: إنّ النبي صلى الله عليه وآله صلّى إليها بضع عشرة المكتوبة ثمّ تقدّم إلى مصلّاه... وإنّ أبا بكر وعمر والزبير بن العوّام وعامر بن عبدالله كانوا يصلّون إليها، وإنّ المهاجرين كانوا يجتمعون عندها.

وعن زيد بن أسلم قال: رأيت عند تلك الأسطوانة موضع جبهة النبي صلى الله عليه وآله.

ثمّ تكلّم عن أسطوانة التوبة فساق الكلام إلى بيان معتكف النبي صلى الله عليه وآله فقال: إنّ مالك بن أنس كان له موضع في المسجد قال: وهو مكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وهو المكان الذي كان يوضع فيه فراش رسول الله صلى الله عليه وآله إذا اعتكف... كان للنبي صلى الله عليه وآله سرير من جريد فيه سعفة يوضع بين الأسطوانة التي تجاه القبر وبين القناديل، كان يضطجع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال[1] بعد ذكره اسطوانة المحرس: إنّه كان علي بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلي القبر ممّا يلي باب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مقابل الخوخة التي كان النبي صلى الله عليه وآله يخرج منها إذا كان في بيت عائشة إلى الروضة للصلاة، وهي الأسطوان الذي يصلّي عندها أمير المؤمنين يجعلها خلف ظهره، ولذا قال الأقشهري: إنّ أسطوان مصلّى علي كرّم الله وجهه اليوم أشهر من أن تخفى على أهل الحرم، ويقصد الأمراء الجلوس والصلاة عندها إلى اليوم، وذكر أنّه يقال لها مجلس القادة لشرف من كان يجلس فيه.

وظاهر هذا النص هو تبرّكهم بمصلّى أمير المؤمنين صلوات الله عليه أيضاً.

---

(١) ص٤٤٨.

كما أنّه نقل(١) عن مسلم بن أبي مريم وغيره أنّه كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ في المربعة التي في القبر. قال سليمان: قال لي مسلم: لا تنس حظّك من الصلاة إليها، فإنّها باب فاطمة رضي الله عنها الذي كان عليّ يدخل عليها منه.

وظاهره التبرّك بباب فاطمة عليها السلام كذلك.

ونقل ذلك(٢) وزاد: «وقد رأيت حسن بن زيد يصلّي إليها».

وذكر(٣): اسطوان التهجد وقال: كان رسول الله ﷺ يخرج حصيراً كلّ ليلة إذا انكفت الناس فيطرح وراء بيت علي، ثمّ يصلّي صلاة الليل ـ وساق الكلام فقال(٤):

وحدّثني سعيد بن عبدالله بن فضيل قال: مرّ بي محمد بن الحنفية وأنا أصلّي إليها فقال لي: أراك تلزم هذه الأسطوانة هل جاءك فيه أثر؟ قلت: لا. قال: فالزمها، فإنّها كانت مصلّى رسول الله ﷺ من الليل.

وقال(٥): وقال المطري في بيان موضع هذه الأسطوانة: هي خلف بيت فاطمة رضي الله عنها والواقف إليها يكون باب جبرئيل المعروف قديماً بباب عثمان على يساره... وقد كتب فيها بالرخام هذا متهجّد النبي ﷺ... وهذه الأسطوانة آخر الأساطين التي ذكر لها أهل التاريخ فضلاً خاصّاً.

قال ابن النجّار: فعلى هذا جميع سواري مسجد النبي ﷺ يستحبّ الصلاة عندها؛ لأنّه لا يخلو عن أنّ كبار الصحابة صلّوا إليها. انتهى.

أقول: فقد حكم باستحباب وفضل الصلاة عند كلّ اسطوانة؛ لأنّ كبار الصحابة صلّوا عندها، وهذا معنى كون جواز التبرّك أمراً ظاهراً عند جميع

---

(١) ٤٥٠.

(٢) ٤٦٧.

(٣) ٤٥٠.

(٤) ٤٥١.

(٥) ٤٥٢.

المسلمين منذ زمن الصحابة والتابعين إلى الآن (إلّا شرذمة لا يعبأ بها)، حتى لقد تبرّكوا بأماكن صلاة الصحابة رضي الله عنهم فضلاً عن أماكن صلاة الرسولﷺ.

ولذلك اهتمّوا بالأماكن التي صلّى فيها الرسول، أو أعاظم الصحابة، فذكروا كلّ مكان صلّى فيه بين مكة والمدينة وبين المدينة وخيبر وبين المدينة وبين تبوك، وذكروا أنّ المسلمين جعلوا هذه الأمكنة مساجد يصلّى بها تبرّكاً بمكان صلاة النبيﷺ، ولقد أطال البخاري الكلام عن هذه المساجد، فراجع صحيحه[1] وابن حجر في فتح الباري[2] والسمهودي في وفاء الوفاء[3].

ونحن نلخّص للقرّاء الكرام ما قالوه في ذلك، مقتفين أثر السمهودي في وفاء الوفاء، فقد قال في ص٧٩٧ وما بعدها: (بعد ذكره فضل مسجد قباء وشرفه وفضل الصلاة فيه) قال في تعيين مصلّى النبيﷺ في مسجد قبا: روى ابن زبالة: أنّ النبيﷺ صلّى إلى الأسطوان الثالثة في مسجد قبا التي في الرحبة ـ وساق الكلام في ذلك ـ وقال: فينبغي أن يتبرّك بالصلاة عند محراب القبلة، وعند المحلين من الاسطوانتين المذكورتين (أي الأسطوانة المخلقة الخارجة في رحبة المسجد وهي التي كان ابن عمر يصلّي إليها، وهذه الأسطوانة كانت مصلّى رسول الله قبل تحويل القبلة، وأمّا مصلّاه بعد تحويل القبلة فقد كان إلى الأسطوانة التي في صفّ هذه الأسطوانة ممّا يلي القبلة وهي الثالثة من اسطوانة الرحبة) وقد اقتصر يحيى في بيان مصلّى النبيﷺ على الأسطوان التي في الرحبة فذكر رواية ابن زبالة.

ثمّ روي عن معاذ بن رفاعة قال: كان رسول اللهﷺ يصلّي إلى الأسطوانة الخارجة، وهي في صفّ المخلّقة وإنّما كان موضعها يومئذ كهيئة العريش. ثمّ ذكر أنّ

(١) ١: ١٣٠.
(٢) فتح الباري ١: ٤٦٩.
(٣) وفاء الوفاء ٣: ٨٠٦.

موسى بن سلمة حدّثه أنّه رأى أبا الحسن علي بن موسى الرضاعليه السلام يصلّي إلى هذه الأسطوانة الخارجة. ثمّ قال: قال يحيى: ورأيت غير واحد من أهل بيتي منهم عبدالله وإسحاق ابنا موسى بن جعفر، وحسين بن عبدالله بن حسين، يصلّون إلى هذه الأسطوانة الخارجة إذا جاءوا قبا ويذكرون أنّه مصلّى رسول اللهﷺ قال: ورأيت من أهل بيتي من يأتي قبا، فيصلّي إليها ممّن يقتدى به ممّن لا أبالي أن لا أرى غيره في الفقه والعلم.

ثمّ قال ـ بعد كلام له ـ: وأمّا الحظيرة التي بصحن المسجد فلم أرَ في كلام المتقدّمين تعرّضاً لذكرها، والشائع على ألسنة أهل المدينة أنّها مبرك ناقة النبيﷺ، وبه جزم المجد تبعاً لابن جبير في رحلته، فقال: وفي وسط المسجد مبرك الناقة بالنبيﷺ وعليه حظيرة قصيرة شبه روضة صغيرة يتبرّك بالصلاة فيه.

ثمّ قال[1]: كان النبيﷺ نزل بقباء على كلثوم بن الهدم وأخذ مربده فأسّسه مسجداً وصلّى فيه، ولم يزل ذلك المسجد يزوره النبيﷺ ويصلّي فيه أهل قباء، فلمّا توفيﷺ لم تزل الصحابة تزوره وتعظّمه.

ثمّ قال[2]: في جملة ما ينبغي أن يزار بقباء: إنّ النبي ﷺ اضطجع في دار سعد بن خيثمة يدخله الناس للزيارة ويسمّونه مسجد عليرضي الله عنه.

ثمّ ذكر دار كلثوم بن الهدم وقال: وهي إحدى الدور التي قبلي المسجد أيضاً يدخلها الناس للزيارة والتبرّك.

المساجد المباركة بالمدينة الطيّبة المعلومة المعيّنة

ثمّ شرع السمهودي في ذكر المساجد المعلومة المعيّنة في زمانه في أواخر القرن التاسع (لأنّه توفي سنة ٩١١ من الهجرة) وأوائل القرن العاشر فقال:

---

(١) ص٨٠٩.

(٢) ص٨١٣.

اعلم أنّ الاعتناء بهذا الغرض متعيّن، فقد قال البغوي من الشافعية: المساجد التي ثبت أنّ النبيﷺ صلّى فيها لو نذر أحد الصلاة في شيء منها تعين، كما تتعيّن المساجد الثلاثة. واعتناء السلف بتتبّع آثار النبي معلوم ـ سيما ما جاء في ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما ـ وقد استفرغنا الوسع في تتبّعها[1].

ومراده ذكر المساجد التي صلّى فيها النبيﷺ، حتّى يتبرّك بالصلاة فيها، تبعاً للسلف الصالح سيّما الصحابة رضي الله عنهم.

فقال: **منها**: مسجد الجمعة وهو الذي أقامﷺ فيه صلاة الجمعة وهي أوّل جمعة صلّاها بالمدينة.

ومنها: مسجد الفضيخ ـ بفتح الفاء وكسر الضاد المعجمة بعدها مثناة تحتية وخاء معجمة ـ ويعرف اليوم بمسجد شمس صلّىﷺ فيه حين حاصر بني النضير[2].

ومنها: مسجد بني قريظة: صلّىﷺ في بيت إمرأة حين حاصر بني قريظة، فأدخل ذلك البيت في مسجد بني قريظة، وكان ذلك المكان شرقي بني قريظة عند موضع المنارة التي هدمت، فينبغي الصلاة في مسجد بني قريظة ممّا يلي محلّ المنارة في شرقي المسجد[3].

ومنها: مشربة أمّ إبراهيم: روي أنّ النبيﷺ صلّى في مشربة أمّ إبراهيم[4].

ومنها: مسجد بني ظفر: وروي عن محمد بن مسلمة: أنّ النبيﷺ صلّى في مسجد بني معاوية، وبني ظفر. وعن إدريس بن محمد بن يونس بن محمد المظفري عن جدّه: أنّ رسول اللهﷺ جلس على الحجر الذي في مسجد بني ظفر. وأنّ زياد

(١) راجع ص٨١٩.

(٢) راجع ص٨٢٣.

(٣) راجع ص٨٢٤.

(٤) راجع ص٨٢٥.

ابن عبيدالله كان أمر بقلعه حتى جاءته مشيخة بني ظفر، وأعلموه أنّ رسول اللهﷺ جلس عليه فردّه. قال: فقلّ امرأة نزر ولدها تجلس عليه إلّا حملت. قال يحيى بن عقبة: مسجد بني ظفر دون مسجد بني عبد الأشهل قال: وأدركت الناس بالمدينة يذهبون بنسائهم، حتى ربما ذهبوا بهنّ في الليل فيجلسن على هذا الحجر.

قلت: ولم يزل الناس يصفون الجلوس على ذلك الحجر للمرأة التي لا تلد، ويقصدون ذلك المسجد لأجله[1].

ومنها: مسجد الإجابة وهو مسجد بني معاوية بن مالك قال: إنّ رسول اللهﷺ أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مرّ بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين... وفي الموطأ عن عبدالله بن جابر بن عتيك قال: جاءنا عبدالله بن عمر في بني معاوية وهي قرية من قرى الأنصار، فقال: أتدرون أين صلّى النبيﷺ في مسجدكم هذا؟ فقلت: نعم، وأشرت إلى ناحية منه ـ الحديث ـ.

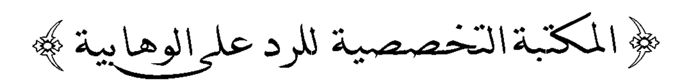
قلت: فينبغي أن يتحرّى بالصلاة ذلك المحلّ، وأن يكون الدعاء فيه قائماً بعد الصلاة للرواية المتقدّمة[2].

ومنها: مسجد الفتح والمساجد حوله في قبلته: قال: وروينا في مسند أحمد برجال ثقات عن جابر بن عبدالله، أنّ النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثاً: يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيبت له يوم الأربعاء بين الصلاتين، فعرف البِشر في وجهه وقال جابر: فلم ينزل أمر مهمّ غليظ إلّا توخيت تلك الساعة ـ الحديث.

ثمّ نقل حديثاً حذفناه رعاية للاختصار، ثمّ قال: ويستفاد منه أنّ الصلاة والدعاء هنالك يتحرّى بهما وسط المسجد في الرحبة ممّا يلي سقفه... قال يحيى:

(١) راجع ص٨٢٧.

(٢) راجع ص٨٢٨.



فدخلت مع الحسين بن عبدالله مسجد الفتح، فلمّا بلغ الأسطوانة الوسطى من المسجد قال: هذا موضع مصلّى رسول الله ﷺ، وكان يصلّي فيه إذا جاء مسجد الفتح. وعن معاذ بن سعد، أنّ رسول الله ﷺ صلّى في مسجد الفتح الذي على الجبل وفي المساجد التي حوله.

وفي قبلة المسجد المعروف بمسجد أمير المؤمنين جانحاً إلى جهة المشرق يلحق طرف جبل سلع الذي في قبلة المساجد رضم من الحجارة، رأينا الناس يتبرّكون بالصلاة بينها[1] وما بعدها.

وذكر السمهودي حول هذه المساجد أحاديث كثيرة وبحوثاً؛ حذفناها مخافة التطويل فراجع.

ومنها: مسجد بني الحرام، قال[2]: وينبغي لقاصد مساجد الفتح أن يزور مسجد بني الحرام، وقد روى رزين عن يحيى بن قتادة عن مشيخة من قومه: أنّ النبي ﷺ كان يأتي دور الأنصار فيصلّي في مساجدهم.

ومنها: مسجد القبلتين قال: ونقل مشيخة بني سلمة: أنّ رسول الله ﷺ صلّى في مسجد القبلتين[3].

ومنها: مسجد السقيا: صلّى فيه رسول الله ﷺ حينما عرض المسلمين بالسقيا التي بالحرّة متوجّهاً إلى بدر[4].

ومنها: مسجد الذباب ويعرف بمسجد الراية. قال: صلّى فيه رسول الله ﷺ[5].

ومنها: مسجد القبيح، وهو المسجد اللّاصق بجبل أحد والنبي ﷺ صلّى فيه

---

(١) راجع ص٨٣٨.

(٢) ص٨٣٨.

(٣) راجع ص٨٤١.

(٤) راجع ص٨٤٣.

(٥) راجع ص٨٤٥.

الظهر والعصر يوم أحد بعد انقضاء القتال[1].

ومنها: مسجد في ركن جبل عينين، قال المطري: إنّه الموضع الذي طعن فيه حمزة رضي الله تعالى عنه.

ومنها: مسجد العسكر في شمالي المسجد المذكور: وذكر المطري أنّه يقال: إنّه مصرع حمزةرضي الله عنه[2].

ومنها: مسجد أبي ذر الغفاري مسجد صغير جدّاً[3].

ومنها: مسجد أبيّ بن كعب على يمين الخارج من البقيع: عن يحيى بن سعيد قال: كان النبي يختلف إلى مسجد أبيّ فيصلّي فيه غير مرّة[4].

هذه المساجد المعلومة المعروفة في عهد المؤلف بالمدينة الطيّبة، كان المسلمون يتبرّكون بالصلاة والدعاء فيها.

المساجد المباركة بالمدينة الطيّبة غير المعيّنة

قال السمهودي[5]: المساجد التي علمت جهتها، ولم تعلم عينها بالمدينة المشرّفة، وذكروا أنّهﷺ صلّى بها ثمّ شرع في عدّها وتسميتها كما يأتي. قال:

١ ـ منها مسجد بني جديلة.

٢ ـ ومنها مسجد بني حرام من بني سلمة بن الخزرج.

٣ ـ ومنها مسجد الخربة لبني عبيد[6].

---

(١) راجع ص٨٤٨.

(٢) راجع ص٨٤٩.

(٣) راجع ص ٨٥١.

(٤) راجع ص٨٥٢ـ٨٥٣.

(٥) راجع ص٨٥٤.

(٦) راجع ص٨٥٤.

٤ ـ ومنها مسجد جهينة وبلّي[١].

٥ ـ ومنها مسجد بني غفار[٢].

٦ ـ ومنها مسجد بني زريق[٣].

٧ ـ ومنها مسجد بني ساعدة[٤].

٨ ـ ومنها مسجد بني خدّارة[٥].

٩ ـ ومنها مسجد راتج[٦].

١٠ ـ ومنها مسجد واقم[٧].

١١ ـ ومنها مسجد القرصة[٨].

١٢ ـ ومنها مسجد الشيخين[٩].

١٣ ـ ومنها مسجد حارثة[١٠].

١٤ ـ ومنها مسجد بني دينار[١١].

١٥ ـ ومنها مسجد بني عدي[١٢].

---

(١) أنظر ص ٨٥٥.

(٢) ص ٨٥٦.

(٣) ص ٨٥٧.

(٤) ص ٨٥٨.

(٥) ص ٨٦٠.

(٦) ص ٨٦١.

(٧) ص ٨٦٢.

(٨) ص ٨٦٤.

(٩) ص ٨٦٥.

(١٠) ص ٨٦٥.

(١١) ص ٨٦٦ ـ ٨٦٧.

(١٢) ص ٨٦٦ ـ ٨٦٧.

١٦ ـ ومنها مسجد دار النابغة[١].

١٧ ـ ومنها مسجد بني مازن[٢].

١٨ ـ ومنها مسجد بني عمرو[٣].

١٩ ـ ومنها مسجد بقيع الزبير[٤].

٢٠ ـ ومنها مسجد صدقة الزبير[٥]

٢١ ـ ومنها مسجد بني حذرة من الخزرج[٦]

٢٢ ـ ومنها مسجد بني الحارث[٧].

٢٣ ـ ومنها مسجد الشنح[٨].

٢٤ ـ ومنها مسجد بني الحبلي[٩].

٢٥ ـ ومنها مسجد بني بياضة[١٠].

٢٦ ـ ومنها مسجد بني حظمة[١١].

٢٧ ـ ومنها مسجد العجوز[١٢].

---

(١) أنظر ص٨٦٦ـ٨٦٧.

(٢) ص٨٦٨.

(٣) ص٨٦٨.

(٤) ص٨٦٨ـ ٨٦٩

(٥) ص٨٦٨ـ ٨٦٩.

(٦) ص ٨٧٠.

(٧) ص ٨٧١.

(٨) ص ٨٧١.

(٩) ص ٨٧١.

(١٠) ص٨٧٢.

(١١) ص٨٧٢.

(١٢) ص٨٧٢

٢٨ ـ ومنها مسجد بني أميّة الأوسي[١].

٢٩ ـ ومنها مسجد بني وائل[٢].

٣٠ ـ ومنها مسجد بني واقف[٣].

٣١ ـ ومنها مسجد بني أنيف[٤].

٣٢ ـ ومنها مسجد دار سعد بن خيثمة[٥].

٣٣ ـ ومنها مسجد التوبة[٦].

٣٤ ـ ومنها مسجد النور[٧].

٣٥ ـ ومنها مسجد عتبان[٨].

٣٦ ـ ومنها مسجد ميثب[٩].

٣٧ ـ ومنها مسجد المنارتين[١٠].

٣٨ ـ ومنها مسجد فيفاء الخبار[١١].

٣٩ ـ ومنها مسجد الجثجاثة[١٢]

---

(١) أُنظر ص٨٧٣.

(٢) ص ٨٧٤.

(٣) ص ٨٧٤.

(٤) ص ٨٧٥.

(٥) ص ٨٧٥.

(٦) ص ٨٧٥.

(٧) ص٨٧٦ ـ ٨٧٧.

(٨) ص٨٧٦ ـ ٨٧٧.

(٩) ص٨٧٨ ـ ٨٧٩.

(١٠) ص٨٧٨ ـ ٨٧٩.

(١١) ص٨٧٨ ـ ٨٧٩.

(١٢) ص ٨٨٠.

الدور المباركات بالمدينة الطيّبة ومكّة المكرّمة

١ ـ ثمّ ذكر السمهودي الدور التي صلّى فيها رسول اللهﷺ، كدار الشفا بنت عبدالله القرشية العدوية (وقد تقدّم ذكرها في التبرّك بملابسهﷺ).

٢ ـ دار عمر بن أميّة.

٣ ـ دار بسرة.

٤ ـ دار أمّ سليم.

٥ ـ دار أمّ حرام[١].

٦ ـ الدار التي ولد رسول اللهﷺ فيها بمكّة، وصارت بعد لمحمد بن يوسف أخي الحجّاج، وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبي طالب، ولم تزل بيده ثمّ بيد أولاده بعد وفاته إلى أن باعوها لمحمد بن يوسف بمئة ألف دينار، فأدخلها في داره، وسمّاها البيضاء، وكانت الدار البيضاء عند الصفا. ثمّ بنتها زينب المعروفة بزبيدة زوجة الرشيد وأمّ الأمين مسجداً لمّا حجّت، حيث أخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف وجعلتها مسجداً، وقيل: إنّ التي فعلت ذلك هي الخيزران أمّ الرشيد أو بنتها إحداهما وعمّرتها الأخرى، كما أنّ دار خديجة التي هي مولد فاطمة عليها السلام صارت مسجداً يصلّى فيه بناه معاوية أيّام خلافته، قيل: وهي أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام واشتهر المسجد بمولد فاطمة عليها السلام لشرفها سلام الله عليها[٢].

وكان الناس يتبرّكون بمولدهﷺ ويصلّون في المسجد، ولمّا أخذ الوهابيون مكّة في عصرنا هذا هدموه، ومنعوا من زيارته على عادتهم في المنع من التبرّك بآثار الأنبياء والصالحين، وجعلوه مربطاً للدواب[٣]، ثمّ صيّروه مكتبة عامة يدخلها

---

(١) راجع ص ٨٨٠ ـ ٨٨٢.

(٢) اختصرناه ممّا ذكر الحلبي في السيرة ١: ٧٣ ـ ٧٥، والبحار ١٥: ٢٥١ ـ ٢٥٢ عن الكافي.

(٣) اختصرناه من أعيان الشيعة ٢: ٧ في ذكر ولادتهﷺ.

غير المطهّرين من الجنابة وغيرها على ما حكاه لي بعض العلماء.

سبحان الله كيف خربوا المسجد وتصرّفوا فيه وأخرجوه عن المسجدية؟! وكيف جعلوه مربطاً للدّواب[1]؟! أليس هذا تصرّفاً في الوقف والمسجد وهو حرام؟! أليس هذا إهانة للمسجد وإهانة لرسول الله ﷺ؟!

نعم، لقد حُكِيَ عنهم ما هو أفظع وأكبر، إذ هم الذين خربوا مسجد الطائف ومنعوا من زيارة قبر النبي ﷺ والصلاة عليه، وإذا أردت الوقوف على أعمالهم الشنيعة، وعقائدهم السخيفة، فراجع كتاب التوسل بالنبي ﷺ لأبي حامد بن مرزوق، والدرر السنية للسيد أحمد بن زيني دحلان، وشفاء السقام للسبكي، وتطهير الفؤاد للشيخ محمد المطيعي، والمنحة الوهبية لحسين حلمي، والبصائر لحمد الله الداجوي، وكلّ هؤلاء من علماء أهل السنّة، وراجع كشف الارتياب للعلّامة السيّد الأمين رحمه الله تعالى، ولعلّنا نتعرّض فيما بعد لعقائدهم في التوسّل وتقبيل الضرائح إن شاء الله تعالىٰ.

ولكن الذي نستفيده من الأخبار والآثار: أنّ هذه سيرة أمويّة موروثة وبدعة مروانيّة منذ استووا على كرسي الرئاسة، وقعدوا على سرير الخلافة، فشرعوا في الاستخفاف بمقام النبوّة، والحطّ من كرامة الرسالة، والاعتداء على حدود الله سبحانه، وليس ذلك إلّا من أجل محق الدين، ومحو آثار سيّد المرسلين ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتِمُّ نوره ولو كره الكافرون﴾.

وإليك النصوص التي تدلّ على هذه الخطوط العريضة في طول التاريخ، فاقرأها وتدبّرها، ثمّ قسها بما صدر من هؤلاء الوهابية من الإهانة لقبره ﷺ والاستخفاف بسائر المشاعر ﴿ذلك ومن يعظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب﴾.

---

(١) اختصرناه من أعيان الشيعة ٢: ٧ في ذكر ولادته ﷺ.

١ ـ تقدّم قول مروان للصحابي العظيم أبي أيّوب الأنصاري حين رآه واضعاً وجهه على قبر النبي ﷺ: «أتدري ما تصنع؟». فأجابه أبو أيّوب: «نعم، جئت رسول الله ﷺ ولم آتِ الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله»».

٢ ـ وهذا معاوية يهزأ بحديث رسول الله ﷺ ويرى في الربا والخمر والجمع بين الأختين، وغير ذلك ممّا هو خلاف الحكم المنصوص ممّا جمعه العلّامة الأميني رضوان الله عليه في الغدير(١).

وللعلّامة المحقّق المفضال السيّد جعفر مرتضى، كلام في رسالة «حديث الإفك» وكتاب: ما هو الصحيح في سيرة النبي ﷺ فأتى به بطوله بألفاظه، قال:

٣ ـ إنّهم يذكرون: أنّ زيد بن علي عليه السلام يقول: إنّه شهد هشام بن عبد الملك والنبي ﷺ يُسبّ عنده، فلم ينكر ذلك، ولم يغيره(٢).

٤ ـ ما ذكروه في ترجمة خالد بن سلمة المخزومي، المعروف بالفافاء: أنّه كان مُرجئاً، ويبغض علياً. وأنّه كان يُنشد بني مروان الأشعار التي هجا بها المصطفى، وأنّه يروي عنه أصحاب الصحاح الست ما عدا البخاري(٣).

٥ ـ وعمرو بن العاص أيضاً لا يرضى بضرب نصراني شتم النبي ﷺ(٤).

٦ ـ وتفاخر أموي وأنصاري، فذكر له الأموي الأمويين الذين توفي النبي ﷺ وهم عمّال له، فقال الأنصاري: صدقت، ولكنّهم حالفوا أهل الردّة على هدم

---

(١) ج ١٠.

(٢) كشف الغمّة للأربلي ٢: ٣٥٢ وقاموس الرجال ٤: ٢٧ عنه عن دلائل الحميري.

(٣) بحوث مع أهل السنّة والسلفية: ١٠١.

(٤) الاستيعاب ٣: ١٩٣ وأخرجه البخاري في تاريخه بإسناد صحيح كما في الإصابة ٣: ١٩٥.

الإسلام، فكأنّما ألقمه حجراً[١].

٧ ـ قول الكميت: أنّه كان إذا مدح رسول الله ﷺ اعترض عليه جماعة في ذلك، ولا يرضون به، يقول الكميت:

إلى السراج المنير أحمده لا يعدلني عنه رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره ولو رفع الناس إليّ العيون وارتقبوا
وقيل: أفرطّت بل قصدت، ولو عنّفني القائلون، أو ثلبوا
إليك يا خير من تضمّنت الأرض وإن عاب قولي العيّب
لجّ بتفضيلك اللسان، ولو أكثر فيك اللجاج واللجب

ولعلّ الكميت قد أحسّ أنّ وراء هذه الأمور أمراً عظيماً حيث يقول:

رضوا بخلاف المهتدي وفيهم مخبأة أخرى تصاب وتحجب

وتفسير هذا البيت بأنّ المخبأة هي تفضيل الخليفة على رسول الله ﷺ في غير محلّه، إذ إنّ ذلك لم يكن مخبأً، بل صرّح به عمّال الأمويين، مثل: خالد القسري والحجّاج بن يوسف، فلابدّ وأن تكون هذه المخبأة هي لطمس دين الله[٢] أو تشويه صورة النبي ﷺ الحقيقية في أذهان الناس، ومن ثمّ طمس معالم الشخصية النبوية نهائياً... أو هذا كلّه[٣].

٨ ـ حديث مطرف بن المغيرة: أنّ معاوية قال للمغيرة ـ بعد أن ذكر ملك أبي

---

(١) ربيع الأبرار ١: ٧٠٨ ـ ٧٠٩.

(٢) راجع في ذلك كلّه: بحوث مع أهل السنّة والسلفية: ١٠١ ـ ١٠٢.

(٣) لا يخفى ذلك على من راجع الصحاح الستّة وغيرها من كتب الحديث والتاريخ، إذ تجد فيها صوراً من عصمة النبي ﷺ وعلمه وشجاعته وحلمه وسائر صفاته فراجعها وراجع كتاب السير في الصحيحين والغدير.

بكر وعمر وعثمان، وأنّهم هلكوا فهلك ذكرهم ـ: وأنّ أخا هاشم يصرخ به في كلّ يوم خمس مرّات: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» فأي عمل يبقى مع هـذا لا أمّ لك والله إلّا ذفا ذفّا (دفناً دفناً ـ شرح النهج)(١).

ويقال: إنّ السبب في نداء المأمون بلعن معاوية في سنة ٢١٢هـ هو هذه القضية بالذات(٢).

٩ ـ روى أحمد بن أبي طاهر في كتاب: «أخبار الملوك» أنّ معاوية سمع المؤذّن يقول: أشهد أنّ محمداً رسول الله، فقال: لله أبوك ياابن عبدالله لقد كنت عالي الهمّة، ما رضيت لنفسك إلّا أن يقرن اسمك باسم ربّ العالمين(٣).

١٠ ـ عن سلمة بن كهيل(٤) قال: اختلفت أنا وذرّ المرهبي (من عبّاد أهل الكوفة، وأحد رجال الصحاح الستّ) في الحجّاج: فقال: مؤمن، وقلت: كافر. قال الحاكم: وبيان حجّته: ما أطلق فيه مجاهد بن جبير رضي الله عنه فيما حدّثناه من طريق أبي سهل أحمد القطان عن الأعمش، قال: والله لقد سمعت الحجّاج بن يوسف يقول: يا عجباً من عبد هذيل (يعني عبدالله بن مسعود) يزعم أنّه يقرأ قرآناً من عند الله. والله ما هو إلّا رجز من رجز الأعراب، والله لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه.

١١ ـ وقال الجاحظ: خطب الحجّاج بالكوفة، فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال: تبّاً لكم، إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية، هلّا طافوا

(١) الموفقيات: ٥٧٧، وشرح النهج ٥: ١٢٦، ١٣٠، وقاموس الرجال ٩: ٢٠، ومروج الذهب ٣: ٤٥٤، ونهج الصباغة ٣: ١٩٣ عن الموفقيات ومروج الذهب.

(٢) مروج الذهب ٣: ٤٥٤ ـ ٤٥٥.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ١: ١٠١.

(٤) مستدرك الحاكم ٣: ٥٥٦، وتلخيص المستدرك للذهبي هامش نفس الصفحة، وتاريخ ابن عساكر ٤: ٦٩، والغدير ١٠: ٥١ عنهما، وبهج الصباغة ٥: ٣١٧ عن الربيع، والبداية والنهاية ٩: ١٣٠.

بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟! ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله؟

وعند المبرد: أنّ ذلك ممّا كفّرت به الفقهاء الحجّاج، وأنّه قال ذلك والناس يطوفون بالقبر[1].

١٢ ـ وقضية تفضيل الحجّاج الخليفة على الرسول بحجّة أنّ خليفة الرجل في أهله خير من رسوله في حاجته. هذه القضية معروفة ومشهورة[2].

١٣ ـ وقد روى عبد الرزاق، عن الثوري عن مغيرة عن أبيه، قال: رأيت الحجّاج أراد أن يضع رجله على المقام، فيزجره عن ذلك ابن الحنفية وينهاه عن ذلك[3]. انتهى ما نقلناه عن الرسالة والسيرة.

١٤ ـ وذبح الحجّاج ابن الزبير في داخل مسجد الكعبة ـ لا رحم الله الحجّاج ـ[4] فترى مدى احترامه لبيت الله الحرام، ومقدار مبالاته بالمشاعر لعنه الله تعالى، وهذا بعد أن خرب الكعبة بالأحجار الملقاة بواسطة المنجنيق!

١٥ ـ الحجّاج يرى عبد الملك معصوماً في كتابه إليه: «لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة ربّ العالمين المؤيّد بالولاية المعصوم من خطل الفعل، وزلل القول...»[5].

١٦ ـ عن ابن عياش قال: كنّا عند عبد الملك بن مروان، إذ أتاه كتاب من

---

(١) النصائح الكافية لمحمد بن عقيل: ٨١ عن الجاحظ، وليراجع الكامل للمبرد ١: ٢٢٢ ط النهضة بمصر وشرح النهج للمعتزلي ١٥: ٢٤٢، وبهج الصباغة ٥: ٣٣٨ أقول: سلف مصادر القصة فيما مرّت في ذكر التبرّك بقبره ﷺ.

(٢) العقد الفريد ٢: ٣٥٤: ولفظه «وكتابه (أي الحجاج) إليه ـ يعني عبد الملك ـ أنّ خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين» فليراجع في كفريات الحجّاج لعنه الله تعالى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤: ٥١ ـ ٨١.

(٣) مصنف عبد الرزاق ٥: ٤٩.

(٤) العقد الفريد ٤: ٤١٨.

(٥) العقد الفريد ٥: ٢٥. وهذا الكتاب ينبغي لك قراءته، لكي تقف على غواية الحجّاج وفساد عقيدته.

الحجّاج يعظّم فيه أمر الخلافة، ويزعم: أنّ السماوات والأرض ما قامتا إلّا بها، وأنّ الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقرّبين، والأنبياء المرسلين، وذلك أنّ الله خلق آدم بيده، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنّته، ثمّ أهبطه إلى الأرض وجعله خليفته، وجعل الملائكة رسلاً إليه، فأعجب عبد الملك بذلك وقال: لوددت أن عندي بعض الخوارج فأخاصمه بهذا الكتاب(١).

١٧ ـ عن الربيع قال: قال الحجّاج في كلام له: ويحكم أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله إليهم؟ قال: ففهمت ما أراد، فقلت له: لله عليّ ألّا أصلّي خلفك صلاة أبداً، ولئن وجدت قوماً يقاتلونك لقاتلتك(٢).

١٨ ـ وعبد الملك هو الذي بنى القبّة على الصخرة، الأمر الذي لم يكن المسلمون يعرفونه، نعم لقد عظّم عبد الملك شأن الصخرة بما بناه عليها، وجعل عليها الكسوة في الشتاء والصيف، ليكثر قصد الناس للبيت المقدّس، فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير والناس على دين ملوكهم. وقال عبد الملك في الصخرة: «هذه صخرة الرحمن التي وضع عليها رجله»(٣) فمنع الناس الحجّ، فبنى القبّة على الصخرة والجامع الأقصى... وكانوا يقفون عند الصخرة، ويطوفون حولها، كما يطوفون حول الكعبة، وينحرون يوم العيد، ويحلقون رؤوسهم(٤).

---

(١) العقد الفريد ٥: ٥١، وبهج الصباغة ٥: ٣١٩.

(٢) العقد الفريد ٥: ٥٢ وبهج الصباغة ٥: ٣١٧ والبداية ٩: ١٣١ وفي عباسية الجاحظ «يفخر هاشم على أميّة: بأنّهم لم يهدموا الكعبة ولم يحوّلوا القبلة ولم يجعلوا النبي أدنى من الخليفة ولم يختموا في أعناق الصحابة ولم يغيّروا أوقات الصلاة ولم ينقشوا أكفّ المسلمين ولم يأكلوا ولم يشربوا على منبر النبي ﷺ ولم ينهبوا الحرم ولم يطؤوا المسلمات في دار الإسلام بالسبا» (راجع بهج الصباغة ٥: ٣٣٧).

(٣) توحيد ابن خزيمة: ١٠٨.

(٤) ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ٢٨١، وليراجع تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١، ومآثر الانافة ١: ١١٩، وحياة الحيوان ١: ٦٦ وغير ذلك اختصرنا ذلك من كتاب الإسرائيليات في الإسلام للعلّامة المفضال السيد جعفر مرتضى.

١٩ ـ هذا يزيد بن معاوية يعلن بكفره وزندقته بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحيٌ نزل[١]

وكذا الوليد بن يزيد الذي أمر ابن عائشة أن يغنّيه بهذه الأبيات[٢] وقرأ هو ذات يوم: ﴿واستفتحوا وخاب كلّ جبّار عنيد* من ورائه جهنّم ويسقى من ماء صديد﴾ فدعا بالمصحف فنشبه غرضاً وأقبل يرميه، وهو يقول:

أتوعد كلّ جبار عنيد فها أنا ذا جبّار عنيد
إذا ما جئت ربّك يوم حشر فقل يا ربّ خرّقني الوليد[٣]

وقال الوليد أيضاً:

تلعّب بالخلافةِ هاشميّ بلا وحي أتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي[٤]

وكُفر أبي سفيان ونفاقه أظهر من الشمس، وقد كان يبديه في كلماته حيناً ويكتمه حيناً خوفاً[٥].

٢٠ ـ قال الحجّاج: لا أجد أحداً أخذ بقراءة ابن أم عبد ـ يعني ابن مسعود ـ إلّا ضربت عنقه، ولاحكّنها من المصحف ولو بضلع خنزير[٦].

(١) هو معروف فلا حاجة إلى ذكر المصادر.
(٢) بهج الصباغة ٣: ١٩٤ عن الطبري و٥: ٣٤٤ عنه أيضاً وزاد: «أحسنت والله إنّي لعلى دين ابن الزبعري يوم قال هذا الشعر».
(٣) بهج الصباغة ٣: ١٩٣ و٥: ٣٣٩، ومروج الذهب ٣: ٢١٦.
(٤) بهج الصباغة ٣: ١٩٣ و٥: ٣٣٩ وراجع: ٣٤٤ تجد أشعاره في إنكار البعث، ومروج الذهب ٣: ٢١٦.
(٥) راجع بهج الصباغة ٣: ١٢٤، ١٩٢ حين ضرب قبر حمزة برجله، وفرح بغلبة الروم في اليرموك، وكلامه في مجلس عثمان.
(٦) بهج الصباغة ٥: ٣١٧، البداية والنهاية ٩: ١٣٠.

وقال في خطبة له حين أراد الخروج من المدينة: الحمد لله الذي أخرجني من أم نتن، أخبث بلد، وأغشّه للخليفة، والله لو لا ما كانت كتبه فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار، وأعواداً يعوذون بها، ورمة قد بليت يقولون: منبر رسول الله وقبر الرسول[1].

٢١ ـ كان الوليد بن يزيد يصلّي إذا صلّى أوقات إفاقته إلى غير القبلة، فقيل له، فقرأ: ﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾[2].

٢٢ ـ أنفذ الوليد إلى مكّة بنّاءً مجوسياً ليبني له على الكعبة مشربة[3] وحينما ولّاه هشام الحجّ حمل معه قبّة عملها على قدر الكعبة؛ ليضعها على الكعبة، وحمل معه خمراً وأراد أن ينصب القبّة على الكعبة ويجلس فيها...[4].

وفي الأغاني نقل قصة للوليد، لا تليق كتابتها هنا، فإذا أردت فراجع[5].

٢٣ ـ كان خالد القسري يهدم المساجد، ويبني البيع والكنائس، ويولّي المجوس على المسلمين، ويُنكِحُ أهل الذمّة المسلمات[6].

٢٤ ـ قال ابن حنظلة، غسيل الملائكة: والله ما خرجنا على يزيد بن معاوية حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء: إنّ رجلاً ينكح الأمّهات والأخوات والبنات، ثمّ ذكر قذفه الكعبة بالمنجنيق في محاصرة ابن الزبير، وإحراقه البيت، وإحراق قرني الكبش الذي فدى الله به إسماعيل وكانا في السقف[7].

---

(١) بهج الصباغة ٥: ٢٩١.
(٢) بهج الصباغة ٥: ٣٣٨.
(٣) بهج الصباغة ٥: ٣٤٠.
(٤) بهج الصباغة ٥: ٣٤٠.
(٥) بهج الصباغة ٥: ٣٤٣.
(٦) بهج الصباغة ٥: ٣٤٣ عن الطبري وص ٣٣٧ ما معناه ذلك.
(٧) بهج الصباغة ٥: ٣٤١.

أقول: هذا قليل من كثير من كفرهم، وبدعهم، وعدم اعتنائهم بالدين، وحطّهم مقام النبوّة، ←

وكان كلامه ذلك قبل وقعة الحرّة، وإباحة يزيد لأهل الشام دماء أهل المدينة، وأموالهم وأعراضهم ثلاثة أيّام، فوقع منهم ما سوّد وجه التاريخ، من هتك حرمة روضة النبيﷺ ومسجده، أمر معروف ومسطور في التواريخ، فراجع.

ثمّ قس ما صدر من هؤلاء في القرن الأخير بالنسبة إلى مكان ولادتهﷺ وإلى قبور الأولياء والصالحين ومسجد الطائف، والمساجد التي كانت بنيت على قبور الشهداء.

وممّا يكشف عن عقيدتهم الفاسدة، ما نقله في خلاصة الكلام[1] قال: كان محمد بن عبد الوهّاب يقول عن النبيﷺ: إنّه طارش، وأنّ بعض أتباعه كان يقول: عصاي هذه خير من محمد، لأنّه ينتفع بها في قتل الحيّة ونحوها، ومحمد قد مات، ولم يبق فيه نفع، وإنّما هو طارش، ومضى[2].

عود على بدء

قال في تاريخ الخميس: واختلف أيضاً في مكان ولادتهﷺ: قيل ولد بمكة في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف الثقفي أخي الحجّاج، ويقال: بالشعب، ويقال: بعسفان كذا في المواهب اللدنية، وسيرة مغلطاي.

وقال غيره: وتلك الدار في زقاق مكة معروف بزقاق المولد في شعب مشهور بشعب بني هاشم من الطرف الشرقي لمكّة تزار ويتبرّك بها إلى الآن، وكانﷺ ورث تلك الدار فوهبها لعقيل بن أبي طالب زمن الهجرة، فلم تزل في يد عقيل حتى

← واستخفافهم بالرسالة، وإهانتهم للمشاعر. وإنّما تركنا ذكر الباقي لخروجه عن شرط الكتاب، ولكثرة وضوحه وشهرته، فلا يحتاج إلى الاطناب.

(١) ص ٢٢٠.

(٢) كشف الارتياب: ١٣٩.

توفي، وبعد وفاته باعها أولاده من محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجّاج بن يوسف وأدخل ذلك البيت ـ أي مولد النبي ﷺ ـ في داره التي يقال لها البيضاء، ولم تزل كذلك حتى حجّت خيزران جارية المهدي أمّ هارون الرشيد، فزارت ذلك البيت وأخرجته عن تلك الدار، وجعلته مسجداً يصلّى فيه(١).

وفي تاريخ مكة للأزرقي: أنّ الخيزران أخرجته من الدار، وأشرعته في الزقاق الذي في أصل تلك الدار، يقال له: زقاق المولد، وأنّ ذلك لا خلاف فيه عند أهل مكّة، ثمّ نقل تبرّك الذين كانوا يسكنون البيت فأخرجوا منها.

وفي المواهب اللدنية في بيان تاريخ ولادته ﷺ قال: «وقيل لاثني عشر (من شهر ربيع الأوّل) وعليه يحمل عمل أهل مكّة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت».

وفي الكافي «ولادته في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك، وأنت داخل الدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيّرته مسجداً يصلّي الناس فيه».

وفي أخبار مكّة للأزرقي: ومنزل خديجة بنة خويلد زوج النبي ﷺ وهو البيت الذي يسكنه رسول الله ﷺ وخديجة، وفيه ابتنا بخديجة وولدت فيه خديجة أولادها جميعاً، وفيه توفيت خديجة فلم يزل النبي ﷺ ساكناً فيه حتى خرج إلى المدينة مهاجراً، فأخذه عقيل بن أبي طالب ثمّ اشتراه منه معاوية، وهو خليفة فجعله مسجداً يصلّى فيه(٢).

أقول: يحتمل أن يكون المراد من الشعب موضعاً خاصّاً لبني هاشم، وهو ما

---

(١) تاريخ الخميس ١: ١٩٨، وأشار إليه في الروض الأنف ١: ١٨٤، والكامل لابن الأثير ١: ٤٥٨ ط صادر، والطبري ط الاستقامة ١: ٥٧١، وأخبار مكة للأزرقي ١: ٤٣٣، والمواهب اللدنية ١: ٢٥.

(٢) أخبار مكّة، للأزرقي ١: ٤٣٣.

يسمّى بشعب أبي طالب، وكان عند الصفا قريباً من المسجد، وهو غير الشعب الذي حبس فيه بنو هاشم ورسول الله ﷺ فذاك بالحجون وعليه فيجمع بذلك بين الروايات ولا منافاة كما أشار إليه في تاريخ الخميس.

والغرض من بيان هذه التواريخ إيضاح كون التبرّك بمحلّ ولادة النبي ﷺ هو من السنّة الجارية عند المسلمين من دون نكير، حتى ظهرت سلطة الوهابيين فكفّروا المسلمين وصيّروا السنّة بدعة.

المساجد المباركة بين مكّة والمدينة

ذكر السمهودي المساجد التي بين مكّة والمدينة، وقال: وفي الأخبار أنّ من أدب الزائر للمساجد التي بين الحرمين أن يصلّي فيها وهي عشرون موضعاً:

١ ـ مسجد الشجرة، ويعرف بمسجد ذي الحليفة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلّى رسول الله ﷺ في مسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوسطى استقبلها، وكانت موضع الشجرة التي كان النبي ﷺ يصلّي إليها. وعن ابن عمر أنّه أناخ بالبطحاء التي بذي الحليفة وصلّى بها[1].

٢ ـ مسجد آخر بذي الحليفة[2].

٣ ـ مسجد المعرس، وهو دون مصعد البيداء من ذي الحليفة، وعن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر، وفي حجّته حين حجّ تحت سمرة في موضع المسجد وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق أو حجّ أو عمرة هبط بطن وادي، فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية فعرس ثمّ حتى يصبح: وكان ثم خليج يصلّي عبدالله عنده. ثمّ ذكر

(١) راجع ص١٠٠٢.

(٢) راجع ص١٠٠٥.

السمهودي الأخبار في ذلك عن ابن عمر[١].

٤ ـ مسجد شرف الروحاء، وكان عبدالله بن عمر يعلم المكان الذي صلّى فيه رسول الله ﷺ[٢].

٥ ـ مسجد عرق الظبية، وكان فيه مشاورة رسول الله ﷺ لقتال أهل بدر[٣].

٦ ـ مسجد آخر بالروحاء.

٧ ـ مسجد المنصرف.

٨ ـ مسجد الرويثة.

٩ ـ مسجد ثنية ركوبة.

١٠ ـ مسجد الأثاية.

١١ ـ مسجد العرج[٤].

١٢ ـ مسجد المنبجس.

١٣ ـ مسجد لحي جمل.

١٤ ـ مسجد السقيا.

١٥ ـ مسجد مدلجة تعهن.

١٦ ـ مسجد الرّمادة.

١٧ ـ مسجد الأبواء.

١٨ ـ مسجد البيضة[٥].

١٩ ـ مسجد حرش عقبة حرش.

---

(١) راجع ص١٠٠٥ـ١٠٠٧.

(٢) راجع ص١٠٠٧.

(٣) راجع ص١٠٠٨.

(٤) راجع ص١٠١٠ـ١٠١٣.

(٥) راجع ص١٠١٤ـ١٠١٧.

٢٠ ـ مسجد الجحفة.

٢١ ـ مسجد غدير خم.

٢٢ ـ مسجد طرف قديد.

٢٣ ـ مسجد حرّة خليص.

٢٤ ـ مسجد خليص(١).

٢٥ ـ مسجد بطن مرّ الظهران.

٢٦ ـ مسجد سرف.

٢٧ ـ مسجد التنعيم.

٢٨ ـ مسجد عائشة.

٢٩ ـ مسجد ذي طوى(٢).

٣٠ ـ موضع بدبّة المستعجل وشعب سير.

٣١ ـ مسجد ذات اجدال.

٣٢ ـ مسجد الجيزتين.

٣٣ ـ مسجد ذفران، قال: ومسجد ذفران يتبرّك به على يسار من سلكه إلى ينبع فأظنّه مسجد ذفران، ورأيت قبل الوصول إلى طرف ذفران الذي يلي الصفراء على يمين السالك في طريق مكة يريد الصفراء، رأيت عليها مسجداً مبنياً بالجصّ، مرتفعاً عن الطريق يسيراً يتبرّك الناس بالصلاة فيه، وليس بقربه مساكن. فالظاهر أنّه أحد المساجد المذكورة.. ولعلّه قبر عبيدة بن الحارث(٣).

٣٤ ـ مسجد الصفراء.

---

(١) راجع ص١٠١٧ـ١٠١٩.

(٢) راجع ص١٠١٩ـ١٠٢٢.

(٣) راجع ص١٠٢٣ـ١٠٢٤.

٣٥ ـ مسجد مبرك[١].

٣٦ ـ مسجد بدر، وكان العريش الذي بني لرسول الله ﷺ عنده.

٣٧ ـ مسجد العشيرة.

٣٨ ـ مساجد الفرع (بضم الفاء).

٣٩ ـ مسجد الضيقة[٢].

٤٠ ـ مسجد مقمل[٣].

المساجد المباركة بين المدينة الطيّبة وتبوك

١ ـ مسجد تبوك.

٢ ـ مسجد ثنية مدران.

٣ ـ مسجد بذات الذرَّاب.

٤ ـ مسجد بالأخضر.

٥ ـ مسجد بيألى.

٦ ـ مسجد بطرف البتراء.

٧ ـ مسجد بشق تاراء.

٨ ـ مسجد بذي الحليفة.

٩ ـ مسجد بالشوشق.

١٠ ـ مسجد بصدر حوضي.

١١ ـ مسجد بالحجر.

---

(١) راجع ص١٠٢٥.

(٢) راجع ص١٠٢٦ ـ١٠٢٧.

(٣) راجع ص١٠٢٦ ـ١٠٢٧.

١٢ ـ مسجد بوادي القرى.

١٣ ـ مسجد بقرية بني عذرة.

١٤ ـ مسجد بالرقعة.

١٥ ـ مسجد بذي المروة.

١٦ ـ مسجد بالفيفاء.

١٧ ـ مسجد بذي خشب(١).

المساجد المباركة بين المدينة الطيبة وخيبر

١ ـ مسجد العصر.

٢ ـ مسجد الصهباء.

٣ ـ مسجدان قرب خيبر.

٤ ـ مسجد بين الشق والنطاة.

٥ ـ مسجد شمران، صلّى فيها رسول الله ﷺ حينما سار إلى خيبر(٢).

المساجد المباركة

١ ـ موضع مصلّاه ﷺ بنخل.

٢ ـ مسجد على ميل من الكديد(٣).

٣ ـ مسجد الشجرة بالحديبية.

٤ ـ مسجد ذات عرق.

٥ ـ مسجد الجعرانة، أحرم منه رسول الله ﷺ.

---

(١) راجع ص١٠٢٩ ـ ١٠٣١.

(٢) راجع ص١٠٢٧ ـ ١٠٢٨.

(٣) راجع ص١٠٣٢.

٦ ـ مسجد ليّة.

٧ ـ مسجد الطائف.

قال السمهودي[١]: «وأمّا قبر حمزة فإنّه اليوم مبني مجصّص بالقصة لا خشب عليه، وفي أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة ﴿**إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**﴾ هذا مصرع حمزة بن عبد المطلبعليه السلام ومصلّى النبيﷺ.

وفي تاريخ الخميس[٢]: ويستحبّ أن يؤتى مسجد قبا... يؤتى جميع المشاهد والمساجد بالمدينة، وهي ثلاثون موضعاً يعرفها أهل المدينة، ويقصد الآبار التي كان النبيﷺ يتوضّأ منها ويغتسل ويشرب اتباعاً لفعلهعليه السلام، وطلباً للشفاء والبركة، وهي سبع آبار يعرفها أهل المدينة.

الكلام حول الأحاديث

هذه الأحاديث والآثار دالّة على جواز التبرّك والاستشفاع بآثار رسول اللهﷺ بل رجحانه، وأنّ الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وسائر المسلمين كانوا يعملون بذلك وكان الجواز عندهم من الوضوح بمكان لا يخفى على أي إنسان متدبِّر منصف.

ومن المعلوم تواتر هذه الأحاديث، أو تظافرها إجمالاً أو معنًى، فلا مجال للإشكال في صدورها، مضافاً إلى أنّ قسماً منها نقله أصحاب الصحاح والمسانيد، وأمّا دلالتها فهي أيضاً كذلك، إذ دلالتها على المطلوب يظهر من اهتمام الصحابة بحفظها ونقلها والمباهاة بها، ولا خفاء في الاهتمام بحفظ هذه الأماكن ونقلها وضبطها.

---

(١) راجع ص٩٢٢.

(٢) تاريخ الخميس ٢: ١٧٧.

ولا شكّ في اهتمام ابن عمر وابنه سالم وعبدالله بن سلام وغيرهم بحفظها وليس ذلك إلّا للتبرّك بهذه الأماكن، ولا يكون إلّا إذا كان ذلك جائزاً، ولا يمكن أن يقال بشرك الصحابة، أو ارتكابهم الحرام عمداً، ولا يحتمل في حقّهم الجهل بهذه المسألة، مع كثرة الابتلاء بها، وكونها بمرأى من النبي العظيم ﷺ ومسمع، من دون أيّ نكير منه ﷺ، بل نجد الصحابي كعتبان وغيره يطلب منه ﷺ أن يصلّي في بيته حتى يتّخذه مسجداً، فكيف يمكن أن يكون ذلك شركاً، والحال أنّ النبي ﷺ كان يجيبهم إلى ما يريدون فيأتي ويصلّي في بيوتهم؟!

ولذا استفاد ابن حجر في الفتح من هذه الأحاديث: استحباب تتبّع آثار النبي ﷺ والتبرّك بها، كما اعترف بذلك في غير هذه الأحاديث ممّا تقدّم أيضاً.

تبرّك المسلمين بسائر آثاره ﷺ

نظرة تحقيق في الأحاديث

تبرّك الصحابة والتابعين بما عبدوا الله فيه

تبرّكهم بآل الرسول ﷺ

الأحاديث المرغبة في التبرّك

تبرّك المسلمين بالصلحاء من الصحابة وغيرهم.

تبرّك الصحابة والمسلمين بسائر آثارهﷺ

بقي من الأحاديث التي حفظها الأعلام في كتبهم وأسفارهم؛ طائفة تدلّ على المطلوب من جواز التبرّك أو رجحانه ونحن نذكرها هنا تأييداً لما تقدّم، وإيضاحاً للحقّ، وأداءً للواجب.

وهي:

١ ـ عن معاوية قال: رأيت رسول اللهﷺ يمصّ لسانه أو شفته ـ يعني الحسن ابن علي رضي الله عنهما ـ وأنّه لن يعذب لسان أو شفتان مصّهما رسول اللهﷺ[١].

٢ ـ عن ابن شهاب، قال: أخبرني محمود بن الربيع، قال: وهو الذي مجّ رسول اللهﷺ في وجهه، وهو غلام من بئرهم[٢].

قال ابن حجر[٣]: «وفعله النبيﷺ مع محمود إمّا مداعبة معه أو ليبارك عليه

(١) منحة المعبود ٢: ١٩٣، ومسند أحمد ٤: ٩٣.

(٢) البخاري ١: ٥٩، ٢١٣ و٨: ٩٥، ١١١، وفتح الباري ١: ١٥٧، ٢٥٦ و١١: ١٢٧، وسنن ابن ماجة ١: ٢١٦، ٢٤٩.

(٣) الفتح ١: ١٥٧.

بها، كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة».

وقال[١]: «والغرض بذلك إيجاد البركة بريقه المبارك».

أقول: تقدّم هذا الحديث في التبرّك بسؤر وضوئه صلى الله عليه وآله.

والغرض هنا: التبرّك بمجّه صلى الله عليه وآله في وجهه، وقد مضى نظائره كثيراً، فراجع.

٣ ـ عن عبدالله بن ثابت الأنصاري، أنّه دعا بنيه فقال: ادهنوا رؤوسكم بهذا الزيت، فامتنعوا، فأخذ عصا فضربهم، وقال: أترغبون عن دهن رسول الله صلى الله عليه وآله[٢]؟!

٤ ـ عن أبي وائل، قال: كان عند عليّ مسك، فأوصى أن يحنّط به، قال: وقال علي: هو فضل حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

٥ ـ كان ابن عمر يخبر: أنّ النبي صلى الله عليه وآله جلس تحت السمرة ـ بتلعات بين مكة والمدينة ـ وأنّ ابن عمر كان يصبّ الإداوة تحتها في أصل السمرة يريد بقاءها[٤].

٦ ـ وروي أنّ سلمان أتاه صلى الله عليه وآله فأخبره أنّه قد كاتب مواليه على كذا وكذا وديّة وهي صغار النخل كلّها تعلق...، قال الراوي: ثمّ قام عليه السلام [كذا في البحار] وغرسها بيده، فما سقطت واحدة منها، وبقيت علماً معجزاً يستشفى بتمرها[٥].

٧ ـ عن نافع، أنّ عبدالله بن عمر رضي الله عنه كان ينحر في المنحر قال عبيد الله: منحر رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن نافع: أنّ ابن عمر كان يبعث بهديه من جمع آخر الليل حتى يدخل به

(١) ص٢٥٦.

(٢) الإصابة ٢: ٢٨٥.

(٣) المستدرك للحاكم ١: ٣٦١.

(٤) المغازي للواقدي ٣: ١٩٦ مرَّ نظيره فيما تقدّم فراجع.

(٥) البحار ١٨: ٢٨ ـ ٢٩.

منحر النبي ﷺ من حجّاج فيهم الحرّ والمملوك[١].

قال ابن حجر في الشرح: قال ابن التين: منحر النبي ﷺ عند الجمرة التي تلي المسجد... وللنحر فيه فضيلة على غيره، لقوله ﷺ: هذا المنحر وكلّ منى منحر. انتهى.

والحديث المذكور أخرجه مسلم من حديث جابر... وهذا ظاهره أنّ نحره ﷺ في ذلك الموضع وقع عن اتفاق، لا لشيء يتعلّق بالمنسك، ولكن ابن عمر كان شديد الاتباع.

أقول: كونه عن اتّفاق لا ينافي التبرّك، بل يؤيّد تعميم المنحر لكلّ منى.

٨ ـ في كتاب الآثار النبوية: وأمّا سريره إنّما كان له سرير ينام عليه، قوائمه من ساج بعث به إليه أسعد بن زرارة، وكان الناس يحملون عليه موتاهم تبرّكاً به، كما في سيرة ابن سيد الناس[٢].

٩ ـ أوصت زينب بنت جحش: أن تحمل على سرير رسول الله ﷺ، ويجعل عليه نعش، وقبل ذلك حمل عليه أبو بكر الصدّيق، وكانت المرأة إذا ماتت حملت عليه، حتى كان مروان بن الحكم فمنع أن يحمل عليه إلّا الرجل الشريف[٣].

١٠ ـ قال: وفي رباط الآثار، قطعة خشب وحديد. يقال: إنّها من آثار الرسول ﷺ، وهي به اليوم يتبرّك الناس بها ويعتقدون النفع بها[٤].

١١ ـ قال: وفيه قطعة من العنزة، وقطعة من القصعة، والمرود وملقط ومخصف ومكحلة وميل ومشط[٥].

---

(١) البخاري ٢: ٢١٠، والفتح ٣: ٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٢) راجع المصدر: ٣١.

(٣) الطبقات ٨: ٧٧، والآثار النبوية: ٣١.

(٤) (٤) الآثار النبوية: ٣٥.

(٥) راجع المصدر المتقدّم: ٣٩ من البداية والنهاية.

١٢ ـ وقال: وكان الناس يقصدون الرباط بسبب الزيارة في كلّ يوم أربعاء. ونقل عن نور النبراس حاشية ابن سيد الناس: أنّ مؤلفه زار هذه الآثار، نقله عن رحلة ابن بطوطة[١].

١٣ ـ ذكر في كتاب الآثار النبوية عدّة من آثارهﷺ، ونحن نذكرها هنا باختصار، قال[٢]: سن من الأسنان النبوية.

نعلان نبّويان.

البردة.

حجر عليه أثر القدم الشريف.

السجّادة النبوية.

قبضة من سيف النبيﷺ.

القوس النبوية.

اللواء النبوي.

ماء من الغسل النبوي.

ميزاب من ذهب كان بالكعبة المعظّمة.

غطاء باب التوبة.

حلية كانت بمقام إبراهيم عليه السلام بالحرم المكّي.

قطعة من الخزف.

سجّادة الصدِّيق.

عمائم الخلفاء الأربعة، وسيوفهم، وسبحاتهم.

---

(١) الآثار الباقية: ٤٠ ونقل ذلك: ٤٢ عن حسن المحاضرة ونقل كما في ص ٥٠ عدداً من هذه الآثار وأضاف مصحف عثمان ومصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وزاد في: ٥١: (القميص وشعرتان من اللحية الشريفة محفوظتان في زجاجة).

(٢) ص٧٣ ـ ٨٤.

قبضات ستّة سيوف من سيوف العشرة المبشَّرة.

رايتا الحسن والحسين.

سيف جعفر الطيّار.

سيف خالد.

سيف شرحبيل بن حسنة.

سيف معاذ.

تاج أويس القرني.

مصحف يزعمون أنّه بخط الإمام علي عليه السلام.

مصحف يزعمون أنّه بخط عثمان.

وقال[1]: إنّ في مصر لواءً سمّوه أنّه البيرق النبوي.

قال ابن كثير: وقد بلغني أنّ بالديار المصرية مزاراً فيها أشياء كثيرة من آثار النبي ﷺ، اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخّرين، فمن ذلك مكحلة وقيل مشط وغير ذلك[2].

قال الأحمدي: إنّما نقلنا هذه الآثار مع خروجها عن شرط هذه الوجيزة، ومع عدم ثبوت نسبة هذه الآثار إلى النبي ﷺ لكي يعلم القارئ أنّ التبرّك والاحتفاظ بآثار الرسول ﷺ كان أمراً مسلماً مفروغاً عنه عند جميع المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ولا شكّ فيه لأحد، ولم يكن يعد عندهم شركاً، بل يعدّونه تعظيماً وتكريماً للنبي ﷺ، وعلامة قوّة الإيمان واليقين، حتى إنّهم كانوا يتبرّكون بآثار العلماء والصلحاء من الصحابة وغيرهم، كالخلفاء والعشرة المبشّرة، وقد نقلنا تبرّكهم بقبور الصلحاء كأبي أيّوب وغيره.

(١) ص١٠٠.

(٢) البداية والنهاية ٦: ٨.

١٤ ـ ينبغي لقاصد (مسجد بني حرام) أن يزور كهف بني حرام قرب شعبهم، لما عن عبد الملك بن جابر بن عتيك: أنّ النبيﷺ توضّأ من العينية التي عند كهف بني حرام، وسمعت بعض مشيختنا يقول: قد دخل النبيﷺ ذلك الكهف(١).

١٥ ـ كان الصحابة رضي الله عنهم، يتبرّكون بعود كان رسول اللهﷺ يضع يده المباركة الشريفة عليه، وإليك ألفاظ الروايات:

قال السمهودي: التنبيه الثاني في العود الذي كان في المصلّى الشريف: روينا في كتاب يحيى عن مصعب بن ثابت قال: طلبنا علم العود الذي كان في مقام النبيﷺ فلم نقدر على أحد يذكر لنا فيه شيئاً، قال مصعب: حتى أخبرني محمد بن مسلم السائب صاحب المقصورة، قال: جلس إليّ أنس بن مالك، فقال: أتدري لِمَ صُنع هذا العود ـ وما أسأله عنه؟ ـ فقلت: لا والله ما أدري لِمَ صنع؟ فقال أنس: كان رسول اللهﷺ يضع عليه يمينه ثمّ يلتفت إلينا فيقول: استووا واعدلوا صفوفكم.

وعن أنس بن مالك قال: لما سرق العود الذي كان في المحراب، فلم يجده أبو بكر، حتى وجده عمر رضي الله عنه عند رجل من الأنصار بقباء، قد دفن في الأرض أكلته الأرضة، فأخذ له عوداً فشقّه فأدخله فيه، ثمّ شعبه فردّه في الجدار، وهو العود الذي وضعه عمر بن عبد العزيز في القبلة، وهو الذي في المحراب باق(٢).

روى ابن زبالة عن عمرو بن مسلم، قال: كان النبيﷺ حين أسن قد جعل له العود الذي في المقام إذا قام في الصلاة توكّأ عليه قال: ثمّ ألصق إليه عوداً معه.

روى هو أيضاً ويحيى من طريقه عن مسلم بن خباب قال: لمّا قدم عمر رضي الله عنه القبلة، فقد العود الذي كان مغروساً في الجدار فطلبوه، فذكر لهم أنّه في مسجد بني عمرو بن عوف، أخذوه فجعلوه في مسجدهم، فأخذه عمر فردّه إلى المحراب،

(١) وفاء الوفاء ٣: ٨٣٩، ٩٨٤.

(٢) وفاء الوفاء ١: ٣٨٠.

وكان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة أمسكه بكفّه يعتمد عليه. الخبر[١].

١٦ ـ يظهر من السمهودي: أنّ الناس كانوا يتبرّكون بجذعة كانت في المحراب القبلي المقابل للمصلّى الشريف وأنّها أزيلت منه. قال: وكان يحصل بتلك الجذعة فتنة كبيرة وتشويش على من يكون بالروضة الشريفة من المجاورين وغيرهم. وذلك: أنّه كان يجتمع إليها الرجال والنساء ويقال: هذه خرزة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكانت عالية لا تنال بالأيدي، فتقف المرأة لصاحبتها، حتى ترقى على ظهرها وكتفيها حتى تصل إليها، فربّما وقعت المرأة وانكشفت عورتها.

فلمّا كان سنة إحدى وسبعمائة، جاور الصاحب زين الدين أحمد بن محمد المعروف بابن حنا المصري، فرأى ذلك فاستعظمه وأمر بقلع الجزعة فقلعت قال: وهي الآن في حاصل الحرم[٢].

أقول: لم يكن الاستنكار والاستعظام من جهة كون ذلك شركاً أو أنّ التبرّك حرام، بل من أجل ما يقع من الأمور المستلزمة للمنكرات كما ذكره السمهودي من كشف العورات[٣].

١٧ ـ وقال أيضاً: إنّ في الاسطوانة التي هي علم لمصلّى النبي ﷺ خشبة ظاهرة، مثبتة بالرصاص سدادة لموضع كان في حجر من حجارة الاسطوانة مفتوح قد حوط عليه بالبياض والخشبة ظاهرة، تقول العامة: هذا الجذع الذي حنّ إلى النبي ﷺ، وليس هو كذلك، بل هو من جملة البدع يجب إزالتها؛ لئلّا يفتن بها الناس، كما أزيلت الجذعة التي في المحراب القبلي.

وقال المجد: إنّ الخشبة المذكورة كان يزدحم على زيارتها والتمسّح بها، ويعتقد

(١) وفاء الوفاء ١: ٣٨١.

(٢) وفاء الوفاء ١: ٣٧٢ـ٣٧٣.

(٣) مرّ حديث انّ عمر أمر بدفن الجذع. راجع فتوى الخليفة في التبرّك عند الكلام حول صلاة النبي ﷺ.

الناس عامّة أنّها الجذع، فظنّ بعض أنّ هذا من المنكر الذي يتعيّن إزالته وصرّح بهذا في كتبه إلى أن وافق على ذلك شيخنا العزّ بن جماعة فأمر بإزالتها.

قلت: والذي يظهر، أنّ هذه الخشبة كانت من العود الذي كان النبيﷺ يضع يده عليه ويقول: عدّلوا صفوفكم[1].

وقال[2]: وشيوع أنّ تلك الخشبة من الجذع قديم، فقد قال ابن جبير في رحلته: إنّ بإزاء الروضة (يعني المصلّى الشريف منها) لجهة القبلة عموداً مطبقاً يقال: إنّه على بقية الجذع الذي حنّ للنبيﷺ وقطعة منه وسط العمود ظاهرة يقبّلها الناس، ويبادرون للتمسّك بلمسها، ومسح خدودهم فيها».

أقول: إنّ هذا الإنكار في نظر هذا الفقيه لعلّه من أجل أنّ النسبة كانت مكذوبة مفتعلة، لا أنّ التبرّك حرام؛ لأنّ من راجع كتاب السمهودي هذا، يرى أنّ جواز التبرّك عند جميع المسلمين كان أمراً شائعاً لا ينكره أحد، ولا يخطر بباهم إنكاره؛ ولذلك قال[3]: «إنّ الاسطوانة التي هي علم للمصلّى الشريف كان بها خشبة ظاهرة محكمة بالرصاص، يقول الناس: إنّها من الجذع الذي حنّ للنبيﷺ. وأنّ المطري قال: إنّ الأمر ليس كذلك، وإنّ العزّ بن جماعة أمر بإزالتها، فأزيلت عام خمسٍ وخمسين وسبعمائة. قال المجد: ورأى بعض العلماء أنّ إزالتها كانت وهماً منهما وذلك أنّ إتقان هذه الخشبة وترصيصها بين حجارة الأسطوان وإبرازها لم يكن سدًى، وإنّما شاهد الحال يشهد بأنّه كان من عمل عمر بن عبد العزيز، فالظاهر أنّه كان من الجذع.

فترى أنّ النزاع كان في صحّة كونها من الجذع أم لا، ولم يكن النزاع في

---

(١) وفاء الوفاء ١: ٣٩٥.

(٢) وانظر ص٣٨٢.

(٣) وانظر ص٣٨١.

مورد التبرّك.

١٨ ـ ذكر السمهودي: أنّه بعد احتراق الحرم النبوي الشريف بقي من أطراف الخشب الذي احترق الشيء الكثير، فقال: «وأخذ الناس كثيراً من تلك الأخشاب، واتخذ متولّي العمارة وغيره منها سبحاً كثيرة»[1].

١٩ ـ وقال السمهودي في بيان عمارة الحجرة الشريفة: وأمّا تأذير الحجرة بالرخام، فليس له ذكر في كلام ابن زبالة، وله ذكر في كلام يحيى فإنّه روى ما حاصله: أنّ بيت فاطمة الزهراء لمّا أخرجوا منه فاطمة بنت حسين وزوّجها حسن بن حسن، وهدموا البيت، بعث حسن بن حسن ابنه جعفراً، وكان أسنّ ولده فقال له: اذهب ولا تبرحن حتى يبنوا، فتنظر الحجر الذي من صفته كذا وكذا هل يدخلونه في بنيانهم، فلم يزل يرصدهم حتى رفعوا الأساس، وأخرجوا الحجر فجاء جعفر إلى أبيه فأخبره فخرّ ساجداً وقال: ذلك حجر كان النبي ﷺ يصلّي إليه إذا دخل إلى فاطمة، أو كانت فاطمة تصلّي إليه. الشكّ من يحيى.

وقال علي بن موسى الرضا: ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك الحجر.

قال يحيى: ورأيت الحسين بن عبدالله بن عبدالله بن الحسين، ولم أرَ فينا رجلاً أفضل منه إذا اشتكى شيئاً من جسده كشف الحصى من الحجر فيمسح به ذلك الموضع، ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمّر الصانع المسجد، ففقدناه عندما أزر القبر بالرخام، وكان الحجر لاصقاً بجدار القبر قريباً من المربعة[2].

فترى فيما نقله أنّهم يتبرّكون بحجر صلّى إليه رسول الله ﷺ أو صلّت إليه فاطمة صلوات الله عليها. أو ولدت الحسن والحسين عليهما السلام عليه ويستشفون بمسّه.

---

(١) وفاء الوفاء ١: ٣٨١.

(٢) وفاء الوفاء ١: ٥٧٢.

٢٠ ـ يروي السمهودي: أنّ عمر بن الخطّاب كان يتبرّك بحصى وادي العقيق.

قال: تقدّم أنّ عمر رضي الله عنه قال: احصبوا هذا المسجد ـ يعني مسجد النبي صلى الله عليه وآله ـ من هذا الوادي المبارك ـ أي وادي العقيق ـ وقال أبو غسّان: أخبرني غير واحد من ثقات أهل المدينة، أنّ عمر رضي الله عنه كان إذا انتهى إليه أنّ وادي العقيق قد سال، قال: اذهبوا بنا إلى هذي الوادي المبارك، وإلى الوادي الذي لو جاءنا جاء من حيث جاء لتمسّحنا به(١).

فترى الخليفة يرى أنّه لا بأس بالتبرّك بحصا العقيق، ويتمسّح بمائه السائل يتبرّك به، فيعلم أنّ التبرّك والتمسّح كان عنده من الواضحات المفروغ عنها.

٢١ ـ قال السمهودي: قال المطري: ورأيت بالطائف شجرات من شجر السدر يذكر أنّهن من عهد رسول الله، ينقل ذلك خلف أهل الطائف عن سلفهم... رأيتها قائمة سنة ٧٩٦ وأكلت من ثمرها وحملت منه للبركة(٢).

٢٢ ـ وقال أيضاً: ذكر بعضهم: أنّه لمّا مات الحسن بن علي أوصى أن تحمل جنازته، ويحضر بها قبر النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ يرفع، ويقبر في البقيع، فلمّا أراد الحسين أن يجيز وصيّته ظنّ طائفة أنّه يدفن في الحضرة فمنعوه(٣).

وقد تقدّم في (التبرّك بقبره الشريف) أنّه كان ذلك للتبرّك بقبر النبي صلى الله عليه وآله وتجديد العهد به.

٢٣ ـ وقال أيضاً في بيان بناء المقصورة المحيطة بالروضة الشريفة: «وتحقّق بسبب ذلك تعطيل لتلك البقعة، وحرم الناس التبرّك بأسطوان السرير فإنّ محلّه في شرقي اسطوانه كما تقدّم... وكذلك التبرّك بمربعة القبر ومقام جبرئيل كما قدّمناه

(١) وفاء الوفاء: ١٠٣٢ وسيأتي في الفصل المشتمل على الأحاديث المرغبة في التبرّك ما يدلّ على ذلك.

(٢) وفاء الوفاء: ٥٤٨.

(٣) وفاء الوفاء ٢: ٥٤٨.

وبيت فاطمة رضي الله عنها، فإنّ ذلك كلّه في جوف المقصورة.

وغرضنا من نقل ذلك إيضاح كيفية تبرّك الناس بالروضة الشريفة، قبل بناء المقصورة[١].

٢٤ ـ ذكر أيضاً شيخنا أبو محمد بن عبد الرحمن بن محمد: أنّ تمرة من غرس النبي ﷺ بيده ممّا دفعه النبي ﷺ إلى عبدالله بن عبّاس، ودفعه عبدالله إلى ابنه علي، ودفعه علي إلى ابنه سليمان، ودفعه سليمان إلى ابنه جعفر، ثمّ إلى سعيد، ثمّ إلى أحمد، ثمّ إلى والدي محمد، ثمّ إلى أخي أحمد، ثمّ إليّ.

وقال شيخنا أبو محمد: ومن العجب من هذه التمرة أنّه إذا كان أيّام الرطب ترطّبت هذه التمرة، وهي ملفوفة في حريرة حمراء، فيسيل الدبس منها في الجريرة حتّى ترطبت الحريرة منها[٢].

٢٥ ـ في حديث: ألق الله عزّوجلّ في روع المنصور أن يسأل الصادق عليه السلام ليتحفه بشيء من عنده، لا يكون لأحد مثله، فبعث إليه بمخصرة كانت للنبي ﷺ طولها ذراع، ففرح بها فرحاً شديداً، وأمر أن تشقّ له أربعة أرباع، وقسّمها في أربعة مواضع... الحديث[٣].

٢٦ ـ عن الحسن: أنّ سائلاً أتى النبي ﷺ فأعطاه تمرة، فقال الرجل: سبحان الله نبيّ من الأنبياء يتصدّق بتمرة، فقال له النبي ﷺ: أوما علمت أنّ فيها مثاقيل ذرّ كثير؟! فأتاه آخر فسأله فأعطاه تمرة فقال: تمرة من نبيّ من الأنبياء لا تفارقني هذه التمرة ما بقيت، ولا أزال أرجو بركتها، فأمر النبي ﷺ له بمعروف، وما لبث الرجل أن استغنى[٤].

---

(١) وفاء الوفاء: ٦١٥.

(٢) تاريخ جرجان: ٢٧٨.

(٣) البحار ٤٧: ١٨٠ وقد ورد في فصل التبرّك بعصاه ﷺ أيضاً.

(٤) كنز العمّال ٧: ١٣٦.

٢٧ ـ تقدّم عن أنس بن مالك أنّه ورث البردة والقدح وعمود فسطاطه ﷺ وصلايةً كانت تعجن فيه أمّ سليم الرامك بعرق رسول الله ﷺ عنها. فراجع تبرّك الصحابة بعرقه ﷺ.

٢٨ ـ عن أبي وائل بن سعد قال: كان عند عليّ مسك، فأوصى أن يحنّط به وقال عليّ: هو فضلة حنوط رسول الله ﷺ[(١)].

٢٩ ـ عن حبّة العرني، عن عليّ بن أبي طالب، أنّ أبا بكر أوصى إليه أن يغسله بالكفّ الذي غسّل به رسول الله ﷺ...[(٢)].

٣٠ ـ الجذع الذي كان رسول الله ﷺ يسند إليه ظهره حين يخطب قبل أن يصنع له المنبر أخذه أبيّ رضي الله عنه، فكان عنده إلى أن أكلته الأرضة، وعاد رفاتاً[(٣)].

نظرة تحقيق في الأحاديث

الأحاديث المذكورة بكثرتها وورودها في صحيح البخاري ومستدرك الحاكم وفتح الباري وغير ذلك لا تحتاج إلى التدقيق في صحّتها سنداً.

وأمّا دلالتها على تبرّك الصحابة رضي الله عنهم، وسائر المسلمين بآثار الرسول ﷺ، فممّا لا إشكال فيه؛ لأنّ معاوية بن أبي سفيان يقول: «لن يعذّب لسان أو شفتان مصّهما رسول الله ﷺ» ببركة مصّه، وعبدالله بن ثابت يضرب بنيه بعصاه؛ لامتناعهم من الادّهان بدهن رسول الله ﷺ، وعليّاً عليه السلام يوصي أن يحنّط بفضل حنوط رسول الله ﷺ، وابن عمر يريد إبقاء تلك السمرة احتفاظاً بآثاره ﷺ،

(١) كنز العمال ١٥: ١٧١ ومرّ عن المستدرك فراجع.

(٢) كنز العمّال ١٤: ١٨٣.

(٣) السيرة الحلبية ٢: ١٤٧ ـ ١٤٩ والطبقات ١: ق٢: ١١ وسنن الدارمي ١: ١٨ وسيرة دحلان ٢: ٢٠٨ ومسند أحمد ٥: ١٣٧ ـ ١٣٩ والبحار ١٧: ٣٨٠.

والمسلمين يستشفون بتمر شجرة غرسها الرسول ﷺ، وابن عمر يتقيّد بأن ينحر في منحر الرسول ﷺ، وزينب توصي أن تحمل على سرير الرسول ﷺ، والصحابة كانوا يتبرّكون بالعود الذي كان النبي ﷺ يضع يده المباركة عليه، حتى بحث فيه العلماء بحثاً ضافياً، وكذا تبرّكهم بالجذع، والمسلمين يصنعون من أخشاب المسجد سبحاً كثيرة و...

فهل ترى ريباً في أنّ ذلك كلّه كان تكريماً للنبي ﷺ وتبرّكاً بآثاره ﷺ واستشفاعاً بها إلى رحمة الله تعالى وبركاته؟ فهل هنا وجه آخر تؤوّل به هذه الأحاديث؟

تبرّك الصحابي والتابعي بشيء عُبد الله فيه أو يُنسب إلى الله تعالى

١ ـ أوصى سعد بن أبي وقّاص، بأن يكفّن في ثوب لقي فيه المشركين يوم بدر وقال: إنّما كنت أخبوها لذلك[1].

قال ابن الأثير: ولمّا حضرته الوفاة دعا بخلق جبّة له من صوف فقال: كفّنوني فيها، فإنّي كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي عليّ «وإنّما كنت أخبوها لهذا» (أخرجه الثلاثة).

٢ ـ روى هارون بن سعيد: أنّه كان عنده سكّ أوصى أن يحنّط به وقال: فضل من حنوط رسول الله ﷺ [2].

٣ ـ أوصى يوسف بن ماهك، حين حضره الموت، أن يكفّن في ثيابه، وكان يجمّع فيها، وأن لا يجعلوا على وجهه حنوطاً[3].

(١) السيرة الحلبيّة ٢: ٢٤٢، وأسد الغابة ٢: ٢٩٣، والاستيعاب هامش الإصابة ٢: ٢٦.

(٢) ذخائر العقبى: ١١٥ عن البغوي.

(٣) الطبقات الكبرى ٥: ٣٤٦.

٤ ـ عن أمّ عثمان أمّ ولد لعليّ عليه السلام، قالت: كانت لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسادة عليها يجلس جبرئيل عليه السلام لا يجلس عليها غيره، فإذا عرج رفعت، وكان إذا عرج انتفض فسقط من زغب ريشه، فتقوم فاطمة فتتبّعه، فتجعله في تمائم الحسن والحسين عليهما السلام[1].

٥ ـ روي أنّ جرير بن عبدالله أمر أهله أن يتوضأوا بفضل سواكه[2]. قال ابن حجر في الفتح[3]: هذا الأثر وصله ابن أبي شيبة والدارقطني وغيرهما من طريق قيس بن أبي حازم عنه.

وفي بعض ألفاظ الحديث: كان جرير يستاك ويغمس رأس سواكه في الماء، ثمّ يقول لأهله: توضأوا بفضله.

٦ ـ أوصى القاسم بن محمد بن أبي بكر أن يكفّن في ثيابه، قال: كفّنوني في ثيابي الّتي كنت أصلّي فيها: قميصي وإزاري وردائي[4].

٧ ـ روى جابر عن محمد بن علي ـ أبي جعفر الباقر عليه السلام ـ: أنّه أوصى أن يكفّن في قميصه الذي كان يصلّي فيه[5].

٨ ـ كان أبو جعفر الباقر عليه السلام يحفظ قميص عليّ عليه السلام الذي قتل فيه، وفيه أثر دمه[6].

٩ ـ أوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد، وأمره أن يكفّنه في برده الذي كان

---

(١) ذخائر العقبى: ١٣٤ عن الدولابي، وفي البحار ٤٦: ٤٧ نقل في الكافي بسند صحيح ما يقرب من ذلك عن علي بن الحسين عليه السلام فراجع ونحن نقلناه هنا استطراداً.

(٢) البخاري ١: ٥٩ الباب ٤٠.

(٣) الفتح ١: ٢٥٦.

(٤) الطبقات ٥: ١٤٣.

(٥) الطبقات ٥: ٢٣٧ وصفة الصفوة ٢: ١١٢ والاتحاف بحبّ الأشراف: ٥٣.

(٦) ينابيع المودّة: ١٥٠.

يصلّي فيه يوم الجمعة، وأن يعمّم بعمامته[١].

١٠ ـ إنّ علي بن الحسين عليه السلام كان يلبس الكساء الخز في الشتاء، فإذا جاء الصيف باعه، وتصدّق بثمنه، وكان يقول: إنّي لاستحيي من ربّي أن آكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه[٢].

أقول: الثياب التي عبد الله تعالى فيها إمّا بالصلاة، أو العمرة والحجّ، أو قراءة القرآن، أو الجهاد، أو الشهادة في سبيل الله، حصل لها انتساب إليه سبحانه، وصار لها شرف وفضل وبركة بهذا الانتماء، كثياب الكعبة، وأبواب المساجد، وغلاف القرآن وثياب النبي صلى الله عليه وآله، وسائر ما هو منسوب إليه، فكأنّ هذه النسبة تجعلها منه ومن شؤونه، بحيث تكون إهانتها إهانة له، وتكريمها تكريماً له، والتبرّك بها تبرّكاً به، وذلك كهدي البيت أو سائر المشاعر.

فالتبرّك بهذه الثياب ليس تبرّكاً بغير الحقّ سبحانه وتعالى، والاستشفاع بها ليس استشفاعاً بدونه، ولا يخفى ذلك على من تدبّر في الإضافات العرفية في المجتمع الإنساني، إذ من استشفع بابن الأمير فقد استشفع به، ومن أهان غلامه فقد أهانه نفسه، بل من أهان شيئاً ينتمي إليه فقد أهانه في الاعتبار العقلائي، ومن أكرمه فقد أكرمه، وهذا أمر واضح لا ارتياب فيه.

تبرّك الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بآل الرسول وذويه صلى الله عليه وآله

١ ـ عن مسلم بن أبي مريم وغيره: أنّه كان بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في المربعة التي في القبر. قال سليمان: قال لي مسلم: لا تنس حظّك من الصلاة

(١) البحار ٤٧: ١٤.

(٢) البحار ٤٦: ١٠٦ وفي ٤٧: ١٠٩ حديث يشعر بالتبرّك بثوب عبدالله فيه فراجع، سوف نذكره في الفصل الآتي.

إليها ،فإنّه باب فاطمة رضي الله عنها الذي كان عليّ يدخل عليها منه[١].

٢ ـ لمّا خطب عمر بن الخطّاب أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إنّي أحبّ أن يكون عندي عضواً من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

٣ ـ كان أهل البيت عليهم السلام يتبرّكون بحَجَر في بيت فاطمة عليها السلام، وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام: أنّه ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك الحجر. أو كانت فاطمة تصلّي إليها[٣].

٤ ـ كان الناس يتبرّكون بمولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كما تقدّم في بيان الدور المباركات عن الحلبي في السيرة والأزرقي في أخبار مكّة فراجع.

٥ ـ روى عبدالله بن مسعود: أنّ عمر بن الخطّاب خرج يستسقي بالعبّاس فقال: اللهمّ إنّا نتقرّب إليك بعمّ نبيّك وقفية آبائه وكبر رجاله فإنّك قلت وقولك الحقّ: ﴿وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾الآية، فحفظتهما لصلاح أبيهما، فاحفظ الله نبيك بعمّه، فقد دلونا به إليك مستشفعين ومستغفرين... الحديث[٤].

وفي لفظ: وروينا من وجوه عن عمر: أنّه خرج يستسقي، وخرج معه العبّاس فقال: اللّهمّ إنّا نتقرّب إليك بعمّ نبيّك صلى الله عليه وآله ونستشفع به. فاحفظ فيه لنبيّك كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما، وأتيناك مستغفرين ومستشفعين.

ثمّ أقبل على الناس فقال: استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً ـ إلى أن قال ـ فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس: ترون ترون ثمّ تلاءمت واستتمّت ومشت فيها ريح

(١) تقدّم في وفاء الوفاء ١: ٤٥٠.

(٢) ذخائر العقبى: ١٦٩.

(٣) وفاء الوفاء ١: ٥٧٢.

(٤) ابن أبي الحديد ٧: ٢٧٤ واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: ٣٣٨.

ثمّ هزّت ودرّت، فوالله ما برحوا حتى اعتقلوا الجدر، وقلصوا المآزر، وطفق الناس بالعبّاس يمسحون أركانه، ويقولون: هنيئاً لك ساقي الحرمين[1].

وفي لفظ ابن الأثير:

واستسق عمر بن الخطّاب بالعبّاس رضي الله عنهما عام الرمادة، لما اشتد القحط، فسقاهم الله به، وأخصبت الأرض، فقال عمر: هذا والله الوسيلة إلى الله والمكان منه.

وقال حسّان بن ثابت:

سئل الإمام وقد تتابع جدبنا ... فسقى الغمام بغرّة العبّاس
عمّ النبي وصنو والده الذي ... ورث النبيّ بذاك دون الناس
أحيا الإله به البلاد فأصبحت ... مخضرّة الأجناب بعد الياس

ولمّا سق الناس طفقوا يتمسّحون بالعبّاس ويقولون: هنيئاً لك ساقي الحرمين، وكان الصحابة يعرفون للعبّاس فضله ويقدّمونه ويشاورونه.

وفي لفظ للاستيعاب: روى ابن عبّاس وأنس بن مالك: أنّ عمر بن

(١) الاستيعاب هامش الإصابة ٣: ٩٩، والتذكرة للعلّامة الحلّي رحمه الله تعالى ١: ١٦٧، وذخائر العقبى: ٢٠٠ / ٢٣٦ والفتوحات الإسلامية لدحلان ٢: ٣٨٠، وأسد الغابة ٣: ١١١، وأشار إليه عبد الرزاق في المصنف ٣: ٩٣، ونقله أيضاً أبو عمر عن ابن شهاب، وقاموس الرجال ٥: ٢٣٦، والسيرة الحلبية ٢: ٥٢، والغدير ٧: ٣٠١، وكشف الارتياب: ٣٠٤ـ٣١٥، وغريب الحديث لابن قتيبة ٣: ١٨٢، والطبقات ٣: ٣١٩، وربيع الأبرار للزمخشري ١: ١١٩ـ١٣٤، والنهاية لابن الأثير ٢: ٣٣ و٤: ٩٤، والأسماء والصفات للبيهقي ١، والأغاني ١١: ٨١، والعقد الفريد ٤: ٦٤، والبيان والتبيين ٣: ٢٧٩ وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٧٩، والأوائل لأبي هلال العسكري ١: ٢٥٦، والمستدرك للحاكم ٣: ٣٣٤، ومآثر الأناقة في معالم الخلافة ١: ٩١ تأليف القلقشندي، وفتح الباري ٢: ٤١٣، وينابيع المودّة: ٣٠٦ عن تاريخ دمشق، وكنز العمّال ١٦: ١٢٠ عن أنس وابن عمر وص١٢٣ عن موسى بن عمر وص١٢٤ عن عبد الرحمن بن حاطب وص١٣٠ عن أبي وجزة السعدي عن أبيه.

الخطّاب رضي الله عنه كان إذا قحط أهل المدينة استسق بالعبّاس .

قال أبو عمر : وكان سبب ذلك أنّ الأرض أجدبت إجداباً شديداً على عهد عمر زمن الرمادة ، وذلك سنة سبع عشرة ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين إنّ بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء ، فقال عمر : هذا عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصنو أبيه وسيّد بني هاشم فمشى إليه عمر ، وشكا ما فيه الناس من القحط ، ثمّ صعد المنبر ومعه العبّاس فقال :

اللّهمّ إنّا قد توجّهنا إليك بعمّ نبيّنا وصنو أبيه ، فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين . . . فقال عمر رضي الله عنه : هذا والله الوسيلة إلى الله عزّوجلّ والمكان منه .

ثمّ نقل بيتين من الأشعار المتقدّمة لحسّان .

ثمّ قال : وقال الفضل بن عبّاس بن عتبة بن أبي لهب :

بعمّي سقى الله الحجاز وأهله عشيّة يستسقي بشيبته عمر
توجّه بالعبّاس في الجدب راغباً فما كرّ حتى جاء بالمدينة المطر

وفي كشف الارتياب بعد أن أخرج الخبر من طرق متعدّدة قال : بل في المواهب اللدنيّة للعلّامة القسطلاني : «إنّ عمر استسق بالعبّاس قال : يا أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرى للعبّاس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمّه العبّاس واتّخذوه وسيلة إلى الله . . .» .

وكذا نقله فتح الباري عن الزبير بن بكّار عن ابن عمر وزيد بن أسلم عن أبيه . ثمّ قال : ويستفاد من قصّة العبّاس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوّة .

أقول : قد أسلفنا أنّ الأخبار الدالّة على التبرّك كلّها تدلّ على جواز التوسّل ورجحانه ، إمّا صريحاً أو التزاماً ، ولكن ابن حجر زاد استحباب الاستشفاع بكلّ

أهل الخير والصلاح إلغاءً للخصوصية، والحقّ معه، إذ حقيقة التوسّل بأولياء الله تعالى هو الاستشفاع بما ينسب إلى الله تعالى إليه، ويرجع في الحقيقة إلى التوسّل بالله إلى الله، ولا فرق فيه بين الأفراد التي تنسب إلى الله سبحانه تعالى كنبيّه الأقدس وآله الكرام، أو بيته المطهّر، أو مشاعره العظام، أو أوليائه الصالحين.

وقد نقل الحلبي في السيرة هذه القصة بنحو آخر في السيرة. قال بعد نقله ما تقدّم عن الاستيعاب: وذكر ابن حجر الهيثمي في الصواعق عن تاريخ دمشق: أنّ الناس كرّروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة، فلم يسقوا. فقال عمر رضي الله عنه: لأستسقينّ غداً بمن يسقيني الله به، فلمّا أصبح غدا للعبّاس رضي الله تعالى عنه فدقّ عليه الباب فقال: مَنْ؟ قال: عمر. قال: ما حاجتك؟ قال: اخرج حتى نستسق الله بك. قال: اقعد. فأرسل إلى بني هاشم أن تطهّروا والبسوا من صالح ثيابكم فأتوه، وأخرج طيباً وطيّبهم، ثمّ خرج وعليّ أمامه بين يديه، والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وبنو هاشم خلف ظهره، وقال: يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثمّ أتى المصلّى فوقف ـ الحديث ـ.

ونقله أيضاً في ينابيع المودّة(١) عن تاريخ دمشق وروي عن أنس: أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسق بالعبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال: اللهمّ كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا محمّد ﷺ فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا ﷺ فاسقنا(٢) وفي لفظ الطبقات في بعض طرقه:

«هذا عمّ نبيّك ﷺ، جئنا نتوسّل به إليك فاسقنا، فما رجعوا حتى سقوا» وفي

(١) ص٣٠٦.

(٢) راجع السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٣٥٢، والبخاري ٢: ٣٤و٥: ٢٥، والطبقات الكبرى ٤: ١٩ بأسانيد متعدّدة و٣: ق١: ٢٣٢ بسندين، وكشف الارتياب: ٣١٤، والرصف: ٤٠٠، وفتح الباري ٢: ٤١١ـ٤١٢، وينابيع المودة: ٣٠٦.

لفظ: «اللّهمّ إنّا نستشفع بعمّ رسولك إليك».

وفي الحديث الشريف إثبات لصحّة التوسّل والاستشفاع بالنبي ﷺ، وفيه أيضاً توسّل واستشفاع بالآل، حيث توسّل عمر بن الخطّاب بالعبّاس، وتوسّل العبّاس بأمير المؤمنين، والحسن والحسين عليهما السلام وبسائر بني هاشم، ثمّ هو يطلب من عمر أن لا يخلط بهم غيرهم.

٦ ـ لمّا خرج الحسين بن علي من المدينة يريد مكّة، مرّ بابن مطيع؛ وهو يحفر بئره، فقال له: أين؛ فداك أبي وأمّي؟ قال: أردت مكّة... (وذكر أنّه كتب إليه شيعته بالكوفة) فقال له ابن مطيع: فداك أبي وأمّي متّعنا بنفسك ولا تسر إليهم، فأبى حسين. فقال له ابن مطيع: إنّ بئري هذه قد رشحتها، وهذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو شيء من ماء، فلو دعوت الله لنا بالبركة، قال: هات من مائها، فأتى من مائها فشرب منه، ثمّ مضمض ثمّ ردّه في البئر، فأعذب وأمهى[1].

قد تقدّم سابقاً أنّ أحدهم كان يأتي إلى الرسول ﷺ ويطلب منه الدعاء وهو ﷺ يتفل أو يمسّح أو يمجّ هداية للسائل، إلّا أنّ نبيَّ الله بركة كلّه، ورحمة كلّه، يؤثر مسحه وتفله ومجّه كما يؤثر دعاؤه ﷺ، وكذلك كان عمل الحسين صلوات الله عليه، حيث يطلب منه ابن مطيع الدعاء له بالبركة في بئره، وهو عليه السلام يشرب من مائها ويمضمض ويردّها في البئر بياناً لحقيقة خفيّة ولطف إلٰهيّ في أوليائه وأصفيائه.

نعم، إنّ الإنسان التقيّ العارف بالله قد يصل إلى مرتبة كاملة من القرب إلى الحقّ تبارك وتعالى فيرتّب الأثر على إرادته ومسّه ومجّه ودعائه ونظره، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ولذلك فليعمل العاملون.

---

(١) الطبقات ٥: ١٠٧.

٧ ـ لمّا بلغ الرضا (علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام) نيسابور، واجتمع الناس حول دابّته، وأخرج رأسه من المحمل وشاهده الناس، فهم بين صارخ وباك، وممزّق ثوبه، ومتمرّغ في التراب، ومقبّل لحافر بغلته، أو مقبّل لحزام بغلته[١].

وذلك في حديث طويل ينبغي مراجعته.

٨ ـ الحسن بن أبي الحسن البصري، حنّكه عمر بيده، وكانت أمّه تخدم أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، فربّما غابت فتعطيه أمّ سلمة ثديها تعلّله بها إلى أن تجيء أمّه فيدرّ عليه ثديها فيشربه، فكانوا يقولون: فصاحته ببركة ذلك[٢].

٩ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا فرغت من التسليم على الشهداء، أتيت قبر أبي عبدالله (الحسين بن علي عليهما السلام) ثمّ تجعله بين يديك، ثمّ صلِّ ما بدا لك[٣].

١٠ ـ عن أبي اليسع قال: سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام ـ وأنا أسمع ـ عن الغسل إذا أتى قبر الحسين عليه السلام قال: قال: اجعله قبلة إذا صلّيت قال: تنح هكذا ناحية. قال: آخذ من طين قبره ويكون عندي أطلب بركته؟ قال: نعم أو قال: لا بأس بذلك[٤].

١١ ـ ... عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: إنّا نزور قبر الحسين عليه السلام كيف نصلّي عليه؟ قال: تقوم خلفه عند كتفيه... الحديث[٥].

١٢ ـ الريان بن الصلت قال: كنت بباب الرضا عليه السلام بخراسان، فقلت لمعمر: إن

(١) ينابيع المودّة: ٣٦٤ والفصول المهمّة لابن الصباغ ط سنة ١٣٨١: ٢٤٠ ونور الأبصار: ١٣٨ ط سنة ١٣١٠ والصواعق: ١٢٢ والبحار ٤٩: ١٢٧ عن تاريخ نيسابور.

(٢) صفة الصفوة ٣: ٤٧ ـ ٢٣٣.

(٣) البحار ٨٣: ٣٢٠.

(٤) البحار ٨٣: ٣٢٠.

(٥) البحارج ٤٩ ص ٢٩.

رأيت أن تسأل سيدي أن يكسوني ثوباً من ثيابه، ويهب لي من الدراهم التي ضربت باسمه[١]... الحديث.

١٣ ـ عن أبي حبيب النباجي أنّه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وقد وافا النباج، ونزل بها في المسجد الذي ينزله الحاجّ في كلّ سنة، وكأنّي مضيت إليه وسلّمت عليه، ووقفت بين يديه ووجدت عنده طبقاً من خوص نخل المدينة، وفيه تمر صيحانيّ، فكأنّه قبض قبضة من ذلك التمر... فلمّا كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض بين يدي تعمر للزراعة، حتى جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة... فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت فيه النبي صلى الله عليه وآله، وتحته حصير مثل ما كان تحته، وبين يديه طبق خوص فيه تمر صيحاني... فناولني قبضة من ذلك التمر... الحديث[٢].

١٤ ـ أنشد دعبل الخزاعي قصيدته للرضا، فبعث إليه بدراهم رضوية فردّها، فقال: خذها فإنّك تحتاج إليها قال: فانصرفت إلى البيت، وقد سرق جميع مالي، فكان الناس يأخذون منها درهماً ويعطون دنانير فغنيت بها[٣].

١٥ ـ لمّا نزل الرضا عليه السلام في نيسابور بمحلّة فوزا، أمر ببناء حمّام، وحفر قناة، وصنعة حوض من فوقه مصلّى، فاغتسل من الحوض، وصلّى في المسجد، فصار ذلك سنّة[٤].

١٦ ـ عن ياسر الخادم عن الرضا عليه السلام في حديث قال: يا ياسر لا تفتصد قال: فافتصدت فورمت يدي واحمرّت، فقال لي: يا ياسر ما لكَ؟ فأخبرته فقال: ألم

(١) البحار ٤٩: ٢٩ ورواه: ٣٣، ٥٦ بنحو آخر.

(٢) البحار ٤٩: ٣٥.

(٣) البحار ٤٩: /٥٦.

(٤) البحار ٤٩: ٦٠ ونقله: ١٢٣ بنحو أبسط يأتي.

أنهك عن ذلك؟ هلمّ يدك فمسح يده عليها وتفل فيها ـ الحديث ـ[١].

١٧ ـ عن أبي واسع محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق النيسابوري قال: سمعت جدّتي خديجة بنت حمدان بن پسنده، قالت: لمّا دخل الرضا عليه السلام نيسابور، نزل محلّة الغربي ناحية تعرف بـ«لاش آباد» في دار جدّتي پسنده، وإنّما سمّي پسنده؛ لأنّ الرضا عليه السلام ارتضاه من بين الناس... فلمّا نزل عليه السلام دارنا زرع لوزة في جانب من جوانب الدار، فنبتت وصارت شجرة، وأثمرت في سنة، فعلم الناس بذلك، فكانوا يستشفون بلوز تلك الشجرة، فمن أصابته علّة تبرّك بالتناول من ذلك اللوز مستشفياً به فعوفي، ومن أصابه رمد جعل ذلك اللوز على عينه فعوفي، وكانت الحامل إذا عسر عليها ولادتها تناولت من ذلك اللوز فتخفّ عليها الولادة وتضع من ساعتها... الحديث[٢].

١٨ ـ إنّ الرضا عليه السلام دخل نيسابور نزل في محلّة يقال لها الغرويني، فيها حمّام... فدخله الرضا عليه السلام واغتسل فيه، ثمّ خرج منه فصلّى على ظهره، والناس ينتابون ذلك الحوض، ويغتسلون فيه، ويشربون منه التماساً للبركة، ويصلّون على ظهره، ويدعون الله عزّوجلّ في حوائجهم فتقضى، وهي العين المعروفة بعين كهلان، يقصدها الناس إلى يومنا هذا[٣].

١٩ ـ فلمّا فرغ (دعبل الخزاعي) من إنشادها (يعني القصيدة) قام الرضا عليه السلام فدخل إلى حجرته، وبعث إليه خادماً بخرقة خز فيها ستمائة دينار، وقال لخادمه: قل له: استعن بهذه في سفرك واعذرنا، فقال له دعبل: لا والله ما هذا أردت، ولا له خرجت، ولكن قل له: اكسني ثوباً من أثوابك وردّها عليه، فردّها الرضا عليه السلام فقال

(١) البحار ٤٩: ٨٦.
(٢) البحار ٤٩: ١٢١.
(٣) البحار ٤٩: ١٢٣.

له: خذها وبعث إليه بجبّة من ثيابه، فخرج دعبل حتى ورد قم، فلمّا رأوا الجبّة معه أعطوه فيها ألف دينار فأبى عليهم فقال: لا والله ولا خرقة منها بألف دينار.

ثمّ خرج من قم، فاتّبعوه فقطعوا عليه الطريق، وأخذوا الجبّة، ورجع إلى قم فكلّمهم فيها[١].

٢٠ ـ مرض عليّ بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فعاده أبو الحسن (الرضا)عليه السلام وأنا (يعني الراوي سليمان بن جعفر) معه، فجلس حتى خرج من كان في البيت، فلمّا خرجنا أخبرتني مولاة لنا أنّ أمّ سلمة امرأة علي بن عبيدالله كانت من وراء الستر تنظر إليه، فلمّا خرج خرجت وانكبت على الموضع الذي كان أبو الحسن فيه جالساً تقبّله وتتمسّح به، قال سليمان: ثمّ دخلت على عليّ بن عبيدالله فأخبرني بما فعلت أمّسلمة، فخبرت به أبا الحسنعليه السلام قال: يا سليمان إنّ علي بن عبيدالله وامرأته وولده من أهل الجنّة... الحديث[٢].

٢١ ـ عن عمران بن محمد الأشعري قال: دخلت على أبي جعفر الثانيعليه السلام وقضيت حوائجي، وقلت له: إنّ أمّ الحسن تقرئك السلام، وتسألك ثوباً من ثيابك تجعله كفناً لها... الحديث[٣].

٢٢ ـ عن محمد بن سهل بن اليسع قال: كنت مجاوراً بمكة، فصرت إلى المدينة فدخلت على أبي جعفر الثانيعليه السلام، وأردت أن أسأله عن كسوة يكسونيها، فلم يتّفق أن أسأله حتى ودّعته...

وخرجت من المدينة فبينا أنا كذلك، إذ رأيت رسولاً ومعه ثياب في منديل

(١) البحار ٤٩: ١٤٧ / ٢٤٠ مفصلاً و٢٤٣ وفيه؛ فقلت: يا سيدي إن رأيت أن تهب لي شيئاً من ثيابك ليكون كفني... وفي ص ٢٤١ تبرك دعبل بفضل الجبّة في شفاء عين جاريته.

(٢) البحار ٤٩: ٣٢٣ مختصراً.

(٣) البحار ٥٠: ٤٣.

يتخلّل القطار، ويسأل عن محمد بن سهل القمّي حتى انتهى إليّ، فقال: مولاك بعث إليك بهذا، وإذا ملاءتان. قال أحمد بن محمد: فقضى الله أنّي غسلته حين مات فكفّنته فيهما[١].

٢٣ ـ عن ابن حديد قال: خرجت مع جماعة حجّاجاً، فقطع علينا الطريق، فلمّا دخلت المدينة لقيت أبا جعفر عليه السلام في بعض الطريق، فأتيته إلى المنزل فأخبرته بالذي أصابنا، فأمر لي بكسوة وأعطاني دنانير. ـ الحديث ـ[٢].

٢٤ ـ عن أبي هاشم الجعفري، قال: بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام في مرضه، وإلى محمد بن حمزة، فسبقني إليه محمد بن حمزة، فأخبرني محمد: ما زال يقول: «ابعثوا إلى الحير»... فقال عليّ بن هلال: ما كان يصنع الحير هو الحير... ذكرت له قول عليّ بن هلال فقال لي: ألا قلت له: إنّ رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت ويقبّل الحجر؟ الحديث[٣].

المراد من الحير حائر الحسين عليه السلام، أي ابعثوا رجلاً يدعو في الحائر تبرّكاً به، وشبهه عليه السلام بالبيت والحجر.

٢٥ ـ خطب الحسين بن علي المقتول بفخ فقال: «أيّها الناس أتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود تمسحون بذلك، وتضيّعون بضعة منه[٤]؟!

٢٦ ـ المحراب الذي كانت فاطمة رضي الله عنها (بنت موسى بن جعفر عليهما السلام) تصلّي فيه موجود إلى الآن في دار موسى (بن الخزرج) ويزوره الناس[٥].

٢٧ ـ عن إبراهيم بن عبد الحميد (في حديث قال): فأتاني رسول من

---

(١) البحار ٥٠: ٤٤.

(٢) البحار ٥٠: ٤٤.

(٣) البحار ٥٠: ٢٢٥ والوسائل ١٠: ٤٢٢ والبحار ١٠١: ١١٢ـ١١٣.

(٤) البحار ٤٨: ١٦٤ عن مقاتل الطالبيين.

(٥) البحار ٤٨: ٢٩٠.

أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام فقال: يقول لك أبو عبدالله عليه السلام: أقبل. فقمت مسرعاً، فسلّمت عليه فقال: تحبّ أن نعطيك بردة تكون كفنك؟ وأمر غلامه فأتاني ببردة، فقال: خذها(١).

٢٨ ـ عن هشام بن أحمر قال: كتب أبو عبدالله رقعة في حوائج لأشتريها... وأخذت الرقعة فأدخلتها في زنفيلجتي وقلت أتبرّك بها. ـ الحديث ـ(٢).

٢٩ ـ عن أبي جعفر ـ محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ـ قال: دخل عليّ جابر بن عبدالله وأنا في الكتاب، فقال: اكشف عن بطنك، قال: فكشفت له فألصق بطنه ببطني ـ الحديث ـ(٣).

٣٠ ـ جاء أبو حنيفة إليه (يعني جعفر بن محمّد عليهما السلام) ليسمع منه، وخرج أبوعبدالله يتوكّأ على عصا، فقال له أبو حنيفة: يا ابن رسول الله ما بلغت من السنّ ما تحتاج معه إلى العصا، قال: هو كذلك، ولكنّها عصا رسول الله أردت التبرّك بها، فوثب أبو حنيفة إليه، وقال له: أقبّلها ياابن رسول الله، فحسر أبو عبدالله ذراعه وقال له: والله لقد علمت أنّ هذا بشر رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ هذا من شعره فما قبّلته وتقبّل عصا(٤).

٣١ ـ وردت أحاديث كثيرة في التبرّك والاستشفاء بتربة الحسين بن علي عليهما السلام وفي السجود عليها، وأكلها للاستشفاء، وفي تجهيز الميت ودفنه، ونحن نورد هنا ما وقفنا عليه منها:

١ ـ عند رأس الحسين عليه السلام لتربة حمراء، فيها شفاء من كلّ داء إلّا السام (عن

---

(١) البحار ٤٧: ١٠٩/١٤٧.

(٢) البحار ٤٧: ١٤٧. الزنفليجة: أعجمي معرب، وعاء شبيه بالكتف. أُنظر الهامش.

(٣) البحار ٤٦: ٢٢٤ عن أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى، وص٢٢٧ عن كشف الغمّة.

(٤) البحار ٤٧: ٢٨ وقد مرّ التبرّك بعصاه صلى الله عليه وآله.

أبي عبدالله الصادق عليه السلام)(١).

٢ ـ عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يأخذ الإنسان من طين قبر الحسين عليه السلام فينتفع به، ويأخذه غيره فلا ينتفع به، فقال: لا والله لا يأخذه أحد وهو يرى أنّ الله ينفعه به إلّا نفعه به(٢).

٣ ـ إنّ الله جعل تربة الحسين عليه السلام شفاءً من كلّ داء، وأماناً من كلّ خوف، فإذا أخذها أحدكم فليقبّلها وليضعها على عينه، وليمرّها على جسده ـ الحديث(٣) ـ (عن الصادق عليه السلام).

٤ ـ عن اليقطيني قال: بعث إليّ أبو الحسن الرضا عليه السلام رزم ثياب وغلماناً ـ إلى أن قال ـ فلمّا أردت أن اعتبئ الثياب، رأيت في أضعاف الثياب طيناً، فقلت للرسول: ما هذا؟ فقال: ليس توجّه بمتاع إلّا جعل فيه طيناً من قبر الحسين عليه السلام ثمّ قال الرسول: قال أبو الحسن عليه السلام: هو أمان بإذن الله ـ الحديث(٤) ـ.

٥ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في طين قبر الحسين عليه السلام الشفاء من كلّ داء، وهو الدواء الأكبر(٥).

٦ ـ حنّكوا أولادكم بتربة الحسين فإنّها أمان(٦) (عن الصادق عليه السلام).

٧ ـ عن بعض أصحابنا قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي رجل كثير العلل والأمراض، وما تركت دواء إلّا تداويت به، فقال: وأين أنت عن طين قبر

(١ ـ ٣) الوسائل ١٠: ٤٠٩ ـ ٤١٠ والبحار ١٠١: ١١٩ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥، وفي البحار ٦٠: ١٥٦ حديث روي بسندين يرخص الاستشفاء بطين قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر الأئمّة عليهم السلام، وللعلّامة المجلسي رحمه الله فيه كلام فراجع.

(٤) الوسائل ١٠: ٤٠٩ ـ ٤١٠ والبحار ١٠١: ١١٩ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ وفي البحار ٦٠: ١٥٦ حديث روي بسندين يرخص الاستشفاء بطين قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر الأئمّة عليهم السلام، وللعلّامة المجلسي رحمه الله فيه كلام فراجع.

(٥ ـ ٦) الوسائل ١٠: ٤١٠ ـ ٤١٢ والبحار ١٠١: ١١٨ / ١٢٣ / ١٢٤ / ١٢٩ / ١٣٤ / ١٣٦.

الحسين عليه السلام فإنّ فيه الشفاء من كلّ داء، والأمن من كلّ خوف؟ ـ الحديث ـ.

٨ ـ في طين قبر الحسين عليه السلام: شفاء من كلّ داء، وهو الدواء الأكبر[1] (عن الصادق عليه السلام).

٩ ـ إنّ طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء[2] (عن الصادق عليه السلام).

١٠ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أصابه علّة فبدأ بطين قبر الحسين عليه السلام، شفاه الله من تلك العلّة إلّا أن تكون علّة السام[3].

١١ ـ عن محمد بن مسلم في حديث: أنّه كان مريضاً، فبعث إليه أبو عبدالله عليه السلام بشراب فشربه، فكأنّما نشط من عقال فدخل عليه، فقال: كيف وجدت الشراب؟ فقال: لقد كنت آيساً من نفسي، فشربته فأقبلت إليك، فكأنّما نشطت من عقال، فقال: يا محمد إنّ الشراب الذي شربته كان فيه من طين قبور آبائي وهو أفضل ما تستشفي به، فلا تعدل به، فإنّا نسقيه صبياننا ونساءنا، فنرى منه كلّ خير[4].

١٢ ـ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام يقولان: إنّ الله عوّض الحسين عليه السلام من قتله أنّ الإمامة في ذريّته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره[5].

١٣ ـ عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه أخبر بقتل الحسين عليه السلام ـ إلى أن قال ـ ألا وإن الإجابة تحت قبّته، والشفاء في تربته، والأئمّة من ولده[6]... الحديث.

١٤ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام من عند القبر على سبعين ذراعاً[7].

(١ـ٣) الوسائل ١٠: ٤١٠ـ٤١٢ والبحار ١٠١: ١١٨/ ١٢٣/ ١٢٤/ ١٢٩/ ١٣٤/ ١٣٦.

(٤) الوسائل ١٠: ٤١٢، والبحار ١٠١: ١٢٠ و٦٠: ١٥٧.

(٥) الوسائل ١٠: ٣٢٩.

(٦) الوسائل ١٠: ٣٥٢.

(٧) الوسائل ١٠: ٤٠٠ والبحار ١٠١: ١٣٠ بأسانيد متعدّدة.

١٥ ـ إنّ لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمة معروفة، من عرفها واستجار بها أُجير... الحديث[١] (عن أبي عبدالله عليه السلام).

١٦ ـ عنه عليه السلام قال: التربة (البركة خ د) من قبر الحسين عليه السلام على عشرة أميال[٢].

١٧ ـ عن الكاظم عليه السلام في حديث: ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبرّكوا به فإنّ كلّ تربة لنا محرّمة، إلّا تربة جدّي الحسين بن علي عليهما السلام، فإنّ الله عزّوجلّ جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا[٣].

١٨ ـ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الطين الذي يؤكل، فقال: كلّ طين حرام كالميتة والدم وما أهلّ لغير الله به، ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام، فإنّه شفاء من كلّ داء[٤].

١٩ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو أنّ مريضاً من المؤمنين يعرف حقّ أبي عبدالله (الحسين بن علي) عليه السلام وحرمته وولايته، وأخذ من طين قبره مثل رأس أنملة، كان له دواء[٥].

٢٠ ـ سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام قال: آخذ من طين قبر الحسين، يكون أطلب بركة؟ قال: لا بأس بذلك[٦].

٢١ ـ إنّ الله عوّض الحسين عليه السلام من قتله أربع خصال: جعل الشفاء في تربته،

(١) الوسائل ١٠: ٤٠٠ والبحار ١٠١: ١١٠ بأسانيد متعدّدة.
(٢) الوسائل ١٠: ٤٠١.
(٣) الوسائل ١٠: ٤١٥ والبحار ١٠١: ١١٨ و ٦٠: ١٥٧.
(٤) الوسائل ١٠: ٤١٥ والبحار ١٠١: ١٢٠.
(٥) الوسائل ١٠: ٤١٥ والبحار ١٠١: ١٢٢ / ١٢٥.
(٦) الوسائل ١٠: ٤١٥ ـ ٤١٦ والبحار ١٠١: ١٢٥.

وإجابة الدعاء تحت قبّته[١]... ـ الحديث ـ.

٢٢ ـ إنّ الصادق عليه السلام مرض، فأمر من عنده أن يستأجروا له أجيراً يدعو عند قبر الحسين عليه السلام، فوجدوا رجلاً فقالوا له ذلك، فقال: أنا أمضي ولكن الحسين إمام مفترض الطاعة، وهو إمام مفترض الطاعة، فرجعوا إلى الصادق عليه السلام وأخبروه، فقال: هو كما قال، ولكن ما عرف أنّ لله بقاعاً يستجاب فيها الدعاء، فتلك البقعة من تلك البقاع[٢].

٢٣ ـ عن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه عن جدّه قال: دخلت على فاطمة عليها السلام فبدأتني بالسلام ثمّ قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة، قالت: أخبرني أبي وهو ذا (هو) أنّه من سلّم عليه وعليّ ثلاثة أيّام، أوجب الله له الجنّة، قلت له: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم وبعد موتنا[٣].

٢٤ ـ وردت الأحاديث في التبرّك بقبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالصلاة عنده، ووضع الخدّ عليه[٤]، كما أنّه وردت بالتبرّك بقبر الحسين بن علي عليهما السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام[٥].

٢٥ ـ قال أبو عبدالله عليه السلام: الطين حرام كلّه... إلّا طين القبر (قبر الحسين عليه السلام) فإنّ فيه شفاءً من كلّ داء، ومن أكله لشهوة لم يكن فيه شفاء[٦].

٢٦ ـ عن سعد بن سعد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الطين فقال: أكل الطين حرام، مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، إلّا طين الحائر، فإنّ فيه شفاءً من كلّ داء،

---

(١) الوسائل ١٠: ٤٢١.
(٢) الوسائل ١٠: ٤٢١ـ٤٢٢.
(٣) الوسائل ١٠: ٢٨٧.
(٤) البحار ١٠٠: ٢٢٦ـ٣٨٤، والوسائل ١٠: ٢٩٣ وما بعدها.
(٥) أُنظر البحار ١٠٠، والوسائل ١٠.
(٦) الوسائل ١٦: ٤٨٧، والبحار ١٠١: ١٢٩ و ٦٠: ١٥٢.

وأمناً من كلّ خوف(١).

٢٧ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث، أنّه سئل عن طين الحائر، هل فيه شيء من الشفاء؟ فقال: يستشفى ما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر جدّي رسول الله ﷺ، وكذا طين قبر الحسن وعلي ومحمد فخذ منها، فإنّها شفاء من كلّ داء وسقم(٢)... الحديث.

٢٨ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أكل الطين حرام على بني آدم ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام، من أكله من وجع شفاه الله(٣).

٢٩ ـ عنه عليه السلام أنّه قال: من أكل من طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به، فكأنّما أكل من لحومنا(٤).

٣٠ ـ إنّ رجلاً سأل الصادق عليه السلام فقال: إنّي سمعتك تقول: إنّ تربة الحسين عليه السلام من الأدوية المفردة، وإنّها لا تمر بداء إلّا هضمته، فقال: قد قلت ذلك فما بالك... الحديث(٥).

٣١ ـ كتبت إلى الفقيه أسأله عن طين القبر يوضع مع الميّت في قبره، هل يجوز ذلك أم لا؟ فأجاب: ... توضع مع الميت في قبره، ويخلط بحنوطه(٦).

٣٢ ـ عن الصادق عليه السلام أنّه قيل له: تربة قبر الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء، فهل هي أمان من كلّ خوف؟ فقال: نعم(٧).

---

(١) الوسائل ١٦: ٤٨٨ والبحار ١٠١: ١٣٠.

(٢) الوسائل ١٦: ٤٨٨ والبحار ١٠١: ١٢٦.

(٣) الوسائل ١٦: ٤٨٨، والبحار ١٠١: ١٣٠.

(٤) الوسائل ١٦: ٤٨٩، والبحار ١٠١: ١٣٤، ٦٠: ١٥٧.

(٥) الوسائل ١٦: ٤٨٩، والبحار ١٠١: ١٣٥، ٦٠: ١٥٧.

(٦) الوسائل ١٦: ٧٤٢، والبحار ١٠١: ١٣٣.

(٧) الوسائل ٨: ٣١٣.

٣٣ ـ في حديث : وخذ طين قبر أبي عبدالله عليه السلام واعجنه بماء السماء، واجعل فيه شيئاً من العسل والزعفران، وفرّقه على الشيعة ليداووا به مرضاهم[(١)].

٣٤ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام : طين قبر الحسين شفاء من كلّ داء، وإن أخذ على رأس ميل[(٢)].

٣٥ ـ وعنه عليه السلام : إنّ في طين الحير الذي فيه الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء، وأماناً من كلّ خوف[(٣)].

٣٦ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام من عند القبر سبعين باعاً في سبعين باعاً[(٤)].

٣٧ ـ عن أبي جعفر عليه السلام يقول : طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء، وأمان من كلّ خوف، وهو لما أخذ له[(٥)].

٣٨ ـ عن الكاظم عليه السلام : لا تستغني شيعتنا عن أربع ... وسبحة من طين قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام ـ الحديث[(٦)] ـ.

٣٩ ـ عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : إنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، وكانت عليها السلام تديرها بيدها تكبّر وتسبّح، حتى قتل حمزة بن عبد المطلب، فاستعملت تربته، وعملت التسابيح، فاستعملها الناس، فلمّا قتل الحسين صلوات الله عليه عدل بالأمر إليه،

(١) الوسائل ٩ : ٣٥٦ والبحار ١٠١ : ١٢٢.

(٢) البحار ١٠١ : ١٢٥.

(٣) البحار ١٠١ : ١٢٥.

(٤) البحار ١٠١ : ١٣١.

(٥) البحار ١٠١ : ١٣٢.

(٦) البحار ١٠١ : ١٣٢.

فاستعملوا تربته لما فيه من الفضل والمزيّة[١].

٤٠ ـ تقدّم تبرّك المسلمين واستشفاؤهم بتربة حمزة رحمه الله تعالى في التبرّك بقبور الصالحين.

٤١ ـ إنّ أبا عبدالله عليه السلام سئل عن استعمال التربتين من طين قبر حمزة وقبر الحسين عليه السلام والتفاضل بينهما، فقال عليه السلام: السبحة التي هي من طين قبر الحسين عليه السلام تسبح بيد الرجل من غير أن يسبّح ـ الحديث[٢] ـ.

٤٢ ـ كان لأبي عبدالله عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبدالله عليه السلام، فكان إذا حضرت الصلاة صبّه على سجادته وسجد عليه، ثمّ قال: السجود على تربة الحسين عليه السلام يخرق الحجب السبع[٣].

٤٣ ـ عن أبي الحسن عليه السلام يقول: ما على أحدكم إذا دفن الميّت ووسّده بالتراب أن يضع مقابل وجهه لبنة من طين الحسين عليه السلام ولا يضعها تحت رأسه[٤].

٤٤ ـ عن الصادق عليه السلام من أدار الحجير من تربة الحسين عليه السلام فاستغفر مرّة واحدة، كتب الله له سبعين مرّة، وإن مسك السبحة ولم يسبّح بها ففي كلّ حبّة منها سبع مرّات[٥].

٤٥ ـ وأخيراً فقد أوردنا أحاديث كثيرة في رسالة السجود على الأرض، تدلّ على استحباب السجود على تربة الحسين عليه السلام. وراجع البحار[٦].

هذا قسم من الروايات الكثيرة الواردة في التبرّك بتربة الحسين عليه السلام، فمن أراد الإكثار فعليه بكتب الفقه والحديث، وفيما ذكرنا كفاية لمن أنصف وتدبّر.

---

(١) البحار ١٠١: ١٣٣، وراجع ٨٥: ٣٢٧ والوسائل ٤: ١٠٣٣.

(٢) البحار ١٠١: ١٣٣.

(٣) البحار ١٠١: ١٣٥.

(٤) البحار ١٠١: ١٣٦.

(٥) البحار ١٠١: ١٣٦.

(٦) البحار ٤٦: ٧٩.

نكات ودقائق

كان الصحابة والتابعون وسائر المسلمين سلفاً عن خلف يعرفون أنّ لآل الرسول ﷺ ميزة اختصّوا بها، وهي انتماؤهم وانتسابهم إليه ﷺ وهم ولده، وهو أبوهم، وقد وردت في ذلك روايات كثيرة عن النبي الأقدس ﷺ وامتلأت بها الكتب والطوامير[1].

وهم مطهّرون يجب مودّتهم وحبّهم بنص من الله جلّ وعزّ حيث يقول: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى﴾ وقال عزّ من قائل: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[2].

وأنّ لحمهم لحمه، ودمهم دمه، وحربهم حربه، وسلمهم سلمه، وأنّه يحبّهم ويحبّ من يحبّهم، ويحسن إليهم، إلى غير ذلك من الفضائل الكثيرة الثابتة لهم بالكتاب والسنّة المتواترة أو المتظافرة[3].

---

(١) راجع ينابيع المودّة: ١٣٦، ١٣٨، ١٨٢، ١٨٣، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩، والفصول المهمّة لابن الصباغ: ١٥٨، ١٥٩، وابن عساكر ٤: ١٥٢، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٢٦، وأمالي الشيخ الطوسي ؒ: ١٠، ١١، ١٢، ١٠٨، وكشف الغمة: ١٦٤، وإسعاف الراغبين هامش نور الأبصار: ١٢٣ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣، وكفاية الطالب: ٢٠٩، ٢٣٥، ٢٣٧ إلى غير ذلك من كتب الحديث والتاريخ والتراجم لا نطيل بذكرها. وإذا أردت الوقوف على المزيد من ذلك فراجع الأحاديث الواردة في تفسير آية المباهلة والاتحاف بحبّ الأشراف.

(٢) راجع إسعاف الراغبين: ١٠٥، والفصول المهمّة: ١٢، ١٦٦، ونور الأبصار: ١١٢، وكفاية الطالب: ٣١ ـ ٣٢، وينابيع المودّة: ٢٥١/١٨٦، وأمالي الشيخ: ٥٦ و١٦٩، ومقاتل الطالبيين: ٣٣، والدر المنثور وتفسير الطبري ونور الثقلين في تفسير الآية الأولى، وراجع تفسير آية التطهير في الدر المنثور، والطبري في تفسيرهما والفصول المهمّة: ٨ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٠٤ وينابيع المودّة: ٨٧، ١٠٤، ١٣٨، ١٨٨، ١٩٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ونور الأبصار: ١١١، ١١٢، وكفاية الطالب: ١٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٢، ومجلّة الهادي: ١١٨ من العدد الرابع من السنة الخامسة.

(٣) هذه كلّها وردت في الأحاديث الكثيرة التي نقلها فطاحل الأعلام في أسفارهم وكتبهم فراجع ←

ولذلك كان الناس يحبّونهم، ويتودّدون إليهم، ويتبرّكون بهم، ويحترمونهم ويعلمون أنّ التبرّك بلحم رسول الله ﷺ وبضعة منه أولى من التبرّك بعصاه وسؤره ولباسه وآثاره، كما قال الصادق عليه السلام لأبي حنيفة، وقال الحسين شهيد فخ في خطبته.

فتبرّكَ الصحابة المؤمنون بالله ورسوله بالصلاة إلى المربعة التي فيها بيت فاطمة عليها السلام، وكانوا يتبرّكون بتقبيل حافر بغلة علي بن موسى الرضا عليهما السلام، وبقبر أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والحسين والأئمّة من ولده عليهم السلام، ويتبرّكون بدراهم أعطاها الرضا عليه السلام لأحدهم، وبمحلّ اغتسل أو صلّى فيه، وبلوزة غرسها بيده المباركة، ويتبرّكون بلباس أعطاه الإمام أبو عبدالله الصادق والرّضا وغيرهما من أئمّة أهل البيت عليهم السلام. ويتبرّكون ويستشفون بتربة قبر الحسين عليه السلام بالسجود عليها، والأكل منها، والوضع لها مع الميت في قبره، وصنع السبحة منها.

وبعد ذلك كلّه ترى الخليفة عمر بن الخطّاب يعلّل تزويجه ببنت أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[١] «أمّ كلثوم» بأنّه: «أحبّ أن يكون عندي عضو من أعضاء رسول الله ﷺ» ويعلّله في روايات أُخر بأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي».

وأهل البيت يتبرّكون بحجر صلّت إليه فاطمة عليها السلام، أو ولدت عليه الحسن

← المصادر المتقدّمة.

فهذه السنن المتواترة أو المتظافرة مع ما ورد من حديث الثقلين والسفينة والمنزلة والطير المشوي وغيرها تدلّ على عصمة الأئمّة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، وعلمهم الغزير الإلهي، ومقاماتهم المعنوية، وتدلّ على إمامتهم وولايتهم وقربهم من الحقّ سبحانه وتعالى، وإن شئت المزيد من ذلك فراجع المراجعات للعلّامة الفقيد شرف الدين، وملحقات إحقاق الحقّ، والغدير، وعبقات الأنوار وغيرها.

(١) أنظر ص١٧٣ عن ذخائر العقبىٰ.

والحسين عليهما السلام، ويستشفون به.

والناس يتبرّكون بمكان ولادتها صلّى الله عليها.

وعمر بن الخطّاب يستسقي بالعبّاس عمّ النبي صلى الله عليه وآله ويستشفع به، ويتقرّب به إلى الله تعالى، معلّلاً ذلك بأنّه عمّ النبي صلى الله عليه وآله، وصنو أبيه، وسيّد بني هاشم، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يرى للعبّاس ما يرى الولد لوالده فاقتدوا به، (بعد قول كعب: إنّ بني إسرائيل إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء).

فكانت هذه العلل كلّها كافية في التبرّك والتوسّل وحدها، فلا إشكال في الدلالة (بعد تواتر الحديث كما تقدّم) سيما بعد قول عمر: «هذا والله الوسيلة إلى الله عزّوجلّ والمكان منه».

وهنا لطيفة أخرى وهي توسّل العبّاس رحمه الله تعالى بعلي والحسنين عليهم السلام وسائر بني هاشم، وقوله لعمر: «لا تخلط بنا غيرنا» لإفادته ميزة خاصة لبني هاشم على غيرهم، ولإظهار فضل لعلي وولديه عليهم السلام على كلّ الناس، وهو الحقّ الذي لا ريب فيه لأي عاقل متدبّر منصف.

أضف إلى ذلك كلّه تبرّك الناس بأمّ سلمة أمّ المؤمنين رحمها الله تعالى، وتمسّح الناس بأركان العبّاس وتبرّكهم به.

ومن الواضح تقرير آل النبي صلى الله عليه وآله ذلك، بل أمرهم به وحثّهم عليه وترغيبهم فيه وعدّهم ذلك من علائم الإيمان وثمرات اليقين، كما يظهر من عمل الحسين عليه السلام في بئر ابن مطيع، ومن تبرّكهم بحجر موجود في بيت فاطمة عليها السلام، وترغيبهم في الاستشفاء بتربة قبر الحسين عليه السلام، والسجود عليها، وأخذ السبحة منها، ودفنها مع الميّت، وجرى عملهم على ذلك، وتبرّكهم بحرم الحسين عليه السلام، وإرشادهم إلى استجابة الدعاء عنده، وإرسالهم شخصاً للدعاء فيه، وأخذ فاطمة عليها السلام السبحة من طين قبر حمزة عليه الرحمة والرضوان، وتبرّكهم بمسّ قبر

رسول الله ﷺ، وقبر أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام، واللزوق به، والصلاة عنده، والاستغاثة والاستجارة به.

وقد مرّ في فصل التبرّك بمسّ النبي ﷺ تبرّك رسول الله ﷺ بعرق وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

تبرّك المسلمين بالصلحاء من الصحابة وغيرهم

لقد ورد في الأحاديث وكتب التاريخ والتراجم تبرّك بعض المسلمين ببعض، وقد تقدّم تبرّكهم بقبور الصالحين، وما ينتسب إليهم، والآن نورد هنا بعض ما يدلّ على تبرّكهم بالأحياء، فنقول:

١ ـ كان زياد يتبرّك ويتيمّن بمعقل بن يسار، لصحبته لرسول الله ﷺ[١].

٢ ـ وأحمد بن حنبل يبعث بثوب له إلى رجل مع مال يردّه عليه ولا يقبله منه. قال صالح: فبلغني أنّ الرجل اتخذه كفناً[٢].

٣ ـ ذكر لأحمد بن حنبل صفوان بن سليم وقلّة حديثه، فقال: هذا رجل إنّما كان يستشفى بحديثه، ويستنزل القطر بذكره[٣].

٤ ـ روي أنّ سائلاً سأل أحمد بن حنبل، فأعطاه الإمام قطعة، فقام رجل إلى السائل فقال: هبني هذه القطعة حتى أعطيك عوضها ما يساوي درهماً، فأبى فرقاه إلى خمسين درهماً وهو يأبى، وقال: إنّي أرجو من بركتها ما ترجوه أنت من بركتها[٤].

٥ ـ كان الناس يتزايدون في بطيخة؛ لأنّ بشر الحافي لمسها حتى اشتراها

(١) نور القبس المختصر من المقتبس: ١٧٢.

(٢) صفة الصفوة ٢: ٣٤٦.

(٣) صفة الصفوة ٢: ١٥٦.

(٤) البداية والنهاية ١٠: ٣٣٠ عن البيهقي.

أحدهم بعشرين درهماً[١].

٦ ـ كان الرشيد يقول: إنّه يتبرّك بأن يحمل المسيب بن زهير الحربة بين يديه[٢].

٧ ـ وفي قصة استسقاء سليمان والد أبي طيبة يقول: «ففشا في المدينة أنّ الله سقاهم الغيث بسليمان، فكان الناس يختلفون إليه ويتبرّكون به، فأنكر ذلك والٍ عليهم يقال له أبو الهفت، فحبس سليمان في السجن فهاج أهل المدينة وأنكروا ذلك من فعاله، وأخرجوا واليهم عن مدينتهم، وأطلقوا سليمان من السجن، وقالوا لأبي الهفت: عمدت إلى رجل سقانا الله به فحبسته وأردت هلاكنا، فضمن لهم أن لا يعود إلى مثلها فأعادوه والياً عليهم»[٣].

٨ ـ عن كهيل الأزدي وكانت له صحبة قال: أصيب الناس يوم أحُد وكثر فيهم الجراحات فأتى رجل النبيﷺ، فقال: إنّ الناس قد كثر فيهم الجراحات. قال: انطلق فقم على الطريق فلا يمرّ بك جريح إلّا قلت: بسم الله ثمّ تفلت في جرحه... الحديث[٤].

٩ ـ عن بشر بن قحيف قال: شهدت عمر بن الخطّاب وهو يطعم، فجاءه رجل فقال: إنّي أريد أن أبايعك، فقال: أوما بايعت أميري؟ قال: بلى. قال: إذا بايعت أميري فقد بايعتني. قال: إنّي أريد أن تمسّ يدي يدك فأخذ عظماً وقال: يا عباد الله... الحديث[٥].

١٠ ـ قال الصولي (في حديث): وما رأيت امرأة قط أتمّ من جدّتي هذه عقلاً

(١) نزهة المجالس ٢: ١٦٦.

(٢) تاريخ بغداد لطيفور: ٢٠.

(٣) تاريخ جرجان: ٣١٢.

(٤) كنز العمّال ١٠: ٢٧٠ / ٢٧٧.

(٥) كنز العمّال ١: ٢٨٧.

ولا أسخى كفّاً، وتوفيت سنة ٢٧٠، ولها نحو من مئة سنة، وكان جدّي عبدالله يتبرّك بجدّتي هذه... الحديث[1].

١١ ـ عن أبي عبدالله محمد بن الحسن بن إسحاق بن الحسين بن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنّه قال: حججت في سنة ثلاثة عشر وثلاثمائة، وفيها حجّ نصر القشوري... فدخلت مدينة الرسول ﷺ في ذي القعدة فأصبت قافلة المصريين، وبها أبو بكر محمد بن علي المادرائي، ومعه رجل من أهل المغرب، وذكر أنّه رأى أصحاب رسول الله ﷺ فاجتمع عليه الناس وازدحموا، وجعلوا يمسحون به، وكادوا يأتون على نفسه... الحديث[2].

الأحاديث المرغبة في التبرّك

وردت أحاديث كثيرة عن الرسول الأقدس ﷺ وأئمّة العترة الطاهرة، في التبرّك بأشياء مختلفة ترغيباً فيه، وتشويقاً إليه، فنحن نذكر منها ما عثرنا عليه.

منها: ما ورد في التبرّك والاستشفاء بماء زمزم، والاهتمام به، حتى جعل التضلّع منه وعدمه علامة الإيمان والنفاق، وحتى استهداه النبي ﷺ من سهيل بن عمرو، فكان يحمل ماء زمزم من مكة إلى المدينة، وكذا عائشة أمّ المؤمنين تحمل ماء زمزم، وتخبر أنّ رسول الله ﷺ كان يحمله في الأداوي والقِرب، وكان يصبّ على المرضى ويسقيهم، وإليك نصوص الأحاديث:

١ ـ عن ابن عبّاس قال: استهدى رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو من ماء زمزم.

---

(١) البحار ٤٩: ٩٠.

(٢) البحار ٥١: ٢٣٠.

لفظ الإصابة:

كتب إلى سهيل بن عمرو: إن جاءك كتابي ليلاً فلا تصبحنّ أو نهاراً فلا تمسينّ حتى تبعث إليَّ مزادتين من زمزم.

لفظ الوسائل:

كان النبيﷺ يستهدي من ماء زمزم وهو بالمدينة، والظاهر كما تشهد به الأحاديث الأُخر، أنّ استهداءهﷺ ماء زمزم ليس لخصوصية طبيعية وآثار كيماوية طبّية، بل للتبرّك به فحسب، إمّا لنفسه، أو لأهل بيته الكرام، أو آله وقرابته[(١)].

٢ ـ عن الصادقعليه السلام قال: قال رسول اللهﷺ: ماء زمزم دواء لما شرب له[(٢)].

٣ ـ عن أمير المؤمنينعليه السلام الاطلاع في بئر زمزم يذهب الداء، فاشربوا من مائها ممّا يلي الركن الذي فيه الحجر الأسود...[(٣)].

٤ ـ عن الصادق (جعفر بن محمد)عليهما السلام: زمزم شفاء من كلّ داء وأظنّه قال: كائناً ما كان[(٤)].

٥ ـ عائشة كانت تحمل ماء زمزم، وتخبر أنّ رسول اللهﷺ كان يفعله[(٥)].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٢٠٢ بسندين، ومكاتيب الرسول ٢: ٥٢٦ عن الإصابة ١: ٢١ المرقم ٣٨ وص ٣٠ المرقم ٨٤ و٤: ٢٢٦ المرقم ٢٢، ورسالات عبد المنعم خان: ١٥٤ المرقم ٥٦، والسيرة الحلبية ٢: ٥٤، والوسائل ٩: ٣٥٠ ـ ٣٥١ و١٧: ٢٠٧، والمصنف ٥: ١١٩، والبحار ٩٩: ٢٤٤ والدر المنثور ٣: ٢٢٣ ـ ٣٢١ بأسانيد متعدّدة. قال البيهقي بعد نقل الحديث: قال الشافعي: بلغنا أنّ سهيل بن عمرو أهدى إلى النبيﷺ منه.

(٢) الوسائل ٩: ٣٥١، والبحار ٩٩: ٢٤٣ عن الخصال و٦٦: ٤٥٠ ـ ٤٥١، ومستدرك الوسائل ٢: ١٤٢ والدر المنثور ٣: ٣٢١.

(٣) البحار ٩٩: ٢٤٣ / ٢٤٥.

(٤) البحار ٩٩: ٢٤٥ و٦٦: ٤٣٨، ومستدرك الوسائل ٢: ١٤٢، وكنز العمّال ١٣: ١٩٤ والدر المنثور ٤: ٢٢١، والوسائل ١٧: ٢٠٧.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٢٠٢.

٦ ـ عائشة كانت تحمل ماء زمزم، وتخبر أنّ رسول الله ﷺ كان يفعله، وحمله رسول الله ﷺ في الأداوي والقرب، وكان يصبّ على المرضى ويسقيهم[١].

٧ ـ عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ: ماء زمزم لما شرب له، فإن شربته تستشفي شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه[٢].

٨ ـ جاء رجل إلى ابن عبّاس فقال: من أين جئت؟ فقال: شربت من زمزم. فقال له ابن عبّاس: أشربت منها كما ينبغي؟ قال: وكيف ذاك يا ابن عبّاس؟ قال: إذا شربت منها فاستقبل القبلة، واذكر اسم الله، وتنفّس ثلاثاً، وتضلّع منها، فإذا فرغت منها فاحمد الله، فإنّ رسول الله ﷺ قال: آية ما بيننا وبين المنافقين أنّهم لا يتضلّعون من زمزم[٣]. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

٩ ـ (في ماء زمزم) أنّها طعام طعم، وشفاء سقم[٤].

١٠ ـ عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: التضلّع من ماء زمزم براءة من النفاق[٥].

١١ ـ كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم[٦].

١٢ ـ عن ابن المعزى (المغرى خ ل) قال: كنّا عند ابن عيينة، جاء رجل فقال:

---

(١) المستدرك للحاكم ١: ٣٧٢ـ٣٧٣، والسيرة الحلبية ١: ٣١٥، والدر المنثور ٣: ٢٢١.

(٢) المستدرك للحاكم ١: ٣٧٢ ـ ٣٧٣، والسيرة الحلبية ١: ٣١٥ وكنز العمّال ١٣: ١٩٤ ـ ١٩٥ ـ ١٩٦ والدر المنثور ٤: ٢٢١ مع زيادة وص٢٢٢. وفي المصنف لعبد الرزاق: «إنّ ابن عباس شرب زمزم يأخذ الدلو ثمّ يستقبل القبلة فيشرب منها حتى يتضلّع فإنّه لا يتضلّع منها منافق» وقد أخرج عبد الرزاق بعد هذا الحديث أحاديث في زمزم والتبرّك بمائه.

(٣) المستدرك للحاكم ١: ٣٧٢ـ٣٧٣، والسيرة الحلبية ١: ٣١٥ ونقل ذيله في كنز العمّال ١٣: ١٩٥: والدر المنثور ٣: ٢٢١، والمصنف ٥: ١١٣.

(٤) السيرة الحلبية ١: ٣١٥.

(٥) السيرة الحلبية ١: ٣١٥ وكنز العمّال ١٣: ١٩٤، والدر المنثور ٣: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٦) كنز العمّال ٧: ٩٠ المرقم ٧٦٩.

يا أبا محمد ألستم تزعمون أنّ النبيﷺ قال: ماء زمزم لما شرب له؟ قال: بلى.

قال: فإنّي شربته لتحدّثني بمئتي حديث قال: اقعد فحدّثه بها. قال: وسمعت ابن عيينة يقول: قال عمر بن الخطّاب: اللّهم إنّي أشربه لظمأ يوم القيامة(١).

١٣ ـ عن ابن عبّاس ضع دلوك من قبل العين التي تلي البيت أو الركن، فإنّها من عيون الجنّة(٢).

١٤ ـ عن أمّ معبد قال (كذا): مرّ بي بخيمتي غلام سهيل أزيهر معه قربتا ماء فقلت: ما هذا؟ قال: إنّ النبيﷺ كتب إلى مولاي زهير يستهديه ماء زمزم، فأنا أعجل لكي لا تنشف القرب(٣).

١٥ ـ إنّها مباركة، إنّها طعام طعم، يعني زمزم. (عن أبي ذرّ)(٤).

١٦ ـ إنّها مباركة، وهي طعام طعم، وشفاء سقم. (عن أبي ذر)(٥).

١٧ ـ ماء زمزم لما شرب له، من شربه لمرض شفاه الله، أو لجوع أشبعه الله، أو لحاجة قضاها الله. (عن جابر)(٦).

١٨ ـ عن ابن عبّاس: خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم وشفاء من السقم(٧).

١٩ ـ عن جابر، عن النبيﷺ: ماء زمزم لما شرب له، وهو ذا أشرب هذا لعطش يوم القيامة(٨).

---

(١) كنز العمّال ١٧: ١٠٠، والدر المنثور ٣: ٢٢١ قريباً منه.

(٢) كنز العمّال ١٧: ١٠٠.

(٣) كنز العمّال ١٧: ١٠٠.

(٤) كنز العمّال ١٧: ١٩٣.

(٥) كنز العمّال ١٧: ١٩٣ و١٣: ١٩٥، والدر المنثور ٣: ٢٢٢ عن غيره.

(٦) كنز العمّال ١٧: ١٩٤.

(٧) كنز العمّال ١٣: ١٩٥ والدرّ المنثور ٣: ٢٢١.

(٨) الدر المنثور ٣: ٢٢١.

٢٠ ـ إنّ ماءها يذهب بالصداع، وإن الاطلاع فيها يجلو البصر...[١]

وإن شئت الوقوف على الأحاديث الواردة في ماء زمزم وبركتها أزيد ممّا ذكرنا، فراجع الدر المنثور[٢]، والوسائل[٣] والمستدرك للنوري[٤] والمستدرك للحاكم[٥] والبحار[٦] وكنز العمّال[٧]، تجد أحاديث كثيرة في ذلك، وفي آداب شربها، والدعاء عند شربها.

ولا ريب في دلالة الأحاديث على المطلوب، سيّما مع التعليق على القصد، إذ لو كانت آثاراً طبيعية كيماوية، لما توقّف التأثير على القصد، ولا سيّما مع ترتّب بعض الآثار المعنوية كالعلم والإيمان والجنّة و... إذ الآثار المعنوية ليست آثاراً طبيعية مترتّبة على ذات الشيء ولو من دون قصد ونيّة.

فبأي قصد شرب ماء زمزم نفع من الجهة المقصودة، وهذا تدلّ عليه جميع الروايات، وهذا هو معنى التوسّل والاستشفاع والتبرّك والاستشفاء، وقد صرّح فيها بأنّه شفاء من كلّ داء، وشفاء السقم، وأنّه مبارك.

وتفيد الأخبار ترغيب النبيﷺ وأئمّة أهل البيتعليهم السلام في التبرّك بالشرب منه والتضلّع بقصد التبرّك والاستشفاء، وقيد بأنّه لا ينفع مع عدم القصد.

وتفيد بأنّ عمل الصحابة وسائر المسلمين جرى على التبرّك، حتى نقل أنّ

---

(١) الدر المنثور ٣: ٢٢٢ وفي الوسائل: أنّ من روّي من ماء زمزم أحدث به شفاء وصرف عنه داء. والذي يفيد شيوع تبرّك المسلمين بزمزم ما نقله الحلبي في السيرة ١: ٣٨ من أنّ خالد بن عبدالله القسري «احتفر بئراً خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضّلها على زمزم ويحمل الناس على التبرّك بها..».

(٢) ٣: ٢٢٠ـ٢٢٣.

(٣) ٩: ٣٥١ـ٣٥٢؛ و١٧: ٢٠٦.

(٤) ٢: ١٤٢.

(٥) ج ١.

(٦) ج ٦٦ وج ٩٩.

(٧) ج ١٣ وج ١٧.

عمر بن الخطّاب كان يشرب ويقول: أشربه لظمأ يوم القيامة، وكذا غيره فبه أمروا، وعليه عملوا، وجرت به السنّة.

ومنها: ما ورد في ماء ميزاب الكعبة من الاستشفاء به للمريض:

فقد روى ابن جبلة قال: اشتكى رجل من إخواننا حتى سقط للموت، فلقيت أبا عبدالله عليه السلام في الطريق. فقال: يا صارم ما فعل فلان؟ قلت: تركته بحال الموت. فقال: أما لو كنت مكانك لأسقيته من ماء الميزاب. قال: فطلبنا عند كلّ أحد، فلم نجده فبينما نحن كذلك إذ ارتفعت سحابة، ثمّ أرعدت وأبرقت وأمطرت، فجئت إلى بعض من في المسجد فأعطيته درهماً وأخذت قدحاً، ثمّ أخذت من ماء الميزاب فأتيته وأسقيته، فلم أبرح من عنده حتى شرب سويقاً وبرّاً[1].

ويستفاد من الحديث: أنّ الاستشفاء بماء الميزاب كان أمراً متعارفاً عندهم، يأخذونه ويحفظونه ويدّخرونه ويتبرّكون به؛ ولذلك كان الإمام حثّ عليه، وهو صار يطلبه عند الناس، إذ لو كان أمراً بدعيّاً غير معروف عند الناس، لم يكن وجه لطلبه منهم.

ومنها: ما ورد في التبرّك بكسوة الكعبة:

١ ـ عن عبدالله بن عتبة قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عمّا يصل إلينا من ثياب الكعبة، هل يصلح لنا أن نلبس منها شيئاً؟ قال: يصلح للصبيان والمصاحف والمخدّة يبتغي بذلك البركة إن شاء الله تعالى[2].

٢ ـ عن مروان بن عبد الملك قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل اشترى من كسوة الكعبة شيئاً، فاقتضى ببعضه حاجته، وبقي بعضه في يده هل يصلح بيعه؟

---

(١) البحار ٩٩: ٢٤٥ و٦٦: ٤٥٧ عن المحاسن للبرقي، والوسائل ١٧: ٢٠٨.

(٢) الوسائل ٩: ٣٥٩ عن الكافي والصدوق.

قال: يبيع ما أراد، ويهب ما لم يرد ويستنفع به ويطلب بركته... الحديث[١].

ومنها: ما ورد في الاستشفاء بغبار المدينة وشجرها:

١ ـ «غبار المدينة شفاء من الجذام»[٢].

٢ ـ «غبار المدينة يبرئ الجذام»[٣].

٣ ـ «غبار المدينة يطفئ الجذام»[٤].

٤ ـ «إنّ في غبارها شفاءً من كلّ داء»[٥].

٥ ـ «والذي نفسي بيده إنّ تربتها لمؤمنة، وإنّها شفاء من الجذام»[٦].

٦ ـ «مالكم يا بني الحارث روبى؟ قالوا: أصابتنا يارسول الله هذه الحمى، قال: فأين أنتم عن صعيب؟ قالوا: يارسول الله! ما نصنع به؟ قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء ثمّ يتفل عليه أحدكم ويقول: بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربّنا. ففعلوا فتركتهم الحمى»[٧].

قلت: نقل السمهودي بعد نقله هذا الحديث: أخذ الناس من تراب صعيب، وجرى عملهم على ذلك. وأطال الكلام فيه.

٧ ـ «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح، قال بإصبعه هكذا، ووضع سبّابته بالأرض، ثمّ رفعها، وقال: بسم الله تربة أرضنا بريق

---

(١) الوسائل ٩: ٣٦٠ عن الكافي والصدوق والشيخ.

(٢) كنز العمّال ١٣: ٢٠٥ ووفاء الوفاء ١: ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) كنز العمّال ١٣: ٢٠٥.

(٤) كنز العمّال ١٣: ٢٠٥ وفاء الوفاء ١: ٦٨ وقريب منه في سفينة البحار ١: ١٢٢.

(٥) وفاء الوفاء ١: ٦٧.

(٦) وفاء الوفاء ١: ٦٨.

(٧) وفاء الوفاء ١: ٦٨ والبخاري ٧: ١٧٢ وأبي داود ٤: ١٣ ومسند أحمد ٦: ٩٣ وسنن ابن ماجة ٢: ١١٦٣ وصحيح مسلم ٤: ١٧٢٤.

بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا»[١].

٨ ـ «إنّ رجلاً أتى به رسول الله ﷺ وبرجله قرحة، فرفع رسول الله ﷺ طرف الحصير ثمّ وضع إصبعه التي تلي الإبهام على التراب بعدما مسّها بريقه وقال: بسم الله ريق بعضنا بتربة أرضنا ليشفي سقيمنا بإذن ربّنا. ثمّ وضع إصبعه على القرحة فكأنّما حلّ من عقال»[٢].

أقول: ونقل السمهودي التبرّك بتمر المدينة، فراجع: وفاء الوفاء[٣].

٩ ـ عن أنس مرفوعاً: أُحُد جبل يحبّنا ونحبّه، فإذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عضاهه[٤].

١٠ ـ وعن زينب بنت نبيط ـ وكانت تحت أنس بن مالك ـ أنّها كانت ترسل ولائدها فتقول: اِذهبوا إلى أُحُد فأتوني من نباته، فإن لم تجدن إلا عضاها فائتنّني به، فإنّ أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله يقول: هذا جبل أحُد يحبّنا ونحبّه، قالت زينب: فكلوا من نباته ولو من عضاهه. قالت: فكانت تعطينا منه قليلاً قليلاً نمضغه[٥].

ومنها: ما ورد في التبرّك بماء الفرات وسؤر المؤمن:

١ ـ قال أبو عبدالله عليه السلام: في سؤر المؤمن شفاء من سبعين داءً[٦].

٢ ـ من شرب سؤر المؤمن تبرّكاً به، خلق الله بينهما ملكاً يستغفر لهما حتى

(١) وفاء الوفاء ١: ٦٩ ونبذاً منه في البخاري ٧: ١٧٢ وابن ماجة ٢: ١١٦٣.

(٢) وفاء الوفاء ١: ٦٩.

(٣) وفاء الوفاء ١: ٦٨، ٧٠.

(٤) وفاء الوفاء ٣: ٩٣٦، وكنز العمّال ١٧: ١١٥ و١٣: ٢٣١.

(٥) وفاء الوفاء ٣: ٩٣٦، وكنز العمّال ١٧: ١١٥.

(٦) الوسائل ١٧: ٢٠٨، والبحار ٦٦: ٤٣٤.

تقوم الساعة(١).

٣ ـ سؤر المؤمن شفاء(٢).

٤ ـ ما أخال أحداً يحنّك بماء الفرات إلّا أحبّنا أهل البيت... الحديث(٣).

٥ ـ أما إنّ أهل الكوفة لو حنّكوا أولادهم بماء الفرات لكانوا شيعة لنا(٤).

٦ ـ الشرب من فضل وضوء المؤمن فيه شفاء من سبعين داءً أدناها الهمّ(٥).

٧ ـ كان يبعث إلى المطاهر، فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين(٦).

٨ ـ لو علم الناس ما فيه (يعني الفرات) من البركة، لضربوا الأخبية على حافتيه(٧).

٩ ـ من شرب من ماء الفرات وحنّك به فإنّه يحبّنا أهل البيت(٨).

١٠ ـ لو أن بيننا وبين الفرات كذا وكذا ميلاً لذهبنا إليه واستشفينا به(٩).

ومنها: ما ورد في التبرّك بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما ورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتبرّك بالتمسّح بعرق وجهه ومرّ منّا الكلام في ذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام ـ في حديث ـ: «والذي نفسي بيده لولا أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك مقالاً لا تمرّ

(١) الوسائل ١٧: ٢٠٨، والبحار ٦٦: ٤٣٥.

(٢) الوسائل ١٧: ٢٠٨.

(٣) الوسائل ١٧: ٢١١ و١٠: ٣١٤ـ٣١٦، والبحار ٦٦: ٤٤٨.

(٤) الوسائل ١٧: ٢١٢.

(٥) كنز العمّال ٩: ١٨٦ المرقم ١٥٠٦.

(٦) كنز العمّال ٧: ٦٧ المرقم ٥٤٧.

(٧) الوسائل ١٠: ٣١٤ـ٣١٦، والبحار ٦٦: ٤٤٧.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.

بأحد من المسلمين إلّا أخذوا التراب من أثر قدميك يطلبون به البركة».

وفي لفظ الينابيع وعن أرجح المطالب:

«إلّا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك يستشفون به»[١].

ومنها: ما ورد في تتريب الكتاب وأنّه مبارك وأنّه أنجح للحاجة:

١ ـ إذا كتب أحدكم فليترّبه فإنّه أنجح للحاجة[٢].

٢ ـ ترّبوا صحفكم، فإنّ التراب مبارك[٣].

٣ ـ ترّبوا صحفكم أنجح لها، فإنّ التراب مبارك[٤].

٤ ـ إنّ النبيﷺ بعث إلى أهل قريتين بكتابين يدعوهم إلى الإسلام، فترّب أحد الكتابين، ولم يترّب الآخر، فأسلم أهل القرية التي ترّب كتابهم[٥].

٥ ـ كان أبو الحسنعليه السلام يترّب الكتاب[٦].

---

(١) شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ١٦ قسم التعليق عن أبي رافع مولى النبيﷺ، ونور الثقلين ٤: ٦٠٩ عن الكافي، والدّر الثمين: ٤٧، ومناقب الخوارزمي: ٢٢٠، وينابيع المودّة: ٦٣ عن مؤمن بن أحمد و ١٣٠ و ١٣١ عنه أيضاً، وعن المناقب عن جابر وعن مسند أحمد عن عليعليه السلام وابن مسعود وعن المناقب أيضاً عن الإمام الحسن بن عليعليه السلام وسلمان وفضائل الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام عن تاريخ ابن عساكر ١: ٢٢٦ في الهامش عن ابن المغازلي وص ٣٠٤، والبحار ٣٥: ٣١٥ عن كنز جامع الفوائد: ٣٢١ عن تفسير فرات الكوفي وص ٣٢٣ عن الكافي و ٤٧: ٦٧ عن أمالي الصدوق و ٦٨: ١٣٧، وهامش إحقاق الحق ٧: ٢٩٣ عن علل الحديث لابن أبي حاتم ١: ٣١٣، ومقتل الحسين للخوارزمي: ٤٥ ومناقبه: ٢٤٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٢١٩ و ١: ٤٢٥ (وفي الطبعة الحديثة) ١٨: ٢٨٢، ومجمع الزوائد ٩: ١٣١، والينابيع في المواضع المتقدّمة، وأرجح المطالب: ٤٥٤ وغزوة خيبر للشيخ قوام الدين: ١٠٢، ومسند أحمد ١: ١٦٠.

(٢) الترمذي ٥: ٦٦، وأدب الإملاء والاستملاء: ١٧٤، وكنز العمّال ٦: ٢٨٩، ومستدرك الوسائل ٢: ٨١.

(٣) كنز العمّال ٦: ٢٨٩، وابن ماجة ٢: ١٢٤٠.

(٤) ابن ماجة ٢: ١٢٤٠.

(٥) الإصابة ٢: ٣٠٤ المرقم ٤٦٦٩.

(٦) البحار ٧٦: ٤٨ و ٤٩: ١٠٤، والوسائل ٨: ٤٩٧ عن الكافي وقرب الاسناد.

٦ ـ إذا كتب أحدكم كتاباً فليترّبه، فإنّ التراب مبارك، وهو أنجح للحاجة[١].

٧ ـ إذا كتبت كتاباً فترّبه فإنّه أنجح للحاجة، والتراب مبارك[٢].

٨ ـ ترّبوا الكتاب، فإنّ التراب مبارك[٣].

٩ ـ ترّبوا الكتاب وسجوّه من أسفله، فإنّه أنجح للحاجة[٤].

١٠ ـ ترّبوا الكتاب فإنّه أعظم للبركة، وأنجح للحاجة[٥].

١١ ـ ترّبوا الكتاب، فإنّه أنجح له[٦].

١٢ ـ ترّبوا صحفكم، فإنّه أنجح لها[٧].

١٣ ـ إذا كتب أحدكم فليترّب كتابه، فهو أنجح[٨].

١٤ ـ ترّبوا الكتاب فإنّه أنجح للحاجة ـ الحديث ـ[٩].

١٥ ـ عن علي بن عطية، أنّه رأى كتاباً لأبي الحسنعليه السلام مترّبة[١٠].

أقول: قال العلّامة المجلسيرحمه الله في البحار[١١] في بيان شرح الحديث: أي يذرّ على مكتوبه بعد تمامه التراب، وقيل كناية عن التواضع فيه، وقيل المعنى جعله على الأرض عند تسليمه إلى الحامل ولا يخفى بعدهما.

---

(١) كنز العمّال ١٠: ١٤٥.

(٢) كنز العمّال ١٠: ١٤٥.

(٣) كنز العمّال ١٠: ١٤٥.

(٤) كنز العمّال ١٠: ١٤٥.

(٥) كنز العمّال ١٠: ١٤٥.

(٦) كنز العمّال ١٠: ١٤٥.

(٧) كنز العمّال ١٠: ١٩٢.

(٨) كنز العمّال ١٠: ١٤٤.

(٩) البحار ٧٦: ٤٩ وسفينة البحار ١: ١٢٢ والوسائل ٨: ٤٩٧.

(١٠) الوسائل ٨: ٤٩٧ عن الكافي.

(١١) البحار ٤٩: ١٠٤.

ولعلّ منشأ القولين البعيدين هو أنّ القائلين لم يتعقّلا التتريب بمعناه الحقيقي وهو ذرّ التراب على المكتوب، فأوّلا الحديث بجعل التتريب كناية عن التواضع في الكتاب، كالتواضع في المقال، أو التواضع في إعطاء الكتاب، وكلاهما بعيد كما ذكره العلّامة المحقّق رضوان الله عليه، ولا مناص من حمله على معناه الحقيقي، كما تشهد به ألفاظ الحديث، حيث قال ﷺ: «فإنّ التراب مبارك».

وفي رواية أنّه رأى كتاباً مترّباً. فإنّهما صريحان فيما قلنا، وقال في النهاية: وفيه أتربوا الكتاب، فإنّه أنجح للحاجة «يقال: أتربت الشيء؛ إذا جعلت عليه التراب.

فالأمر بجعل التراب على الكتاب لعلّه إمّا حفظاً لما كان سنّة جارية عند العرب من التفأّل بذلك، أو لعلّه من قولهم: «تربّت يداك» حيث يقال: تفأّلاً بالخير (على الخلاف في معناها كما في النهاية وأقرب الموارد)، أو كان ذلك للتواضع، بمعنى أنّ الكتاب أقلّ من أن يؤثر في الإنجاح، بل الله هو المعطي والمانع، أو هو تعبّد محض، وإن كان ذلك بعيداً.

ومنها: ما ورد في الاستشفاء بكتاب الله العزيز، وليس المراد من هذه الأحاديث الواردة: الاستشفاء بالعمل بكتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿**وشفاء لما في الصدور**﴾ بل المراد: الاستشفاء بالتبرّك بآياته الكريمة بالقراءة والنفث أو الكتابة والتعليق. فالكتاب الكريم مبارك بأي نحوٍ استشفي به، فمن عمل به فقد استشفى من الأمراض القلبية والمعنوية، كما قال تعالى: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ ومن تبرّك به لدفع أمراضه الجسمية الظاهرية، فقد استعاذ بكلام الله المجيد، واستشفى بكتابه العظيم، فها نحن نذكر نبذاً من الأحاديث الدالّة على ذلك، فمن أراد المزيد فعليه بمراجعة كتب الحديث في الأبواب المختلفة.

١ ـ «عالجيها بكتاب الله»[١].

٢ ـ «خير الدواء القرآن»[٢].

٣ ـ استشفوا بما حمد به الله نفسه قبل أن يحمده خلقه، وبما حمد الله به نفسه الحمد لله. وقل هو الله أحد. فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله[٣].

٤ ـ «عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن»[٤].

٥ ـ «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله»[٥].

٦ ـ «تبرّك بالقرآن فهو كلام الله»[٦].

٧ ـ ما اشتكى أحد من المؤمنين شكاية قط وقال بإخلاص نيّته ـ ومسح موضع العلّة ـ: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ إلّا عوفي من تلك العلّة ـ الحديث ـ[٧].

٨ ـ يا ابن سنان! لا بأس بالرقية والعوذة والنشرة إذا كانت من القرآن، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله ـ الحديث ـ[٨].

٩ ـ في حديث: أنّ أبا سعيد الخدري كان يرقي «فجعل يقرأ بأمّ القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرئ فنقلوه إلى النبي ﷺ فقال: «وما أدراك أنّه رقية... الحديث[٩].

---

(١) كنز العمّال ١٠: ٤.

(٢) كنز العمّال ١٠: ٤ وابن ماجة ٢: ١١٦٩.

(٣) كنز العمّال ١٠: ٤.

(٤) كنز العمّال ١٠: ٤.

(٥) كنز العمّال ١٠: ٤.

(٦) كنز العمّال ١: ٤٦٣.

(٧) نور الثقلين ٣: ٢١٣.

(٨) نور الثقلين ٣: ٢١٤.

(٩) البخاري ٧: ١٧٠ / ١٧٣، والدر المنثور ١: ٤ عن أبي عبيد وأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم والبيهقي، وصحيح مسلم ٤: ١٧٢٧ ـ ١٧٢٨.

١٠ ـ عن ابن عبّاس في حديث: «فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاة فبرئت...» الحديث(١).

١١ ـ عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا آوى إلى فراشه نفث في كفّيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعاً، ثمّ يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده ـ الحديث(٢) ـ.

١٢ ـ عنها: أنّ النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات ـ الحديث(٣) ـ.

١٣ ـ عن عبدالله بن جابر أنّ رسول الله ﷺ قال له: ألا أخبرك بأخير سورة نزلت في القرآن؟ قلت: بلى يارسول الله، قال: فاتحة الكتاب. وأحسبه قال: فيها شفاء من كلّ داء(٤).

١٤ ـ عن السائب بن يزيد قال: عوّذني رسول الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفلاً(٥).

١٥ ـ عن أبي سعيد الخدري، أنّ رسول الله ﷺ قال: فاتحة الكتاب شفاء من السمّ(٦).

١٦ ـ عن عبد الملك بن عمير، قال: قال رسول الله ﷺ: فاتحة الكتاب شفاء من كلّ داء(٧).

١٧ ـ قال: هي أمّ القرآن وهي شفاء من كلّ داء (في حديث قرأ بعض الفاتحة

---

(١) البخاري ٧: ١٧١، والدر المنثور ١: ٤ عن أحمد والبخاري والبيهقي.

(٢) البخاري ٧: ١٧٢، والدر المنثور ٦: ٤١٥ عن ابن أبي شيبة والبخاري وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٣) البخاري ٧: ١٧٤، وقريب منه في سنن ابن ماجة ٢: ١١٦٦.

(٤) الدر المنثور ١: ٤ عن أحمد والبيهقي في شعب الايمان.

(٥) الدر المنثور ١: ٤ عن الطبراني في الأوسط والدارقطني في الافراد وابن عساكر بسند ضعيف.

(٦) الدر المنثور ١: ٥ عن سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في شعب الايمان.

(٧) الدر المنثور ١: ٥ عن الدارمي والبيهقي.

على رجل جريح فبرئ)[١].

أقول: هذه الأحاديث قليل من كثير أخرجها العلماء في الاستشفاء بالقرآن، ونحن نقتنع منها بهذا المقدار، فمن أراد الوقوف على أكثر من هذا فليراجع كتب الحديث من الصحاح وغيرها، والدر المنثور في تفسير الفاتحة، والتوحيد، والمعوّذتين.

وأضف إلى ذلك ما ورد عن النبي ﷺ والصحابة[٢] في الرقية والتعويذ والنشرة بغير القرآن من الدعاء والذكر، فتدبّر فيها كي تدلّك على معتقد الصحابة في كون التبرّك والتوسّل والاستشفاء بالقرآن والأذكار وبعض الأشياء، هو غير الشرك والكفر ولكنّه قد يكون كفراً وشركاً، إذا اعتقد الاستقلال في التأثير، وقد يكون حراماً وذلك إذا اعتقد أنّه وارد في الشرع ولم يكن وارداً فيه، من دون اعتقاد باستقلال هذه الأشياء في التأثير، وفي صحيح مسلم[٣]: «لا بأس بالرقى ما لم يكن شرك»، وعليه يحمل ما ورد من أنّ الرقية شرك.

ومنها: ما ورد في وادي العقيق، وقد مرّ الإيعاز إليها سابقاً، ونأتي هنا بما ظفرنا به بعده وذلك مثل:

قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة آتٍ من ربّي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك» يعني العقيق[٤].

---

(١) الدر المنثور ١: ٥ عن الثعلبي.

(٢) راجع البخاري كتاب المرضى والطب والجنائز والدعوات وابن ماجة كتاب الطب والجنائز ومسند أحمد ١: ٧٦ / ٢٨١ و٣: ١٥١ / ٢٦٧ / ٤١٨ و٤: ٢٥٩ و٦: ٤٤ / ٤٥ / ١٠٩ و١١٥ / ١٢٦ / ١٢٧ / ١٣١ / ٢٦١ / ٢٧٨ / ٣٣٢ / ٤٣٨ (وراجع كلمة الرقية والشفا وبرك من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث) وفتح الباري ١٠: ١٦٥ / ١٦٨ / ١٦٩ وما بعدها ومستدرك الحاكم ٤: كتاب الرقي والتمائم.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٧٢٧.

(٤) كنز العمّال ٥: ٢١ ووفاء الوفاء ٣: ١٠٣٧.

قال عمر بن الخطّاب حين بني مسجد رسول الله ﷺ : «ما ندري ما نفرش في مسجدنا؟ فقيل له: افرش الخصف والحصير قال: هذا الوادي المبارك فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العقيق واد مبارك»[١].

قدم سفيان بن عبدالله الثقفي على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ومسجد النبي ﷺ غير محصوب فقال: أما واد لكم؟ فقال عمر: بلى، قال: فاحصبوه منه فقال عمر: احصبوه من هذا الوادي المبارك يعني العقيق»[٢].

«عن ابن عمر: أري وهو في معرّسه بذي الحليفة ببطن الوادي قيل له: إنّك ببطحاء مباركة»[٣].

وقد تقدّم الكلام في معرّسه ﷺ في بيان الأماكن التي أقام فيها رسول الله ﷺ فراجع.

«عن عمر مرفوعاً: «العقيق واد مبارك»[٤].

«اضطجع النبي ﷺ بالعقيق فقيل له: إنّك في واد مبارك»[٥].

«عن النبي ﷺ أنّه قال: وإنّي لأراني بالوادي المبارك»[٦].

«عن عمر: اذهبوا بنا إلى هذا الوادي المبارك وإلى الماء الذي لو جاءنا جاء من حيث جاء لتمسّحنا به»[٧].

«عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر...﴾ الآية قال: يعني ماء العقيق[٨].

---

(١) وفاء الوفاء ٢: ٦٥٦.

(٢) وفاء الوفاء ٢: ٦٥٦ و٣: ١٠٣٨.

(٣) وفاء الوفاء ٣: ١٠٣٧.

(٤) وفاء الوفاء ٣: ١٠٣٧.

(٥) وفاء الوفاء ٣: ١٠٣٧.

(٦) وفاء الوفاء ٣: ١٠٣٨.

(٧) وفاء الوفاء ٣: ١٠٣٨.

(٨) البحار ٦٦: ٤٤٩.

للعلّامة المجلسي رحمه الله في معنى الحديث كلام ينبغي مراجعته، تركناه مخافة الإطالة.

ومنها: التبرّك بالأيّام، حيث يأمرون بالخروج في يوم معيّن:

١ ـ في حديث عن علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام «اخرج يوم الثلاثاء»[(١)].

استقصاء في التحقيق والنقد

إنّ ما تقدّم من الأحاديث قليل من كثير ممّا أخرجه أعلام الحديث والتاريخ ورواه العلماء الكبار من الفريقين... وهذه الأخبار تدلّ على ترغيب النبي ﷺ قولاً وعملاً في التبرّك، وحثّه على الاستشفاء والتوسّل، وعلى ذلك جرى عمل الصحابة رضي الله عنهم، كما تقدّم بما لا مزيد عليه.

فيستفاد من هذه الأخبار الكثيرة جدّاً، الاستحباب والمطلوبية عند الله وعند نبيّه الأقدس ﷺ، فكيف بالجواز والرخصة، نعم إذا استلزم الشرك بأن اعتقد المتبرّك والمستشفي والمتوسِّل استقلال الشيء المتبرَّك به والمستشفى به والمتوسَّل به في التأثير، كان حراماً وكفراً، وكذا إذا استلزم البدعة، وإدخال ما ليس من الدين فيه، أو التبرّك بما ليس بمؤثِّر، فإنّه يكون حراماً من أجل استلزامه البدعة، أو زعم الأثر في شيء ليس هو كذلك، إلّا أن يكون الزاعم والمتبرّك جاهلاً معذوراً.

والمسلمون بأجمعهم لا يرون المؤثّر الحقيقي إلّا الله سبحانه وتعالى، وكلّ ما دونه مخلوق مربوب له، وصائر إليه، ومطيع له ولا حول ولا قوّة إلّا به، والأمر كلّه لله، وكلّ مؤثّر سواه وسائط وأسباب وعلل ومعلولات، فالكلّ قادر بقدرته،

---

(١) البحار ٥٩: ٣٧.

وفاعل بقوّته، ومالك بإعطائه، وسبب بتسبيبه، وعـلّة بجعله، ومشيئته، فهم يتوسّلون بالوسائط إليه، ويتسبّبون بالأسباب إلى لطفه ورحمته، فحيث إنّ الكلّ له ومنه وإليه، فـفي الحقيقة يتوسّلون به إليه، ويستشفعون، ويستشفون، ويتبرّكون به.

فهذه الأخبار المرغّبة ما هي إلّا تنبيه للإنسان إلى ابتغاء الوسيلة والتوسّل بالأسباب، ومن الواضح أنّ الله تعالى يجري الأشياء بأسبابها، ويجب على الإنسان أن يأتي من الأبواب، ويهيّئ الأسباب، ويؤمن بتقدير الله تعالى، ويذعن بالعلل وتأثيرها، ويسعى في إيجادها وتوجيهها نحو المطلوب.

فكما أنّ الإنسان يستفيد من الدواء ويراجع الأطبّاء، فكذلك يتوسّل بالدعاء ويستشفع الأولياء، ويستشفي ويتبرّك بما أكرمه الله وأحبّه، فهذه كلّها داخلة في سلسلة العلل، ومندرجة في أسباب القدر.

فإذن لا استبعاد في أن تجري إرادة الله سبحانه بإعطائه ما نواه من شرب ماء زمزم؛ من المقاصد المادية والمعنوية، كما نطقت به الأحاديث الكثيرة، حتى يذهب بالنفاق، وينبت في القلب الايمان، ويشفي المريض، ويذهب بالصداع، وبعطش يوم القيامة، وكذلك ماء ميزاب الكعبة المكرّمة، أو كسوتها.

ولا عجب إذن في الاستشفاء بتراب المدينة، ونبات أحُد، كما أنّه ليس ببدع من الألطاف الإلهية أن يجعل في سؤر المؤمن شفاءً وبركة، وفي ماء الفرات أثراً في إيجاد الايمان والولاية.

ولا مانع عقلاً ولا عادة من إكرام الله أمير المؤمنين عليّاً صلوات الله عليه في جعل الأثر في تراب قدميه وفضل طهوره؛ لأنّه وليّه وحامل علمه، وناصر نبيّه، وأحد الثقلين، ولا سيما إذ أخبر النبي العظيم بهذه المكرمة له عليه السلام، فكيف بعرق وجهه ونفثه ومسّ يده وقبره وضريحه؟! ولا يسوغ لأحد إنكار ذلك بعد نقل

فطاحل الأعلام له في كتبهم متظافراً بل متواتراً.

وتتريب الكتاب قد وردت به الروايات من طرق الفريقين، فلا يصغى إلى ما ذهب إليه الترمذي من التضعيف بعد نقل الأعاظم به بإسناد صحيح، كما في الوسائل عن الكافي، وقرب الاسناد، وكما في البحار، فنحن نتبرّك به تعبّداً، وإن لم يتّضح وجهه لنا كما أشرنا إليه.

والاستشفاء بكتاب الله والتبرّك بكلام الله تعالى ممّا لا ارتياب فيه، بعد دلالة القرآن الكريم، والأخبار المتظافرة الواردة في الصحاح وغيره عليه، وكذا الرقية بالدعاء والأذكار.

خاتمة المطاف

هذا غاية ما ساعدنا التوفيق في جمع الأدلّة من الأحاديث المروية في التبرّك بآثار الرسول ﷺ من كتب الفريقين العامّة والخاصّة، وقد أتى بحمد الله ومنّه سبحانه وتعالى بمقدار يكفي المنصف، ويهدي المتحرّي المستسلم للحقّ، والمذعن بالواقع.

وقد طبع ما سردنا من الأدلّة في المجلّة الدينية العلمية «الهادي» في جامعة قم صانها الله عن الحدثان، سلسلة مقالات سنة ١٣٩٨هـ. وبعد ذلك جمعناها ورتّبناها وأضفنا إليها من المصادر الأُخر، والأحاديث التي عثرنا عليها بعد، ومن التحقيقات واللطائف التي استنفدناها من الأدلّة، فجاءت بهذه الصورة الموجودة.

وبعد ذلك نعتذر إلى المولى سبحانه وإلى القرّاء الكرام، من قصور الباع وكلل اليراع، والعجز في البيان والسهو والنسيان.

ومن اللّازم إيقاف الباحثين بأنّا قد نقلنا لفظاً من الحديث، وذكرنا مصادر كثيرة له، مع أنّ ألفاظها فيها خلاف لا يضرّ كثيراً بالمقصود، وتركنا الإشارة إليه

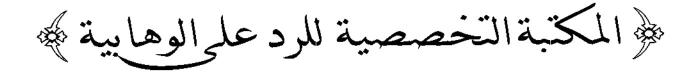
في الغالب، اعتماداً على تحقيق القارئ في المراجعة، وخوفاً من الإطالة بذكره مع عدم نفع عائد.

ومن الواجب أيضاً أن يعلم الباحث المحقّق أنّا لا نعتمد على حديث إلّا على شرائط من الصحّة والوثاقة، ولكن الأحاديث المندرجة في هذه الرسالة لكثرتها وبلوغها حدّ التواتر أو التظافر؛ لم تحتج إلى الدقّة في الاسناد، ونقد رجالها، فلو وقع هنا لفظ منها وكان مشتملاً على خلل وإشكال، فلابدّ من التحقيق والتدقيق والنقد والتعميق.

بحث حول مسألة التقبيل شرعاً

«جوازاً ومنعاً»

الفصل الثاني



الكلام حول مسألة التقبيل شرعاً ـ «جوازاً ومنعاً»

التقبيل بحسب البواعث الداعية والأشخاص ينقسم إلى أقسام ويختلف حكمه باختلاف أقسامه:

القسم الأوّل:

ما يقع من أجل الالتذاذ بمقتضى الغريزة البشرية ؛ لأنّ الإنسان مفطور على الميل للالتذاذات الجسدية والنفسانية ، ومنها التقبيل ، وذلك لا يختص بجيل دون جيل ، ولا بزمان ومكان دون آخر .

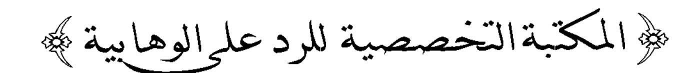
وقد وردت أحاديث كثيرة تدلّ على جواز هذا النوع ضمن الدائرة المحلّلة له كسائر اللذائذ ، إلّا ما حرّمه الله تعالى بلسان نبيّه الأقدس صلى الله عليه وآله .

القسم الثاني:

ما يقع عن رحمة وعطف وحنان ، إذ الإنسان قد يظهر عطفه وحنانه وحبّه بالنسبة إلى الآخر بالمصافحة والمعانقة والتقبيل ، وهذا كتقبيل الإنسان أولاده وأبويه ومن يحبّه ويهواه من أهل بيته وعشيرته وأصدقائه وأحبّته .

وهذا القسم لا إشكال أيضاً في جوازه لوجوه :

الأوّل : الأحاديث الواردة الدالّة على مطلوبيّة التعاطف والتوادد ، وإظهار الرحمة والودّ والحبّ للمؤمن ، وهذه الأخبار كثيرة جدّاً ، بحيث لا تخفى على من له



أدنى إلمام بكتب الحديث والسنن والصحاح، قال سبحانه وتعالى في مدح المؤمنين: ﴿أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم﴾ وفي السنّة: «التودّد إلى الناس نصف العقل»[١].

ومن الطرق العقلائية لإظهار المحبّة والتعاطف: المصافحة والتقبيل والمعانقة، فلا يحتاج إثبات استحباب تقبيل المؤمن إلى دليل آخر بعد وجود هذه العمومات، بل عدم الاستحباب أو الحرمة والكراهة يحتاج إلى دليل مخصّص للعمومات.

نعم، إذا كان في التقبيل إظهار الودّ للكافر والمنافق ممّن أمر الله سبحانه بمعاداتهم، أو ركون إلى الظالم، أو إعانة له أو ترويج للباطل وتقوية للكفر والفسق أو إهانة للحق وأهله، أو غير ذلك من العناوين المبغوضة للشارع المحرّمة في الشرع كان حراماً بلا ريب، بل التقبيل كسائر الأفعال يكون موضوعاً للأحكام الخمسة.

الثاني: الأخبار الخاصّة الواردة في المسألة وإليك نصوصها:

١ ـ عن يونس بن ظبيان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ لكم لنوراً تعرفون به في الدنيا، حتى أنّ أحدكم إذا لقي أخاه قبّله في موضع النور من جبهته»[٢].

قوله عليه السلام: «تعرفون» على بناء المجهول، كأنّه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾[٣] ولا يلزم أن تكون المعرفة عامّة، بل تعرفهم بذلك الملائكة والأئمّة صلوات الله عليهم كما ورد في قوله تعالى: ﴿إنّ في ذلك لآيات للمتوسمين﴾[٤] إنّ المتوسمين هم الأئمّة عليهم السلام ويمكن أن يعرفهم بذلك بعض الكمّل من المؤمنين أيضاً، وإن لم يروا النور ظاهراً، وتفرّس أمثال هذه الأمور قد

---

(١) راجع كتاب العشرة من البحار ٧٤: ٧٥/، وأصول الكافي ج ٢.

(٢) أصول الكافي ٢: ١٨٥، والوسائل ٨: ١٦٦، ومستدرك الوسائل ٢: ٩٨، ومرآة العقول ٩: ٧٨ ـ ٧٩ والبحار ٧٦: ٣٧.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

(٤) سورة الحجر: ٧٥.

يحصل لكثير من الناس بمجرّد رؤية سيماهم بل لبعض الحيوانات أيضاً، كما أنّ الشاة إذا رأت الذئب تستنبط من سيماه العداوة، وإن لم تره قبل ذلك أبداً ومثل ذلك كثير.

وقوله: «حتى أنّ أحدكم» يحتمل وجهين:

الأوّل: أنّ الله تعالى إنّما جعل موضع القبلة المكان الخاصّ من الجبهة؛ لأنّه موضع النور.

والثاني: أنّ المؤمن إنّما يختار هذا الموضع لكونه موضع النور واقعاً، وإن لم ير النور ولم يعرفه، ويدلّ على أنّ موضع التقبيل في الجبهة[1].

وعلى كلّ حال هذا الحديث يدلّ على جواز التقبيل، وأنّ المستحبّ أن يكون موضع ذلك الجبهة؛ للعلّة المذكورة.

٢ ـ عن علي بن جعفر عن أبي الحسن عليه السلام قال: ومن قبّل (للرحمة خ ل) للرحم ذا قرابة فليس عليه شيء وقبلة الأخ على الخدّ وقبلة الإمام بين عينيه[2].

من قبّل للرحم أي لا للشهوة والأغراض الباطلة، وقبلة الأخ أي النسبي أو الإيماني، وقبلة الإمام ـ الظاهر أنّه إضافة إلى المفعول وقيل إلى الفاعل ـ أي قبلة الإمام ذا قرابة بين العينين، وكأنّه ذهب إلى ذلك لفعل النبي صلى الله عليه وآله ذلك بجعفر رضي الله عنه. ولا يخفى ما فيه[3].

فإن كان للأغراض الباطلة كالعناوين المتقدّمة، أو العناوين المكروهة، كان حراماً أو مكروهاً.

---

(١) البحار ٧٦: ٣٧، ومرآة العقول ٩: ٧٨ ـ ٧٩ ونقلناه لمزيد الإفادة.

(٢) أصول الكافي ٢: ١٨٦، والوسائل ٨: ٥٦٥، ومرآة العقول ٩: ٨٢، والبحار ٧٦: ٤٠، ومستدرك الوسائل ٢: ٩٨ وزاد: «وليس عليه شيء وقبلة الأمّ على الفم».

(٣) مرآة العقول والبحار في شرح الحديث.

٣ ـ عن أبي الصباح مولى آل سام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس القبلة على الفم إلّا للزوجة (أ ـ خ ل) والولد الصغير[١].

٤ ـ عليّ بن جعفر في كتابه عن أخيه، قال: سألته عن الرجل أيصلح له أن يقبّل الرجل أو المرأة؟ قال: الأخ والابن والأخت والابنة ونحو ذلك فلا بأس[٢].

أتى عليه السلام بأمثلة عن موارد التقبيل للعطف والرحمة والحبّ، وإن كان السؤال عامّاً يشمل جميع الأقسام، وحكم في ذلك كلّه بعدم البأس.

٥ ـ قال: إذا قدم أخوك من مكّة فقبّل بين عينيه، وفاه الذي قبّل به الحجر الأسود الذي قبّله رسول الله صلى الله عليه وآله، والعين التي نظر بها إلى بيت الله، وقبّل موضع سجوده ووجهه... الحديث[٣].

ظاهر الحديث يفيد أنّ المراد هو التقبيل للتبرّك؛ لقوله: «الذي قبّله رسول الله صلى الله عليه وآله» وكذا قوله: «العين التي نظر بها إلى بيت الله، وقبّل موضع سجوده» ولكن ذكر الوجه يعطي أنّ المراد التقبيل للحبّ والحنان، فتكون الجمل السابقة لبيان الحكمة المورثة للحبّ والعطف. ويحتمل أن يكون المراد كلا التقبيلين فأتى لكلّ منهما بمثال.

٦ ـ عن ابن بسطام قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فأتى رجل فقال: جعلت فداك، إنّي رجل من أهل الجبل وربما لقيت رجلاً من إخواني فالتزمته فيعيب عليّ بعض الناس، ويقولون، هذه من فعل الأعاجم وأهل الشرك، فقال عليه السلام: ولِمَ ذاك فقد التزم رسول الله صلى الله عليه وآله جعفراً وقبّل بين عينيه[٤]؟!

(١) أصول الكافي ٢: ١٨٦، والوسائل ٨: ٥٦٥، والمستدرك ٢: ٩٨، ومرآة العقول ٩: ٨٣، والبحار ٧٦: ٤١.
(٢) الوسائل ٨: ٥٦٦.
(٣) الوسائل ٨: ٥٦٦، والبحار ٩٩: ٣٨٥.
(٤) البحار ٧٦: ٤٣.

٧ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا قبّل أحدكم ذات محرم قد حاضت: أخته أو عمّته أو خالته، فليقبّل بين عينيها ورأسها، وليكفّ عن خدّها وعن فيها[١].

فتحصّل من هذه الأخبار: أنّ التقبيل للرحمة والتعطّف جائز، وقد عيّن في هذه الأحاديث موضع القبلة، وأنّ التقبيل للتبرّك أيضاً لا بأس به، وفيها إيعاز إلى أنّ العامّة لا يرخّصون في الالتزام، وأجاب الإمام عليه السلام بالجواز، مستدلاً بفعل النبي صلى الله عليه وآله وأنّه التزم جعفراً وقبّله، والالتزام هو المعانقة.

الثالث: الأخبار الدالّة على السيرة العمليّة للنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام والصحابة الكرام في ذلك، فلابدّ من نقل نصوصها حتى يكون القارئ على بصيرة، فهاك النصوص:

الأخبار الدالّة على تقبيل النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته

تقبيله صلى الله عليه وآله عليّاً:

١ ـ عن ابن عبّاس: أنّ عليّاً دخل على النبي صلى الله عليه وآله فقام إليه وعانقه وقبّل بين عينيه[٢].

٢ ـ لمّا رجع عليّ عن بعض المغازي؛ استقبله النبي صلى الله عليه وآله، وقبّل ما بين عينيه[٣].

٣ ـ عن أبي ذرّ الغفاري قال: كنّا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد قبا... فإذا نحن بعليّ بن أبي طالب عليه السلام قد طلع، قام النبي صلى الله عليه وآله فاستقبله وعانقه، وقبّل ما بين عينيه[٤].

(١) البحار ٧٦: ٤٢.

(٢) ينابيع المودّة: ٢٠٤ عن أبي الخير القزويني والاتحاف بحبّ الأشراف: ٩.

(٣) نور الثقلين ٥: ٦٥٥، وذخائر العقبى: ٦٧، ٩٥ بأسانيد متعدّدة.

(٤) البحار ٣٨: ١٠٧.

٤ ـ عن أنس قال: صعد النبيﷺ المنبر، فذكر قولاً كثيراً ثمّ قال: أين عليّ؟ فوثب إليه فضمّهﷺ إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه(١).

٥ ـ قال: كنت أنا والعبّاس جالسين عند النبيﷺ، إذ دخل عليّ فسلّم فردّ عليه النبيﷺ السلام، وقام إليه وعانقه وقبّل ما بين عينيه(٢).

٦ ـ عن أنس بن مالك قال: قال لي رسول اللهﷺ: يا أنس اسكب لي وضوءاً... فخرجت فتحت (يعني الباب)، فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام فدخل يتمشّى فرأيت رسول اللهﷺ حين رآه وثب على قدميه مستبشراً فلم يزل قائماً؛ وعليّ يتمشّى حتى دخل البيت فاعتنقه رسول اللهﷺ، فرأيت رسول اللهﷺ يمسح بكفّه وجهه فيمسح به وجه عليّ ويمسح عن وجه عليّ بكفّه فيمسح به وجهه... الحديث(٣).

٧ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أقبل رسول اللهﷺ يوماً واضعاً يده على كتف العبّاس، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فعانقه رسول اللهﷺ وقبّل بين عينيه(٤).

ظاهر هذه الأحاديث هو كون التقبيل لإظهار الحبّ والودّ والتعاطف والتراحم، ولكن القرائن تشهد بكونه تقبيل تبرّك أو احترام.

الأوّل: فلما نقلناه من مسحهﷺ وجه عليّ عليه السلام بكفّه ثمّ مسحه وجهه عقيب مسحه وجه نفسه، ثمّ مسحه وجه عليّ عليه السلام، وقد تقدّم في فصل تبرّك الصحابة بمسحهﷺ أنّه: «مسح عرق وجه عليّ عليه السلام فمسح به وجهه» وتكلّمنا على الحديث ثمّة، ولا عجب في تبرّك النبيﷺ بعرق وجه وصيّه المنصوص من الله سبحانه، بعد النصوص التي قدّمناها الدالّة على حثّهﷺ على التبرّك بعليّ عليه السلام بقولهﷺ: «والذي

(١) ينابيع المودّة: ٢١٣ عن شرف النبوّة لابن سعد.

(٢) ينابيع المودّة: ٢٦٦، ٣٠٠ عن أبي الخير الفاكهي وكنوز المطالب.

(٣) البحار ٣٨: ١٢٨.

(٤) البحار ٣٨: ٦٥.

نفسي بيده لولا أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم؛ لقلت فيك مقالاً لا تمرّ بأحد من المسلمين إلّا أخذوا تراب قدميك يطلبون البركة» أو «إلّا أخذوا تراب رجليك وفضل طهورك يستشفون به» إذ هو ﷺ الذي هداهم إلى ولايته وإلى مقاماته العالية المعنوية، حتى حثّهم على التبرّك به، ثمّ عمل بما قال تحريضاً لهم وترغيباً وتشريفاً.

وأمّا الثاني: فلما دلّ عليه قيامه واستقباله من الاحترام والإكرام، ويحتمل أن يكون تقبيل رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام عملاً ناشئاً من الكلّ، فيكون صادراً عن قلب مليء بالحبّ والإكرام، ويتبرّك أيضاً به، ولا منافاة بينها.

تقبيله ﷺ فاطمة عليها السلام

١ ـ كان النبي ﷺ كثيراً ما يقبّل عرف فاطمة عليها السلام.

٢ ـ كان النبي ﷺ يقبّل فاطمة عليها السلام وفاطمة تقبّله.

٣ ـ عن عائشة أمّ المؤمنين: «ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ودلّاً ـ وفي رواية: حديثاً وكلاماً ـ برسول الله ﷺ من فاطمة، وكان إذا دخلت عليه قام إليها فأخذها بيدها فقبّلها وأجلسها في مجلسه. وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبّلته وأجلسته مجلسها».

وفي رواية عنها أيضاً:

«ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلّاً وهدياً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قالت: وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأجلسته في مجلسها، فلمّا مرض النبي ﷺ دخلت فاطمة عليها السلام فأكبّت عليه فقبّلته».

وفي رواية عنها أيضاً :

«ما رأيت من الناس أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة عليها السلام كانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقبّل يديها وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به وقبّلت يديه...» الحديث.

توجد هذه النصوص في كتب علمائنا الإمامية رضوان الله عليهم كثيراً، وإن شئت الوقوف عليها فراجع البحار ٤٣: ٢٥ و٤٣: ٤٤؛ وسفينة البحار ٢: ٣٧٤.[1]

٤ ـ قدم رسول الله ﷺ في غزاة... فأتى فاطمة عليها السلام، فبدأ بها قبل بيوت أزواجه، فاستقبلته على باب البيت فاطمة فجعلت تقبّل وجهه.

وفي لفظ «فاه وعينيه وتبكي...». الحديث[2].

٥ ـ عن أبي جعفر (محمد بن علي) الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: أنّه كان

---

(١) وفي كتب علماء أهل السنّة راجع الترمذي ٥: ٧٠٠، وأهل البيت لتوفيق علم: ١٤٤، والسيرة الحلبية ٣: ٥٦، والاستيعاب ٤: ٣٧٧، وسنن أبي داود ٤: ٣٥٥.

وهامش إحقاق الحقّ ١٠: ٢٥٠ عن سنن السجستاني والترمذي والاستيعاب والأدب المفرد للبخاري، والمستدرك للحاكم ٣: ١٥٩ وفيه: «وكانت هي إذا دخل عليها رسول الله ﷺ قامت إليه مستقبلة وقبّلت يده» والسنن الكبرى للبيهقي ٧: ١٠١، والعقد الفريد ٢: ٣، ومقتل الحسين للخوارزمي: ٥٤، وذخائر العقبى: ٤٠ ـ ٤١ وفضل الله الصمد للجيلاني والمدخل لابن الحاج وسنن الهدى ووسيلة المآل ونظم درر السمطين للزرندي، وتاريخ الإسلام للذهبي، وجامع الأصول للجزري، ومشكاة المصابيح للخطيب كلّهم رووه عن عائشة.

وفي الهامش أيضاً ١٠: ٢٥٤ عن فتح الباري ٨: ١١١ (وفي نسخة ط بيروت عندي: ١٠٣) عن أبي داود والترمذي وابن حبان والحاكم والثغور الباسمة للسيوطي: ١٢، وأعلام النساء ٣: ١٢١٧ والشرف المؤبّد: ٥٣، وفتح الملك المعبود ٣: ٢٢٣ ومعالم العترة للجنابذي ومرآة الجنان لليافعي: ٦١ والاتحاف للزبيدي وذخائر المواريث للنابلسي، وينابيع المودّة: ١٧٢، وروضة الأحباب وإسعاف الراغبين والأنوار المحمّدية ومشارق الأنوار ومفتاح النجا، كلّهم رووه عن عائشة.

(٢) كنز العمّال ١: ٢٧٢ ومنتخبه هامش مسند أحمد ١: ٥٣، وراجع البحار ٤٣: ٤٠.

ويدعو لها[١].

٦ ـ كان النبي ﷺ إذا اشتاق إلى الجنّة قبّل فاطمة عليها السلام[٢].

٧ ـ عن جابر بن عبدالله قال: قيل: يارسول الله إنّك تلثم فاطمة وتلزمها وتدنيها منك وتفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتك، فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام أتاني بتفاحة من تفاحة الجنّة... فأنا أشمّ منها رائحة الجنّة[٣].

٨ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام فأنكرت ذلك عائشة، فقال رسول الله ﷺ... فما قبّلتها قط إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى[٤].

٩ ـ عن عائشة: أنّ النبي ﷺ قبّل يوماً نحر فاطمة.

وزاد الملّا في سيرته «فقلت: يارسول الله فعلت شيئاً لم تفعله فقال: يا عائشة إنّي إذا اشتقت إلى الجنّة قبّلت نحر فاطمة[٥].

١٠ ـ في حديث آية التطهير: «**وأخذ عليّاً بإحدى يديه فضمّه إليه وأخذ فاطمة باليد الأخرى فضمّها إليه**»[٦].

---

(١) البحار ٤٣: ٤٢ عن المناقب وص ٥٥/ ٧٨.

(٢) نزهة المجالس ٢: ١٧٩ عن النسفي.

(٣) البحار ٤٣: ٥ عن العلل.

(٤) البحار ٤٣: ٦ عن تفسير علي بن إبراهيم.

(٥) راجع ذخائر العقبى: ٣٦، وينابيع المودّة: ١٩٧، ٢٩٠، وهامش إحقاق الحقّ ١٠: ٨٥/ ٢٣٨ عن ذخائر العقبى والحربي والملا في سيرته وكنوز الحقائق للمناوي وص ١١٩ عن ابن عساكر والجامع الصغير وينابيع المودّة: ٢٦٠، ووسيلة المآل للحضرمي وراموز الأحاديث للشيخ أحمد والفتح الكبير للنبهاني والأنوار المحمّدية له، والبحار ٤٣: ٤٢ عن الشافعي والزهري وسعيد بن المسيب كلّهم عن سعد بن أبي وقاص وعن أبي معاذ النحوي وأبي قتادة عن سفيان الثوري بسنده عن عائشة وعن شرف النبي والاعتقاد للأشنهي والرسالة للسمعاني والأربعين للمؤذن والفضائل لأبي السعادات عن الصادق عليه السلام.

(٦) كنز العمّال ١٦: ٢٥٦، وذخائر العقبى: ٢٢/ ٤١ عن الترمذي وأبي داود والنسائي وأبي حاتم، ومسند ←

هذه الأحاديث حيث تدلّ على تقبيل والد كريم عطوف رؤوف رحمة للعالمين كريمته التي هي بضعته وروحه التي بين جنبيه، وواحدته التي يريبه ما رابها، ويؤذيه من آذاها، ويرضيه من أرضاها، التي تمثّلت فيها آماله ومنها ذريّته وأولاده.

فيسبق إلى خاطر كلّ مطالع وقارئ أنّه تقبيل رحمة وحنان لا غير، ولكن إذا تدبّرنا في قيامه ﷺ إذا دخلت عليه، وأنّه يقبّل نحرها وصدرها وعرفها وعرض وجهها ويديها ويلثمها ويلزمها ويلتزمها ويجلسها في مجلسه، ويعلّل ذلك تارةً بأنّه يجد منها رائحة الجنّة، وأخرى بأنّه يشمّ منها ريح شجرة طوبى، وأنّه إذا اشتاق إلى الجنّة قبّلها، نعلم أنّ هذا التقبيل قد اندرج فيه معاني لطيفة، من عطوفة الأبوّة، وتكريم وتعظيم لمن يرضى الله برضاها، ويغضب لغضبها، وأنّها حوراء أنسية، وإجلال لمن خُلقت من تفاحة الجنّة للجنّة، ويفوح منها رائحتها، ورائحة طوبى، فهذا تقبيل رحمة، وتقبيل إجلال وإعظام.

تقبيله ﷺ الحسن والحسين وإبراهيم عليهم السلام

١ ـ قبّل الرسول ﷺ الحسن والحسين بعد أن وجدهما[1].

٢ ـ عن أبي هريرة قال: أبصرت عيناي هاتان وسمعت أذناي رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفّي حسين، وقدماه على قدم رسول الله ﷺ، وهو يقول: ترّق عين بقة قال:

← أحمد ٦: ١٧٢ / ٢٩٦ / ٣٠٤، والينابيع: ٢٢٨ ـ ٢٢٩ (والتاريخ الكبير للبخاري ٤: ق٢: ٤١٥، وسنن ابن ماجة ١: ٦٤، والطبراني في المعجم الكبير: ١٣٠، ومسند أحمد ٤: ١٧٢ والأدب المفرد للبخاري، كلّهم في هامش إحقاق الحقّ ١١: ٢٦٥ رووا ذلك).

(١) راجع نزهة المجالس ٢: ١٨٧، وينابيع المودّة: ٢٢٧ / ٣٢٨، وكنز العمّال ١٦: ٢٧٤ ـ ٢٧٦، والبحار ٤٣: ٢٦١، وذخائر العقبى: ٢٤ عن مسلم وص ١٢٢ / ١٢٦ / ١٣٣ / ١٤٧، وفتح الباري ٤: ٢٨٦ ـ ٢٨٧، ومسند أحمد ٢: ٢٢٨ ونور القبس: ٢٥٢ والبخاري ٣: ٨٧.

فرقي الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثمّ قال له: افتح فاك ثمّ قبّله[١].

٣ ـ عن يعلى بن مرّة: أنّهم خرجوا مع النبي ﷺ فإذا الحسين يلعب في السكّة فتقدّم النبي ﷺ أمام القوم، وبسط يديه، فجعل الغلام يفرّ من هاهنا، وهاهنا ويضحك النبي ﷺ حتى أخذه؛ وجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه فقبّله... الحديث[٢].

٤ ـ عن خلف: أنّ النبي ﷺ أخذ حسناً فقبّله[٣].

٥ ـ روي أنّ رسول الله ﷺ كان يوماً مع جماعة ماراً في بعض طرق المدينة، وإذا هم بصبيان يلعبون، فجلس النبي ﷺ عند صبيّ منهم، وجعل يقبّل ما بين عينيه... فقال بعض الأصحاب: يارسول الله... قد شرّفته بتقبيلك... قال: فإنّي رأيت هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين، ورأيته يرفع التراب من تحت قدميه ويمسح به وجهه وعينيه[٤].

نقلت هذا الحديث هنا مع خروجه عن العنوان؛ لأجل أنّه ﷺ كان يقبّله لأجل الحسين عليه السلام، وتبرّك هذا الصبي بالحسين، أو إظهاره حبّه له، فيستفاد منه جواز التبرّك بتراب أقدام الأئمّة عليهم السلام، أو احترام تراب أقدامهم، وأنّ النبي ﷺ قبّل هذا الصبي، وعطف عليه من أجل ذلك.

٦ ـ كان النبي ﷺ يقبّل الحسين عليه السلام[٥].

---

(١) الاستيعاب هامش الإصابة ١: ٣٨٣، وكنز العمّال ١٦: ٢٥٩ / ٢٧٤ / ٢٧٦ بأسانيد متعدّدة.

(٢) ينابيع المودّة: ١١٦ / ٢٢٣، ومسند أحمد ٤: ١٧٢، والترمذي ١: ٥١.

(٣) الإصابة ١: ٤٧٣، ومسند أحمد ٢: ٢٤١ / ٥١٤ و٥: ٤٧ و٦: ٢٩٦ / ٣٠٥، والبخاري ٨: ٩ والترمذي ٤: ٣١٨، وأنساب الأشراف ٣: ٦.

(٤) المنتخب للطريحي ١: ٢٠٢ ـ ٢٠٣، والبحار ٤٤: ٢٤٢.

(٥) سنن أبي داود ٤: ٣٥٥ وينابيع المودّة: ٢٢٢ عن أبي حاتم وسعيد بن منصور وص٢٥٨ عن سليم و٣٢٤ ←

٧ ـ لقي أبو هريرة الحسن بن علي عليهما السلام في بعض طرق المدينة، فقال له: اِكشف لي عن بطنك فداك أبي، حتى أقبّل حيث رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّله فكشف عن بطنه فقبّل سرّته[1].

٨ ـ لمّا سمع عبدالله بن عمر بخروج الحسين عليه السلام إلى العراق قدّم راحلته وخرج مسرعاً، فأدركه في بعض المنازل... فلمّا أصرّ عليه بالرجوع ورأى إباءه عن الرجوع، قال: «يا أبا عبدالله، اكشف عن الموضع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّله منك فكشف الحسين عليه السلام عن سرّته، فقبّلها ابن عمر ثلاثاً وبكى... الحديث[2].

٩ ـ عن أنس بن مالك قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله على أبي سيف القين وكان ظئراً لإبراهيم (ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ رسول الله إبراهيم فقبّله وشمّه... الحديث[3].

١٠ ـ عن أبي جعفر ـ محمد بن علي الباقر عليه السلام ـ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه، ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: امسكه ثمّ يقع عليه فيقبّله ويبكي فيقول: يا أبة، لِمَ تبكي فيقول: يا بني أُقبّل موضع السيوف منك... الحديث[4].

← عن ابن أبي الدنيا و٣٣٣ / ٣٦٠.

وهامش إحقاق الحق ١١: ٣١٠ عن مجمع الزوائد وص٣١٢ عن مقتل الحسين للخوارزمي ومجمع الزوائد وذخائر العقبى وص٣١٣ عن مقتل الحسين وص٣١٤ عن ذخائر العقبى ووسيلة المآل وص٣١٦/٣٢٣ عن آخرين (نقلنا الحديث بالمعنى) وراجع البخاري ٣: ٨٧، ومسند أحمد ٣: ٢٦٩، وكنز العمّال ٢٢: ٧٧.

(١) راجع الإصابة ١: ١٥٦، ومسند أحمد ٢: ٢٥٥ / ٤٨٨ / ٤٩٣، وكنز العمّال ١٦: ٢٦٠، وأنساب الأشراف ٣: ١٨ وهامشه ففيه مصادر جمّة.

(٢) راجع البحار ٤٤: ٣١٣.

(٣) راجع البخاري ٢: ١٠٥، ومسلم ٤: ١٨٠٧ ـ ١٨٠٨ ومسند أحمد ٣: ١١٢، والإصابة ١: ٩٥.

(٤) البحار ١٠٠: ١١٩ عن كامل الزيارة.

١١ ـ عن أبي هريرة: أنّ الأقرع بن حابس أبصر رسول الله ﷺ وهو يقبّل حسيناً فقال: إنّ لي عشرة... الحديث[١].

تقبيله ﷺ عشيرته

١ ـ كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيد الله وكثيراً من بني العبّاس ثمّ يقول: من سبق إليّ فله كذا وكذا قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبّلهم ويلزمهم[٢].

٢ ـ لمّا قدم جعفر وأصحابه ـ من الحبشة ـ استقبله رسول الله ﷺ فقبّل ما بين عينيه.

كذا في الإصابة. وقال ابن الأثير: لمّا هاجر ـ يعني جعفراً ـ أقام بها عند النجاشي إلى أن قدم على رسول الله ﷺ حين فتح خيبراً، فتلقّاه رسول الله ﷺ واعتنقه وقبّل بين عينيه... الحديث[٣].

٣ ـ كان النبي ﷺ يقبّل العبّاس[٤].

٤ ـ عن علي بن يونس المديني قال: كنت جالساً عند مالك بن أنس، فإذا سفيان بن عيينة يستأذن بالباب، فقال مالك: رجل صالح صاحب سنّة أدخلوه،

---

(١) سنن أبي داود مع عون المعبود ٤: / ٥٢٤.

(٢) مسند أحمد ١: ٢١٤.

(٣) راجع أسد الغابة ١: ٢٨٧، والإصابة ١: ٢٣٧، وسنن أبي داود ٤: ٣٥٦، والمغازي للواقدي ٢: ٦٨٣، وذخائر العقبى: ٢١٤ ـ ٢١٥، والطبقات الكبرى ٤: ٢٣، والعقد الفريد ٢: ١٢٦/٤٤٦، وقاموس الرجال ٢: ٣٦٧، والسيرة الحلبية ٣: ٥٦، وفتح الباري ١١: ٥١، والوسائل ٨: ٥٥٩، وكتاب الصلاة باب صلاة جعفر، ومستدرك الوسائل ٢: ٩٨، وكنز العمّال ١٥: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، وعون المعبود ٤: / ٥٢٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٦.

(٤) قاموس الرجال ٥: ٢٣٢.

فدخل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فردّ السلام، فقال: سلام خاص وعام عليك يا أبا عبدالله ورحمة الله. وقال: يا أبا محمد لولا أنّها بدعة لعانقناك فقال سفيان: قد عانق من هو خير منّا رسول الله ﷺ فقال مالك: جعفراً؟! قال: نعم. فقال مالك: ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام فقال سفيان: ما عمّ جعفراً يعمّنا وما خصّه يخصّنا إذا كنّا صالحين أفتأذن لي أن أحدّث في مجلسك؟ قال: نعم، يا أبا محمد.

فقال: حدّثني عبدالله بن طاووس عن أبيه عن عبدالله بن عبّاس، أنّه قال: قدم جعفر من أرض الحبشة اعتنقه النبي ﷺ وقبّل ما بين عينيه وقال: جعفر أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً[١].

تقبيله ﷺ أصحابه وهم أحياء

١ ـ النبي ﷺ يقوم ويقبّل أبا بكر عندما طلع عليه[٢].

٢ ـ النبي ﷺ يقبّل الخلفاء الأربعة ويقرّظهم بأحسن كلام[٣].

٣ ـ كان أسامة بن زيد قد أصابه الجدري أوّل ما قدم المدينة وهو غلام، فطفق رسول الله ﷺ يغسل وجهه ويقبّله[٤].

٤ ـ جاء زيد بن حارثة من غزوة يستفتح، فسمع رسول الله ﷺ صوته فقام عرياناً يجر ثوبه فقبّله[٥].

---

(١) العقد الفريد ٢: ٤٥٥، والسيرة الحلبية ٣: ٥٦، وفتح الباري ١١: ٥٤ / ٥٥ ونقله في هامش العقد عن ميزان الاعتدال ٢: ٢٤١ ولم أجده فيه في النسخة الموجودة عندي، وأشار إليه في البحار ٧٦: ٣٤.

(٢) نزهة المجالس ٢: ١٤٧.

(٣) نزهة المجالس ٢: ١٤٧.

(٤) المغازي للواقدي ٣: ١١٢٦، وكنز العمّال ١٥: ٢٤٣.

(٥) المغازي للواقدي ٣: ١١٢٦، والإصابة ١: ٥٦٤، وكنز العمّال ١٠: ٣٧٣، والترمذي ٥: ٧٧.

٥ ـ لمّا رجع رسول الله ﷺ من تبوك، استقبله سعد بن معاذ الأنصاري فقال: ما هذا الذي أرى بيدك؟ قال: من أثر المرّ والمسحاة أضرب وأنفق على عيالي، فقبّل النبي ﷺ يده وقال: هذه يد لا تمسّها النار أبداً(١).

ليس سعد بن معاذ هو الصحابي المعروف الذي استشهد في غزوة الخندق بل هو رجل آخر مجهول، ذكره ابن حجر كذلك وعنونه الجزري بسعد الأنصاري، ونقل القصة، ثمّ نقل ما ذكرناه فقال: فإن حفظت هذه الرواية فلعلّه سعد بن معاذ آخر غير الخزرجي المعروف، فإنّه توفّي سنة خمس... إلى آخر كلامه حول ذلك.

٦ ـ أسلم نعيم بن عبدالله بعد عشرة، وكان يكتم إسلامه... ولم يزل بمكّة يحوطه قومه لشرفه فيهم حتى كانت سنة ست، فقدم مهاجراً إلى المدينة ومعه أربعون من أهله، فأتى رسول الله ﷺ مسلماً فاعتنقه وقبّله(٢).

٧ ـ لمّا أسلم أبو بكر وخطب فضربه المشركون، فحمل إلى رسول الله ﷺ فأكبّ عليه رسول الله ﷺ يقبّله(٣).

تقبيله ﷺ أصحابه بعد موتهم

١ ـ لما مات عثمان بن مظعون كشف النبي ﷺ عن وجهه وقبّل بين عينيه وبكى. وفي رواية عن عائشة: أنّ النبي ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميّت، وهو يبكي وعيناه تذرفان(٤).

---

(١) الإصابة ٢: ٣٨، وأسد الغابة ٢: ٢٦٩.

(٢) الطبقات لابن سعد ٤: ق١: ١٠٢، وأسد الغابة ٥: ٣٣.

(٣) أسد الغابة ٥: ٥٨٠.

(٤) راجع الإصابة ٢: ٤٦٤، والوفاء لابن الجوزي ٢: ٥٤١، وأسد الغابة ٣: ٣٨٦ / ٣٨٧، والاستيعاب هامش ←

٢ ـ عن إسماعيل بن جابر قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام حين مات ابنه إسماعيل الأكبر، فجعل يقبّله وهو ميّت... الحديث[1].

أقول: نقلت هذا الحديث هنا؛ وإن كان خارجاً عن العنوان؛ لكونه حاكياً عن فعل أحد أئمّة أهل البيت عليهم السلام. وهو حجّة بنص حديث الثقلين المتواتر وغيره.

القسم الثالث:

التقبيل الذي يكون على وجه التكريم والاحترام، كتقبيل يد نبيّ أو وصيّ أو رأسهما أو رجلهما وكتقبيل يد الوالد والوالدة والأستاذ والعالم الربّاني أو غيرهم من الكبار والعظماء، لله سبحانه وتعالى، أو كتقبيل يد أمير أو حاكم أو غني أو سلطان طمعاً في حطام الدنيا والمقامات الدنيوية والمادية.

وهذا القسم هو محلّ النزاع ومعركة الآراء.

وهنا قسم رابع يشترك مع الثالث في الحكم، وهو التقبيل للتبرّك والاستشفاء.

فتوهم بعض حرمة هذين القسمين، إمّا يرونه بدعة، أو يرونه شركاً وكفراً (والعياذ بالله).

ويأتي القسمان في تقبيل الإنسان غير الإنسان من الجمادات؛ لكونها منسوبة

← الإصابة ٣: ٨٥ وصفة الصفوة ١: ٤٥٠ وسيرتنا: ١٣٩، والمصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٩٦، والطبقات الكبرى ٣: ٢٨٨ ق١ والرصف: ٤٠٩، وابن ماجة ١: ٤٦٩ المرقم ١٤٥٦، والترمذي ٣: ٣١٤، وسنن أبي داود ٣: ٢٠١، ومسند أحمد ٦: ٤٣ / ٥٥ / ٢٠٦، ومنحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي، ١: ١٥٧ ومستدرك الحاكم ١: ٣٦١ وتلخيص الذهبي بهامشه وأيّده، وكنز العمّال ١٦: ١٣٧ عن ابن عساكر والديلمي، والسيرة الحلبية ٢: ٩٥، وقاموس الرجال ٦: ٢٨٦، وفتح الباري ٣: ٩١ ومجمع الزوائد، ٣: ٢٠، ومستدرك الوسائل ١: ١٢٥.

(١) البحار ٤٧: ٢٦٧.

إلى الله تعالى كالمشاعر العظام، مثل: الحجر الأسود، وأركان البيت، وأبواب المساجد، والمصاحف وغلافها. أو لكونها منسوبة إلى أحد الأولياء، كقبور الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وقبور الأولياء والصالحين، وقبر الوالدين، وضرائح تلكم القبور، وأبواب هذه المشاهد، لأنّ تقبيلها إمّا تكريم أو تبرّك؛ لأنّ من أحبّ شيئاً أحبّ آثاره كما قال الشاعر:

وما حبّ الديار شغفن قلبي ... ولكن حبّ من سكن الديارا

وهذا أمر لا مرية فيه للمتدبّر البصير، لأنّ الإنسان يحبّ وطنه وبلدته وأمواله وعشيرته، كلّ ذلك حبّاً لنفسه ولما له تعلّق به ويضاف إليه، ومن هذا الباب كون حبّ المؤمن لكلّ شيء لله تعالى، فعلى ما ذكرنا يمكن أن يكون تقبيل القبور أو ما يضاف إلى النبي صلى الله عليه وآله والولي والصالحين احتراماً لمن أضيف إليه أو تبرّكاً به، وعلى كلّ حال فلابدّ قبل الشروع في بيان الأدلّة من تقديم أمر لعلّه يعيننا في حلّ المشكلة ودفع التوهّم فنقول:

إن كان الإشكال من جهة التبرّك وأنّه شرك وكفر؛ فقد أسلفنا الكلام في ذلك في رسالة التبرّك مستوفىً، ومجمل القول هو أنّ التبرّك والاستشفاء بغير الله تعالى إن كان بنحو يراه المتبرّك مستقلّاً في التأثير فهو شرك وكفر، ولا تجد أحداً من المسلمين يتوهّم ذلك، أو يخطر بباله في تبرّكه واستشفائه، وإن كان بنحو يراه من الأسباب والعلل المخلوقة لله تعالى وجوداً وتأثيراً. وبعبارة أخرى يرى أنّه سبب وعلّة بتسبيب الله سبحانه وتعالى، وبيده وتحت قدرته، ويؤثّر بإذنه، ويفعل بإرادته، فليس شركاً، بل هو توحيد خالص؛ لأنّ العالم كلّه علل وأسباب ومعلولات، وكلّ شيء معلول لعلّته وعلّة لمعلوله بتنظيم الله سبحانه ومشيئته، ولا يمكن إنكار ذلك ولا يعدّ اعتقاده شركاً، بل إنكاره يؤول إلى الكفر والشرك، وكما أنّ الدواء والعلل المادية تؤثر، فكذا الدعاء والتوسل والتبرّك تؤثّر؛ لأنّها في

سلسلة العلل وإن كانت غير ماديّة، لأنّ العلل لا تنحصر في الماديّات.

وإن كان الإشكال من أجل أنّ الاحترام غير جائز(١) فهو خلاف البديهيّ في الشرع الإسلامي، إذ من الواضح لكلّ مسلم جواز احترام المؤمن وإكرامه وتعظيمه وتبجيله بأي نحو كان إلّا ما حرّمه الشرع كالسجود له، فيجوز تعظيم المسلم وتكريمه بالقيام والانحناء له. وقد صحّ أنّ النبيﷺ قام إلى فاطمة عليها السلام، وإلى جعفر رضي الله عنه لمّا قدم من الحبشة وقال للأنصار: قوموا إلى سيّدكم. ونقل أنّهﷺ قام لعكرمة بن أبي جهل لما قدم من اليمن فرحاً بقدومه(٢).

وقد نقل أنّ النبيﷺ كان يقوم للجنائز(٣) وفي الحديث: «عظّموا كباركم»(٤) و«عظّموا أصحابكم ووقّروا»(٥).

و«دخل على النبيﷺ رجل المسجد وهو جالس وحده فتزحزح له وقال: إنّ حقّ المسلم على المسلم إذا أراد الجلوس أن يتزحزح له»(٦).

و«من حقّ الضيف أن تمشي معه فتخرجه من حريمك إلى الباب»(٧).

و«من قام من مجلسه تعظيماً لرجل؟ قال: مكروه إلّا لرجل في الدين»(٨).

و«لمّا رجع عليّ عليه السلام عن بعض المغازي استقبلهﷺ وقبّل ما بين عينيه»(٩).

---

(١) راجع في احترام المؤمن: الترمذي ٤: ٣٧٨، وابن ماجة ٢: ١٢٩٧، والدارمي ٢: ٦٨، ومسند أحمد ١: ٨٦.

(٢) مرآة العقول ٩: ٨٠ ط الأخوندي.

(٣) راجع كتب الحديث في كتاب الجنائز وفيه تعارض.

(٤) راجع مرآة العقول ٨: ٩ وأصول الكافي ج٢، والبحار كتاب الايمان والكفر والعشرة والآداب ٦٧: ٧٦ من الطبعة الحديثة والوسائل كتاب الحجّ، وكنز العمّال ج٣ الأخلاق، ومسلم ص١٩٩٩ وقبلها وبعدها.

(٥) المصادر المتقدّمة.

(٦) الوسائل ٨: ٥٦٠.

(٧) الوسائل ٨: ٥٦٠.

(٨) الوسائل ٨: ٥٦٠.

(٩) مرّت مصادره آنفاً فراجع.

و«لمّا جاءه بنو سليم تلقّاهم النبيﷺ بلا رداء»(١).

و«أنّ العبّاس لم يمرّ بعمر ولا بعثمان إلّا نزلا حتى يجوز العبّاس إجلالاً له»(٢).

و«قام النبيﷺ لصفوان بن أمية لمّا قدم عليه»(٣).

و«قام النبيﷺ لعدي بن حاتم»(٤).

و«كان يقومﷺ لفاطمة ابنته كلّما تدخل عليه»(٥).

و«كانت تقوم فاطمةعليها السلام لرسول اللهﷺ كلّما يدخل عليها»(٦).

و«قام واستقبل جعفراً لمّا رجع من الحبشة»(٧).

و«لمّا دخل عليّ على رسول اللهﷺ قام إليه»(٨).

و«قامﷺ لأبي بكر»(٩).

و«قام لزيد بن حارثة»(١٠).

فالقيام للمسلم واحترامه بأي نحو كان مطلوب مرغوب فيه شرعاً، وإظهار الحبّ له والحنين إليه مستحب لا إشكال فيه، ولو وقع بالمصافحة والمعانقة والتقبيل. هذا كلّه مقتضى القاعدة المستفادة من الآيات والأحاديث.

---

(١) ستأتي المصادر.

(٢) سوف توافيك المصادر.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٥٦.

(٤) السيرة الحلبية ٣: ٥٦.

(٥) السيرة الحلبية ٣: ٥٦ وقد أسلفنا مصادره فراجع.

(٦) ذكرنا مصادره فيما تقدّم فراجع.

(٧) مرّت المصادر فراجع ويظهر من رواية زيد بن ثابت أنّ سعد بن عبادة أقام ابنه أمام رسول اللهﷺ حتى أذن في الجلوس.

(٨) مصادره مرّت فيما مضى.

(٩) وقد مرّ ذكر المصادر.

(١٠) وقد مرّ ذكر المصادر.

«فإن قلت: قد قال رسول الله ﷺ: من أحبّ أن يتمثّل له الناس أو الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار[1]. ونقل أنّه ﷺ كان يكره أن يقام له، فكان إذا قدم لا يقومون لعلمهم كراهته ذلك، فإذا فارقهم قاموا حتى يدخل منزله لما يلزمهم من تعظيمه.

قلت: تمثل الرجال قياماً هو ما تصنعه الجبابرة من إلزامهم الناس بالقيام في حال قعودهم إلى أن ينقضي مجلسهم؛ لا هذا القيام المخصوص القصير زمانه، سلّمنا لكن يحمل على من أراد ذلك تجبّراً وعلواً على الناس، فيؤاخذ من لا يقوم له بالعقوبة، أما من يريده لدفع الإهانة عنه والنقيصة له فلا حرج عليه؛ لأنّ دفع الضرر عن النفس واجب، وأمّا كراهته ﷺ فتواضع لله عزّوجلّ وتخفيف عن أصحابه، وكذا ينبغي للمؤمن أن لا يحبّ وأن يؤاخذ نفسه بمحبّة تركه إذا مالت إليه، ولأنّ الصحابة كانوا يقومون كما في الحديث ويبعد عدم علمه ﷺ بهم مع أنّ فعلهم يدلّ على تسويغ ذلك»[2].

إنّ هذا الإشكال الذي قد يخطر بالبال غير وارد؛ لأنّ الله سبحانه شرع على لسان نبيّه الأكرم ﷺ لكلّ من العالم والجاهل والكبير والصغير والجليل والحقير أحكاماً خاصّة بهم، إذ مع أنّ جميعهم يشتركون في الإنسانية، ولكن كلّ منهم له حكم خاص بحسب مكانته الاجتماعية أو العلمية أو السن، وهذا التمايز موجود حتى في القوانين الجارية في المجتمعات الراقية أيضاً إن استطاعت عقولهم أن تدرك هذا الحدّ من حِكَمِ التشريع، فالشارع الحكيم شرع للعالم والمسنّ أو ذي المقام، التواضع وخفض الجناح وعدم حبّ الرياسة، وأن لا يحبّ قيام الناس له، وأن يتزحزح ويعدّ نفسه كآحاد الناس والتخاضع لمن هو دونه وشرع للجاهل

(١) راجع الترمذي ٥: ٩١ الباب ١٣ من الأدب والبحار ١٦: ٢٤٠.

(٢) مرآة العقول ٩: ٨٠ والبحار ٧٦: ٣٩.

والصغير تكريمه وتفخيمه وتوقيره، فإذاً لا منافاة ولا مضادّة بين هذين الحكمين: يكره للمؤمن حبّ القيام له وأمر بالتواضع وترك الترأس ويستحبّ للآخرين تكريمه وتعظيمه. وهذا كما كان رسول الله ﷺ يتواضع لأي مسلم ويتخاضع، وكأنّه أحدهم حتى قال سبحانه: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾[1] و﴿ولا تصعّر خدّك للناس﴾[2] و﴿ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[3] مع أنّ الله عزّوجلّ أدّب المؤمنين وقال: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾[4] و﴿لا تُقدّموا بين يدي الله ورسوله... ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ... ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾[5].

لقد أدّب الله سبحانه رسولهﷺ بأحسن الأدب وأمره بأحسن الأخلاق ومكارمها، وأمر الناس أيضاً بإكرامه وتبجيله وتعظيمه والنبيﷺ أيضاً أدّب الناس كما أدّبه الله بالتواضع والتخاضع وخفض الجناح والتعاطف والتراحم ورفض الكبر والترأس في أنفسهم وبتكريم غيرهم وتعظيمه.

هذا، وأمّا قولهﷺ: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم بعضهم لبعض»[6] فلعلّ النهي فيه عن قيام مخصوص وهو التمثّل قياماً كما يقوم الأعاجم لعظمائهم كما مرّ، أو المراد نهيهم عن القيام له مطلقاً، حذراً عمّا يأتي من الأمراء الفجرة بعده، فيفعلون ما يفعله المتكبّرون، ويصحّحونه بفعل الصحابة ويموهون على الناس بذلك.

---

(١) سورة الحجر / ٨٨.

(٢) سورة لقمان / ١٨.

(٣) سورة آل عمران / ١٥٩.

(٤) سورة النور / ٦٣.

(٥) سورة الحجرات / ١ ـ ٢.

(٦) البحار ١٦ : ٢٤٠، والوسائل ٨: ٥٦٠ وزاد: «ولا بأس أن يتخلخل عن مكانه».

وما روي من أنّ النبيﷺ نهى أن «يقوم الرجل للرجل من مجلسه»[(١)] فلعلّ المراد منه الجلوس في هذا المكان لا القيام، كما يظهر من الروايات التي نقلها أبو داود في سننه ج ٤ في كتاب الأدب أو المراد الحذر ممّا ذكرنا من أخلاق المتجبرين بعدهﷺ، وعن إسحاق بن عمّار[(٢)] قال: قلت لأبي عبداللهعليه السلام: من قام من مجلسه تعظيماً لرجل، قال: مكروه إلّا لرجل في الدين. وهذا تفسير موافق للقواعد كما لا يخفى.

وأنّ التدبّر في توقير الصحابة لرسول اللهﷺ وكيفيّة معاشرتهم له يوضّح ما قصدنا إليه، وإذا شئت الوقوف على خلقه وأخلاق أصحابهﷺ ومعاشرته لهم مع تواضعهﷺ غاية التواضع، فراجع الشفا للقاضي عياض والبحار[(٣)] لتقف على جانب من تأديب الله سبحانه لهﷺ وهم.

وعلى فرض صحّة هاتين الروايتين أو ما بمعناهما؛ وكون المراد هو النهي عن القيام مطلقاً، فلابدّ من التأويل لما عرفت من الروايات الدالّة على عمل النبيﷺ وقيامه في مقام الاحترام للآخرين.

نعم، قد يكون التكريم والاحترام غير مطلوب أو غير جائز أصلاً، وذلك فيما إذا لم يكن المكرّم ـ بالفتح ـ مؤمناً، أو كون الإكرام تقوية للظالم أو ركوناً إليه، أو كون تركه ردعاً للفاسق ونهياً عن المنكر، أو كون التكريم فوق مقامه وجعله في مقام ليس أهلاً لذلك أو كونه ترويجاً للباطل، فحينئذٍ لا يجوز الإكرام (سواء كان بالقيام أو المعانقة أو المصافحة أو التقبيل) إذ من المعلوم أنّ الحكم يختلف باختلاف الموضوع ذاتاً أو عنواناً، ومعلوم أيضاً أنّ للإكرام مراتب تختلف أيضاً حسب

(١) مسند أحمد ٤: ٤٨٣.

(٢) الوسائل ٨: ٥٦.

(٣) البحار ١٧: ١٥ ـ ٣٣.

اختلاف المكرّم كإكرام النبيّ صلى الله عليه وآله والوصيّ عليه السلام والعالم و... وقد أشير إلى هذه المراتب في قوله تعالى: ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فجعل للإكرام مراتب كما أنّ للتقوى أيضاً مراتب لابدّ من مراعاتها.

والملاك الجامع في جواز التقبيل والتكريم كونه لله سبحانه وتعالى.

وما ذكرناه كلّه يأتي في تقبيل الآثار من الجمادات كالقبر والضريح والباب.

هذا كلّه مقتضى القاعدة في المسألة، وأمّا الأحاديث الخاصة المنقولة فهي طوائف نذكرها لكي يكون القارئ على بصيرة من عقيدته.

الطائفة الأُولى: ما دلّ على الجواز وعدمه وهاك النصوص:

١ ـ عن رفاعة بن موسى عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تقبّل رأس أحد ولا يده إلّا (يد) رسول الله صلى الله عليه وآله أو من أريد به رسول الله صلى الله عليه وآله[(١)]، الحديث صحيح.

«قوله: أو من أريد به رسول الله من الأئمّة إجماعاً وغيرهم من السادات والعلماء على الخلاف، وإن لم أرَ في كلام أصحابنا تصريحاً بالحرمة.

قال بعض المحقّقين: لعلّ المراد بمن أريد به رسول الله الأئمّة المعصومون عليهم السلام كما يستفاد من الحديث.

ويحتمل أن يشمل هذا الحكم، العلماء بالله وبأمر الله معاً العاملين بعلمهم والهادين للناس؛ ممّن وافق قوله فعله، لأنّ علماء الحق ورثة الأنبياء، فلا يبعد دخولهم فيمن يراد به رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الشهيد قدّس روحه في قواعده: «يجوز تعظيم المؤمن بما جرت به عادة الزمان وإن لم يكن منقولاً عن السلف لدلالة العمومات عليه. قال تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب﴾[(٢)]

---

(١) أصول الكافي ٢: ١٨٥ والوسائل ٨: ١٦٦، ومستدرك الوسائل ٢: ٩٨، والبحار ٧٦: ٣٧.

(٢) سورة الحج / ٣٢.

وقال تعالى: ﴿ذلك ومن يعظِّم حرمات الله فهو خير له عند ربّه﴾(١) ولقول النبيﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً» فعلى هذا يجوز القيام والتعظيم بانحناء وشبهه، وربّما وجب إذا أدّى تركه إلى التباغض والتقاطع أو إهانة المؤمن»(٢).

قال الأحمدي: لا إشكال في جواز الاحترام بأنواعه، ومنها التقبيل طبقاً لمقتضى القاعدة كما تقدّم، وإن كان في مصادر أدلّة الشهيدؒ ما لا يخفىٰ.

والحديث دال على المناط في جواز التقبيل والاحترام كما قدّمنا، وهو كونه لله تعالى، فتقبيل يد رسول اللهﷺ أو من أريد به الرسولﷺ هو مصداق لهذا الكلّي، ويدلّ على عدم الجواز فيما ليس كذلك، يعني هذا القدر من التواضع والاحترام مختصّ بما إذا كان لله تعالى، فلا يجوز في غيره، إمّا لأنّه تقوية باطل، أو ترويج فسق وكفر، أو لأنّه احترام في مرتبة عالية لا يليق بغيره.

وظاهر الحديث أنّه تقبيل احترام وتكريم، إذ تقبيل الأولاد لم يكن مورد شبهة حتى يقع السؤال عنه، بل الذي كان مورد الإشكال هو التقبيل للاحترام كما كانوا يقبِّلون الأرض بين يدي السلاطين والأمراء، ويقبِّلون رؤوسهم وأيديهم وأرجلهم، فوقع مورد نقض وإبرام فسئل عنه وأجيب، وأشير إلى القاعدة التي أسلفنا ذكرها وطريق استفادتها من الأدلّة.

والحديث صحيح مؤيّد بالعمومات، ولا يقاومه ما مرّ من قولهﷺ: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم بعضهم لبعض» مع ما مرّ من عمل الرسول ﷺ في القيام لأناس ذكرناهم، ويحتمل أن يكون المراد منه التمثّل قائماً كما مرّ، ويشهد له

(١) سورة الحج / ٣٠.

(٢) مرآة العقول ٩: ٧٩ ـ ٨٠ والبحار ٧٦: ٣٨ أوردنا هذا التحقيق هنا وإن كان يناسب البحث السابق / لأنّ العلّامة المجلسيؒ أتى به في شرح هذا الحديث فاقتفينا أثره.

قوله ﷺ: «كما يقوم الأعاجم» إذ يدلّ على أنّهم يقومون لأمرائهم قياماً مخصوصاً وفي الوسائل أنّه يحتمل النسخ.

وأمّا ما رواه الترمذي[١] عن أنس قال: لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله ﷺ قال: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيّته لذلك، فهو دليل على عدم النهي، إذ لو كان هناك نهي وتحريم لعَلَّلَه به لا بكراهيّته التي قلنا إنّها من أخلاق الأنبياء والأولياء، وقد ذكرنا أنّ أولياء الحقّ سبحانه موظّفون بالتواضع وأنّهم عبيد له تعالى ولكن لا ينافي أن يستحب تكريم رسول الله بذلك.

وأمّا حديث «من أحبّ أن يتمثّل الناس أو الرجال له قياماً...» فقد مرّ جوابه بما لا مزيد عليه.

وأمّا ما ورد من أنّه: «نهى رسول الله ﷺ عن المكاعمة» وفسّره بعضهم بالتقبيل فليس بثابت؛ لأنّ المكاعمة أن يلثم الرجل الرجل ويضع فمه على فمه وأن يضاجعه ولا يكون بينهما ثوب، إذ هو تقبيل مكروه لغير الزوجة كما في الحديث[٢] هذا إذا كان المعنى الأوّل مراداً وأمّا إذا كان المراد المعنى الثاني، فلا ربط له بما نحن فيه ولكن في معاني الأخبار للصدوق رحمه الله تعالى ص ٣٠٠: نهى رسول الله ﷺ عن المكاعمة والمكامعة. فالمكاعمة أن يلثم الرجل الرجل والمكامعة أن يضاجعه ولا يكون بينهما ثوب من غير ضرورة.

وعلى كلّ حال، فإنّ هذه الروايات على فرض صحّة أسانيدها واستقامة دلالتها لا تقاوم الروايات الكثيرة التي أوردناها في هذه الوجيزة الحاكية لفعل النبي ﷺ أو فعل الصحابة في مرأى ومسمع من النبي ﷺ، أو المروية عن أئمة

---

(١) الترمذي ٥: ٩٠.

(٢) راجع النسائي ـ كتاب الزينة الباب ٢٠، وسنن أبي داود كتاب اللباس الباب ٨، ومسند أحمد ٤: ١٣٤ والدارمي كتاب الاستئذان الباب ٢٠.

أهل البيت عليهم السلام فتوًى وعملاً، وقولهم وفعلهم أيضاً حجّة بحكم الكتاب والسنّة.

كما أنّ الرواية عن الرضا عليه السلام: «لا يقبّل الرجل يد الرجل فإنّ ذلك صلاة له»[١] مع إرسالها لا تقاوم ما تقدَّم وما يأتي، فتحمل على ما لا يكون لله تعالى، فتكون إشارة إلى ما كان متعارفاً من تقبيل أمراء الجور والحكّام ولاسيما مع تعليله بقوله: «فإنّ ذلك صلاة له» إذ لو كان لله تعالى لكان عبادة لله تعالى لا عبادة له، أو يحمل على الكراهة.

وهنا أيضاً رواية ضعيفة السند عن أبي ذر رضي الله عنه، «انكبّ سلمان على قدمي رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّلهما، فزجره النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك ثمّ قال له: يا سلمان لا تصنع بي ما تصنع الأعاجم بملوكها، أنا عبد من عبيد الله آكل ممّا يأكل العبد وأقعد كما يقعد العبد.

ويمكن حملها على كراهة تقبيل الرجل، أو نهى عن ذلك حذراً عمّا يقع بعده من أمراء الجور والحكّام والقضاة الجائرين فيصحّحون عملهم بالسنّة النبويّة.

٢ ـ «لا يجوز لأحد أن يقبّل يد أحد إلّا يد رجل من أهل بيتي أو يد عالم»[٢].

قال في عون المعبود[٣] في شرح حديث ابن عمر: «فدنونا منه فقبّلنا يده» وقد صنّف الحافظ أبو بكر الأصبهاني المقري جزءاً في الرخصة في تقبيل اليد ذكر فيه حديث ابن عمر وابن عبّاس وجابر بن عبدالله وبريدة بن الخصيب وصفوان بن عسال وبريدة العبدي والزارع بن عامر العبدي، وذكر فيه آثاراً صحيحة عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وذكر بعضهم أنّ مالكاً أنكره وأنكر ما روي

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٩٨ عن تحف العقول.

(٢) هامش إحقاق الحقّ ٩: ٤٩٧ عن محاضرات الأدباء.

(٣) عون المعبود ٤: ٥٢٥.

فيه وأجازه آخرون، وقال الأبهري: إنّما كرهها مالك إذا كانت على وجه التكبّر والتعظيم لمن فعل ذلك به، فأمّا إذا قبّل إنسان يد إنسان أو وجهه أو شيئاً من بدنه ما لم يكن عورة على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإنّ ذلك جائز، وتقبيل يد النبي ﷺ يقرّب إلى الله، وما كان من ذلك تعظيماً لدنيا أو لسلطان أو لشبهه من وجوه التكبّر فلا يجوز. انتهى كلام المنذري.

أقول: نعم ما قال واستفاد من الأحاديث الشريفة كما تقدّم منّا آنفاً.

الطائفة الثانية: تقبيل الصحابة النبي ﷺ وهو حيّ:

١ ـ لمّا كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه فدخل أسامة من معسكره، والنبي مغمور وهواليوم الذي لدّوه فيه، فطأطأ أسامة فقبّله ورسول الله ﷺ لا يتكلّم[١].

٢ ـ امرأة أسلمت وقبّلت قدم النبي ﷺ.

٣ ـ نقلت أم أبان بنت الوازع بن زارع عن جدّها زارع وكان في وفد عبدالقيس قال: لمّا قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر فنقبّل يد رسول الله ﷺ ورجله[٢].

٤ ـ لمّا وفد عبد القيس كانوا يقبّلون يد رسول الله ﷺ ورجله قال: بينما هو ﷺ يُحدّث أصحابه، إذ قال لهم: سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق... فقام عمر فتوجّه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكباً وقيل: كانوا عشرين راكباً وقيل: كانوا أربعين رجلاً فقال: من القوم؟ قالوا: من بني عبد القيس... فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد بثياب سفرهم وتبادروا يقبّلون يده ورجله ﷺ وكان منهم

(١) الطبقات لابن سعد ٢: ق١: ١٣٧، والمغازي للواقدي ٣: ١١١٩، وابن أبي الحديد ١: ١٦٠، وفي كنز العمّال.

(٢) سنن أبي داود مع عون المعبود ٤: ٥٢٥.

عبدالله بن عوف الأشج وهو رأسهم... أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبّلها[١].

٥ ـ عدّل رسول الله ﷺ الصفوف يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمرّ بسواد ابن غزيّة... فطعنه رسول الله ﷺ بالقدح في بطنه وقال: استو ياسواد، فقال: يارسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق فأقدني، فكشف عن بطنه وقال: استقد، فاعتنقه، وقيل: قبّل بطنه وقال: ما حملك على هذا ياسواد؟ فقال: يا رسول الله حضر ما ترى ولم آمن القتل، فإنّي أحبّ أن أكون آخر العهد بك وأن يمسّ جلدي جلدك[٢]. «وقال أبو جعفر عليه السلام: فقبّل بين عينيه».

٦ ـ عن سواد بن عمرو الأنصاري وكان يصيب من الخلوق فتلقّاه النبي ﷺ مرّتين أو ثلاثاً فنهاه، وأنّه لقاه ذات يوم ومعه جريدة فطعن بها في بطنه فخدشه فقال: يارسول الله أقصّني أو أقدني، فحسر رسول الله عن بطنه وقال: اقتصّ. فلمّا رأى بطن رسول الله ألقى الجريدة وعلق يقبّلها[٣].

ولا اشتراك بين القصّتين حتى جعلهما أبو عمر في الاستيعاب واحدة حيث قال بعد ذكرها لسواد بن عمرو: «وهذه القصّة لسواد بن عمرو لا لسواد بن غزيّة وقد رويت لسواد بن غزيّة» فحكم بوحدتهما وأنّها لسواد بن عمرو وقد انتبه الجزري لما ذكرنا فذكرهما معاً.

٧ ـ عن أسيد بن حضير رجل من الأنصار قال: بينما هو يحدّث القوم وكان فيه مزاح، بينما يضحكهم، فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود فقال: أصبرني، فقال:

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٥٠ وتبرّك الصحابة: ٤٨ عن الجامع الصغير للعزيزي عن مسلم والترمذي وسنن أبي داود ٤: ٣٥٧ وعون المعبود ٤: ٥٢٥.

(٢) أسد الغابة ٢: ٣٧٥ والإصابة ٢: ٩٦، والمغازي للواقدي ١: ٥٧، وتبرّك الصحابة: ٤، ٥٠. والمصنف لعبد الرزاق ٣: ١٨٤ وفي هامش المصنف أيضاً ٩: ٤٦٨، نقله عن مجمع الزوائد ٦: ٢٨٩، والحافظ ابن حجر في الإصابة والبغوي والطبراني.

(٣) أسد الغابة ٢: ٣٧٥، والاستيعاب ١: ١٢٢، والمصنّف لعبد الرزاق ٩: ٤٦٧، ولكنّه ذكره سوادة بن عمر.

أصطبر، قال: إنّ عليك قميصاً وليس عليّ قميص، فرفع النبيﷺ عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبّل كشحه، قال: إنّما أردت هذا يارسول اللهﷺ(١).

٨ ـ عن ابن عمر ـ كان في يد النبيﷺ جريدة ـ أصاب النبيﷺ بطن رجل فأدماه، فخرج الرجل وهو يقول: هذا فعل نبيّك بي، فسمعه عمر فأتى به رسول اللهﷺ فقال: «أحقّاً أنا أصبتك» قال: نعم. قال: فما تريد؟ قال: أريد أن أستقيد منك فأمكنه من الجريدة فكشف عن بطنه، فألقى الجريدة من يده وقبّل سرّته وقال: هذا أردت كيما ينقمع الجبّارون من بعدك(٢).

٩ ـ عن أبي هريرة قال: خرج رسول اللهﷺ وهو غضبان محمار، وجهه حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل فقال: أين أبي... فقام عمر بن الخطّاب فقبّل رجله(٣).

١٠ ـ لمّا لقي طلحة بن البراء الأنصاري رسول اللهﷺ وهو غلام، فجعل يدنو منه ويلصق به ويقبّل قدميه(٤).

١١ ـ قال أبو بزة المكيّ المخزومي: دخلت مع مولاي عبدالله بن السائب على النبيﷺ فقبّلت يده ورأسه ورجله(٥).

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٣٤٣، وسنن أبي داود ٤: ٣٥٦ واللفظ له، وكنز العمّال ١٩: ٥٣ و٧: ١٣٩، والمستدرك للحاكم ٣: ٢٨٨ وصحّحه الذهبي في التلخيص في هامش المستدرك ٣: ٢٨٨ وعون المعبود ٤: ٥٢٥.

(٢) الوفاء لابن الجوزي ٢: ٧٧٥، والمصنف ٩: ٤٦٦ من الحسن قريباً ممّا ذكر.

(٣) تبرّك الصحابة: ٤٩ عن تفسير ابن كثير وقال: نقله غير واحد منهم السدي.

(٤) الإصابة ٢: ٢٢٧ وتبرّك الصحابة: ٤٩ عنه وأسد الغابة ٣: ٥٧، والاستيعاب هامش الإصابة ٢: ٢٢٦ وكنز العمّال ١٦: ٦٤.

(٥) تبرّك الصحابة: ٥٠ عن الاستيعاب وأبي بكر المقري في رسالته في تقبيل اليد. وقال: «فهنيئاً لمن مسّ وقبّل أي جزءٍ من جسد رسول اللهﷺ ويا سعادة من رآه، وراجع الإصابة ٤: ٢٠ وقال بعد نقله بإسناده وأخرجه أبو بكر المقري في جزء الرخصة في تقبيل اليد عن أبي الشيخ واستدركه أبو موسى، وأسد الغابة ٥: ١٤٧.

١٢ ـ في عمرة الحديبية ـ أهدي إلى رسول الله ﷺ هدية، وكان الذي جاء بالهدية غلام، فكلّمه رسول الله ﷺ وأعجبه كلامه ـ حذفنا كلامه روماً للاختصار ـ فأمر رسول الله ﷺ بكسوة فكسى الغلام، وقال الغلام: إنّي أريد أن أمسّ يدك أريد بذلك البركة. فقال رسول الله ﷺ: أدن، فدنا فأخذ يد رسول الله ﷺ فقبّلها، ومسح رسول الله على رأسه وقال: بارك الله فيك[1].

١٣ ـ قبّل أبو سعيد الخدري ركبتي رسول الله ﷺ[2].

١٤ ـ قبّل أبو سفيان بن الحارث قدم النبي ﷺ في الركاب في وقعة حنين[3].

١٥ ـ سلمان الفارسي يقبّل ظهر رسول الله ﷺ وهو يبكي[4].

١٦ ـ عثمان بن عفّان يقبّل رأس النبي ﷺ في الشفاعة لعبدالله بن سعد بن أبي سرح[5].

١٧ ـ علي عليه السلام يقبّل قدمي النبي ﷺ[6].

١٨ ـ عن عبدالله بن عمر قال: كنت في سريّة من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص. فقلنا: كيف وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟!... فأتيناه ـ يعني رسول الله ﷺ ـ قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: من القوم؟ فقلنا: نحن الفرارون فقال: لا بل أنتم العكارون أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين.

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ٥٩٣.

(٢) صفة الصفوة ١: ٧١٤.

(٣) صفة الصفوة ١: ٥٢٠ والمغازي للواقدي ٢: ٨٠٩.

(٤) صفة الصفوة ١: ٥٣١ (فليراجع أحمد والطبراني في الكبير وابن إسحاق ١: ٢٢٨ وما بعدها والخصائص للسيوطي ١: ٤٨ عن دلائل النبوّة للبيهقي وأبي نعيم في الدلائل ـ كذا في الهامش) وراجع أسد الغابة ٢: ٣٣٠ ومسند أحمد ٥: ٤٤٣.

(٥) المغازي للواقدي ٢: ٨٥٦.

(٦) الدرّ الثمين: ٤٦.

قال: فأتيناه حتى قبّلنا يده[١].

١٩ ـ روي عن عمرو بن قرّة الجملي عن عبدالله بن سلمة وهو أبو العالية الكوفي ـ وهو بكسر اللام ـ عن صفوان العسّال رضي الله عنهم: أنّ يهودياً قال لصاحبه: اِذهب بنا إلى هذا النبيّ قال: فقبّلا يده ورجله. وأخرجه الترمذي وابن ماجة[٢].

٢٠ ـ جاء شمردل بن قباب الكعبي فقبّل ركبتي النبيّ ﷺ[٣].

٢١ ـ قال عبدالله بن أبي سبقة الباهلي: أتيت النبيّ ﷺ وهو واقف على بعيره وكان رجله في غرزة لحماره (كذا) فاحتضنتها فقرعني بالسوط فقلت: يارسول الله القصاص، فناولني السوط فقبّلت ساقه ورجله[٤].

٢٢ ـ إنّ ألفاً من بني سليم أتوا رسول الله ﷺ فنزلوا عن ركائبهم يقبّلون ما ولوا وهم يقولون: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله[٥].

٢٣ ـ عن سلمان (في سرد قصّة إسلامه قال:) فسلّمت عليه ثمّ عدلت لأنظر في ظهره فنظرت إلى خاتم النبوّة كما وصف لي صاحبي قال: فأكببت عليه أقبّل الخاتم من ظهره وأبكي[٦].

٢٤ ـ ورقة بن نوفل يقبّل رأس رسول الله ﷺ [٧].

---

(١) تبرّك الصحابة عن تفسير ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً**﴾ عن أبي داود والترمذي وابن ماجة وابن أبي حاتم، وراجع سنن أبي داود ٤: ٤٦ و٣٥٦ وعلّق عليه في عون المعبود في شرح سنن أبي داود ١: ٥٢٤ ـ ٥٢٥، وسنن ابن ماجة ٢: ١٢٢١، ومسند أحمد ٢: ٧٠.

(٢) عون المعبود ١: ٥٢٤ ـ ٥٢٥ وسيأتي مفصّلاً. وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة مطولاً ومختصراً، وأخرجه الترمذي في موضعين من كتابه وصحّحه في الموضعين، وأطال الكلام في ذلك، فراجع.

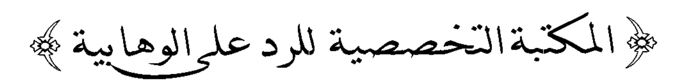
(٣) الإصابة ٢: ١٥٦.

(٤) الإصابة ٢: ١٩٤.

(٥) سيرة دحلان ٢: ٢١١ ويأتي مفصّلاً.

(٦) الطبقات ٤: ٥٦ ق ١ راجع الفتوحات الإسلامية لدحلان ١: ٣٦٣، وأسد الغابة ٢: ٣٣٠.

(٧) الفتوحات الإسلامية ١: ٤٠٦.



٢٥ ـ عداس يقبّل قدمي رسول الله ﷺ.

وفي لفظ «فانكبّ عليه يقبّله» وفي لفظ «يقبّل رأسه ويديه وقدميه»(١).

٢٦ ـ قال ابن سيرين: لولا أنّ أبا بكر قبّل رأس رسول الله ﷺ لرأيت أنّها من أخلاق الجاهلية(٢).

٢٧ ـ عن عبدالله بن عمر قال: كنّا نقبّل يد النبي ﷺ (٣).

٢٨ ـ عن ميمونة بنت كردم الثقفية قالت: رأيت رسول الله ﷺ بمكّة وهو على ناقة له وأنا مع أبي، وبيد رسول الله ﷺ درّة كدرَّة الكتاب، فدنا منه أبي فأخذ بقدمه، فأقرّ له رسول الله ﷺ فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه(٤).

في الحديث إشعار على التقبيل فتدبّر.

٢٩ ـ قوم من اليهود قبّلوا يد النبي ورجليه(٥).

وفي عون المعبود مقال في هذا الحديث لا بأس بنقله لتكثير الفائدة، قال: روي عن عمرو بن قرّة الجملي عن عبدالله بن سلمة وهو أبو العالية ـ وهو بكسر اللام ـ عن صفوان بن العسّال رضي الله عنهم أنّ يهودياً قال لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي ﷺ قال: فقبّلا يده ورجله.

وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة مطوّلاً ومختصراً، وأخرجه الترمذي في موضعين من كتابه وصحّحه في الموضعين قال: وفي الباب عن يزيد بن الأسود وابن عمر وكعب بن مالك. وقال النسائي في حديث صفوان: وهذا حديث منكر. ويشبه أن يكون إنكار النسائي له من جهة عبدالله بن سلمة، فإنّ فيه مقالاً.

---

(١) الفتوحات الإسلامية لدحلان ٢: ١٦٠، والإصابة ٢: ٤٦٦، وأسد الغابة ٣: ٣٩٠.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ١١: ٤٤١ ـ ٤٤٢.

(٣) العقد الفريد ٢: ١٢٦ / ٤٤٦.

(٤) سنن ابن ماجة ٢: ١٢٢١، والترمذي ٥: ٧٧ وقد مرّ عن عون المعبود بنحو آخر.

(٥) المصدر السابق.

٣٠ ـ عن عائشة في حديث قالت: وقال ـ تعني النبي ﷺ ـ ذات يوم: يا عائشة هل علمت أنّ الله قد دلّني على الاسم الذي إذا دعي به أجاب؟ قالت: فقلت: يارسول الله بأبي أنت وأمّي فعلّمنيه، قال: إنّه لا ينبغي لك يا عائشة، قالت: فتنحّيت وجلست ساعة ثمّ قمت فقبّلت رأسه... الحديث(١).

٣١ ـ قالت عائشة: ثمّ قال ـ تعني النبي ﷺ ـ: أبشري يا عائشة فإنّ الله قد أنزل عذرك وقرأ عليها. فقال أبواي: قومي فقبّلي رأس رسول الله ﷺ فقالت: أحمد الله لا إيّاكما(٢).

٣٢ ـ عن خزيمة بن ثابت أنّه رأى في منامه أنّه يقبّل النبي ﷺ، فأتى النبي ﷺ فأخبره بذلك فناوله النبي فقبّل جبهته(٣).

٣٣ ـ جاءه ﷺ أعرابي من بني سليم ـ في حديث طويل فيه شهادة الضبّ الذي عنده ـ فأسلم وخرج الأعرابي من عند رسول الله ﷺ فتلقّاه ألف أعرابي من بني سليم فذكر لهم قصّته فأسلموا ـ اختصرناه ـ ثمّ أتوا النبي ﷺ فتلقّاهم بلا رداء فنزلوا عن ركائبهم يقبّلون ما ولوا منهم وهم يقولون لا إله إلّا الله(٤).

٣٤ ـ عن عبد الرحمان بن كعب بن مالك عن أبيه قال: لمّا نزل نوبتي أتيت النبي ﷺ فقبّلت يديه وركبتيه(٥).

٣٥ ـ عن زيد بن ثابت قال: دخل سعد بن عبادة على رسول الله ﷺ ومعه ابنه

---

(١) سنن ابن ماجة ٢: ١٢٦٨.

(٢) سنن أبي داود ٤: ٣٥٦.

(٣) مسند أحمد ٥: ٢١٤.

(٤) سيرة دحلان هامش الحلبية ٣: ١٥٧ ـ ١٥٨ عن الدارقطني عن ابن عمر ثمّ قال: ولحديث ابن عمر طرق ورواه أبو نعيم وورد مثله عن علي ﷺ ورواه ابن الجوزي عن ابن عبّاس ومن حديث عائشة وأبي هريرة وقد مرّ بنحو مختصر، وكنز العمّال ١٤: ١١ في حديث طويل.

(٥) أدب الإملاء: ١٣٩.

فسلّم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هاهنا هاهنا وأجلسه عن يمينه وقال: مرحباً بالأنصار، مرحباً بالأنصار، وأقام ابنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اجلس فجلس، فقال: ادن فدنا فقبّل يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ورجله... الحديث(١).

٣٦ ـ عن ابن عمر قال: قبّلنا يد النبي صلى الله عليه وآله(٢).

٣٧ ـ في حديث طويل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سريّة أميرهم زيد بن حارثة ففتحوا ورجعوا... فلمّا رأى زيد رسول الله صلى الله عليه وآله نزل... وقبّل رجليه ثمّ قبّل يده ورجله فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله فقبّل رأسه، ثمّ نزل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عبدالله بن رواحة وقبّل يده ورجله... الحديث(٣).

نظرة تحقيق في الأحاديث

هذه الأخبار متّحدة في الدلالة على جواز التقبيل للاحترام والتعظيم أو للتبرّك والاستشفاء، فتقبيل أسامة، وغيره كالمرأة التي أسلمت، وكعبد القيس وأبي بزة، وكأبي سعيد وعمر وأبي سفيان وسلمان وعلي عليه السلام وعثمان وابن عمر وأصحابه، واليهودي وشمردل وبني سليم وورقة بن نوفل وعداس وأبي بكر وعائشة وخزيمة وعبد الرحمان وزيد بن ثابت، يد رسول الله صلى الله عليه وآله أو رجله أو رأسه أو ركبته، ظاهرة كلّ ذلك التعظيم والإكرام، وإن كان يحتمل أن يكون بعضه للتبرّك وإظهار الحبّ.

كما أنّ ظاهر تقبيل سواد بن غزية بل صريحه، وكذا تقبيل سواد بن عمرو وأسيد بن حضير ورجل حكاه ابن عمر وطلحة بن البراء والغلام في الحديبية،

(١) كنز العمّال ١٧: ٥٢.

(٢) ابن ماجة ٢: ١٢٢١، مرّ الحديث تحت رقم ٢٧ عن العقد الفريد.

(٣) مستدرك الوسائل ٢: ٩٨.

وتقبيل سلمان للخاتم هو التبرّك، وكذا تقبيل عبدالله بن أبي سبقة.

هذا.. والنبي يرى ذلك ولا ينكر عليهم بل يقرّهم على ذلك أو يحضّهم بقولهﷺ: «بارك الله فيك» ومسح رأسه، بل سعد بن عبادة أقام ابنه أمامه حتى أذن في الجلوس، وتقبيل اليد والركبة والرجل والرأس كلّه سواء في حكم الجواز كما ورد في الأحاديث.

وظاهر بعض الأخبار كون التقبيل عملاً مستمرّاً وسنّة جارية كما في قول ابن عمر: كنّا نقبّل يد النبيﷺ، إذ ظاهره حكاية حالة مستمرة، مع أنّ الأعمال بهذه الكثرة تثبت أنّ تقبيلهم يد النبيﷺ ورجله ورأسه كان شائعاً وسنّة ثابتة وليس أمراً اتّفاقيّاً نادراً.

وفي الحديث المشتمل على أنّ النبيﷺ طعن بالقدح في بطن سواد بن غزيّة، أو طعن بجريدة في بطن سواد بن عمرو حتى خدشه، أو طعن في خاصرة أسيد بعود، أو كان في يده جريدة أصابت رجلاً فأدمته، في كلّ ذلك نظر؛ لأنّ راوي الحديث أو صانعه حسب أنّ نبي اللهﷺ كغيره من الناس يضرب أو يطعن فيزعج أو يدمي مع ذهولهم عن أنّه معصوم بعصمة الله تعالى، ومحفوظ بحفظه، وليس له شيطان يعتريه، وقد جعل الله سبحانه بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربّهم، ولعلّ لفظ الحديث واقعاً أنّه أصاب من غير أن يزعج ولا أن يدمي، ولكن الرسولﷺ أراد أن يعلّم الناس العدل والمساواة في الحكم والقانون، ووطّن نفسه على القصاص والقود، حبذا هذه الحريّة وليحيى هذا الدين، وصلّى الله على هذا الرسول العظيم الأقدس الأطيب الأطهر، حيث بعث عدلاً وأقام عدلاً وربّى الناس على الحريّة والإنسانيّة.

نحن لا نحكم بصحّة كلّ واحد واحد من تلك الأحاديث، ولا نحتاج إلى ذلك في الاستدلال حتى يورد إشكال في بعض المضامين كما مرّ فنحتاج إلى التأويل

والدفاع، بل المراد الاستدلال بالقدر الجامع، وهو جواز التقبيل تكريماً وترحّماً وتبرّكاً، والأحاديث متواترة في هذا المعنى.

فالقاعدة الكلّية المتقدّمة وهذه الأحاديث الحاكية لعمل الصحابة وتقبيلهم يد رسول الله ﷺ أو رجله أو ركبته أو رأسه كافية في إثبات المطلوب، مضافاً إلىٰ ما يأتي من الأحاديث أيضاً فانتظر.

تقبيل صحابة النبي ﷺ وهو ميّت

لمّا قبض النبي ﷺ أتاه أبو بكر فقبّله وقال: بأبي أنت وأمّي ما أطيب حياتك وأطيب مماتك! وفي رواية:

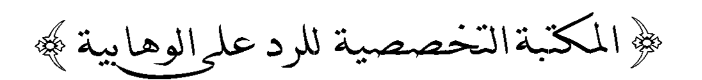
إنّ أبا بكر لم يشهد موت النبي ﷺ فجاء بعد موته فكشف الثوب عن وجهه ثمّ قبّل جبهته(١).

٢ ـ عن ابن عبّاس أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا فرغ من غسل النبي ﷺ كشف الإزار عن وجهه ثمّ قال: بأبي أنت وأمّي طبت حيّاً وطبت ميّتاً... ثمّ أكبّ عليه فقبّل وجهه(٢).

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد ٢: ق٢: ٥٢ بأسانيد متعدّدة تبلغ ثمانية، وتاريخ الخميس ٢: ١٧٣، والوفاء لابن الجوزي ٢: ٧٨٩، والفتوحات الإسلامية لدحلان ٢: ٣٩٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٣٩٤ـ٣٩٣، والسيرة الحلبية ٣: ٣٩٢، وسيرة دحلان هامش الحلبية ٣: ٣٨٧/ ٣٩١، والطبري ٤: ١٨١٦ـ١٨١٧ـ١٨١٨، وسيرة ابن هشام ٤: ٣٠٦، والمصنف لعبد الرزاق ١١: ٤٤١ـ٤٤٢ و٣: ٥٩٦، والترمذي ٣: ٣١٤ الحديث رقم ٩٨٩، وابن ماجة ١: ٤٦٨، والبخاري ٢: ٩٠ و٦: ١٧/ ٢٢٠ و٥: ٨ و٧: ١٦٤، والنسائي ٤: ١١ بأسانيد متعدّدة وفتح الباري ٣: ٩١ و٨: ٩٨ ومسند أحمد ١: ٥/ ٣٣٤/ ٣٦٧ و٦: ٤٥/ ٣١/ ١١٧/ ٥٥، ومنحة المعبود ١: ١٥٧ و٢: ١١٤، وتلخيص المستدرك بهامشه للذهبي ١: ٣٦١ من حديث ابن عبّاس وعائشة وجابر، وكنز العمّال ٢٠: ٢٢٨ و٧: ١٥٦/ ١٥٩/ ١٦٠/ ١٦١ بأسانيد متعدّدة و١٦٦/ ١٧٢/ ١٧٢ و٥: ٣٧٤ كلّهم نقلوه بألفاظ يقرب بعضها من بعض، وكذا تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٧٠.

(٢) كشف الارتياب عن المجالس للمفيد رحمه الله.



تقبيل رسول الله ﷺ المشاعر

١ ـ كان رسول الله ﷺ يقبّل الركن اليماني ويضع خدّه عليه[١].

٢ ـ في حديث عابس بن ربيعة التميمي قال: رأيت عمر يقبّل الحجر[٢]، وروى البيهقي عن عابس بن ربيعة التميمي عن عمر أنّه جاء إلى الحجر فقبّله فقال: إنّي لأعلم أنّك حجر ماتنفع ولا تضرّ، ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك[٣].

وفي رواية يعلى: رأيت عمر بن الخطّاب استقبل الحجر ثمّ قال: والله إنّي لأعلم أنّك حجر، ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك ثمّ تقدّم فقبّله.

وفي رواية سويد بن غفلة قال: كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقبّل الحجر ويقول: إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولكنّي رأيت أبا القاسم ﷺ بك حفيّاً.

وفي رواية أبي حذيفة عن عمر، أنّه قبّل الحجر وقال: إنّي لأقبّلك وإنّي لأعلم أنّك حجر[٤].

---

(١) الوفاء لابن الجوزي ٢: ٥٢٦، وتاريخ الخميس ١: ١٢٦ وستوافيك المصادر فانتظر.

(٢) الإصابة ٢: ٢٤٣، والفتوحات الإسلامية لدحلان ٢: ٤٢٩، وأخبار اصفهان لأبي نعيم ١: ١١٠، وراجع صحيح مسلم ٢: ٩٢٦.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٧٤، وجامع مسلم ٢: ٩٢٥ـ٩٢٦، والنسائي ٥: ٢٢٧، والترمذي ٣: ٢١٤، ومسند أحمد ١: ١٦/ ٤٦/ ٢٦/ ٣٦/ ٥٣/ ٥٤، والبخاري ٢: ١٨٣/ ١٨٦، والبداية والنهاية ٥: ١٥٣ بأسانيد متعدّدة، وفتح الباري ٣: ٣٦٩ بأسانيد متعدّدة عن عابس وغيره، وكنز العمّال ٥: ٩١، وسنن أبي داود ٢: ١٧٥.

(٤) راجع السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٧٤، وابن ماجة ٢: ٩٨١، ومسلم ٢: ٩٢٥ عن ابن عمر وابن سرجس وسالم عن أبيه، ومسند أحمد ١: ٢١/ ٣٥ عن ابن عبّاس وص ٥١ عن ابن سرجس وص٥٣ عن ابن عمر وكذا: ٥٤/ ٣٤/ ٣٩، والبخاري ٢: ١٨٣/ ١٨٥/ ١٨٦، والنسائي ٥: ٢٢٧، والدارمي ٢: ٥٣، والبداية والنهاية ٥: ١٥٤، ومنحة المعبود ١: ٢١٦، وكنز العمّال ٥: ٩١/ ٩٢، والموطأ ١: ٣٣٤. وفي المصنّف ج٥/ ٤٠ـ ٤١: عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أرأيت تقبيل الناس أيديهم إذا استلموا الركن، أكان ممّن مضى في كلّ شيء؟ قال: نعم، رأيت ابن عمر وأبا سعيد الخدري وجابر بن عبدالله وأبا هريرة، إذا استلموا قبّلوا أيديهم. قال: قلت: فابن عبّاس؟ قال: وابن عبّاس ـ حسبت قال كثيراً ـ قال: قلت: أفتكره أن تدع تقبيل ←

وفي رواية: أنّه لما دخل ـ عمر بن الخطّاب ـ المطاف قام عند الحجر وقال: والله إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبّلتك. فقال له علي رضي الله تعالى عنه: بلى يا أمير المؤمنين هو يضرّ وينفع، قال: ولِمَ؟ قلت: ذاك بكتاب الله قال: وأين من كتاب الله؟ قلت: قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾ الآية[1] وكتب ذلك في رقّ... فألقمه ذلك الرقّ وجعله في هذا الموضع... فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن[2].

٣ ـ قال جعفر بن عبدالله: رأيت محمد بن عبّاد بن جعفر قبّل الحجر وسجد عليه ثمّ قال: رأيت خالك ابن عبّاس يقبّله ويسجد عليه، وقال ابن عبّاس: رأيت عمر بن الخطّاب ﷺ قبّله وسجد عليه ثمّ قال: رأيت رسول الله فعل هكذا ففعلت[3].

وفي رواية الطيالسي ثمّ قال عمر: لو لم أرَ النبي ﷺ قبّله ما قبّلته.

٤ ـ عن أبي جعفر قال: رأيت ابن عبّاس ﷺ جاء يوم التروية مسبّداً رأسه

← يدك إذا استلمت؟ قال: نعم، فلو استلم إذا لو قبل (وفي الهامش: ولعلّ النص كان: «فلم استلم إذا لم اقبل») وأنا أريد بركته.

(١) سورة الأعراف / ١٧٢.

(٢) السيرة الحلبية ١:١٨٨، والوسائل ٩:٤٠٦، ومستدرك الوسائل ٢:١٤٨، ومستدرك الحاكم ١: ٤٥٧ وتلخيص الذهبي هامش المستدرك، والبحار ٩٩: ٢١٦ وما بعدها وص٢٢٨، وفتح الباري٣: ٣٧٠، والدر المنثور٣: ١٤٤ عن فضائل مكة والطولات والحاكم والبيهقي في شعب الايمان، والغدير ٦: ١٠٣ عن الحاكم، وابن الجوزي في سيرة عمر: ١٠٦، والأزرقي في تاريخ مكة وإرشاد الساري للقسطلاني ٣: ١٩٥ وعمدة القارئ ٤: ٦٠٦، والجامع الكبير للسيوطي كما في ترتيبه ٣: ٣٥ وابن أبي الحديد ٣: ١٢٢، والفتوحات الإسلامية لدحلان ٢: ٤٨٦، وشرح السيوطي للنسائي في هامشه ٥: ٢٢٨، وكنز العمّال ٥: ٩٣، والغدير ٦: ١٠٣ من مصادر جمّة.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٧٤، وسنن الدارمي ٢: ٥٣، والمستدرك للحاكم ١: ٤٥٥ والنسائي ٥: ٢٢٧، والبداية والنهاية ٥: ١٥٤، ومنحة المعبود ١: ٢١٥، والبيان لآيةالله الخوئي قسم التعليقات: ٥٥٨ المرقم ١٣.

فقبّل الركن ثمّ سجد عليه ثمّ قبّله ثمّ سجد عليه ثلاث مرّات[١].

٥ ـ عن ابن عبّاس قال: رأيت النبي ﷺ يسجد على الحجر[٢].

٦ ـ استقبل رسول الله ﷺ الحجر ثمّ وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً[٣].

٧ ـ عن نافع قال: رأيت ابن عمر استلم الحجر بيده وقبّل يده وقال: ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله[٤].

٨ ـ عن عطاء قال: رأيت جابر بن عبدالله وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وابن عبّاس رضي الله عنهم إذا استلموا الحجر قبّلوا أيديهم، قال ابن جريج: قلت لعطاء: وابن عبّاس؟! قال: وابن عبّاس حسبت كثيراً[٥].

٩ ـ عن أبي الطفيل يقول: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويستلم الركن بمحجن معه ويقبّل المحجن[٦].

١٠ ـ سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبّله[٧].

أقول: الأحاديث الواردة في استلام الأركان وتقبيلها وتقبيل الحجر عن

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٧٤، والأم للشافعي ٢: ١٤٥.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٧٥.

(٣) سنن ابن ماجة ٢: ٩٨٢، ومستدرك الحاكم ١: ٤٥٤.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٧٥، وفتح الباري ٣: ٣٧٨ / ٣٨٠ / ٣٨١، ومسلم ٢: ٩٢٤، ومسند أحمد ٢: ١٠٨.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٧٥ وكتاب الأمّ للشافعي ٢: ١٤٦، وفتح الباري ٣: ٣٧٨، والترمذي ٣: ٢١٥، ومسند أحمد ١: ٣٣٨ وفيه «أنّه ـ يعني ابن عبّاس ـ كان عند الحجر وعنده محجن يضرب به الحجر ويقبّله».

(٦) صحيح مسلم ٢: ٨٩٣ / ٩٢٤ / ٩٢٧، وسيرة دحلان ٢: ٢٤٢، والسيرة الحلبية ٣: ٢٩٤، وسنن ابن ماجة ٢: ٩٨٣، ومسند الإمام الشافعي هامش كتاب الأمّ ٦: ٢٧٢ / ١٤٩، والبداية والنهاية ٦: ١٢ وسنن أبي داود ٢: ١٧٦. والمصنف لعبد الرزاق ٥: / ٤١ بسندين.

(٧) البخاري ٢: ١٨٦، والسنن الكبرى للبيهقي ٥: ٧٤، والسيرة الحلبية ١: ١٨٨، وكتاب الأمّ للشافعي ٢: ١٤٥، والترمذي ٣: ٢١٥، ومسند أحمد ٢: ١٥٢، والبيان للسيد الخوئي: ٥٥٨ قسم التعليقات التعليقة رقم ١٢.

النبيﷺ وعن الصحابة وأئمّة أهل البيت عليهم السلام كثيرة يطول المقام بذكرها ويخرج عن شرط هذه الرسالة وإن شئت الوقوف عليها فراجع:

البداية والنهاية[١] والوفاء لابن الجوزي[٢] ودلائل النبوّة للبيهقي[٣] والوسائل[٤] ومستدرك الوسائل[٥] ومستدرك الحاكم[٦] وتاريخ الخميس[٧] ومسلم[٨] وما بعدها وسنن ابن ماجة[٩] والبخاري[١٠] وما بعدها وفتح الباري في شرح الأحاديث ومسند الإمام الشافعي هامش كتاب الأمّ[١١] والترغيب والترهيب[١٢] وكتاب الأمّ للشافعي[١٣] وما بعدها والنسائي[١٤]، والترمذي[١٥] ومابعدها وسنن أبي داود[١٦] والدارمي[١٧] ومسند أحمد[١٨] والبيان للسيد

(١) البداية والنهاية ٥: ١٥٣ـ١٥٥.

(٢) الوفاء ٢: ٥٢٦.

(٣) دلائل النبوّة ١: ١٥٣.

(٤) الوسائل ٩: ٤٠٢ـ٤١٣.

(٥) مستدرك الوسائل ٢: ١٤٨ـ١٤٩.

(٦) مستدرك الحاكم ١: ٤٥٦.

(٧) تاريخ الخميس ٢: ١٢٦.

(٨) مسلم ٢: ٩٢٤.

(٩) سنن ابن ماجة ٢: ٩٨٧ـ٩٨٣.

(١٠) البخاري ٢: ١٨٣.

(١١) كتاب الأمّ ٦: ١٤٦.

(١٢) الترغيب والترهيب ٢: ١٥٢.

(١٣) الأمّ ٢: ١٤٥.

(١٤) النسائي ٥: ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٦٢، ٤٣١.

(١٥) الترمذي ٣: ٢١٤، ٢٩٢.

(١٦) سنن أبي داود ٢: ١٧٥، ١٧٦، ١٨١.

(١٧) الدارمي ٢: ٤٢، ٤٦.

(١٨) مسند أحمد ١: ٢١٤، ٢١٧، ٢٣٧، ٢٦٧، ٢٩١؛ و٣: ٤٣٠.

الخوئي[١] وكنز العمّال[٢] والغدير[٣]، والمصنف لعبد الرزاق[٤].

بحث حول الأحاديث

تفيد هذه الأحاديث المتواترة أنّ رسول الله ﷺ كان يستلم الأركان، ويقبّل الحجر ويسجد عليه، أو يقبّله ويضع خدّه عليه أو يضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، أو استلم الحجر بيده وقبّل يده، أو يستلم الركن بمحجنه ويقبّل المحجن، ولا منافاة بين كلّ ذلك لإمكان وقوع الجميع.

وقد اقتدى به ﷺ الصحابة كعمر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عبّاس وجابر ابن عبدالله وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم في تقبيل الركن واستلامه باليد أو المحجن وتقبيل اليد أو المحجن.

فيقبّل ﷺ الحجر أو يستلم الركن؛ لأنّه من المشاعر العظام، قال تعالى: ﴿**ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربّه**﴾[٥] وقال سبحانه: ﴿**ومن يعظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب**﴾[٦] إذ تعظيم المشاعر يتحقّق باللمس والتقبيل والطواف والوقوف والصّلاة فيها وعندها، قال الطبري في تفسيره: «هي ـ يعني المشاعر ـ ما جعله الله اعلاماً لخلقه فيما تعبّدهم به من مناسك حجّهم من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والأعمال التي ألزمهم عملها في حجّهم» وقال: «وقد دللنا قبل على أنّ قول الله تعالى ذكره: ﴿**ومن يعظّم شعائر الله**﴾ معنيٌّ به كلّ ما كان من عمل أو مكان جعله علماً لمناسك حجّ خلقه، إذ لم يخصّص من ذلك جلّ

---

(١) البيان: ٥٥٨.

(٢) كنز العمّال ٥: ٩١، ٩٥.

(٣) الغدير ٦: ١٠٣.

(٤) المصنف ٥: ٤٠، ٤١، ٢٩، ٤٣، ٧١.

(٥) الحج / ٣٠.

(٦) الحج / ٣٢.

تناؤه شيئاً في خبر ولا عقل»[١].

هذا وتقبيله ﷺ يده أو المحجن هو أيضاً من شؤون احترام المشاعر؛ لأنّه ﷺ يقبّل يده أو المحجن، لأنّه لمس الحجر أو الركن كما مرّ، ويأتي أنّ الصحابي يقبّل يداً مسّت يد النبي ﷺ أو يقبّل موضعاً قبّله.

فإن كان ذلك حكم الركن والحجر، لأنّهما مَشعران بالمعنى المتقدّم، فكيف بالنبي الأقدس الأعظم في احترامه وتعظيمه والتبرّك به وتقبيله واحترام ما مسّه أو لاقاه؟! وهذا أيضاً لم يكن محلّ ترديد وشكّ عند الصحابة كما مرّ في الفصل الأوّل من رسالة التبرّك. ولعلّ ذلك من أجل ما ذكرنا من فهم جواز ذلك من الآية بالأولوية، أو من الآيات الأُخر الدالّة على لزوم احترام النبي ﷺ كما تقدّمت الإشارة إليه، أو عملوه على السيرة الجارية عندهم فأقرّهم النبي ﷺ وحثّهم عليه.

وتفيد الروايات أنّ الخليفة عمر بن الخطّاب كان يستلم الحجر ويشبّهه بعبادة الحجر، ويصرّح: «لولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبّلتك» و«إنّي لأقبّلك وإنّي لأعلم أنّك حجر» فهل توهم عبارة الخليفة أنّ الذين يقبّلونه لا يرون أنّه لا يضرّ ولا ينفع، أو لا يرون أنّه حجر؟ فماذا أراد بقوله هذا في مجمع من المسلمين وبمحضر من الصحابة؟ والذي أظنّه هو أنّه شبّهه بعبادة الوثن واحترام حجر لا يضرّ ولا ينفع ذهولاً عن أنّه جزء من الركن الذي هو جزء من البيت الذي هو لله تعالى وهو من المشاعر العظام فتقبيله عبادة لله سبحانه لا عبادة صنم وحجر ومدر ولعلّه لم يتوجّه إلى هذا المعنى اللطيف العقلي والعرفي «إنّ الله سبحانه اختبر الأوّلين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضرّ ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً ...»[٢].

---

(١) تفسير الطبري ١٧: ١١٤/ ١١٥.

(٢) نهج البلاغة خ ١٩٠.

فقد أجاب أمير المؤمنين عن شبهة عرضت للخليفة بأنّه يضرّ وينفع؛ لأنّ الله تعالى ألقمه عهود الناس، وهذا معنى نتعبّد بالإذعان به وإن لم تدركه عقولنا، إذ أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله ونحن نقول: آمنّا بالله ورسوله.

ولعلّ هذه الشبهة كانت في أذهان كثير من الصحابة في الصفا والمروة من أجل أساف ونائلة، حتى قال سبحانه: ﴿**إنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح...**﴾[1].

ولكن كيف وجدت الشبهة عند الخليفة في التقبيل والاستلام، وعند الصحابة في الصفا والمروة، مع عمل النبي صلى الله عليه وآله وأمره؟ فهل يظنّون ويحتمل عندهم أن يرخص النبي صلى الله عليه وآله في عبادة أساف ونائلة وعبادة الأحجار؟! أجل، لولا تثبيت الله وتوفيقه لابتُلي الإنسان بهذا أو نظائره (أعوذ بالله من شرِّ الوسواس الخنَّاس الذي يوسوس في صدور الناس).

تقبيل رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من النعم

١ ـ عن ابن شهاب: أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يؤتى له الباكورة فيقبّلها ويضعها على عينه[2].

٢ ـ كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى الفاكهة الجديدة قبّلها ووضعها على عينيه وفمه... الحديث[3].

٣ ـ كان علي بن الحسين عليهما السلام .... يقبِّل الصدقة قبل أن يعطيها السائل. قيل: ما يحملك على هذا؟ قال: فقال: لست أقبِّل يد السائل إنّما أُقبِّل يد

---

(١) البقرة/١٥٨.

(٢) الطبقات الكبرى ١: ق٢: ١٠٥.

(٣) البحار ٩٥: ٣٤٧ عن أمالي الصدوق رحمه الله، والمستدرك للنوري ١: ٥٤٠.

ربّي ... الحديث(١).

٤ ـ وعن عليّ عليه السلام في حديث الأربعمائة قال: إذا ناولتم السائل، وليردّ الذي يناوله يده إلى فيه فليقبّلها، فإنّ الله يأخذها قبل أن تقع في يده... الحديث.

٥ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث: وكان أبي إذا تصدّق بشيء وضعه في يد السائل ثمّ ارتجعه منه فقبّله وشمّه ثمّ ردّه في يد السائل(٢).

تقبيل المسلمين آل الرسول صلى الله عليه وآله

١ ـ عن علي بن مزيد السابري قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فتناولت يده فقبّلتها، فقال: أما إنّها لا تصلح إلّا لنبي أو وصي نبي(٣).

تصرّح الرواية بحرمة تقبيل يد غير المعصومين عليهم السلام، ولكن لا تقاوم الحديث المتقدّم سنداً ولا دلالة؛ لأنّه يشير إلى قاعدة كلّية ثابتة، فالقاعدة تؤيّده، ولعلّ كلمة لا تصلح تناسب الكراهة فلا تنافي عندئذ.

٢ ـ عن يونس بن يعقوب قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ناولني يدك أقبّلها، فأعطانيها، فقلت: جعلت فداك رأسك ففعل فقبّلته، فقلت: جعلت فداك رجلاك، فقال: أقسمت أقسمت ثلاثاً وبقي شيء وبقي شيء وبقي شيء(٤). موثق كالصحيح.

هذا الحديث حكاية عمل فيه تقرير المعصوم عليه السلام، فيدلّ على جواز تقبيل اليد

---

(١) البحار ٤٦: ٧٤، و الوسائل ١١: ٣٠٣ عن عدّة الدّاعي بروايتين وفي احدهما ثم تلاهذة الآية: ﴿**ألم تعلم أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذه الصدقات**﴾ و عن العياّشي بسند آخر.

(٢) الوسائل ١١: ٣٠٣ عن الخصال والعياشي. والمستدرك للنوري رحمه الله ج ١ / ٥٤٠ والوسائل ج ١١ / ٣٠٣ عن الخصال والعياشي وعن عدّة الداعي بروايتين وفي إحدهما: ثمّ تلى هذه الآية: ﴿**ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات**﴾ (سورة التوبة: ١٠٤)، وعن العيّاشي أيضاً بسند آخر.

(٣) أصول الكافي ٢: ١٨٥، والوسائل ٨: ٥٦٦ والبحار ٧٦: ٣٩، ومستدرك الوسائل ٢: ٩٨.

(٤) أصول الكافي ٢: ١٨٥، والوسائل ٨: ٥٦٦، والبحار ٧٦: ٣٩.

والرأس للإمام عليه السلام ، وأمّا امتناعه عن إعطاء رجله للتقبيل فلا يدلّ على الحرمة ؛ لأنّ العمل الصادر عن المعصوم عليه السلام لا يدلّ على الحكم إلّا إذا علم وجه العمل ، وكذا لا يدلّ على جواز تقبيل يد غيره .

فقوله : «أقسمت» يحتمل وجوهاً :

الأوّل : أن يكون على صيغة المتكلّم ، ويكون إخباراً ، أي حلفت أن لا أعطي رجلي أحداً يقبّلها ، إمّا لعدم جوازه أو عدم رجحانه أو للتقية ، وقوله : «بقي شيء» استفهام على الإنكار ، أي هل بقي احتمال الرخصة والتجويز بعد القسم ؟

الثاني : أن يكون إنشاءً للقسم ومناشدة ، أي أقسم عليك أن تترك ذلك للوجوه المذكورة ، وهل بقي بعد مناشدتي إيّاك من طلبك التقبيل شيء ، أو لم يبق بعد تقبيل اليد والرأس شيء تطلبه؟

الثالث : ماكان يقوله بعض الأفاضل رحمه الله ، وهو : «أن يكون المعنى أقسمت قسمة بيني وبين خلفاء الجور ، فاخترت اليد والرأس وجعلت الرجل لهم ، بقي شيء أي ينبغي أن يبقى لهم شيء لعدم التضرّر منهم»[١] .

٣ ـ عن إبراهيم بن إدريس قال : رأيته يعني صاحب الزمان عليه السلام بعد مضيّ أبي محمد عليه السلام حين أيفع فقبّلت يده[٢] .

٤ ـ في حديث طويل عن محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة قال : ثمّ قال جعفر بن محمد : أيّها الأمير لو أخبرتك بما في حمل النبي عليّاً عند حط الأصنام من سطح الكعبة من المعاني التي أراد بها ؛ لقلت : إنّ جعفر بن محمد لمجنون ، فحسبك من ذلك ما قد سمعت . فقمت إليه وقبّلت رأسه ويديه ـ الحديث ـ[٣] .

---

(١) مرآة العقول ٩ : ٨١ والبحار ٧٦ : ٣٩ / ٤٠ .

(٢) الوسائل ٨ : ٥٦٦ .

(٣) البحار ٣٨ : ٨٢ المرقم ٢ عن العلل ومعاني الأخبار و٤٦ : ٢٢٧ .

٥ ـ في حديث لقاء جابر بن عبدالله الأنصاري مع أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : «فقام جابر فوقع على قدميه يقبّلها»[١]. وفي لفظ : «فقَبَّل رَأسه»[٢].

وفي لفظ عن الباقر عليه السلام يحكي عمل جابر : «ثمّ أهوىٰ إلىٰ رجلي يقبّلها».

وفي لفظ عن أبي جعفر عليه السلام قال : دخل عليّ جابر بن عبدالله وأنا في الكتاب فقال : اكشف عن بطنك، فكشفت له فألصق بطنه ببطني[٣].

٦ ـ كان الصادق عليه السلام تحت الميزاب ومعه جماعة، إذ جاءه شيخ فسلّم... ثمّ أكبّ على أبي عبدالله عليه السلام يقبّل رأسه ورجليه[٤].

٧ ـ قبّل رجل رأس أبي عبدالله عليه السلام فمسّ أبو عبدالله عليه السلام ثيابه ـ الحديث ـ[٥].

٨ ـ عن رفاعة بن موسى قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام ذات يوم جالساً فأقبل أبو الحسن عليه السلام إلينا فأخذته ووضعته في حجري، وقبّلت رأسه، وضممته إليّ[٦].

٩ ـ في حديث موسى بن عبدالله بن الحسن... ثمّ أذن لنا فدخلنا عليه فجلست في ناحية الحجرة ودنا أبي إليه فقبّل رأسه... الحديث[٧].

١٠ ـ عن الفيض بن المختار ـ في حديث طويل في أمر أبي الحسن عليه السلام حتى قال أبو عبدالله عليه السلام له مشيراً إلى أبي الحسن عليه السلام ـ: هو صاحبك الذي سألت عنه فقم

---

(١) البحار ٤٦ : ٢٢٣ عن أمالي الصدوق رحمه الله.

(٢) البحار ٤٦ : ٢٢٦ عن الخرائج والاختصاص، ورجال الكشّي وص٢٢٧ عن كشف الغمّة وص٢٢٨ «بزيادة والتزمه» وص٢٩٥.

(٣) البحار ٤٦ : ٢٢٧.

(٤) البحار ٤٧ : ١٢٢.

(٥) البحار ٤٧ : ١٣٢.

(٦) البحار ٤٧ : ١٤٥.

(٧) البحار ٤٧ : ٢٨٠.

فأقرّ له بحقّه، فقمت حتّى قبّلت رأسه ويده. ـ الحديث ـ[1].

١١ ـ عن عيسى شلقان قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام... قال عيسى: فذهبت إلى العبد الصالح عليه السلام... فضممته إليّ وقبّلت بين عينيه. ـ الحديث ـ[2].

١٢ ـ في حديث (أنّ إسحاق ومحمداً أخوي أبي الحسن الأوّل كانا عنده) فجيء بابنه علي فقال لاخوته: «هذا هو عليّ ابني فضمّوه إليه واحداً بعد واحد فقبّلوه». ـ الحديث ـ[3].

١٣ ـ في حديث (دخول أبي الحسن عليه السلام على فضل بن يونس) فخرج الفضل ابن يونس حافياً يعدو حتى خرج إليه فوقع على قدميه يقبّلهما. ـ الحديث ـ[4].

١٤ ـ في حديث دخول أبي الحسن عليه السلام على الرشيد الخليفة العبّاسي: «فقام الرشيد وقبّل بين عينيه ووجهه»[5].

١٥ ـ في حديث المأمون الخليفة مع الرضا عليه السلام: «فانصرف يعني المأمون ودخل عليه وحلّفه أن لا يقوم وقبّل رأسه وجلس بين يديه!... الحديث[6].

١٦ ـ عن إبراهيم الكوفي قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فكنت عنده إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام وهو غلام، فقمت إليه وقبّلت رأسه وجلست. ـ الحديث ـ[7].

١٧ ـ عن معاوية بن وهب قال: كنت جالساً عند جعفر بن محمد إذ جاءه شيخ

---

(١) البحار ٤٨: ١٤.

(٢) البحار ٤٨: ٢٤.

(٣) البحار ٤٨: ٥٦.

(٤) البحار ٤٨: ١٠٨.

(٥) البحار ٤٨: ١٣١.

(٦) البحار ٤٩: ٨٤.

(٧) البحار ٥٢: ١٢٩.

قد انحنى من الكبر... فدنا منه وقبّل يده وبكى. ـ الحديث ـ[١].

١٨ ـ عن علي بن سنان الموصلي عن أبيه قال: لمّا قبض سيّدنا أبو محمد العسكري... دخلنا دار مولانا الحسن بن علي عليهما السلام فإذا ولده القائم عجّل الله فرجه قاعد على سرير... وقبّلنا الأرض بين يديه وسألناه عمّا أردنا. ـ الحديث ـ[٢].

١٩ ـ في حديث: دخل محمد بن عمر على عليّ بن الحسين عليهما السلام فسلّم عليه وأكبّ عليه يقبّله» ـ الحديث ـ[٣].

٢٠ ـ في حديث: «دخل محمد بن مسلم... وسلّم عليه ـ يعني أبا جعفر محمد ابن علي عليهما السلام ـ وهو باك وقبّل يده ورأسه. ـ الحديث ـ[٤].

٢١ ـ في تحاكم علي بن الحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية إلى الحجر الأسود «فقبّل محمد بن الحنفية رجله وقال: الأمر لك» ـ الحديث ـ[٥].

٢٢ ـ في حديث: وقف على عليّ بن الحسين عليهما السلام رجل من أهل بيته فأسمعه وشتمه... فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام: يا أخي إنّك كنت قد وقفت عليّ آنفاً فقلت وقلت فإن كنت قلت ما فيّ فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك، قال: فقبّل الرجل بين عينيه. ـ الحديث ـ[٦].

٢٣ ـ عن محمد بن عبد العزيز البلخي قال: أصبحت يوماً فجلست في شارع سوق الغنم، فإذا أنا بأبي محمد عليه السلام أقبل... فأسرعت إليه فقبّلت رجله. ـ الحديث ـ[٧].

---

(١) البحار ٦٦: ٢٢.

(٢) البحار ٧٦: ٦٤.

(٣) البحار ٤٦: ١١٣.

(٤) البحار ٤٦: ٢٥٧.

(٥) البحار ٤٦: ٣٠.

(٦) البحار ٤٦: ٥٥.

(٧) مستدرك الوسائل ٢: ٩٨.

٢٤ ـ عن الحسين: أنّ علياً عليه السلام لمّا قتل عمرو بن عبد ودّ احتزّ رأسه فألقاه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، فقام أبو بكر وعمر، فقبّلا رأس عليّ عليه السلام(١).

تقبيل الصحابة والتابعين بعضهم بعضاً وهم أحياء

١ ـ عن جميلة مولاة أنس بن مالك رضي الله عنه قالت: كان ثابت إذا جاء إلى أنس قال: يا جميلة ناوليني طيباً أمسّ به يدي فإن ابن أبي ثابت لا يرضى حتى يقبّل يدي يقول: قد مسّت يد رسول الله صلى الله عليه وآله (٢).

٢ ـ عن ابن جدعان قال: قال ثابت لأنس: يا أنس مسست يد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم. قال: أرني أقبّلها.

ونقله الدارمي في حديث وقال: فأعطنيها أقبّلها(٣).

٣ ـ روي أنّ قريشاً جاءت إلى الحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي وكانت تعظّمه فقالوا له: كلّم لنا هذا الرجل فإنّه يذكر آلهتنا ويسبّهم، فجاءوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي صلى الله عليه وآله فقال: أوسعوا للشيخ وعمران (ابن الحصين بن عبيد) وأصحابه متوافرون فقال: ما هذا الذي بلغنا عنك أنّك تشتم آلهتنا وتذكر وقد كان أبوك حصينة وخيراً؟ قال: يا حصين أسلم تسلم... فلم يقم حتى أسلم، فقام إليه عمران فقبّل رأسه ويديه ورجليه، فلمّا رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بكى وقال: بكيت من صنيع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلمّا أسلم قضى حقّه ودخلني من ذلك الرقة(٤).

(١) البحار ٢٠: ٢٥٨ وفي الهامش: رواه في المستدرك.

(٢) أدب الإملاء: ١٣٩.

(٣) مسند أحمد ٣: ١١١، وسنن الدارمي ١: ٢٧.

(٤) الإصابة ١: ٣٣٨ المرقم ١٧٣٦.

٤ ـ قبّلت عائشة رأس فاطمة عليها السلام[١].

٥ ـ قبّل عمر بين عيني عبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه بعد الاستسقاء به المتقدّم ذكره في التبرّك[٢].

٦ ـ في قصة طويلة «فأخذ عمر برأس علي عليه السلام فقبّل ما بين عينيه»[٣].

٧ ـ أقبل الحسن على الحسين عليهما السلام فأكبّ على رأسه يقبّله[٤].

٨ ـ قبّل عبدالله بن الزبير رأس عائشة[٥].

٩ ـ عمر يقبّل ما بين عيني أبي مسلم الخولاني[٦].

١٠ ـ روي أنّ أبا عبيدة قبّل يد عمر[٧].

١١ ـ ركب زيد بن ثابت فأخذ عبدالله بن عبّاس بركابه فقال له: لا تفعل يابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (هكذا) أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال له زيد: أرني يدك، فأخرج إليه يده فأخذها وقبّلها، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل (بيت) نبيّنا[٨].

١٢ ـ أبو ذرّ قبّل يد عليّ عليه السلام[٩].

١٣ ـ عن أبي رجاء العطاردي قال: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلاً يقبّل رأس رجل ويقول: أنا فداء لك لولا أنت هلكنا، فقلت: مَن

(١) نزهة المجالس ٢: ١٨٣.

(٢) ذخائر العقبى: ٢٣٦.

(٣) المناقب للخوارزمي: ٥٢.

(٤) السيرة الحلبية ٣: ٣٢٥.

(٥) صفة الصفوة ٢: ٣٠.

(٦) صفة الصفوة ٤: ٢٠٨.

(٧) كنز العمّال ٥: ٥٤ الرقم ١١١ والفتوحات الإسلامية ٢: ٤٢٨، والعقد الفريد ٢: ١٢٤ / ٤٤٦.

(٨) العقد الفريد ٢: ١٢٨ / ٢٢٤، وعيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٦٩، وجامع بيان العلم ١: ١٥٥، والإصابة ٢: ٣٣٢ و١: ٥٦١، وكنز العمّال ١٦: ٩ وبهامشه عن ابن عساكر والجامع الكبير والاتحاف بحبّ الأشراف: ٤.

(٩) الغدير ٨: ٢٩٩ عن اليعقوبي.

المقبِّل ومَن المقَبَّل؟ قالوا: ذاك عمر يقبِّل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردّة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين(١).

١٤ ـ حجّ أبو بكر في خلافته فقبّل بين عيني أبي قحافة(٢).

١٥ ـ لمّا جاء عبد الله بن حذافة من الروم وحكى لعمر ما جرى بينه وبين ملك الروم، قام فقبَّل رأسه(٣).

١٦ ـ قبّل علي عليه السلام وعمر بن الخطّاب أويس القرني(٤).

١٧ ـ قبّل خيثمة بن عبد الرحمن يد طلحة، وقبّل طلحة يد خيثمة(٥).

١٨ ـ قبّل مالك بن مغول يد طلحة وقبّل طلحة يد مالك(٦).

١٩ ـ عن صهيب قال: رأيت عليّاً قبّل يد العبّاس ورجله(٧).

٢٠ ـ قبّل ابن عمر سرّة الحسين حينما سمع بخروجه إلى كربلاء، فقدّم راحلته وخرج مسرعاً فأدركه في بعض المنازل، فلمّا رأى إباءه (عن الرجوع) قال: يا أبا عبدالله اكشف لي عن الموضع الذي كان الرسول صلى الله عليه وآله يقبِّله منك، فكشف الحسين عليه السلام عن سرّته، فقبّلها ابن عمر ثلاثاً وبكى ـ الحديث ـ(٨).

٢١ ـ لمّا دنا عمر من أبي عبيدة ـ عندما قدم عمر إلى بلاد الشام ـ مدَّ أبو عبيدة يده إلى عمر ليصافحه فمدّ عمر يده فأخذها أبو عبيدة وأهوى ليقبّلها يريد أن

---

(١) صفة الصفوة: ٢٥٠، ١:، وكنز العمّال ١٤: ١٣٨ مختصراً.

(٢) صفة الصفوة ١: ٢٥٩، والطبقات ٣: ق ١: ١٣٢ و ٥: ٣٥٥.

(٣) الإصابة ٢: ٢٩٧ وكنز العمّال ١٦: ١٠٨ وفيه «فقال عمر: حقّ على كلّ مسلم أن يقبِّل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ فقام عمر فقبَّل رأسه».

(٤) صفة الصفوة ٣: ٢٣٣ / ٤٧.

(٥) الطبقات ٦: ٢٠١ / ٢١٥.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) كنز العمّال ١٦: ١٣٠ عن تقبيل اليد لابن المقري والبخاري في الأدب.

(٨) البحار ٤٤: ٣١٣.

يعظّمه في العامة، فأهوى عمر إلى رجل أبي عبيدة ليقبّلها، فقال أبو عبيدة: مه يا أمير المؤمنين وتنحَّ، فقال عمر: مه يا أبا عبيدة فتعانق الشيخان ثمّ ركبا[١].

يفيد أنّهما يريان التقبيل حلالاً وإنّما تواضعا وتركا كما لا يخفى، وقد صرّح في كنز العمّال[٢] بأنّ أبا عبيدة قبّل يد عمر.

٢٢ ـ كان أبو وائل يقبِّل يد عاصم بن أبي النجود[٣].

٢٣ ـ عن أنس في حديث: رأيت أبا هريرة ينفض التراب عن أقدام الحسين عليه السلام يمسح بها وجهه، فقال له الحسين عليه السلام: لِمَ تفعل هذا يا أبا هريرة؟ فقال: دعني يا ابن رسول الله، فوالله لو تعلم الناس مثل ما أعلمه من فضلك لحملوك على أحداقهم[٤].

٢٤ ـ قال إياس بن دغفل: رأيت أبا نضرة يقبِّل خدّ الحسن[٥].

٢٥ ـ قال إياس بن دغفل: رأيت أبا نضرة يقبِّل خدّ الحسين[٦].

٢٦ ـ رجل قال لعلي بن الحسين عليهما السلام كلاماً، فقال عليه السلام: إن كنّا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم يكن كما قلت فغفر الله لك، فقام إليه الرجل فقبّل رأسه[٧].

٢٧ ـ علي بن محمد المقري البصري كان يقبِّل رأس عبدالصمد[٨].

٢٨ ـ قال عبد الرحمن بن زيد العراقي: أتينا سلمة بن الأكوع بالربذة، فأخرج

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١: ٢٥٢، وفتوح أعثم ١: ٢٩٤، وكنز العمّال ٩: ١٣٤.

(٢) كنز العمّال ٩: ١٣٤.

(٣) الطبقات ٦: ٢٢٤. عاصم بن أبي النجود أحد القرّاء السبعة هو عاصم بن بهدلة توفي سنة ١٢٧ وأبو وائل عبدالله بن بسحير شيخ عبد الرزاق وأبو وائل القاص غيره يروي العجائب.

(٤) المنتخب للطريحي ١: ٢٠٤.

(٥) العقد الفريد ٢: ١٢٦/ ٤٤٦، وسنن أبي داود ٤: ٣٥٦.

(٦) العقد الفريد ٢: ١٢٦ وفي هامشه عن تهذيب التهذيب ١٠: ٣٨٨.

(٧) صفة الصفوة ٢: ٩٥.

(٨) صفة الصفوة ٢: ٤٧٩.

إلينا يده ضخمة كأنّها خفّ البعير. قال: بايعت رسول الله ﷺ بيدي هذه فأخذنا يده فقبّلناها[١].

٢٩ ـ نقل الشيباني عن أبي الحسن عن مصعب قال: رأيت رجلاً دخل على علي بن الحسين رضي الله عنهما في المسجد فقبّل يده ووضعها على عينيه فلم ينهه[٢].

٣٠ ـ قبّل عمر الحسن والحسين عليهما السلام[٣].

٣١ ـ نزل يونس بن رزين وأصحابه الربذة يريدون الحجّ، قيل لهم: هاهنا سلمة بن الأكوع؛ صاحب رسول الله ﷺ فأتيناه فسلّمنا عليه، ثمّ سألناه فقال: بايعت رسول الله ﷺ بيدي هذه، وأخرج لنا كفّاً ضخمة قال: فقمنا إليه فقبّلنا كفّه جميعاً[٤].

٣٢ ـ لمّا قدم الحجّاج بن علاط إلى مكة ـ في فتح خيبر والحديث طويل ـ وجاء غلام عبّاس بن عبد المطّلب إليه يسأل عن أمر رسول الله ﷺ فرجع وبشّره بالفتح «قال: فوثب العبّاس فرحاً حتّى قبّل بين عينيه»[٥].

أقول: هنا قصص في التقبيل لا بأس بنقلها، وإن كانت خارجة عن عنوان الباب.

كان أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني المتوفى سنة ٤٧٠ إذا خرج إلى الحرم يخلون المطاف ويقبّلون يده أكثر من تقبيل الحجر[٦].

قال الأصمعي: دخل أبو بكر الهجري على المنصور فقال: يا أمير المؤمنين

---

(١) الطبقات ٤: ق٢، ص٣٩.

(٢) العقد الفريد ٢: ١٢٦ / ٤٤٦.

(٣) الغدير ٨: ٩١.

(٤) مسند أحمد ٤: ٥٤ ـ ٥٥، ومنحة المعبود ١: ٣٦٤ و٢: ١٢٩.

(٥) ينابيع المودّة: ٣٤٤ ومسند أحمد ٣: ١٣٨.

(٦) صفة الصفوة ٢: ٢٦٦، والغدير ٥: ٩١ عنه وعن تذكرة الحفّاظ للذهبي ٣: ٣٤٦.

نفض فمي وأنتم أهل بيت بركة فلو أذنت فقبّلت رأسك لعلّ الله كان يمسك عليّ ما بقي من أسناني! قال: اختر بينها وبين الجائزة. فقال: يا أمير المؤمنين إنّ أهون من ذهاب درهم من الجائزة أن لا يبقى في فمي حاكّة. فضحك المنصور وأمر له بجائزة[١].

استأذن أبو دلامة المهدي في تقبيل يده فمنعه فقال: ما منعتني شيئاً أيسر على عيالي فقد أمنه[٢].

دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبّل يده فقال: أفّ إنّ العرب ما قبّلت الأيدي إلّا هلوعاً، ولا قبّلتها العجم إلّا خضوعاً[٣].

استأذن رجل المأمون في تقبيل يده فقال: إنّ القبلة من المؤمن ذِلَّة، ومن الذمّي خديعة، ولا حاجة بك أن تذلّ ولا حاجة بنا أن نخدع[٤].

قالوا: قبلة الإمام في اليد، وقبلة الأب في الرأس، وقبلة الأخ في الخدّ، وقبلة الأخت في الصدر، وقبلة الزّوجة في الفم[٥].

دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقبّل يده وقال: يدك يا أمير المؤمنين أحق يد بالتقْبيل[٦].

دخل جعفر بن يحيى في زيّ العامّة وكتمان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكمة ومعه ثمامة بن أشرس فقال ثمامة: هذا أبو الفضل، فنهض إليه سليمان فقبّل يده[٧].

---

(١) العقد الفريد ٢: ١٢٧ / ٤٤٧.

(٢) العقد الفريد ٢: ٤٤٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) العقد الفريد ٢: ١٢٨ / ٤٤٧، ونزهة المجالس ٢: ١٨٩.

(٦) العقد الفريد ٢: ١٢٧.

(٧) المصدر نفسه.

كان لأهل دمشق في الشيخ مسعود بن عبدالله المغربي ـ المتوفى سنة ٩٨٥ ـ كبير اعتقاد يتبرّكون به ويقبّلون يديه(١).

عن سليمان بن داود بن ماحان قال: رأيت الثوري ومعمراً حين التقيا احتضنا وقبّل كلّ واحد منهما صاحبه(٢).

رأيت مسلم جاء إلى البخاري فقبّل بين عينيه وقال: دعني أُقبِّل رجليك(٣).

أبو بكر بن مجاهد يقبِّل الشبليّ، ويزعم أنّه رأى النبيﷺ في المنام يفعل به ذلك(٤).

كان أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ـ المتوفى سنة ٤٧٦ ـ كلّما مرّ على بلدة خرج أهلها يتلقّونه بأولادهم ونسائهم، يتبرّكون به ويتمسّحون بركابه، وربّما أخذوا من تراب حافر بغلته(٥).

كان الشريف أبو جعفر الحنبلي يدخل عليه الفقهاء وغيرهم يقبِّلون يده ورأسه(٦).

كان الحافظ أبو محمد عبد الغني المقدسي الحنبلي ـ المتوفى سنة ٦٠٠ ـ إذا خرج في مصر إلى الجامع لا يقدر يمشي من كثرة الخلق يتبرّكون به ويجتمعون حوله(٧).

كان أبو بكر عبد الكريم بن عبدالله الحنبلي ـ المتوفى سنة ٦٣٥ ـ منقطعاً عن

---

(١) الغدير ٥: ٩٢.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ١١: ٤٤٢.

(٣) البداية والنهاية ١١: ٢٦.

(٤) نزهة المجالس ٢: ٧٧.

(٥) الغدير ٥: ٩١ عن البداية والنهاية ١٣: ١٢٣، وشذرات الذهب ٣: ٣٥٠.

(٦) الغدير ٥: ٩١ عن البداية والنهاية ١٢: ١١٩.

(٧) الغدير ٥: ٩٢.

الناس في قريته يقصده الناس لزيارته والتبرّك به[١].

لما وقعت فتنة القرامطة وحملوا الحجر عن مكانه وذهبوا به، كان المسلمون يتبرّكون بوضع أيديهم مكانه[٢].

روى ابن أبي الزناد عن أبيه عن الثّقة: أنّ العبّاس بن عبد المطلب لم يمرّ بعمر ولا بعثمان إلّا نزلا حتى يجوز العبّاس إجلالاً له ويقولون: عمّ النبي صلى الله عليه وآله[٣].

لما طُعن معاذ بن جبل في راحته قال: فلقد رأيته ينظر إليها ثمّ يقبّل ظهر كفّه ثمّ يقول: ما أحبّ أنّ لي بما فيك شيئاً من الدنيا ـ الحديث ـ[٤].

٣٣ ـ عن البراء قال: دخلت مع أبي بكر أوّل ما تقدّم المدينة فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمّى، وأتاها أبو بكر فقال: كيف أنت يا بنيّة وقبّل خدّها[٥].

٣٤ ـ عن مجاهد: أنّ أبا بكر قبّل رأس عائشة[٦].

٣٥ ـ عن محمد بن سلام قال: استعمل عمر بن الخطّاب رجلاً على عمل، فرأى عمر يقبّل صبيّاً له، فقال: تقبّله وأنت أمير المؤمنين. ـ الحديث ـ[٧].

٣٦ ـ إنّ رجلاً مرَّ على أبي بكر الصدِّيق، وبنت لسعد بن الربيع صغيرة على صدره يرشفها ويقبّلها. ـ الحديث ـ[٨].

٣٧ ـ أبو هريرة لقي الحسن عليه السلام في بعض طرق المدينة فقال له: اكشف لي عن

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) السيرة الحلبية ١: ٢٠٣.

(٣) الاستيعاب ٣: ٩٧، والسيرة الحلبية ٢: ٥٢.

(٤) مسند أحمد ١: ١٩٦.

(٥) كنز العمّال ٢٢: ١٤٠، والبخاري ٥: ٨٢.

(٦) كنز العمّال ٢٢: ١٤٠.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) كنز العمّال ١٦: ٣٦.

بطنك فداك أبي حتّى أُقبِّل حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبِّله، فكشف عن بطنه فقبّل سرَّته(١).

٣٨ ـ عن عائشة قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبِّلون الصّبيان فما نقبّلهم. فقال النبي ﷺ: أو أملك إن نزع الله من قلبك الرّحمة؟(٢)

٣٩ ـ قبّل الزبير يد أمِّهِ حين الوداع(٣).

تقبيل الصحابة والتابعين بعضهم بعضاً وهم أموات

١ ـ عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: لمّا قتل أبي يوم أحُد أتيته وهو مسجّى، فجعلت أكشف عن وجهه وأقبّله والنبي يراني فلم ينهني(٤).

٢ ـ لمّا مات أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي قبّل أبو بردة جبهته(٥).

عندما مات ابن تيميّة جلس جماعة عنده قبل الغسل وقرأوا القرآن وتبرّكوا برؤيته وتقبيله(٦).

وحضر غسل أحمد بن حنبل نحو مئة بيت من بيت الخلافة من بني هاشم فجعلوا يقبِّلون بين عينيه(٧).

كان الجزري محمد بن محمد ـ المتوفى سنة ٨٣٢ ـ توفي بشيراز، وكانت جنازته

(١) الإصابة ١: ١٥٦، ومسند أحمد ٢: ٢٥٥ / ٤٢٧ / ٤٨٨ / ٤٩٣، وكنز العمّال ١٦: ٢٦٠.

(٢) البخاري ٨: ٩، وابن ماجة ٢: ١٢٠٩ راجع الترمذي ٤: ٣١٨، ومسند أحمد ٢: ٢٤١ / ٢٦٩ و٦: ٥٦، ٧٠، ومسلم ٤: ١٨٠٨، وابن ماجة ٢: ١٢٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١١٩.

(٤) الطبقات ٣: ق٢، ١٠٥، والبخاري ٢: ٩١، وفتح الباري ٣: ٩١.

(٥) الطبقات ٦: ٦٩.

(٦) البداية والنهاية ١٤: ١٣٥.

(٧) البداية والنهاية ١٠: ٣٤١.

مشهورة تبادر الأشراف والخواصّ والعوام إلى حملها وتقبيلها ومسّها تبرّكاً بها، ومن لم يمكنه الوصول إلى ذلك كان يتبرّك بمن تبرّك بها[١].

تعظيم قبور الأنبياء والأئمّة والصالحين وتقبيلها

«هذا ما منعه الوهابية وكفّروا به المسلمين وأشركوهم وسمّوهم القبُّوريين وعبّاد القبور ونحو ذلك صرّح به الصنعاني»[٢].

قدّمنا في أوائل هذا البحث لزوم احترام المسلم والنّبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وأشرنا إلى أدلّة ذلك من الكتاب والسنّة، وقد ذكر القاضي عياض في الشّفا أدب معاشرة الصحابة مع النبي صلى الله عليه وآله «وقال عروة بن مسعود حين وجّهته قريش عام القضيّة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ورأى من تعظيم أصحابه له، وأنّه لا يتوضّأ إلّا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقاً ولا تنخم نخامة إلّا تلقّوها بأكفّهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلّا ابتدروها[٣]. وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون النظر إليه تعظيماً له»[٤].

وهذا كلّه عملاً بكتاب الله تعالى: **﴿لا تجعلوا دعاء الرّسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾**[٥] **﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه﴾**[٦] **﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله﴾**[٧] **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا**

---

(١) الغدير ٥: ٩٢.

(٢) كشف الارتياب: ٤٢٩.

(٣) ذكرنا مصادر هذا الحديث في فصل التبرّك فلا نعيد.

(٤) البحار ١٧: ٣٢ عن الشفا.

(٥) النور / ٦٣.

(٦) الفتح / ٩.

(٧) الحجرات / ١.

أصواتكم فوق صوت النّبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ● إنّ الّذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الّذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾[١].

﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾[٢].

إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على لزوم احترام النّبي صلى الله عليه وآله.

هذا، وقد تقدّم أيضاً جريان حكم الحياة بعد المهات أيضاً، وعدم الفرق بين حياته ومماته صلى الله عليه وآله في مراعاة هذه الآداب والأحكام، مع أنّه صلى الله عليه وآله حيّ بنص الكتاب الكريم والسنّة النبويّة، وكذلك المؤمنون، فكما تلاحظ حرمتهم في حياتهم فكذلك بعد مماتهم، وعلى ما ذكرنا جرى عمل الصحابة والتابعين وبذلك استدلّ مالك على المنصور الخليفة العبّاسي[٣] وكذلك استدلّ الأعرابيّ في محضر من المهاجرين[٤] ولم ينكر عليه أحد منهم.

وقد وردت أحاديث في تسوية الحرمة بين الحياة والمهات وإليك نصوصها:

١ ـ في حديث عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ الله حرّم منه ميتاً ما حرّم منه حيّاً»[٥] ـ الحديث ـ.

٢ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام في رجل قطع رأس الميت قال: «عليه الدية؛ لأنّ

---

(١) الحجرات / ٢ ـ ٣ راجع تفسير الرازي ٢٨: / ١١٠.

(٢) النساء / ٦٤.

(٣) راجع ما تقدّم وراجع الوسائل ١٩: ٢٥٠ من احتجاج الحسين عليه السلام على عائشة في دفن الحسن عليه السلام ومنعها من ذلك حيث استدلّ عليه السلام بالآية الكريمة على عدم جواز دفن الميّت في الروضة بدون إذنه.

(٤) راجع التبرّك بقبر الرسول صلى الله عليه وآله في رسالة التبرّك.

(٥) الوسائل ١٩: ٢٤٧.

حرمته ميّتاً كحرمته وهو حيّ»[١].

٣ ـ في حديث عن أبي عبدالله عليه السلام: «حرمة الميّت كحرمة الحيّ»[٢].

٤ ـ في حديث وفاة الحسن عليه السلام عن الحسين عليه السلام: «إنّ الله حرّم من المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياءً»... الحديث[٣].

٥ ـ في حديث عن أبي عبدالله عليه السلام: «حرمته ميّتاً أعظم من حرمته وهو حيّ»[٤].

٦ ـ إنّ عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله كانت تقول: كسر عظم المسلم ميّتاً ككسره وهو حيّ. تعني في الإثم[٥].

٧ ـ عن العلاء بن سيّابة عن أبي عبدالله عليه السلام في بئر محرج وقع فيها رجل فمات فيها فلم يمكن إخراجه من البئر أيتوضّأ في تلك البئر؟ قال: لا يتوضّأ فيها ليعطل ويجعل قبراً، وإن أمكن إخراجه أخرج وغسل ودفن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حرمة المسلم ميّتاً كحرمته وهو حيّ سواء»[٦].

فتفيد هذه الأحاديث أنّه لا فرق بين الأحياء والأموات في احترام المؤمن وعدم جواز هتك حرمته، ولا سيما مع استدلال الإمام أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام والإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام[٧].

(١) المصدر نفسه.

(٢) الوسائل ١٩: ٢٤٨ بأسانيد متعدّدة.

(٣) الوسائل ١٩: ٢٥٠.

(٤) الوسائل ١٩: ٢٥١.

(٥) راجع الموطأ ١: ٢٣٧ وتنوير الحوالك في هامشه: ٢٣٧، وسنن أبي داود ٤: ٢١٣، وابن ماجة ١: ٥١٦، ومسند أحمد ٤: ٢٤٦ و٦: ٥٨ / ١٠٠/ ١٠٥ / ١٦٩ / ٢٠٠، ومستدرك الوسائل ٣: ٣٨٠ و١٩: ٢٥١، وسنن البيهقي ٤: ٥٨.

(٦) الوسائل ٢: ٨٧٥ و١٩: ٢٥١.

(٧) أنّ معاذ بن جبل قبّل كتاب أبي بكر، راجع نزهة المجالس ٢: ١٣٤ ويظهر من مسند أحمد ٤: ١٨١ أن عيينية قبّل كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

فإذن، فقد ثبت بالأدلّة المتقدّمة وجوب احترام المؤمن إذا كان تركه هتكاً له، أو استحبابه وجواز تقبيله وجواز تقبيل يد النّبي والوصيّ والعلماء إذا كان لله تعالى ولرسول الله ﷺ، وهكذا سائر التّكريمات والتعظيمات.

فإذا ثبت كلّ ذلك له في حال حياته؛ فقد ثبت له بعد موته أيضاً..

ومن المعلوم أنّ الإكرام قد يكون إكراماً لشخصه مباشرةً، وقد يكون إكراماً لما يتعلّق به، فإكرامه كما أنّه يكون بإكرامه في نفسه بالقيام له ومعانقته ومصافحته عند اللّقاء، وتقبيل يده ورجله ورأسه وركبته وتقديم ما يسرّه إليه، والحذر عمّا يكرهه وقبول شفاعته و.. و.. و.. يكون أيضاً بإكرام ابنه وغلامه وعشيرته وخاصّته وكتابه و.. و.. و.. ممّا يتعلّق به.

وهذا أمر عرفيّ لا يحتاج إلى إقامة برهان، ولعلّ من هذا الباب ما ورد من تقبيل عصا النبي ﷺ وحافر البغلة التي ركبها الإمام عليه السلام، أو كتاب الخليفة وإليك نصّ الحديث:

١ ـ جاء أبو حنيفة إليه ـ يعني جعفر بن محمّد عليهما السلام ـ ليسمع منه وخرج أبو عبدالله يتوكّأ على عصا فقال له أبو حنيفة: يا ابن رسول الله ما بلغت من السنّ ما تحتاج معه إلى العصا، قال: هو كذلك، ولكنّها عصا رسول الله أردت التبرّك بها، فوثب أبو حنيفة إليه وقال له: أقبّلها يا ابن رسول الله، فحسر أبو عبدالله عن ذراعه وقال له: والله لقد علمت أنّ هذا بشر رسول الله ﷺ وأنّ هذا من شعره فما قَبَّلْتَهُ وتُقَبِّلُ عصاً»[١].

٢ ـ وروي أنّه لمّا بلغ الرضا ـ علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ـ في سفره إلى طوس بأمر المأمون (نيسابور)

(١) البحار ٤٧: ٢٨.

واجتمع الناس حول دابّتِهِ وأخرج رأسه من المحمل، وشاهده الناس فهمّ بين صارخ وباك وممزّق ثوبه ومتمرّغ في التراب ومُقبّلٍ لحافر بغلته أو مُقَبِّلٍ لحزام بغلته[1].

والحديث الأوّل يحكي فعل إمام مذهب الحنفية عند إمام من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وأنّه ذاك يريد أن يقبّل عصا النبيّ وهذا يأمره بتقبيل يده المباركة.

والحديث الثاني ينبئ عن عمل أهل نيسابور، وفيهم جمّ غفير من العلماء والمحدِّثين الكبار وسائر الطّبقات من المسلمين بمرأى من إمام معصوم من الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم وهم يكرمونه بذلك.

٣ ـ روي أنّ معاذ بن جبل قبّل كتاب أبي بكر[2].

٤ ـ روي أنّ الحرّ بن يزيد الرياحي ـ الشهيد بكربلاء رضي الله عنه ـ قبّل الأرض بين يدي الصالحين[3].

٥ ـ روي أنّ عيينة والأقرع سألا رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً، فأمر معاوية أن يكتب لهما ففعل، وختمها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر بدفعه إليهما، فأمّا عيينة فقال: ما فيه؟ قال: فيه الذي أمرت به فقبّله وعقده على عمامته[4].

ولعلّ من هذا القبيل قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «المرء يحفظ في ولده» وما ورد من أمر الابن بإكرام أصدقاء أبيه، وما ورد من أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يكرم من كانت صديقة لخديجة بعد وفاتها؛ ويرسل إليهن بالهدايا.

(١) راجع ينابيع المودة: ٣٦٤، والفصول المهمّة لابن الصبّاغ ط سنة ١٣٨١: ٢٤٠، ونور الأبصار: ١٣٨ ط سنة ١٣١٠ والصواعق: ١٢٢، والبحار ٤٩: ٢٧ عن تاريخ نيسابور.

(٢) نزهة المجالس ٢: ١٣٤.

(٣) ينابيع المودّة: ٣٤٤.

(٤) مسند أحمد ٤: ١٨١.

ومن ذلك ما أخرجناه في رسالة التبرّك من تبرّك المسلمين بماء وضوء النبيّ صلى الله عليه وآله وسؤره في طعامه وشرابه وموضع فمه وأصابعه وملابسه وسريره وخاتمه وقدحه وعصاه ودراهمه ويد لمسته و.. و.. و..

فكلّ ذلك يدلّ على أنّه لا فرق في الإكرام لشخص بين إكرامه نفسه بالمباشرة وبين إكرام من وما يتعلّق به، وكذلك في الإهانة له، فمن أهان غلام رجل أو كتابه أو ولده فقد أهانه بحكم العرف.

فعلى هذا، كما أنّ في حياة النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام أو العالم أو المؤمن يستحبّ الإكرام بجميع أقسامه في كلّ شؤونه، فكذلك بعد الموت، ويحرم إهانته صلى الله عليه وآله وإهانة الإمام والعالم بل المؤمن بما يصدق عليه الإهانة والإذلال والتحقير عرفاً في حياته، بل قد يوجب الكفر، فكذا بعد مماته وكذلك سائر ما يتعلّق به، وإن كان ثمّة فرق بين بعد التعلّق وقربه، وكذا الإمام عليه السلام والعالم والمؤمن.

فهل يحتمل عاقل أن يكون إكرام كتاب النبيّ حسناً، ولا يكون إكرام تراب ضمّ جسده الشريف مطلوباً؟! وهل يعقل أن يقبّل كتابه وملابسه ومراكبه بحكم الأدلّة المتقدّمة ولا يقبّل مثواه ومضجعه؟! ألا ترى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قبّل عثمان بن مظعون وهو ميّت، وقبّل أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ميّت، وقبّل علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ميّت، وقبّل أبو عبدالله جعفر بن محمد ابنه إسماعيل وهو ميّت، وجابر بن عبدالله قبّل أباه وهو ميّت، وأبو بردة قبّل أبا وائل وهو ميّت، وقبّل الناس ابن تيميّة وأحمد بن حنبل وهما ميّتان[1]؟

فإذاً لا فرق في تكريم النبي صلى الله عليه وآله بين القيام له وتقبيل يده ورجله ورأسه وعصاه في حياته، وبين تقبيل قبره ولمسه ووضع الخدّ عليه وتمريغ الوجه

(١) مضت مصادر هذه المذكورات فراجع.

فيه، وتقبيل كتابه وشعره وملابسه بعد مماته...، وكذا غيره صلى الله عليه وآله من أولياء الله والمؤمنين.

ولعلّ من هذا القبيل ما سلف من تبرّك الصحابة بتراب قبر النبي صلى الله عليه وآله وأخذه للاستشفاء حتى سدّت عائشة الكوّة عليهم(١) واستسقاؤهم بقبره المبارك بأمر عائشة(٢) أو هي كانت تستسقي به(٣) وأنّه كان ابن عمر يضع يده اليمنى على القبر الشّريف(٤).

وأنّ ابن المنكدر قد كان يصيبه الصمات، فكان يقوم كما هو يضع خدّه على القبر الشريف(٥).

وأنّ فاطمة عليها السلام جاءت فأخذت من تراب القبر فوضعته على عينيها ووجهها فبكت(٦).

وأنّ أبا أيّوب الأنصاري وضع خدّه على القبر المبارك(٧).

وأنّ معاذ بن جبل جاء وجلس عند القبر يبكي(٨).

---

(١) وفاء الوفاء ١: ٥٤٤.

(٢) سنن الدارمي ١: ٤٣ ـ ٤٤، وكشف الارتياب: ٣١٣، ووفاء الوفاء ٢: ٥٤٩.

(٣) راجع اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٣٨ والتوصل: ٢٥٩، والوفاء لابن الجوزي ٢: ٨١٠، وسنن الدارمي ١: ٤٤، وشفاء السقام: ٥٨ / ١٢٨، وكشف الارتياب: ٣١٣.

(٤) كشف الارتياب: ٤٣٤.

(٥) راجع وفاء الوفاء ٢: ٤٤٤، وكشف الارتياب: ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

(٦) البيان لآية الله الخوئي: ٥٥٩ قسم التعليقات عن المنتقى لابن تيمية، والوفاء لابن الجوزي ٢: ٨٠٤، وكشف الارتياب: ٤٣٦، وأهل البيت لتوفيق علم: ١٦٥، والفصول المهمة لابن الصباغ: ١٣٢.

(٧) مسند أحمد ٥: ٤٢٢، والغدير ٥: ١٤٨ عن المستدرك للحاكم ٤: ٥١٥ وصحّحه هو والذهبي في تلخيصه، والسمهودي في وفاء الوفاء ٢: ٤٤٠ـ ٤٤٣ وفي طبعة ٤: ١٣٥٩ ومجمع الزوائد ٤: ٢، والبيان للسيد الخوئي: ٥٥٨ قسم التعليقات عن المستدرك، والمنتقى ٢: ٢٦١ ـ ٢٦٣، وشفاء السقام.

(٨) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢٠.

وأنّ بلالاً جعل يبكي ويمرّغ وجهه على تراب القبر الشريف[١].

وأنّ المسلمين كانوا يستشفون بتراب قبر حمزة رحمه الله تعالى وصهيب[٢].

إلى غير ذلك ممّا مرّ في رسالة التبرّك من الاستشفاء بما يتعلّق برسول الله ﷺ من شعره ولباسه و...

فثبت ممّا ذكرنا مطلوبيّة إكرام النبيّ ﷺ والأوصياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين على درجاتهم ومراتبهم من القرب من الله سبحانه وتعالى، من دون أيّ فرق بين الحياة والممات، وبين أنواع التّعظيم والاحترام من المسّ والتقبيل ونحوهما.

ولعلّ من هذا القبيل أيضاً ما ورد من النهي عن الجلوس على قبر المؤمن في مسند أحمد[٣] عن أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه حتى تفضي إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر.

عن جابر[٤] قال: سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يقعد الرجل على القبر. وكذا ص٣٣٩ وروي ذلك[٥] عن أبي مرثد الغنوي وعن ناعم[٦] مولى أمّ سلمة[٧].

---

(١) البيان لآية الله الخوئي قدّس سرّه: ٥٥٩ قسم التعليقات عن المنتقى، والغدير ٥: ١٤٧ عن تاريخ ابن عساكر مسند في موضعين (كما في شفاء السقام: ٣٩) في ترجمة إبراهيم بن محمد الأنصاري ٢: ٢٥٦ وفي ترجمة بلال... وقال: ورواه الحافظ أبو محمد المقدسي في الكمال في ترجمة بلال، وأبو الحجاج المزي في التهذيب، وشفاء السقام: ٣٩، وأسد الغابة ١: ٢٠٨، ووفاء الوفاء ٢: ٤٠٨ وقال: سنده جيّد وص٤٤٣ (وفي طبعة ٤: ١٣٥٦) والقسطلاني في المواهب، والخالدي في صلح الاخوان، والخمراوي في المشارق.

(٢) وفاء الوفاء ١: ١١٦ وما بعدها.

(٣) مسند أحمد ٢: ٣١١، ٤٤٤.

(٤) مسند أحمد ٣: ٢٩٥.

(٥) مسند أحمد ٤: ١٣٥.

(٦) مسند أحمد ٦: ٢٩٩.

(٧) وراجع الموطأ لمالك ١: ٢٣٢، وسنن أبي داود ٣: ٣١٧، ومسلم ٢: ٦٦٧ بأسانيد متعدّدة، والترمذي ٤: ←

وذلك لأنّ القعود على قبر المؤمن يعدّ نحواً من الإهانة للمؤمن، ولذا نهى عنه بهذه الشدّة.

وكذا ما روي عن أبي هريرة عن النبيﷺ: لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إليه خير من أن يطأ على قبر رجل مسلم[١].

وكذا ما روي عن بشير مولى رسول اللهﷺ في حديث قال: بينما أنا أماشي رسول اللهﷺ مرّ بقبور المشركين فقال: «لقد سبق هؤلاء خيراً كثيراً» ثلاثاً ثمّ مرّ بقبور المسلمين فقال: «لقد أدرك هؤلاء خيراً كثيراً» وحانت من رسول اللهﷺ نظرة فإذا رجل يمشي في القبور عليه نعلان فقال: «يا صاحب السبتتين ويحك ألق سبتيّتيك» فنظر الرجل فلمّا عرف رسول اللهﷺ خلعهما فرمى بهما[٢].

ولعلّ من هذا القبيل أيضاً جعل العلامة على القبر، فقد روي أنّ رسول اللهﷺ جعل علامةً لقبر عثمان بن مظعون وهاك نصّ الحديث:

قال أبو عمر في الاستيعاب: «أعلم رسول اللهﷺ قبره بحجر وكان يزوره»[٣].

وفي الطبقات: «لمّا مات عثمان بن مظعون دفن بالبقيع فأمر رسول اللهﷺ بشيء فوضع عند رأسه وقال: هذا علامة قبره يدفن إليه»[٤].

وعن عمرو بن حزم قال: «رأيت قبر عثمان بن مظعون وعنده شيء مرتفع يعني كأنّه علم»[٥].

← ٣٦٧ وقال بعد نقله عن أبي مرثد: وفي الباب عن أبي هريرة وعمرو بن حزم وبشير بن الخصاصية ثمّ ذكر أسانيد أُخر، وابن ماجة ١: ٤٩٩، والنسائي ٤: ٩٥ وعن مسند الطيالسي ٤: ٢٥٤.

(١) مسند أحمد ٢: ٥٢٨/٣٨٩، وابن ماجة ١: ٤٩٩ عن عقبة بن عامر.

(٢) سنن أبي داود ٣: ٢١٧، وابن ماجة ١: ٤٩٩، ومسند أحمد ٥: ٨٣/ ٨٤/ ٢٢٤ وعن مسند الطيالسي ٤: ١١٢.

(٣) الاستيعاب ٣: ٨٦، وأسد الغابة ٣: ٣٨٧، وابن ماجة ١: ٤٩٨.

(٤) الطبقات ٣: ٢٩١ ق ١ وراجع مستدرك الوسائل ١: ١٢٦ عن دعائم الإسلام.

(٥) الطبقات ٣: ٢٨٩ ق ١.

عن المطّلب قال: لمّا مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن، أمر النبي صلى الله عليه وآله رجلاً أن يأتيه بحجر فلم يستطع حمله، فقام إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وحسر عن ذراعيه... ثمّ حملها فوضعها عند رأسه وقال: أتعلّم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي[1].

وفي الطبقات أيضاً: «فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله حجراً عند رأسه وقال: هذا فرطنا..»[2].

ومنه أيضاً ما ورد من الحثّ على تعمير قبور الأوصياء والشهداء وتكريمها:

١ ـ عن أبي جعفر قال: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تأتي قبر حمزة ترّمه وتصلحه[3].

٢ ـ عن أبي عامر النبهاني واعظ أهل الحجاز قال: أتيت أبا عبدالله عليه السلام جعفر بن محمد عليهما السلام وقلت له: يابن رسول الله ما لمن زار قبره ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ وعمّر تربته؟ قال: يا أبا عامر حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي عليهما السلام عن علي عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: لتقتلنّ بأرض العراق وتدفن بها. قلت: يارسول الله ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها؟ فقال لي: يا أبا الحسن... أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي الواردون حوضي وهم زوّاري غداً في الجنّة. يا علي من عمّر قبوركم وتعاهدها؛ فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس[4].

(١) سنن أبي داود ٣: ٢١٢ وراجع السيرة الحلبية ٢: ٩٥ وزاد: «وأمر صلى الله عليه وآله أن يرشّ قبره بالماء» ومستدرك الوسائل ٢: ١٢٦ عن الذكرى. ونقل في الوسائل ٢: ٨٦٤ عن أبي عبدالله عليه السلام: «قبر رسول الله صلى الله عليه وآله محصب حصباء حمراء» وفيه أيضاً نقل رواية عن أبي الحسن عليه السلام تتعلّق بالكتابة على لوح وجعله في القبر أو عليه وأن يجصّص.

(٢) الطبقات ٣: ق١، ٢٨٩.

(٣) الطبقات ٣: ١١ ق١.

(٤) البحار ١٠٠: ١٢٠ ـ ١٢١ عن فرحة الغرّي بأسانيد متعدّدة، وعن التهذيب والوسائل ١٠: ٢٩٨ بسندين، ومستدرك الوسائل ٢: ١٩٥ بأسانيده وص١٩٦ عن كامل الزيارة.

٣ ـ لمّا مات عبد الرحمن بن أبي بكر أمرت عائشة بفسطاط، فضرب على قبره ووكّلت به إنساناً، وارتحلت فقدم ابن عمر وأمر برفعه[١].

٤ ـ ولمّا مات الحسن بن علي رضي الله عنهم ضربت امرأته القبّة على قبره سنةً، ثمّ رفعت[٢] ولم ينكر عليها أحد.

وامرأته فاطمة بنت الحسين عليه السلام من الهاشميات المحدثات الفاضلات.

٥ ـ وأمر عمر أن يُضرب فسطاط على قبر زينب بنت جحش ولم ينكر عليه أحد[٣].

٦ ـ لمّا حضر أبا هريرة (الموت) أوصى أن لا يضرب عليه فسطاط[٤].

وهذا الحديث يعطي كون هذا مرسوماً وشائعاً في المدينة، وهذه الأحاديث تدلّ على استحباب تكريم قبور الصالحين وحفظها عن الاندراس والجهالة قولاً وعملاً.

٧ ـ وروي في دفن سعد بن معاذ «أنّ النبي صلى الله عليه وآله مدّ ثوباً على قبر سعد أو مدَّ وهو شاهد»[٥].

فتلخّص من جميع ما أوردناه أنّ مقتضى الأدلّة جواز تكريم المؤمن وتعظيمه بأيّ نحو كان من مصافحة ومعانقة وتقبيل، وغيرها ولا سيما العلماء والصالحون والأئمّة والأنبياء عليهم السلام، ولا يتقيّد بشكل خاص أو زمان أو مكان مخصوص.

ولا يتقيّد ذلك بالحياة والموت، فهذه قاعدة كلّية ثابتة إلّا ما أخرجه الدليل،

(١) البخاري ٢: ١١٩، وفتح الباري ٣: ١٧٧.

(٢) البخاري ٢: ١١١، وفتح الباري ٣: ١٦١، وقاموس الرجال ٣: ١٤٥.

(٣) الطبقات ٨: ٨٠ بأسانيد متعدّدة.

(٤) الطبقات ٣: ق٢، ص٢، والوسائل ٢: ٨٧٥.

(٥) المصدر نفسه.

فما ثبت بحسب الأدلّة الصحيحة الصريحة حرمته فهو، وإلّا فالأصل الجواز أو الاستحباب، كما أنّه قد يكون واجباً فيما لو فهم أو استلزم من تركه الإهانة والإذلال.

وبعد ذلك كلّه؛ فإنّه يدلّ على جواز تقبيل القبر النبويّ الشريف، أو قبور الأئمّة عليهم السلام أو الصالحين، ما دلَّ على استحباب تقبيل الحجر والبيت واستلام أركانه بعد ملاحظة الأحاديث الدالّة على أنّ المؤمن أعظم حرمة من الكعبة، أو أنّ أمّة محمد صلى الله عليه وآله أعظم دماً وحرمة منها، فلو كان البيت له هذه الحرمة.والمطلوب عند الله تعالى استلامه وتقبيله، فكيف بالمؤمن في نفسه وفيما يتعلّق به ولاسيما إذا كان عالماً؟ فكيف إذا كان إماماً للأمّة منصوباً من الله سبحانه أو نبيّاً كريماً على الله وملائكته مع ملاحظة هذه الآيات الكريمة الواردة في القرآن بتعظيمه وتوقيره؟

وإليك النصوص:

١ ـ عن ابن عمر قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين... قال ـ يعني نافعاً ـ ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك[1]!

ثمّ ذكر الترمذي سندين آخرين لهذا الحديث.

٢ ـ عن عبدالله بن عمر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك! ما أعظمك وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده للمؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وأن نظن به إلّا خيراً»[2] وفي لفظ:

(١) الترمذي ٤: ٣٧٨.

(٢) ابن ماجة ٢: ١٢٩٧. قال السمهودي في وفاء الوفاء: انعقد الاجماع على تفضيل ما ضمّ الأعضاء الشريفة حتّى على الكعبة...نقله القضاضي عياض والقاضي أبوالوليد الباجي... راجع كشف الارتياب: ٤٤٦ـ٤٤٧.

٣ ـ أنّ رسول الله ﷺ نظر إلى الكعبة فقال: «مرحباً بالبيت ما أعظمك وأعظم حرمتك على الله! والله للمؤمن أعظم حرمة منك؛ لأنّ الله حرّم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة ماله ودمه وأن يظنّ به ظنّ السوء»[1].

٤ ـ أخبرني عبدالله بن عثمان أنّ سعيد بن ميناء أخبره قال: إنّي لأطوف بالبيت مع عبدالله بن عمرو بعد حريق البيت إذ قال: أي سعيد أعظمتم ما صنع بالبيت؟ قال: قلت: وما أعظم منه؟ قال: دم المسلم يسفك بغير حقّه[2].

ويدلّ على جواز تقبيل القبر صريحاً ما نقل عن كفاية الشعبي وفتاوى الغرائب وخزانة الرواية قالوا ما هذا لفظه:

لا بأس بتقبيل قبر الوالدين؛ لأنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إني حلفت أن أقبّل عتبة باب الجنّة وجبهة حور العين، فأمره أن يقبّل رجل الأمّ وجبهة الأب فقال: يارسول الله إن لم يكن أبواي حيين؟ قال: قبّل قبرهما. قال: فإن لم أعرف قبرهما؟ قال: خطّ خطّين إنوِ أحدهما قبر الأمّ، والآخر قبر الأب فقبّلهما ولا تحنث[3].

(١) البحار ٦٧: ٧١.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٥: ١٣٩/.

(٣) كشف الارتياب: ٤٤٠.

المصادر

ألف

١ ـ **الأنس الجليل**

٢ ـ **الاستيعاب**، لابن عبد البر

٣ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، علي بن محمّد الجزري (ابن اثير) ـ المكتبة الإسلامية ـ طهران.

٤ ـ **الأوائل**، لأبي هلال العسكري

٥ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم**، لابن تيمية

٦ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ دار صادر ـ بيروت ـ چاپ اوّل ـ ١٣٢٨هـ. ق.

٧ ـ **الآثار النبوية**

٨ ـ **الآثار الباقية**

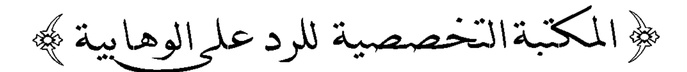
٩ ـ **الأسماء والصفات**

١٠ ـ **أهل البيت**، لتوفيق علم

١١ ـ **إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات**، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي ـ المطبعة العلميّة ـ قم.

١٢ ـ **الإرشاد**، للمفيد (/ ٥)، محمّد بن محمّد بن نعمان ـ ١٣٧٧هـ. ق. ـ دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران.

١٣ ـ **الإرشاد**، للديلمي (/ ٠)



١٤ ـ **أقرب الموارد**، سعيد الخوري الشرتوتي ـ ١٤٠٣هـ ق. ـ قم ـ منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.
١٥ ـ **إرشاد الساري**، للقسطلاني
١٦ ـ **أعيان الشيعة**، للسيد الأمين، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ ق.
١٧ ـ **أخبار مكة للأزرقي**
١٨ ـ **الأنوار البهية**، للمحدِّث القمي
١٩ ـ **أدب الإملاء والاستملاء**
٢٠ ـ **الأغاني**، لأبي الفرج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١ ـ **الأمالي**، للشيخ الطوسي (/ ٥)، المكتبة الأهليّة ـ بغداد ـ ١٣٨٤هـ ق.
٢٢ ـ **الأمالي**، للشيخ الصدوق (/ ٥)

ب

٢٣ ـ **بحار الأنوار**، للعلّامة محمد باقر المجلسي‌‌رحمه الله، دار الكتب الإسلامية ـ طهران.
٢٤ ـ **البيان والتبيين**، للجاحظ، عَمرو بن بَحر ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة.
٢٥ ـ **البيان**، للخوئي
٢٦ ـ **البداية والنهاية**، لابن كثير

ت

٢٧ ـ **تاريخ الإسلام**، للذهبي
٢٨ ـ **تاريخ البخاري**، للبخاري
٢٩ ـ **تبرّك الصحابة**، لمحمد طاهر الكردي
٣٠ ـ **تنوير الحوالك**، للسيوطي
٣١ ـ **التذكرة**، للعلّامة الحلّي (/ ٥)
٣٢ ـ **تاريخ الأمم والملوك**، للطبري، محمّد بن جرير، دار سويدان ـ بيروت ـ الطبعة الثانية.
٣٣ ـ **تاريخ الخلفاء**، للسيوطي، الطبعة الأولىٰ ـ ١٣٧١هـ ق. ـ المكتبة التجارية الكبرىٰ ـ مصر.

٣٤ ـ **تفسير الطبري**، للطبري جامع البيان (جامع البيان في تفسير القرآن) ـ طبع مصر ـ نشر دارالمعرفة ـ بيروت.

٣٥ ـ **تفسير الدر المنثور**، للسيوطي، المكتبة الشعبيّة ـ بيروت.

٣٦ ـ **تاريخ بغداد**، لطيفور

٣٧ ـ **تاريخ جرجان**، للسهمي

٣٨ ـ **تاريخ كربلاء**، لعبد الجواد الكليدار

٣٩ ـ **التوصل**

٤٠ ـ **تاريخ الخميس**، للديار بكري

٤١ ـ **تاريخ دمشق**، لابن عساكر

٤٢ ـ **تقييد العلم**، للخطيب، الطبعة الثانية ـ دار إحياء السنّة النبوّية ـ ١٩٧٤م.

٤٣ ـ **تلخيص المتدارك**، للذهبي

د

٤٤ ـ **دلائل النبوّة**، للبيهقي

٤٥ ـ **دفع شبه من شبه**

٤٦ ـ **الدرر السنية**

٤٧ ـ **الدر الثمين**

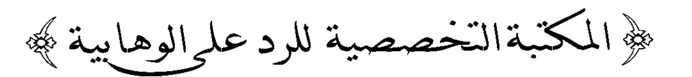
ذ

٤٨ ـ **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربىٰ**، أحمد بن عبدالله الطبري، دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٩٧٤م.

ر

٤٩ ـ **الروض الأنف**، للسهيلي

٥٠ ـ **روضة الواعظين**



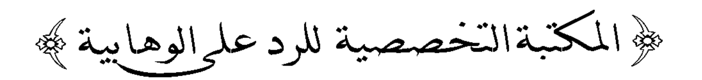
٥١ ـ **الرصف**، للعاقولي
٥٢ ـ **ربيع الأبرار**، للزمخشري، محمود بن عمر، منشورات الشريف الرضي ـ قم ـ الطبعة الأولىٰ.
٥٣ ـ **رسالات نبوية**، لعبد المنعم خان الهندي

س

٥٤ ـ **سنن ابن ماجه**، محمّد بن يزيد القزويني ـ دار إحياء الكتب العربيّة ـ ١٣٧٢هـ. ق. ـ بيروت.
٥٥ ـ **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين البيهقي، الطبعة الأولىٰ، ١٣٤٤هـ. ق. ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ـ حيدرآباد، الهند.
٥٦ ـ **السيرة الحلبية**، علي بن برهان الدين الحلبي، مطبعة مصطفىٰ محمّد ـ مصر.
٥٧ ـ **سيرة دحلان**، لدحلان
٥٨ ـ **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث دار إحياء السنّة النبوية.
٥٩ ـ **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب، دار الثقافة ـ بيروت ـ المكتبة التجاريّة الكبرىٰ ـ مصر.
٦٠ ـ **سنن الترمذي**
٦١ ـ **سنن الدارمي**، عبدالله بن عبدالرحمن ـ دار إحياء السنة النبوية.
٦٢ ـ **السيرة النبْوية**، عبدالملك بن هشام، مكتبة الباني ـ مصر ـ ١٣٥٥هـ. ق.
٦٣ ـ **سفينة البحار**، للمحدِّث القمي (/ ٥)

ش

٦٤ ـ **شواهد التنزيل**، لقواعد التفضيل، عبيد الله بن عبدالله بن أحمد الحسكاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٣٩٣هـ. ق.
٦٥ ـ **شرح المواهب**، للزرقاني
٦٦ ـ **الشفاء بتعريف حقوق المصطفىٰ**، للسبكي، مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.
٦٧ ـ **الشفا**، القاضي عياض بن موسىٰ الأندلسي.
٦٨ ـ **شرح الشفا**، للقاري
٦٩ ـ **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد، اسماعيليان، طهران، الطبعة الأولىٰ ـ ١٣٧٨هـ. ق.



ص

٧٠ـ **الصواعق المحرقة**، أحمد بن حجر الهيثمي، مكتبة القاهرة چاپ دوم، ١٣٨٥هـ.ق.

٧١ـ **صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧٢ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجّاج، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٣٧٤هـ.ق.

٧٣ـ **صفات القرآن**، للبيهقي

٧٤ـ **صفة الصفوة**، لابن الجوزي

٧٥ـ **الصارم المنكى**

ع

٧٦ـ **عمدة القارئ**، البدر العيني، دار الفكر ـ بيروت.

٧٧ـ **عيون الأخبار**، لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٣٤٣هـ.ق.

٧٨ـ **عمدة الأخبار في مدينة المختار**، أحمد بن عبدالحميد العباسي ـ الطبعة الخامسة ـ ناشر أسعد الحسيني.

٧٩ـ **العقد الفريد**، أحمد بن محمّد بن عبد ربه، القاهرة، ١٣٦٨هـ. ق. ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر.

غ

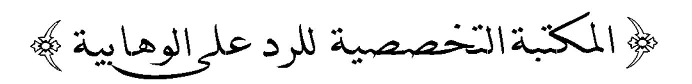
٨٠ـ **غريب الحديث**، لابن قتيبة

٨١ـ **الغدير في الكتاب والسنّة والأدب**، عبدالحسين الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٧هـ. ق.

٨٢ـ **غزوة خيبر**، للشيخ قوام الدين القمي

ف

٨٣ـ **الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمة**عليهم‌السلام، علي بن محمّد بن أحمد بن صباغ، الطبعة الثالثة،



المكتبة الحيدريّة، النجف، ١٣٨١هـ. ق.
٨٤ـ **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
٨٥ـ **الفتوحات الإسلامية**، لدحلان
٨٦ـ **الفتح المبين**
٨٧ـ **فقه السيرة**، للسيوطي
٨٨ـ **الفتوح**، لأعثم، أحمد بن أعثم الكوفي، الطبعة الأولىٰ، حيدر آباد الهند، ١٣٨٨هـ.ق.

ق

٨٩ـ **قاموس الرجال**، محمّد تقي التستري، مركز نشر الكتاب، طهران، ١٣٧٩هـ. ق.

ك

٩٠ـ **كنز العمّال**، للمتّقي الهندي
٩١ـ **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ. ق.
٩٢ـ **الكنى والألقاب**، المحدِّث الشيخ عبّاس القمّي، المطبعة الحيدريّة، النجف، ١٣٧٦هـ. ق.
٩٣ـ **كشف الارتياب**، للعلّامة السيد محسن الأمين
٩٤ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة**، علي بن عيسىٰ الاربلي، تبريز، الناشر الحاج سيّد علي بني‌هاشم.
٩٥ـ **كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب**، محمّد بن يوسف الگنجي الشافعي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ. ق. ـ دار إحياء تراث أهل البيت عليهم‌السلام ـ طهران.

ل

٩٦ـ **لسان العرب**، محمّد بن مكرم بن منظور، دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الأولىٰ.

م

٩٧ـ **مآثر الأناقة**، للقلقشندي

٩٨ ـ **المصنف**، لعبد الرزاق

٩٩ ـ **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.

١٠٠ ـ **المغازي**، محمّد بن عمر بن واقد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١٠١ ـ **منحة المعبود**، لأبي داود

١٠٢ ـ **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.

١٠٣ ـ **منتخب كنز العمّال**

١٠٤ ـ **المناقب**، للخوارزمي

١٠٥ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، محمّد بن أحمد الذهبي، دار احياء الكتب العربية، الطبعة الأولىٰ، ١٣٨٢هـ. ق.

١٠٦ ـ **مستدرك الوسائل**، حسين النوري، آل البيت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ. ق. ـ قم.

١٠٧ ـ **المواهب اللدنية**، للقسطلاني

١٠٨ ـ **مجمع الزوائد**، للهيثمي

١٠٩ ـ **المناقب آل أبي طالب**، محمّد بن علي بن شهر آشوب، انتشارات علّامة، قم.

١١٠ ـ **الموطأ**، لمالك، مصر، الناشر: عبدالحميد أحمد الحنفي.

١١١ ـ **مكاتيب الرسول**، علي بن حسينعلي الأحمدي، نشر يَسَن ـ قم ـ ١٣٦٣هـ. ش. ـ الطبعة الثالثة.

١١٢ ـ **مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج**

١١٣ ـ **مجلة الهدى**، إصدار دار التبليغ بقم

١١٤ ـ **مسند الطيالسي**

١١٥ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، علي بن الحسين بن علي المسعودي، دارالأندلس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٣٨٥هـ. ق.

ن

١١٦ ـ **نور الأبصار** للشبلنجي.

١١٧ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المبارك بن محمّد بن كثير، المكتبة الإسلاميّة.

١١٨ ـ **نزهة المجالس**، للصفوري الشافعي
١١٩ ـ **نور القبل**
١٢٠ ـ **نور الثقلين**

هـ

١٢١ ـ **هامش إحقاق الحق**، شهاب الدين الحسيني المرعشي، مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي، قم.
١٢٢ ـ **هامش تاريخ ابن عساكر**، للمحمودي
١٢٣ ـ **هامش شواهد التنزيل**، شيخ محمّد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٣هـ. ق.
١٢٤ ـ **هامش عقد الفريد**

و

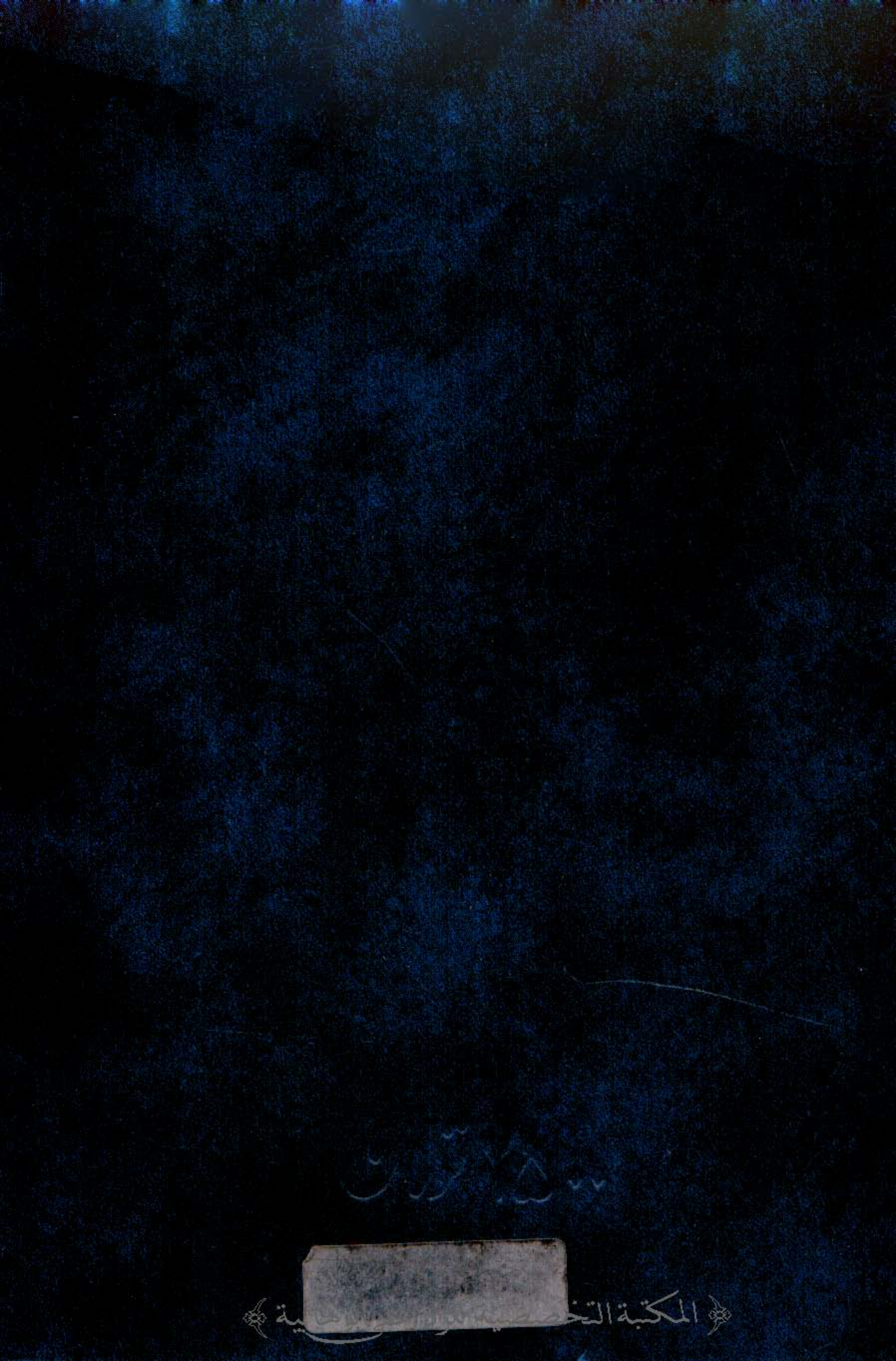
١٢٥ ـ **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفىٰ**، علي بن أحمد السمهودي، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.
١٢٦ ـ **الوفاء**، لابن الجوزي
١٢٧ ـ **وسائل الشيعة**، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، المكتبة الإسلامية ـ طهران، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ. ق.

ي

١٢٨ ـ **ينابيع المودّة**، سليمان بن إبراهيم القندوزي، الطبعة الثامنة، دارالكتب العراقيّة، ١٣٨٥هـ. ق.

الفهرس

الفصل الثاني


المكتبة التخ